

الأسبوع

مجلة رأيية فصلية



تصدرها وزارة الثقافة والإعلام - دار الجاحظ للنشر - بغداد - الجمهورية العراقية

WWW.ATTAWHEEL.COM

المجلد الحادي عشر

ربيع ١٩٨٢

العدد الاول

رئيس التحرير: عبد الحميد العلوي

مدير التحرير: حارث طه الراوي



أسبوع

WWW.ATTAWHEEL.COM

عنوان المجلة

الجمهورية العراقية - بغداد

وزارة الثقافة والاعلام

دار الجاحظ للنشر

مجلة المورد



■ الإشراف الفني - عباس هيدانه

القدس

في شجرة القرن السنين للهجرة

الدكتور

ناظم رشيد

كلية الآداب - جامعة الموصل

تمهيد

القدس ، أو بيت المقدس ، مهوى انثى المسلمين ، وقبلتهم الاولى ، ومصرى الرسول الاعظم محمد بن عبدالله - صلى الله عليه وسلم - رددته الالسن ، ولهجت به ، في منبرق الارض ومغربها على مرّ العصور ، وكر السنين . والله درّ القائل (١) :

أهيم بقاع القدس ما هبت الصبا
قتلك رباع الأنس في زمن الصبا
وما زلت في شوقي إليها مواصلاً
سلامي على تلك المعاهد والربى

وقد ورد ذكر الارض المقدسة في القرآن الكريم ، وأريد بها بيت المقدس - على راي بعض المفسرين - في قوله تعالى (٢) : (يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم) ، كما ورد ذكر المسجد الاقصى الذي يقع فيها في قوله

تعالى (٣) (سبحان الذي اسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى) . وجاء ذكر البيت المقدس في اكثر من حديث شريف ، من ذلك قوله - صلى الله عليه وسلم (٤) - : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدي هذا ، والمسجد الحرام ، ومسجد البيت المقدس » فتح المسلمون (القدس) سنة ١٧ للهجرة في خلافة ابي حفص عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وكانوا مسامحين ، لا يمنعون الناس من دخولها ، ورؤية مزاراتها ، مهما كانت اديانهم ، واختلفت اجناسهم ، وتنوعت ألوانهم ، وبنعت مشاربهم .

وفي سنة ٦٦ للهجرة بدأ الخليفة الاموي عبدالملك بن مروان بعمارة المسجد الأقصى وبناء قبة الصخرة . يقول ابو الينمن مجبر الدين الحنبلي (٥) : « جمع - اي عبدالملك - الصنائع لعمله ، وأرصد للعمارة مالا كثيراً ، يقال : إنه خراج مصر سبع سنين ... ووكل على صرف

(١) سورة الاسراء ، الآية ١ .

(٢) صحيح مسلم ٢ : ٩٧٦ ، وانظر الاحاديث التي أوردها ابن

الجوزي في كتابه (فضائل القدس) ص ٨٨ - ٩٠ .

(٣) الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ١ : ٢٧٢ .

(١) معجم البلدان ٥ : ١٧١ .

(٢) سورة المائدة ، الآية ٢١ . وانظر الكشاف للزمخشري

١ : ٦٠٢ .

التي أنقذها صلاح الدين الأيوبي ، وحررها من المحتلين .

٢ - دور الشعر بعد تحرير القدس :
ويبدأ من سنة ٥٨٢ للهجرة إلى سنة ٥٨٩ للهجرة ، وهي السنة التي مضى فيها صلاح الدين الأيوبي إلى ربه .

٢ - الملامح الفنية للشعر : سنوضح فيها - وباختصار - أهم السمات الفنية التي اتسم بها الشعر الذي قيل في القدس .

دور الشعر قبل تحرير القدس :

هبت سنة ٤٧٨ للهجرة جموع غفيرة - بعد أن تجمعت في أوربا من كل فج عميق - للإغارة على ديار العرب ، فبدات بشمال الأندلس ، وسيطرت على طليطلة ، ولم تستطع التوغل إلى الجنوب لمقاومة المسلمين الشديدة آنذاك ، فاتجهت نحو جزيرة صقلية واخضعتها لحكمها سنة ٤٨٤ للهجرة . فلما حلت سنة ٤٩٠ للهجرة خرجت وبأعداد أكثر إلى الشرق طمعا في خيراتها ، وأملا في إقامة إمارات لهم فيها ، خاصة في (القدس) والساحل الشامي ، وكانت الدولة العباسية وقتئذ ضعيفة تعاني من تفرق الكلمة ، وتشتت الشمل ، وتناحر الطوائف ، وتنازع المذاهب ... فسقطت مدن الشام بأيديهم ، كنساقط أوراق الخريف ، الواحد تلو الأخرى ، وفتكوا بسكانها دونما رحمة أو شفقة ، وشرؤوا الآلاف ، وجعلوهم يهيمون في الأرض ، يطاردون النوى ، ويلاحقون الشقاء . واذلوا من بقي منهم بعد أن سلبوا أموالهم ، وانتكوا حرمانهم ، ونهبوا مزارعهم ، وأباحوا كنوز علمهم التي ورثوها عن آبائهم ، ودنسوا بسنابك خيولهم مواقع عباداتهم .

ولما اطلت سنة ٤٩٢ للهجرة ، وقعت الفاجعة الكبرى ، والنكبة العظمى ، إذ استباح الفيرون من الغرب مدينة (القدس) بقسوة لم يعرف التاريخ لها مثيلا ، ونترك الحديث لابن الأثير ليروي لنا طرفا من أفعالهم . يقول (٦) : « وقتل الفرنج بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعمائة ألفا ، منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين ، وعلمائهم ، وعبادهم ، وزهادهم ،

المال في عمارة المسجد والقبّة وما يحتاج إليه أبا المقدام رجاء بن حياء بن جود الكندي ، وكان من العلماء الأعلام ، ومن جلساء عمر بن عبدالمزيز رضي الله عنه ، وضم إليه رجلا يدعى يزيد بن سلام ... وفرغ البناء ... فكتب رجاء ويزيد إلى عبدالمملك بدمشق : قد أتم الله ما أمر به أمير المؤمنين من بناء قبة صخرة بيت المقدس والمسجد الأقصى ، ولم يبقَ لتكلم فيه كلام ، وقد بقي مما أمر به أمير المؤمنين من النفقة عليه - بعد أن فرغ البناء وأحكم - مئة ألف دينار ، فيصرفها أمير المؤمنين فيما أحب .

فكتب إليهما أمير المؤمنين : قد أمرت بهما لكما جائزة لما وثقنا من عمارة البيت الشريف المبارك .

فكتبنا إليه : نحن أولى أن نزيده من حلي نسائنا فضلا عن أموالنا ، فاصرفها في أحب الأشياء إليك .

فكتب إليهما بأن تسبك ، وتفرغ على القبة . فسبكت ، وأفرغت عليها ، فما كان أحد يقدر أن يتأملها مما عليها من الذهب .

هكذا فتح بيت المقدس ، وغنم من بعده ، وبقي تحت إشراف المسلمين ورعايتهم .

وما كادت تحل سنة ٤٩٢ للهجرة حتى دخل الصليبيون الزاحفون من الغرب مدينة (القدس) ، وجاسوا خلالها بجيوش لجة ، وعدة ضخمة ، ولبثوا فيها ما يقرب من مئة عام .

انقل المجاهد الكبير صلاح الدين الأيوبي مدينة (القدس) سنة ٥٨٣ للهجرة من الصليبيين ، وحرر قاطنيتها من قيود الاحتلال ، وأعاد مفاتيحها إلى أصحابها الشرعيين ، ومالكها الحقيقيين .

وكان لخروج (القدس) من أيدي المسلمين ، ثم عودتها إليهم ، أثر بالغ في تحريك قرائع الشمراء ، وتفجير عواطفهم ، واحتدام احساسهم ، وإلهاب مشاعرهم . وقد حفظت لنا المصادر جزءا كبيرا من شعرهم . وستكون دراستنا في هذا البحث على الوجه الآتي :

١ - دور الشعر قبل تحرير القدس :
ويبدأ من استيلاء الصليبيين على القدس في سنة ٤٩٢ للهجرة إلى سنة ٥٨٣ للهجرة ، وهي السنة

(٦) الكامل لابن الأثير ١ : ٢٨٣ . وانظر فضائل القدس لابن الجوزي ص ١٢٥ .

ممن فارق الاوطان ، وجاور بذلك المكان الشريف ، واخذوا من عند الصخرة نيفاً واربعين قنديلاً من الفضة وزن كل قنديل ثلاثة آلاف وستمائة درهم ، واخذوا تنوراً من الفضة وزنه اربعون رطلاً ، ومن الذهب نيفاً وعشرين قنديلاً ، وغنموا ما لا يقع عليه الإحصاء .

لقد كانت هذه الهجمة بداية المأساة التي استلهم الشعراء منها قصائدهم التي اودعوها آهاتهم وحرانهم من جهة ، ونقمتهم وغضبهم وثورتهم من جهة أخرى .

وكانت أولى القصائد التي استلهمت المأساة ، واستوحت أحداثها ، قصيدة الأبيوردي (ت ٥٧) ، ومطلعها (٧) :

مزجنا دماءً بالدموع السواجم

فلم يبقَ منا عرضة للمراجم

اطلق الشاعر صيحته المدوية من اعماق قلبه المكتوي بنار الحزن والأسى على ما حلّ بالقدس الشريف ، وما اصاب من سكن في حماها . ونراه يشهد العزائم ، ويستنهض الهمم ، ويثير الحفائض ، ويحذر المسلمين من وقائع ادهى واعظم ، ومصائب انكى واجسم ، إن هم استكانوا الى الدعة والراحة ، وجنحوا الى السلم ، وخذلوا الى السكينة ، واستظلوا بظل العيش الرغيد ، دون الالتفات الى هبوات الغرب :

فأيها بني الإسلام ، إن وراءكم

وقائع يلحقن الذئرا بالناسم^(٨)

أتهورية في ظل آمن وغبطة

وعيش كنوعار الخيلة ناعم^(٩)

(٧) التتلم في تاريخ الملوك والامم ٩ : ١٠٨ ، الكامل لابن الاثير ١ : ٢٨١ ، النجوم الزاهرة ٥ : ١٥١ ، وتنسب القصيدة الى انوشي زين الدين أبي سعيد الهروي ، وقد راجعنا ديوان الأبيوردي المطبوع فلم نجدها به .

(٨) أيها : انة في هيئات بمعنى بعد . الغرا : المرتفات . الناسم : جمع نسيم ، وهو خف البصر .

(٩) التهوية : عزه الرأس من النعاس . النوار : زهرة الشجر .

وكيف تنام العين ملء جنونها

على هبوات أيقظت كل نائم

وكشف الشاعر عن صورة دامية ، ذات ألوان مؤثرة ومثيرة لجلب انتباه الناس الى الخطر الذي ينتظرهم ، والبلاء الذي سيداهمهم ، والمحنة التي ستنابهم إن هم لم يهبوا بعددهم وعنددهم الى انقاذ (القدس) من الفئة الباغية ، ولات ساعة مندم :

وتلك حروب من ينب عن غمارها

ليسلم ، يقرع بعدها سين نادم

استنفار الى الجهاد ، تحريض على اقتحام غمار هذه الحروب الإجماعية ، وعدم التخلف عنها طلباً للسلامة ، لأن الحرب الإجماعية تقاوم بمثلاً ، وإلا غلبت الامة ، ونزل البلاء في كل من تكص عن القتال .

ويطيل الشاعر من حديث الظلم ، والتهيب من الظالم ، والميل الى السكون ، ومنبهة ذلك . ويكرر دعوته الى القيام بغارة شعواء ، تعاضدها العزيمة والثبات ، ويساندها الإيمان بالحق ، وتؤازرها الكرامة والعزة ، غارة تعطي الأعداء درساً ، وتجعلهم يعطون على أصابهم ندماً ، ويقولون ليتنا لم نأت الى هذه الديار ، ولم نفعل تلك الأفعال التي تابها الإنسانية .

دعوناكم ، والحرب ترفو ملحمة

إلينا بالحاظر النور القشاعم

تراقب فينا غارة عريسة

تطيل عليها الروم عض الأباهم

إن هذه القصيدة القيت في بغداد على جمع غفير من الناس حينما وفدت إليها نخبة مختارة من علماء الشام وخطبائها ، أعقبتها قصائد أخرى - كما ذكر المؤرخون - لم تصل إلينا ، ما خلا قصيدة أخرى لم تقف على اسم قائلها ، منها هذه الأبيات التي يخاطب الشاعر فيها ذوي البصائر من المسلمين الساكتين عن نداء الاستغاثة (١٠) :

(١٠) النجوم الزاهرة ٥ : ١٥٢ .

أتسبى المسلمات بكل ثغر
وعيش المسلمين إذن يطيب!
أما لله ، والإسلام حق
يدافع عنه شبان وشيب
فقل لذوي البصائر حيث كانوا :
أجيوا الله ويحكم أجيوا

لم نستطع خلافة الإمام المنصور بالله (ت ٥١٢) أن تسيّر الجيوش إلى الشام ، وتدفع الناس في نفي عام لتخليص (القدس) من الصليبيين ، وسكت أهل الشام ، وخضعوا للأمر الواقع ما داموا لا يستطيعون تحديهم ، والوقوف بوجههم . يقول ابن تغري بردي : « إن القاضي ورفقته عادوا من بغداد إلى الشام بغير نجدة ، ولا قوة إلا بالله (١١) » .

وقد ألم ابن الخياط الدمشقي (ت ٥١٧) نبأ قعود المسلمين عن نصرة المقاتلين في محنتهم ونظم قصيدة تنم على تأثر عميق ، وانفعال شديد ، وهو - على ما يبدو - متأثر بقصيدة الأبيوردي التي سبق ذكرها ، قال فيها (١٢) :

أنوما على مثل هذه الصفاة
وهزلا ، وقد أصبح الأمر جدّا
وكيف تنامسون عن أعين
وكرهتم ، فاسهرتموهن حقدًا
ومنها :

فكم من فتاة بهم أصبحت
تدق من الخوف نحرًا وخدًا
ولم عواتق ما إن عرفت
ن حرًا ولا ذقن بالليل برّدا

(١١) النجوم الزاهرة ٥ : ١٥٢ ، والقاضي هو زين الدين أبو سعيد الهروي رئيس الوفد .
(١٢) ديوان ابن الخياط ص ١٨٢ .

تكاد عليهم من خيفة
تذوب وتلف حزنا ووجدا
فحاموا على دينكم والحريم
محاماة من لا يرى الموت فقدا

إنه انكر على المسلمين انثوم الهائي ، وشباب الحرب يلمع ، والخصم لا يهجع . وصوّر الحالة النفسية آنذاك اسدق تصوير وأدقه ، فالفتيات يلطنن خدودهن على ما دهاهن ، ويضربن على صدورهن من خوف ما سيداهمن ، والأمهات أصابهن الذهول من الواقع الذي أصبح فيه ، فحرمن من راحة البال ، واطمئنان النفس ، لأنهن يخشين على أولادهن من السلب والتهتك والهوان .

وحرّض الشاعر في قصيدته على النهوض والاستبسال لمواجهة الأعداء ، وقطف رؤوسهم ، وحصدوها من الأراضي التي دقّوا فيها أوتاد خيامهم ، وأقاموا عليها مستعمراتهم :

فلونكم ظفرا عاجلا
لكم جاعلا سائر الأرض مهذا
فقد أينعت رؤس للفرنج
فلا تغفلوها قطافا وحصدا
فلا بدء من حدّهم أن يثقل
ولا بدء من ركنهم أن يهدا

ولما استولى عماد الدين زنكي على دست الحكم في الشام سنة ٥٢٢ للهجرة ، وضع نصب عينيه تحرير (القدس) والأراضي المسلمة . وهبّ الشعراء يباركون هذا الهدف ، ويبشون دعوة الجهاد والكفاح بين العامة والخاصة ، مستغلين كل مناسبة ينتصر جيشه فيها على جيش الإفرنج ، مضمنين قصائدهم ذكر (القدس) ومكانتها ، وضرورة تحريرها .

وإول صوت نسمعه في هذا المجال ، هو صوت الشاعر أحمد بن منير الطرابلسي (ت ٥٤٨) الذي هنا عماد الدين زنكي سنة ٥٣٩ للهجرة بقصيدة طويلة حينما فتح « الرها » واسترجعها من جوسلين ، وهو - كما يقول أبو شامة

المقدس (١٣) - عاتي الفرنج وشيطانهم ، والمقدم
على رجالهم وفرسانهم . جاء في القصيدة (١٤) :

وغداً يلقى على القدس لها
كلل " يدرسها درس الدارين " (١٥)

همة " تسي ، وتضحي عزيمة"
ليس حصن " - إن " تحطه - بحصين "

قل " لقوم غرهم إهماله "
ستذوقون شذاه بعد حين "

لقد كان عماد الدين بطلا مقداما ، وفارسا
شجاعا ، استرد من الإفرنج أقوى الحصون
وأمنعها ، وكان ابن منير الطرابلسي متفائلا من
أن (القدس) ستسترجع على يده ، لذلك أشار
في أبياته الى ذلك ، وهدد القوم الذين غرهم
إبطاؤه بأنهم سيدوقون من كأس المنية ، وإن غدا
لناظره لقريب .

وانتهز الشاعر محمد بن نصر القيسراني
(ت ٥٤٨) هذه المناسبة أيضا ، ونظم قصيدة في
مدح جمال الدين محمد بن علي (ت ٥٥٩) وزير
عماد الدين زنكي الذي شارك في فتح الرها ،
وأظهر بطولة فائقة ، أكد فيها ضرورة الجهاد ،
والمسير الى القدس الشريف ، فقال (١٦) :

أما آن أن يزهد الباطل

وآن ينجز المدّة الماطل

فإن يك فتح الرها لجنّة

فساحطها القدس والساحل

فهل علمت علم تلك الديار

بأن المقيم بها راحل

ساور الصليبيين الخوف ، وملا قلوبهم
الرعب ، وهزمت فرانسهم الرهبة ، وأرعدت

(١٢) الروضتين ١ : ٣٦ ، وانظر مفرج الكروبي ١ : ١٢٢ ،
التاريخ الباهر ص ١٠٢ .

(١٤) الروضتين ١ : ٤٠ .

(١٥) الدرين يبس الحشيش ، أو حطام المرعى إذا تناثر وسقط
على الأرض .

(١٦) الروضتين ١ : ٤٩ .

أبدانهم المهابة حينما تهاوت حصونهم الشامخة
التي كانوا يظنونها ما نعمتهم من زحف عماد الدين
زنكي . ولما امتدت يد الخيانة والفدر اليه ،
واقبالته ، وهو نائم في فراشه سنة ٥٤١ للهجرة ،
فرح الصليبيون بذلك وهلكوا ، ولم يدركوا أن
عقبة نور الدين محموداً أشد بأساً وأصلب
عوداً ، وأن ضرباته ستوجعهم ، وتلهب ظهورهم ،
وتقلق مضاجعهم .

تابع الابن جهاد الأب ، وحمل راية
التضحية والفداء عالياً ، وقرر أن يقتلع شافة
الصليبيين ، ويزيحهم عن الشام ، ويحرر
(القدس) مهما كلفه الثمن ، وصنع منبراً
نفساً لينصب في المسجد الأقصى يوم الفتح
المرتقب .

التف الشعراء حول نور الدين محمود ،
يباركون خطواته ، ويثمنون بطولاته ، ويطلقون
من أعماق قلوبهم زغاريد البهجة والفرح
بانتصاراته ، ويحرضونه على تحقيق الأمنية
الكبرى التي تراود نفوس المسلمين جميعاً ،
وتداعب أحلامهم ، ألا وهي فتح (القدس) وانقاذه
من سلطان الصليبيين .

وكانت أولى جولات نور الدين محمود مع
الصليبيين على حصن « حارم » سنة ٥٤٤
للهجرة ، ثم حصن « آنب » ، هزمهم فيها شراً
هزيمة ، تاركين أشلاء قتلاهم متناثرة في ساحة
الوغي ، منهم رايوند صاحب انطاكية . قال أبو
شامة المقدسي (١٧) : « ووقعة آنب هذه كانت
عظيمة ، وقد أكثر الشعراء القول فيها » . وتعد
قصيدة ابن القيسراني الحماسية من أكثر
القصائد التي استلهمت الفرحة ، فرحة النصر ،
وعبرت عن الغبطة التي ملأت القلوب المنلهفة
لضرب العدو المفتصب ، وطرده من بلاد الشام ،
وهي على غرار قصيدة أبي تمام البائية المشهورة ،
ومطلع قصيدة ابن القيسراني (١٨) :

هذي العزائم ، لاما تدعى القضب

وذوي المكارم ، لاما قالت الكتب

وتبسّط الشاعر في تحليل صورة المعركة
الحامية ، ووصف الجنود البواسل على خيولهم

(١٧) الروضتين ١ : ٥٨ .

(١٨) مفرج الكروبي ١ : ١٢١ ، الروضتين ١ : ٥٨ ، التاريخ
الباهر ص ٩٩ .

المغيرة ، والآلات التي استخدموها في ضرب العدو وقهره ، والمنويات العالية التي تحلى بها المجاهدون الصابرون ، والمقاتلون الصامدون . واختتم قصيدته بأبيات يدعو فيها للنهوض الى المسجد الأقصى الذي يرتقب مجيء المنقذين له بفارغ الصبر :

فانهض الى المسجد الأقصى بذي لجب
يوليك أقصى المنى ، فالقدس مرتقب
وانذن لموجك في تطهير ساحله
فإنما أنت بحر لثجه لجب

وانتهز الشعراء بمد هذا كل فتح أحرزه نور الدين ، وكل نصر ظفرو به ، وعدوه فرصة للتذكير بمقام (القدس) وأهميته ، وما يجب على المسلمين وقادتهم ان يفعلوه في المستقبل لاستعادة عزهم وكرامتهم اللتين فقدوهما في سالف وغابر أيامهم .

وها هو ذا الشاعر ابن القيسراني يستغل حادثة أسر جوسلين القائد المشهور سنة ٥٤٦ للهجرة ، وينظم قصيدة يمدح فيها نور الدين محموداً ، ويبارك له جهاده وجلاده للخصم الباغي ، ويطلب منه ان ييمم وجهه شطر البيت المقدس ليملا جوانبه نوراً وضياءً ، وينظهر أرضه من دماء الطائنين عليه ، يقول (١٩) :

فرّ واملأ الدنيا ضياءً وبهجة
فبالأفق الداجي الى ذا السنا فقر
كأني بهذا العزم ، لا فلّ حدّه
وأقصاه بالأقصى وقد قضي الأمر
وقد أصبح البيت المقدس طاهراً
وليس سوى جاري الدماء له طهر

واستعدّ نور الدين محمود لخوض معركة جديدة مع الصليبيين . وفي أوائل سنة ٥٤٧ للهجرة ، افتاد جيشه ، وسار به نحو حصني « أنطرسوس » و « يحمور » ، والمزيمة تشدّ من أزره ، والإيمان بالنصر يملأ قلبه ، وهجم

على الأعداء ، وحاربهم بضراوة ، وضربهم ضربة أفقدتهم صوابهم ، وجعلتهم يرفعون راية الاستسلام . فكان ذلك مدعاة للفخر والاعتزاز ، وأقبل الشعراء عليه ، والبشر يطفح على وجوههم والفرحة تفرر لوبهم ، وهنؤوه بقصائد حماسية ، خاصة ابن منير الطرابلسي الذي خصّص أغلب شعره لهذا الغرض ، وأنشده قصيدة ، وكانت لها لوحة متكاملة عن المعركة الضارية التي خاضها نور الدين محمود بفرسانه الشجعان ، وجنوده الميامين ، واستغل الموقف ، فالتمس منه ان يواصل النضال ، ويتابع الزحف نحو مدينة (القدس) ويحررها من الذين نهبوا ، وأباحوا ساحتها ، في غفلة من الزمن ، فقال (٢٠) :

ألق العصا فيمن أطاع ومن عصى
منهم ، ودمّر أرضهم تديرا
وتريك لامة التريك بساحة ال
أقصى مطهرة له تطهيرا

وكانت انباء انتصارات نور الدين محمود ، وضربات السديدة ، قد تجاوزت الشام الى الآفاق ، وانعقدت آمال الفيورين على (القدس) به ، وتمنوا ان يكونوا في صفوف جيشه لينالوا شرف المشاركة في الجهاد الأكبر والزحف المقدس . وكان الوزير المصري ابو الفارات طلائع ابن رزّيك (ت ٥٥٦) من أكثرهم رغبة في هذا الجهاد ، فله جولات موفقة في حرب الصليبيين من الجهة المصرية . وفي ديوان شعره العبد من القصائد التي بعث بها الى صديقه الشاعر المشهور اسامة بن منقذ (ت ٥٨٤) الذي كان ملازماً لنور الدين محمود في حربه وترحاله ، يطلب فيها ان يقنع نور الدين محموداً في التحالف معه ، وتشكيل جبهتين من الشمال والجنوب لضرب الصليبيين ، وانقاذ (القدس) من أيديهم انقاذاً ابدياً ، حتى إنه ارسل بعثة رسمية الى دمشق مع هدايا قيمة وسبعين ألف دينار لتنفق في الحرب المقدسة . وها هو ذا يخاطب الشاميين لنصرة دين الله ، والنهوض بمزيمة ولبات لخوض معركة الشرف والفداء ، فيقول (٢١) :

(٢٠) الروضتين ١ : ٨٧ .

(٢١) ديوان طلائع بن زدك ص ٥٢ ، الكامل لابن الأثير ١١ : ١٢٤

(١٩) مفرج الكروب ١ : ١٢٥ ، الروضتين ١ : ٧٢ ، التاريخ الباهر ص ١٠٢ .

تعالوا ، لعل الله ينصر دينه

إذا ما نصرنا الدين نحن وأنتم

وننهض نحو القادمين بعزيمة

بأمثالها تحوى البلاد وتقسم

والح طلائع بن رزيك في هذا الطلب ،
واصر عليه ، وتابع الكتابة إلى أسامة بن منقذ ،
وحملة أمانة التبليغ . يقول في قصيدة
طويلة (٢٢) :

فانهض الآن مسرعاً فبأمثا

لك ما زال يُدركُ المطلوب

والقر عتاً رسالة عند نورال

دين ما في إلقائها ما يريب

قل له ، دام ملكه ، وعليه

من لباس الإقبال بُرد قشيب

أشها العادل الذي هو للدي

ن شباب ، وللحروب شبيب (٢٣)

والذي لم يزل قديماً عن الإس

لام بالمعزم منه تجلى الكروب

وغدا منه للفرنج إذا لا

قوة يوم من الزمان عيب

إن يرُم نرك حقدهم فلاشط

ن قناه في كل قلب قلب

غيرنا من يقول ما ليس يُمضي

ه بفعل ، وغيرك المكذوب

قد كتبنا إليك ، فاوضح لنا الآ

ن بماذا عن الكتاب تجيب

(٢٢) ديوان طلائع بن رزيك ص ٦١ .

(٢٣) يريد شبيب بن زيد الشيباني أحد كبار الثائرين على بني أمية ، وكان بطلا في الحرب . نول سنة ٧٧ هـ .

انه نداء من الاعماق ، نداء لحسم الداء
الذي طال امده في قلب الوطن العربي ، وبلغت
جراحاته المدى ، ونفذ الصبر عليه ، لذلك نراه
يعاتب نورالدين محموداً في قصيدة اخرى على
مهادنة الصليبيين ، ومد يد الصلح اليهم ،
ويحذره من مغبة ذلك ، لان الغدر من ديدنهم ،
وتقضى اليهود والموائيق من صفاتهم ، فيقول (٢٤) :

وحسم اصول الداء أولى لعاقل

ليبر ، اذا استولى على المدف الخلط

فدع عنك ميلاً للفرنج وهدنة

بها أبداً يخطي سواهم ، ولم يخطوا

تأمل فكم شرط شرطت عليهم

قديماً ، وكم غدر به نقض الشرط

وشمر ، فإننا قد أعنا بكل ما

سألت ، وجهزنا الجيوش ولن يثبطوا

ويكرر حسم الداء من جنم الوطن العربي
واستئصاله ، ويدعو الى عدم الفتور في اقتلاعه
من جذوره ، وطرده الى غير رجعة ، ويفريسه
بنوال الجزاء العظيم الذي العظيم الذي وعد الله
به المجاهدين والقائمين على نصره دينه ،
يقول (٢٥) :

قل له ، لا عداه رأي ، ولا زا

ل لديه لكل خير طريق :

أنت في حسم داء طاغية الإف

فرنج ذاك المرجوء والمروق

فاغتنم بالجهاد أجرك كي تذل

قوى رفيقاً له ، ونعم الرفيق

ان ديوان طلائع بن رزيك سجل حافل
لمواقف البطولة والشجاعة ، والتضحية والفداء ،
والبذل والعطاء ، والنخوة والاباء ، والصدق
والوفاء ، من اجل قضية المسلمين العادلة ، الا
وهي استرداد الوطن السليب ، وان حديثه

(٢٤) ديوان طلائع بن رزيك ص ٦٩ .

(٢٥) المصدر السابق ص ٨٢ .

ساعة الموت عن المم ، لانه لم يطهر فلسطين من
المغير ، ليدل على ما كان لهذا المبتغى من اثر في
نفسه (٢٧) .

وجدير بالذكر ان الشاعر اسامة بن منقذ ،
وهو رائد من رواد الفتوة والفروسية في عصر
الحروب الصليبية ، وقائد محنك من قواد
المسلمين ، قد اكثر في شعره من الفخر والحماسة
ووصف الوقائع الحربية ، دون الالتفات - كما
فعل الشعراء الآخرون - الى ذكر البيت المقدس ،
وما يجب فعله لانقاذه . ويبدو لنا انه لم يفعل
ذلك لئلا ينشغل المسلمون به دون غيره ، فان
مبداه طرد الصليبيين من الشام جميعا ، وتحرير
عموم تراب الوطن من شرورهم (٢٧) .

وباتي عماد الدين الاصفهاني (ت ٥٩٧) في
قمة المناهضين ، المتلهفين لاجراج الافرنج من
الشام ، واخذ الثار للشهداء الذين سقطوا
صرعى في الحروب التي دارت رحاها على الارض
المقدسة وما يحيط بها . فلا تكاد نجد له قصيدة
في مدح نور الدين محمود ، او خلفه صلاح الدين
الايوبي ، او احد قواد الحروب وامرائها ، الا
وفيها استشارة ودعوة للمسير الى البيت المقدس
وفك اغلاله وكسر قيوده . فهو يستنهض
نور الدين محمودا سنة ٥٦٣ للهجرة حينما استعاد
مدينة « منبج » من حاكمها المعروف بابن حسان
الذي ساءت سيرته ، وكثرت الشكاية منه ،
ويعجله لفزو الخصم في عقر داره ، واجتثاته من
اصوله التي ثبتها بالنار والحديد ، ويدعوه ان
يعرج على « طرابلس » و « نابلس » ، وهما من
المدن الرئيسية التي عض الصليبيون عليها
بنواجزهم ، واهانوا عزتها وكرامتها ببطشهم ،
فيقول (٢٨) :

أبشر فيبت القدس يتلو منبجا
ولمنبج لسواه كالأنموذج
ما أعجزتك الشهب في أبراجها
طلبا ، فكيف خوارج في أبرج ؟

(٢٦) انظر ديوان طلائع بن رزيك ص ٨٥ ، ١٠٨ .
(٢٧) انظر مقدمة ديوان اسامة بن منقذ ص ٦ ، واسامة بن منقذ
بطل الحروب الصليبية ص ١٩ - ٧٦ .
(٢٨) الروضتين ١ : ١٥٠ .

فانهض الى البيت المقدس غازيا
وعلى طرابلس ونابلس عرج
قد سرت في الاسلام احسن سيرة
مأثورة وسلكت أوضح منهج

واستغل الشاعر - في السنة نفسها -
اقدام اسدالدين شيركوه بن شاذي (ت ٥٦٤)
عم صلاح الدين الايوبي ، بايعاز من نورالدين
محمود ، على فتح مصر ، وهناه بقصيدة
مطلعها (٢٩) :

بالجدة ما أدركت لا اللعب
كم راحة جئيت من دوحة التعب

وهي قصيدة حماسية ، تناول الشاعر فيها
الجهود التي بذلها في توحيد مصر والشام ، واهمية
ذلك التوحيد في حصار الصليبيين وضربهم ،
ورجا ان يكون سبيل خير لفتح البيت المقدس :

فتحت مصر ، وأرجو أن تصير بها
ميسرا فتح بيت القدس عن كبر

وفي خاتمة القصيدة حذره من الركون الى
نشوة النصر ، واهمال الخصم يسرح ويمرح ،
وشبهه بالافعى التي اصيب ذنبها دون راسها ،
فهي تلدغ ما دامت تسمى على الارض :

لا تقطن ذنب الأفعى وترسلها
فالحزم عندي قطع الرأس كالذنب (٣٠)

ووجه ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة
الله (ت ٥٧١) قصيدة الى نورالدين محمود
هناه فيها بالظفر العظيم الذي احزره جيشه
بقيادة شيركوه في الاستيلاء على مصر وضمها الى
الشام ، وعد هذا العمل قوة للمسلمين ونصرا

(٢٩) سنا البرق الشامي ١ : ٧٩ ، الروضتين ١ : ١٥٩ ،
شفاء القلوب ص ٤٢ .

(٣٠) أصل البيت لابي اذينة ابن عم الاسود بن المنذر بن النعمان
(تاريخ أبي الفداء ١ : ١٧٤) .

لا تقطن ذنب الأفعى وترسلها
ان كنت شهما فاتبع راسها الدنيا

لهم ، ومجالاً رحباً للهجوم على مفتصبي
(القدس) والانتفاض عليهم . يقول (٢١) :

وإنْ بذلتَ لفتحِ القدسِ مُحْتَسِباً
للاجْرِ ، جوزيتَ أجراً غيرَ مُحْتَسَبٍ
والأجرُ في ذاكَ عندَ اللهِ مرتقبٌ

فيمَا يثيبُ عليه خيرَ مرتقبٍ
ولستَ تُعذرُ في تركِ الجهادِ وقد
أصبحتَ تملكُ من مصرَ الى حلبِ
فأحزمُ الناسِ من قوَى عزيمتهُ

حتى ينالَ بها العاليي من الرتبِ
فالجَدُّ والجِدُّ مقرونان في قرنٍ
والحزمُ في العزمِ والإدراكُ في الطلبِ

انه يشد من ازر نورالدين محمود ، ويقوي
عزيمته ، ويبعث فيه روح النضال والكفاح
لادراك الطلب وتقيق الامنية التي عقد العزم
عليها منذ تسلمه مقاليد الحكم في الشام ، وتوليه
قيادة الجيوش التي نذرت نفسها في سبيل
احقاق الحق وازهاق الباطل وثبتت اقدام
المسلمين في الديار التي ذهبت ضحية الخور
والضعف .

وقد شاء القدر ان يقضي نورالدين محمود
نحبه سنة ٥٦٩ للهجرة دون الوصول الى الهدف
المنشود . ولكن الله عوض عنه رجلاً آخر حمل
رسالة الدفاع عن الحق وتحرير البقاع المفتصة
خاصة (القدس) بكل امانة ، الا وهو البطل
المقدام صلاح الدين يوسف بن ايوب .

وكانت ريح الفتن قد عصفت بعد وفاة
نورالدين محمود ، وكادت تؤدي الى ضياع ذلك
الجهد العظيم الذي بذل في دحر الصليبيين
وجلائهم من مدن عديدة كانت تحت امرتهم . ولكن
حنكة صلاح الدين الايوبي وكياسته استطاعت ان
تراب الصدع ، وتعيد الصف الاسلامي الى
تماسكه وترابطه ، ليقف بقدامين ثابتتين امام
الطواريء التي ستتجسد في مسيرة حرب
التحرير .

بدا صلاح الدين - اول ما بدا - بتصفية
جيوب الخصوم ، وتوحيد ما يحيط بفلسطين ،
وتقوية الجيش عدداً وعدة . وقد اخذ منه ذلك
وقتا تجاوز خمسة عشر عاماً . ولم يهمل
الشعراء خلال هذه المدة تذكيره بمقام (القدس)
وتحفيزه على تحريرها ، وان كان وكده الجهاد
والثحرير ، يقول قاضية ابن شداد (ت ٦٢٢) :
« كان حبه للجهاد ، والشفغ به ، قد استولى
على قلبه ، وسائر جوانحه ، استيلاء عظيماً ،
بحيث ما كان له حديث الا فيه ، ولا نظر الا في
آلته . ولا كان له اهتمام الا برجاله ، ولا ميل الا
الى من يذكره ويحث عليه . ولقد هجر في محبة
الجهاد في سبيل الله اهله واولاده ووطنه وسكنه
وسائر ملاذه . وقنع من الدنيا بالسكون في ظل
خيمة تهب بها الرياح بمئة وبسرة » (٢٢) .

ومن اكثر الشعراء الذين شغلت قضية
(القدس) بالهم ، وسيطرت على جوارحهم ،
كاتب صلاح الدين وامين سره العماد الاصفهاني .
يقول في قصيدته الاولى التي عناه فيها بإقامة
دولته (٢٣) :

ولا تهملوا البيت المقدس ، واعزموا

على فتحه غازين ، واقتربوا اليكرا .

وكان رأي عمارة اليماني (ت ٥٦٩) ان يبدأ
بتحرير (القدس) قبل غيرها من المدن الشامية
المحتلة ، لانها المفتاح الكبير لفتح باب الشام .
فقال نضال الدين الايوبي (٢٤) .

وهيَّجت للبيت المقدس لوعة

يطول بها منه إليك التشوق

هو البيت ، إن تفتحه ، والله فاعل

فما بعده باب من الشام مفلق

وببدو ان صلاح الدين الايوبي - وهو قائد
حرب منجرب - كان يرى بتر الأجنحة في بادئ
الامر اولى من طمأن القلب والإجهاز عليه . فحرر
المدن الشامية التي كانت حزاماً واقياً للقدس ،
وادخل الاطمئنان الى قلوب ساكنيها ، وبشرهم

(٢٢) النوادر السلطانية ص ٢١ .

(٢٣) الروضتين ١ : ١٧٩ .

(٢٤) الروضتين ١ : ١٩٢ .

(٢١) الخريدة - قسم شعراء الشام - ١ : ٢٧٧ .

بمواصلة الزحف والنضال ، وحرب التحرير ،
وعدم التهاون مع العدو حتى يتم جلاءهم .

وانتهز الشعراء مواقف صلاح الدين
المشرفة ، واستقبلوه بقصائدهم الحماسية .
فحينما فتح حمص وبعبك ، نهض عماد الدين
الاصفهاني ، وأنشد بين يديه ، وعلى مسمع من
قواده وجنوده قصيدة مطلعها (٢٥) :

بفتوح عسرك يفخر الإسلام

وبنور نصرك تشرق الأيام

وطلب منه أن يكلل هذا النصر بفتح (القدس)
كي يزهو الاسلام ، ويتألق نوره الذي خبا لحقبة
من الزمن في ظل القهر والاستعباد :

قتل فتحك ، وافتح القدس الذي

بحصوله لفتوحك الإتمام

دمم للعلى حتى يدوم نظامها

واسلم ، يعز بنصرك الإسلام

ويكرر هذا الطلب في مدحة أخرى حينما
يعود صلاح الدين الأيوبي الى القاهرة ، ويحثه
على السير الى (القدس) ، وإطلاق سهامه في
صدور الدين سلبوها ظلماً وعدواناً ، وأعمال
سيوفه في رقابهم ، وسفك دمائهم (٢٦) :

فسير وافتح القدس ، واسفك به

دماء متى تجررها تنظف

ويستنهضه في قصيدة ثالثة ليشفي غليل
المسلمين الذين طال شوقهم الى حبيبتهم المدينة
المقدسة ، ويسمى نجاتها وخلصها من الصليبيين
بـ « فتح الفتوح » ، ويقول له : إن كان ذلك
عسيراً عليك ، فسر إليها ، وتوكل على الله ، فهو
حسبك (٢٧) :

نهوضاً الى القدس يشفى الغليل

بفتح الفتوح ، وماذا عسير ؟

(٢٥) مفرج الكرب ٢ : ٢٠ .

(٢٦) مفرج الكرب ٢ : ٥٧ .

(٢٧) الروضتين ١ : ١٢٠ .

سل الله تسهيل صعب الخطوب

فهو على كل شيء قدير

وهكذا يلهم العمد الاصفهاني بذكر البيت
المقدس في القصائد التي يلقيها امام صلاح الدين
الأيوبي ، وينبئه بضرورة تحريره ، وفك أسره من
القيود التي طال به الزمن .

وكان بهاء الدين أبو الحسن علي بن رستم
الساعاتي (ت ٦٠٤) من الفيوريين على فلسطين
يتنصم أخبارها ، ويتتبع حركات الجيوش
المحاربة وتنقلاتها ، ويتطلع لليوم الذي تتحرر فيه
(القدس) وتنجلي الكتابة التي هيمنت على النفوس
ورانت على الأفئدة . فنراه يبعث الى صلاح الدين
الأيوبي قصيدة يهنئه بفتح « طبرية » وطرده
الصليبيين منها ، وهي من المواقع الحصينة التي
اتخذوها درعاً لوقاية القدس ، مطلعها (٢٨) :

جكّت عزماتك الفتح المينا

فقد قرّت عيون المؤمنين

إن فتح « طبرية » فرحة كبيرة للمسلمين ،
ونكسة رهيبة للصليبيين . سرّ قلوباً ، وأبكى
عيوناً . طمان نفوساً ، وأثلق مضاجعاً .

فيا لله كم سررت قلوباً ؟!

ويا لله كم أبكت عيوناً ؟!

ويشير الشاعر الى ابتهاج مدينة (القدس)
بهذا الفتح المبين ، وتفاؤلها بيوم الخلاص ، بعد
أن رأى جهود صلاح الدين الأيوبي الجبارة في
المسيرة التحررية التي بدأها منذ أن قاد الجيوش
الجرارة برباطة جأش وقوة عزيمة وأدار الرمح
الكبيرة التي طحنتهم ومزقتهم شرّ ممزق .

تهزئ معاطف القدس ابتهاجاً

وترضي عنك مكة والحجونا

فلو أن الجهاد يطيق نطقاً

لنادتك : ادخلوها آميناً

(٢٨) ديوان ابن الساعاتي ٢ : ٤٠٦ .

فقلبُ القدسِ سرورٌ ولولا

سظاكُ لكان مكتئباً حزيناً

أدرتَ على الفرنجِ - وقد تلاقى

جموعهم عليك - رحي طحونا

إن استخلاص (القدس) من أكبر الأمانى وأعزها عند المسلمين آنذاك ، وكان الشعراء لسان حالهم ، والمعبى الصادق عن دخائل نفوسهم ؛ لذلك ما فتؤا يحرضون صلاح الدين الأيوبي ويستنهضونه ؛ بل وينحسرون رجال الأسرة الأيوبية ممن قاد الجيوش ، وحمل الوية الكفاح والنضال ، كما نرى ذلك في قصيدة العماد الأصفهاني السينية التي مدح بها في سنة ٥٨١ للهجرة الفارس الشاعر تقي الدين عمر صاحب حماة (ت ٥٨٧) ، وهى في مئة وأربعين بيتاً ، مطلعها (٢٩) :

عفا الله عنكم ، عن ذوي الشوق نفسوا

فقد تلفت منا قلوبٌ وأفئس

وتوسع الشاعر في بيان مكانه المدوح ، وأسرته ، وجهاده في سبيل نصره دين الله ، وتشبيبت مكانة المسلمين التي تزعزعت بعد توغل الصليبيين في ديارهم . وأشار الى البيت المقدس الذي لا يفتح - حسب قوله - إلا بمفاتيح الأيوبيين ، فقال :

ولا يفتح البيت المقدس غيركم

ويترككم من كل عابٍ مقدس

وكان للشعراء العراقيين دور بارز في الحروب التي دارت على أرض الشام ، فقد أزر بضعة وعشرون شاعراً الدولة الأيوبية ، ووقفوا بجانب ملوكها ووادها في كفاحهم ضد الغزاة المعتدين (٤٠) . وانتجع عدد منهم بلاد الشام ، ورابطوا مع أخوانهم على خطوط النار ، وذادوا بسوفهم والسنتهم عن الحق العربي ، مثل الأمير نجم الدين محمود بن الحسن بن نبهان العراقي ،

(٢٩) الروضتين ٢ : ٧١ .

(٤٠) انظر أسماؤهم ، ومواضع تراجمهم في كتاب (الشعر العربي في العراق من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد) ص

١٢٦ - ١٢٩ .

الذي مدح صلاح الدين الأيوبي بعد قصائد ، من ذلك قصيدة مطلعها (٤١) :

هنيئاً صلاح الدين بالفتح والنصر

ونيل الأمانى الغيرة والفتكة البكر

وحث الشاعر المدوح على إزاحة الإفرنج من البقاع التي احتلوها ، ودعاه الى أن يملك الأرض ، ويقيم دولة كبرى تتحدى كل طامع وغادر :

فلا ترض منهم بعدها بذل طاعة

فما خلقوا إلا على شيمة الغدر

فسر وأملك الأرض التي لو تركتها

لأغضت عيون المجد منها على أمر

وثمة شعراء عراقيون لم يرتحلوا الى بلاد الشام ، ولم يشاركوا في الحروب ، وإنما كانوا يحثون قصائدهم الى المدوحين ، يحثونهم فيها على الجهاد وانتزاع الاراضي من الفاصبين منهم سبط ابن التعاويذي (ت ٥٨٢) الذي مدح صلاح الدين الأيوبي وهناه بعدة قصائد دون أن يراه ويلتقي به ، من ذلك قوله في قصيدة طويلة (٤٢) :

فاصبح بلاد الروم منك بغارة

لنصر فيها رائد لا يكذب

وانكح صوارمك الثغور يزورها

في كل يوم من جيوشك مقتنب

حتى يرى للمشرقية مطعم

بالفتك من تلك الدماء ومشرّب

فالعذل ليس بناجم أو تشني

وغيرار نصلك بالنجيع مخضّب

وهكذا كان الشعراء - في الشرق والغرب - يحثون على القتال والنزاع كتحرير ديار الشام ، خاصة (البيت المقدس) من الإفرنج . فلا تكاد

(٤١) الروضتين ٢ : ١٢ .

(٤٢) ديوان سبط ابن التعاويذي ص ٢٥ .

نجد قصيدة في المدح أو التهئة إلا وفيها أبيات تحرض وتستنهض على المسير نحو قبلة المسلمين الأولى ، وانزال شعار الصليبيين منها ، ورفع شعار الإسلام ، وإعادة صوت « الله أكبر » إلى مآذنها .

ويحدثنا المؤرخون عن اثر هذا الشعر في نفوس القادة ، خاصة صلاح الدين الأيوبي ، الذي كان يتذوق الشعر ، ويكثر من إنشاده . من ذلك ما يرويه قاضي القضاة مجير الدين الحنبلي ، فيقول (٤٢) : « حكي ان السلطان صلاح الدين لما كثرت فتوحاته في السواحل ، وأرجع فيهم بسهامه وسطوته ، وكان لا يتجاسر على فتح بيت المقدس ، لكثرة ما فيه من الأبطال والمدة ... وكان في بيت المقدس شاب مأسور من أهل دمشق ، كتب هذه الأبيات ، وأرسل بها إلى الملك صلاح الدين على لسان القدس : فقال :

يا أيُّها الملكُ الذي

للعالمِ الإفرنجِ نكَّسْ

جاءت إليك ظِلالُ

تَسْمَى من البيتِ المقدسِ

كلُّ المساجدِ طَهَّرَتْ

وأنا - على شرفي - مُنَجَّسٌ

فكانت هذه الأبيات هي الداعية له إلى فتح بيت المقدس . إن هذا - وإن كان لا يخلو من المبالغة والتهويل - يدل على أهمية دور الشعر في دفع القادة آنذاك إلى سوح المعركة ، ومحاربة الخصم ومقارعته ، وإنهاء احتلاله للأرض التي سطا عليها زمناً طويلاً ، وجنى ثمارها ظلماً وعدواناً .

دور الشعر بعد تحرير القدس :

مضى على احتلال (القدس) تسعون سنة ، وهي تعاني القهر والاستعباد ، والظلم والاستبداد ، وتنتظر مجيء الرجال الفيوريين لتخليصها وتحريرها . وطال هذا الانتظار إلى أن برز صلاح الدين في حلبة الصراع ، وميدان القراع ، فاستطاع

أن يضرب الصليبيين بعنف ، ويردي الكثيرين منهم ، وينتزع من أيديهم القلاع والحصون . ولما حلت سنة ٥٨٣ للهجرة ، وقف على مشارف (القدس) بجيوشه الباسلة ، ونادى فيهم بصوت عالٍ (٤٤) : « هذا اليوم الذي كنت انتظره ، وقد جمع الله لنا العساكر ، وأنا رجل قد كبرت ، ولا أدري متى أجلي ، فاغتنموا هذا اليوم ، وقالوا لله تعالى ، لا من أجلي » . وحينما سمع الإفرنج تصميم صلاح الدين الأيوبي على محاربتهم ، وتأكيد جلائهم ، خرجوا إليه في موضع يقال له (حِطَّين) . وكان عددهم خمسة وأربعين ألفاً ، وزاده بعضهم إلى ثلاثة وستين ألفاً ، بين فارس وراجل . أما عدد المسلمين فكان اثني عشر ألف مقاتل . واصطدم الطرفان ، وتضارب الجمعان ، واحتدم القتال ، واشتد الجلال بضراوة ، انكسر الأعداء شرَّ كسرة ، وقتل منهم الآلاف ، وانهزم الباقون لا يلوون على شيء . وقد أحدث هذا النصر رنة فرح تردَّد صداها في أنحاء العالم الإسلامي . وكتب العماد الأصفهاني على لسان صلاح الدين الأيوبي « في ذلك اليوم سبعمائة كتاب بشارة ، كل كتاب بمعنى بديع (٤٥) » .

ووقف التسعراء يمدحون صلاح الدين الأيوبي ، ويفتخرون به ، ويشمنون جهوده . منهم وزيره في الشام العماد الأصفهاني ، يقول مخاطباً القائد المنتصر (٤٦) :

ونعمَ مجالُ الخيلِ حِطَّينُ لم تكنْ

معاركُها للجردِ ضرساً ولا دهمساً

غداةَ أسودُ الحربِ معتقلو القنا

أسودُ تبغي من نحورِ العدا نهساً

كسرتهمْ إذ صَحَّ عزمُكْ فيهمْ

ونكستهمْ إذ صارَ سهمهمْ نكساً

بواقعةٍ رَجَّتْ بها الأرضُ جيشهمْ

دماراً كما بَسَّتْ جبالهمْ بساً

(٤٤) الروضتين ٢ : ٨٤ .

(٤٥) الروضتين ٢ : ٩٦ .

(٤٦) الروضتين ٢ : ٨٢ .

(٤٢) الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل ١ : ٢١٨ .

بطون ذئاب الأرض صارت قبورهم
ولم ترض أرض أن تكون لهم رما
وطارت على نار المواضي فراشهم
صلاء فزادت من خمورهم قبسا
وقد خشمت أصوات أبطالها فما
يعي السمع إلا من صليل الظبها همسا
تقاد بداء الدماء ملوكهم
أسارى كسفن اليم نطقت بها القلسا
سبايا بلاد الله ملووءة بها
وقد شريت بخسا ، وقد عرضت نخسا
يطاف بها الأسواق لا راغب بها
لكثرتها ، كم كثرة توجب الوكسا

والقصيدة طويلة ، وهي - وإن بدا عليها
التصنع والتكلف - تعطينا صورة للفرسان
المفرين على العدو المتخاذل ، والقتلى المتناثرة
اشلاؤهم في ساحة الوغى ، والأسارى وهم
يساقون للبيع بأبخس الأثمان .
لقد عمت الفرحة بهذا النصر الباهر ، وهنا
المسلمون بعضهم بعضا كما قال فتيان
الشاغوري (٤٧) :

لم تخل سمعا من هناء مهني
للمسلمين ، ومن سماع مبشر

لم يتكئ صلاح الدين الأيوبي على هذا
الفوز ، ويخلد إلى الراحة ، ويعط فرصة للأفرنج
كي يستيفقوا من سكرتهم ، ويعيدوا نشاطهم ،
ويجمعوا شتات شملهم ، ويستنجدوا بمموليهم -
ماديا ومعنويا - في أوربا ، بل مضى إلى بيت
المقدس وفتحته دونما عناء أو مقاومة كبيرة ، وأسر
ملكهم ، ودخل المسجد الأقصى ، وصلى فيه ،
وشكر الله على نصره ، ونصب المنبر الذي هياه
نور الدين محمود لمثل هذا اليوم .

(٤٧) ديوان فتیان الشاغوري ص ١٤٧ .

وأقبل الشعراء على صلاح الدين الأيوبي من
كل مكان ، واخذوا يتبارون في نظم آيات المدح
له ، حتى صار انشودتهم ، وتسابقوا في الدخول
عليه ، والمثول بين يديه . قال ابن العديم (٤٨) :
« ولم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد سيف
الدولة بن حمدان ما اجتمع ببابه - رحمه الله -
وزاد على سيف الدولة في الحباء والفضل
والعطاء » . وأول شاعر دخل عليه ، وهناه بالنصر
المبين ، قائده وابن أخيه تقي الدين عمر (ت ٥٨٧)
وانشده قصيدة مطلعها (٤٩) :

دع مهجة المشتاق مع أهوائها
يا لائي ما أنت من نصحاءها
ومنها :

جاءتك أرض القدس تخطب ناكحا
يا كفأها ، ما العذر من عذرائها
زفت إليك عروس خدر تجتلى
ما بين أعبدها وبين إمائها
إيه صلاح الدين خذها عادة
بكرا ، ملوك الأرض من رقبائها
كم خاطب لجمالها قد رده
عن نيلها أن ليس من أكفائها

من أحب الأمانى لدى الرجال الشريف -
بالحدود التي فيئدة الشرع بها - أن ينال الزوجة
الجميلة العفيفة التي يقضي حياته معها . فهي
أثمن شيء عنده ، يحرص عليها ، ويحافظ على
شرفها وعزتها ، ويمنع عنها عوادي الدهر وغوائله ؛
لذلك شبه تقي الدين عمر (القدس) بالفتاة
اللطيفة التي تطمع بالرجل الذي يلبق بها ، ويكون
من وزنها ، فلم تجد كفأ لها غير صلاح الدين
الأيوبي ، فزفت إليه مجلوة بين خدمها وإمائها
لتعيش تحت ظله هائلة مسرورة ، وقد لا حظنا
هذه الصورة عند أكثر من شاعر ، فهي عند ابن
الساعاتي (٥٠) :

(٤٨) زبدة الحلب من تاريخ حلب ٢ : ١٢٥ .
(٤٩) الخريدة - بداية شعراء الشام - ص ٨٥ ، مرجع الكروب
٢ : ٢٢٦ ، كنز الدرر ٧ : ٩١ .
(٥٠) ديوان ابن الساعاتي ٢ : ١١٨ .

رشيقة القد لا تسمو إليه يد

أسيلة الخد لا تدنو من القبل

كم مقله سهرت وجداً بمقلتها

لم تكتحل بكرى شوقاً الى الكحل

بكرى المعامل فاخطبها مكابرة

بكل الى أصم الكعب معتدل

فما سواك لها بعل وقد عطلت

فحلها بتلافيها من العطل

ليس هذا وصفاً لفنائه حسناء قدومه
الشاعر لصلاح الدين الأيوبي ؟ بلى ، فهي ممشوقة
القد ، أسيلة الخد ، ممنعة رزان ، تبارى الرجال
لخطبتها ، وتسابقوا ليحفظوا بها ، تولعوا بها ،
وسهرت عيونهم شوقاً الى رؤية جمالها . وقال
انشار لصلاح الدين الأيوبي : انت كفاء لها ،
وخليق بها ، فتقدم إليها ، وحل جيدها العاقل .
واقبل شعراء الشام على صلاح الدين
الأيوبي زرافات ووحدانا ، منشدين افراح الظفر ،
ومرددن اهازيج النصر . منهم ابو محمد فتیان
ابن علي الأسدي الشافوري (ت ٦١٥) الذي
تفتق لسانه بعدة قصائد (٥١) ، حكى فيها ملحمة
البطولة والشجاعة ، والتضحية والفداء . منها
هذه الصورة لجنود العدو القتلى ، وكانهم تماثيل
من كافور ، ردعن بعنبر ، وقد داستها سنابك
خيول صلاح الدين الأيوبي ، وبغات الطير قتهارى
عليها مقتلعة العيون الزرق التي تشبه فصوص
الجوهر النفيس (٥٢) :

صرعى كأتهم تماثيل من ال

كافور ، من دمهم دد عن بعنبر

فالخيل لا تمشي بها إلا على

هام منضدة وشعر أشقر

نهب عفاة الطير من حدق بها

زرق فصوصاً من نفيس الجوهر

وينمته في قصيدة أخرى تجاوزت مئة بيت
رب الملاحم التي لم يؤرخ العلماء مثلها في قديم
العصر والأزمان ، وينسبها الساحل الشامي الذي
طرد منه صلاح الدين الأيوبي الصليبيين ورماهم في
البحر ليعودوا الى اوطانهم التي جاؤوا منها بـ
« الطراز الأخضر » ، وينوّه بجهوده الجبارة التي
بدلها في سبيل انقاذ القدس (٥٣) :

رب الملاحم ، لم يؤرخ مثلها ال

علماء قديماً في قديم العصر

خلعت عليه خلعة الملك التي

زيدت بهاءً بانطرار الأخضر

واستنقذ البيت المقدس عنوة

من كل ذي نجس بكل مطهر

وأريتهم لما التقى الجمان بال

بيت المقدس هول يوم المحشر

وردت دين الله بمد قطوبه

بالمسجد الأقصى بوجه مسفر

واعدت ما أبداه قلبك فاتحاً

عمر ، فانت شريكه في المتجر

حتى جمعت لمعشر الإسلام يب

من الصخرة العظمى وبين المشعر

فلصخرة البيت المقدس كفوها ال

حجر المفضل عند أفضل معشر

واهتز رشيد الدين عبدالرحمن بن بدر
النايلسي (ت ٦١٩) بهذا النصر ، وجادت قريحته
بقصيدة عبّر فيها عن نبضات قلوب المسلمين ،
مطلعها (٥٤) :

هذا الذي كانت الآمال تنتظر

فليوف لله أقوام بما نذروا

(٥٣) ديوان فتیان الشافوري ص ١٤٠ .

(٥٤) الروضتين ٢ : ١١٨ .

(٥١) ديوان فتیان الشافوري ص ٦٩ ، ١٢٠ ، ١٤٨ ، ٢١٥ .

(٥٢) ديوان فتیان الشافوري ص ١٢٥ .

لقد قرئت الميون ، واطمأنت الجنوب في المضاجع ، بعد أن مرّت على المسلمين قرابة مئة سنة ، تحملوا فيها قسوة المحتلين وبقيهم ، وسيط فرسان الصليبيين وجورهم .

الآن قرئت جنوب في مضاجعها

ونام من لم يزل حلقاً له السهر

ويا لعظيم البهجة بعد أن تحررت (القدس) من قيود الإفرنج ، ورفرت اعلام المسلمين عليها ، وجلجل صوت « الله اكبر » في كل جانب منها :

يا بهجة القدس إذ أضحى به علم

إسلام من بعد طير وهو منتشر

الله اكبر ، صوت تقشعر له

شم الذرا ، وتكاد الأرض تنفطر

وخشي الشاعر أن تقوم للإفرنج قائمة جديدة بعد أن خرجوا من (القدس) وتمركزوا في بعض أجزاء الساحل الشامي ، فنراه يطلب من صلاح الدين الأيوبي أن يستأنف القتال ، ويلاحق الأعداء ، ويلهب ظهورهم بسياطه ، لكي لا يبقى لهم أمل في العودة ثانية إلى المواقع التي تخلّوا عنها بعد احتلالهم لها حين من الزمن :

يا مالك الأرض مهدّها فما أحد

سواك من قائم للمهدر ينتظر

ما أخضر هذا الطراز الساحلي ثرى

إلا لتعلو به أعلامك الصفر

ولم يكتف عماد الدين الأصفهاني ، الذي مدح صلاح الدين ، وبارك خطواته (٥٥) ، بتحرير ديار الشام والسيطرة عليها ، بل طلب منه أن يمدّ سيادته على الشرق عامة ، ويقيم دولة كبيرة تتحدى كل من يريد أن يمسها بسوء ، أو ينال منها بأذى (٥٦) :

وإن بلاد الشرق مظلمة ، فخذ

خراسان والنهرين والترك والفرسا

(٥٥) انظر الروضتين ٢ : ١٠١ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ .

(٥٦) الروضتين ٢ : ١٠٢ .

وشارك الشعراء المصريون بفرحة النصر والجلاء ، وزفوا التهاني إلى صلاح الدين الأيوبي ، منهم تقيب الأشراف النسابة محمد بن أسعد بن علي المعروف بالجواني (ت ٥٨٨) ، ومطلع قصيدته (٥٧) :

أثرى مناماً ما بعيني أبصر

القدس يفتح ، والفرجة تكرر !!

لقد اخذه العجب ، واندهل من خبر الفتح ، وانكسار الإفرنج وهزيمتهم ، وسال نفسه : أهو حقيقة أم حلم تراءى له ؟ وتمالك أعصابه ، وتيقن من صحة النبا ، وتباهى بهذا الإنجاز الكبير ، وافتخر به ، وعده ظفراً عظيماً ما بعده من ظفر . ووضع صلاح الدين الأيوبي في مقام عمر الفاروق ، وعثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب - رضي الله عنهم - في صدق النبوة ، وقوة العزيمة ، وصلابة الإيمان :

فتح الشام ، وطهر القدس الذي

هو في القيامة للأنام المحشر (٥٨)

يا يوسف الصديق أنت لفتحها

فاروقها عمر الإمام الأطهر

ولأنت عثمان المشرّف بعده

ولأنت في نصر النبوة حيدر

وشارك بهاء الدين ابن الساعاني الشاعر المصري في هذه الفرحة ، ونظم قصيدة تساءل فيها عن المعجز الذي أصاب الأسن ، وقد شاهدت الأعين الفتح الكبير ، ودوت أنباؤه الآفاق ، وطرقت أخباره الأذان . وتمنى أن ينهض الفاتح الأول عمر ابن الخطاب كي يرى ما صنعه الخلف الصالح ، ومقدار التضحية التي قدّمها لاسترجاع ما سلبه الإفرنج . إن صدى الفتح - في نظر الشاعر - تردّد في كل مكان ، حتى في الكعبة الشريفة بمكة ، ومثوى الرسول الكريم في يثرب . وقدّم لنا صورة

(٥٧) مرجع الكروب ١ : ٢٢٢ .

(٥٨) من الطريف أن يعرض الشاعر لهذه القصة الشعبية التي تقول : أن القدس هو المكان الذي سيحشر فيه الناس يوم القيامة (دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين ص ٩٤) .

بديعة ، إذ جعل للدين - بعد انتصار الجيوش الإسلامية - نفراً مغترباً تتهاوى عليه السنة الأغمد لثماً وتقبيلاً . يقول (٥٩) :

أعيّاً ، وقد عاينتكم الآية العظمى ؟
لآيةٍ حالٍ تدخرُ الشرَّ والنظما
وقد ساغَ فتحُ القدسِ في كلِّ منطقٍ
وشاعَ إلى أن أسمعَ الأسَلَ الصُّمّا
فليت فتى الخطابِ شاهدَ فتحها
فيشهدَ أن السيفَ من يوسف أصى
حبا مكةَ الحسنى ، وثنى يشربُ
وأسمعَ ذبّاكَ الضريحَ وما ضمّا
وما كان إلا الداءَ أعيّاً دواؤه
وغير الحسامِ العُصبِ لا يحسنُ انحسا
وأصبحَ نفراً الدينَ جذلانَ باسمًا
والسنةُ الأغمدُ تؤسعه لثماً

ونرى شاعراً ثالثاً من مصر ، وهو القاضي السعيد ابن سناء الملك (ت ٦٠٨) يوجه تهنة إلى صلاح الدين الأيوبي ، مرصعة بصورة طريفة ، إذ يشبه فتح (القدس) ودخولها بوليمة عرس وطرب ، يرقص السيف فيها ويغني ، وتشاركها عرائس مدن الشام أيضاً ، وتهدى أشجار النخيل الباسقة التي تحمل ثمار الفد المشرق ، والامل المنشود (٦٠) :

صُنعتْ فيهم وليمة عرسٍ
رقصَ المشرقيّ فيها وغنّى
وتهدّتْ عرائسُ المدنِ نخلاً
وثمارُ الآمالِ منهنّ تجنّى
لا تخش الشامَ فيك التهاني
كلُّ صقيرٍ ، وكلُّ قطرٍ يهنّى

وشاعر رابع يدعى الحسن بن علي الجويني (ت ٥٨٦) البغدادي الأصل ، المصري الدار ، يسر بخمرة الفرخ ، وينظم قصيدة ، يشارك فيها إخوانه الشعراء الذين ابتهجوا بفتح (القدس) مطلعها (٦١) :

جندُ السماءِ لهذا الملكِ أعوانُ
من شكّ فيهم فهذا الفتحُ برهانُ
وعدّ الشاعر هذا الفتح من فتوح الأنبياء الذين بعثهم الله لإصلاح العباد ، وإزالة الفساد ، ذلك الفتح الذي أضحت فيه ملوك الإفرنج صيداً في شباك صلاح الدين الأيوبي المحكمة :
هذي الفتوحُ ، فتوحُ الأنبياءِ وما
لها سوى الشكرِ بالأفعالِ أثمانُ
أضحتْ ملوكُ الفرنجِ الصيدِ في يده
صيداً وما ضعفوا يوماً وما هانوا
لقد مرّت - كما ذكر الشاعر - تسعون سنة على الاحتلال الصليبي ، ودعوات الخلاص والنجاة تنطلق من الحناجر ، وقد بلغ صداها المدى دون جدوى ، وحينما برز صلاح الدين الأيوبي على مسرح الأحداث ، استجاب للنداء ، ولبى دعوة البذل والغداء ، وخرج لمجابهة الأعداء ، وكان حليفه النجاح . وبالف الشاعر في قيمة هذا الفتح وأهميته ، وجعله في مصاف الفتوحات الإسلامية الأولى في عصر النبوة ، ولولا تأخر زمنه ، لنزلت فيه آيات محكمات :

تسعونَ عاماً بلادُ اللهِ تصرخُ والإِ
سلامُ أنصاره صمٌّ وعميانُ
فالآنَ لبى صلاحُ الدينِ دعوتهمُ
بأمرٍ منّ هو للمعوّانِ معوانُ
لناصرٍ ادخرتْ هذي الفتوحُ وما
سمتْ لها همُّ الأملاكِ مذ كانوا
لو أنّ ذا الفتحِ في عصرِ النبيّ لقد
تنزّلتْ فيه آياتُ وقرآنُ

(٦١) الحروب الصليبية وأثرها في الأدب ص ٢١٤ .

(٥٩) ديوان ابن الساعاتي ٢ : ٢٠٧ .
(٦٠) ديوان ابن سناء الملك ص ٢٤٢ ، مفرج الكروب ٢ : ٢٣٤ .

وهزّت نشوة النصر مشاعر شاعرين
اندلسيين هما : الرحالة المشهور ابن جبير
(ت ٦١٤) ، وحكيم الزمان ابو الفضل عبد المنعم بن
عمر الجلياني (ت ٦٠٢) . اما الاول فقد نظم
قصيدة مطلعها (١٢) :

أطلقت على أفقك الزاهر
سموداً من الفلك الدائر

تناول الشاعر الخطوات الجبارة التي خطاها
صلاح الدين الأيوبي في تحرير أرض المسلمين ،
خاصة (القدس) من قبضة الحليبيين ، والضربات
القاصمة التي جعلتهم يولتون الأدبار . واشاد
بصبره وجلده على مقارعتهم ، وسهره على مرضاة
الله ، ونبذ ملذات الدنيا واطيب الحياة :

وجاهدت مجتهداً صابراً
فلله أجرك من صابر
بيت الملوك على قرشها
وترفل في الزرد السابري
وتؤثر جاهد عيش الجهاد
على طيب عيشهم الناصر
وتسهر ليلك في حق من
سيرضيك في جفك الساهر
فتحت المقدس من أرضه
فعدت الى وصفها الطاهر
وأعلت فيه نار الهدى
وأحييت من رسم الدائر

ولا نجد في قصيدة ابن جبير - على ضعف
مبناها - جدة ، أو ابداعاً ، يناسبان جلال الموقف،
وعظمة المناسبة ، وضخامة الفرحة ، وإنما هي
معان عامة ، وصور سطحية جمعها الشاعر في إطار
الوزن والقافية .

اما حكيم الزمان الجلياني ، فهو أحد أصحاب

(١٢) الروضتين ٢ : ١٠٦ ، ابن جبير شاعراً ص ٥٠٢ .

صلاح الدين الأيوبي ، وقد رافقه في حروبه ، ولف
فيه كتاباً بعنوان « منادح المادح » وروض المآثر
والمفاخر في خصائص الملك الناصر صلاح الدين
يوسف بن أيوب . وله ديوان « المبشرات
والقدسيات » . قال ابن أبي أصيبعة عنه (١٣) :
« هو نظم ، وتدبيج ، وكلام مطلق ، يشتمل على
وصف الحروب والفتوح الجارية على يد صلاح
الدين أبي المظفر يوسف بن أيوب فاتح مدينة بيت
المقدس سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة » . وقد
وصلت اليها مجموعة من قدسياته (١٤) ، منها
القدسية المعروفة بـ « الفتحة الناصرية » ،
واولها (١٥) :

في باطن الغيب ما لا تدرك الفكر

فذو البصيرة في الأحداث يعتبر

وصف الشاعر في هذه القدسية حال الإفرنج
بعد وقوعهم في قبضة الأسد صلاح الدين الأيوبي ،
وعدم استطاعتهم الإفلات منها :

أهوى إليهم صلاح الدين مفترساً
وهو الغضنفر أعدى ظفره الظفر
أملى عليهم ، فصاروا وسط كفته
كسرب طير حواها القانص الذكر

واظهر صفات هذا البطل المغوار ، واخلاقه
الغالية ، وسلوكه مع أتباعه وخصومه . ثم تطرق
الى الفتح الذي احرزه ، ومكانته في نفوس المسلمين ،
وقرنه بفتوح القادسية زمن الخليفة عمر بن الخطاب
رض الله عنه ، وشبه انتصار الحق بالمعرس ،
وازهاق الباطل بالماثم :

أما رأيتم فتوح القادسية في
أكناف لوية تجلى ، وذا عمر (١٦)
والحق يمس ، والطغيان ينتحب
والكفر يطمس ، والإيمان مزدهر

(١٣) عيون الأنباء ٣ : ٢٦٥ .

(١٤) انظر الروضتين ٢ : ١٠٢ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٥١ .

وعيون الأنباء ٣ : ٢٥٩ - ٢٦٢ .

(١٥) الروضتين ٢ : ١١٦ .

(١٦) لوية : موضع في فلسطين قرب طبرية .

وقد نسي الرواة - حسبما ذكر الشاعر -
ملاحم ذي القرنين ، وانشغلوا بملاحم صلاح الدين
الايوبي :

أنسى ملاحمَ ذي القرنين واعترفتُ
له الرواةُ بما لم ينمِ أثرُ

ونلاحظ الشاعر في قدسيته بحرّض صلاح
الدين ويحثّه على تحرير الشام كاملاً ، وطرد
الإفرنج من الثغور التي بقيت تحت حكمهم ، كما
نلاحظه يجاري العماد الأصفهاني ومحمود بن
الحسن بن نبهان العراقي في دعوتهما لإقامة دولة
كبرى قوية الأركان ثابتة البنيان ، لها القدرة على
غزو بلاد الروم والفرس :

تغزو أساطيلُنا منها صقلية
فتذمرُ الرومُ والصقلابُ والخزرُ
من ذا يقولُ : لعلَّ القدسَ مفتوحٌ
إليكَ ، بل سفرُ يعقوبَ له السفرُ
أبو المظفرَ ينويها ، فخذُ سفناً
من بابِ عكا إلى طرسوسَ تنتشرُ
يسبي فرجةً من أقطارِها ، وله
مع المجوسِ حروبٌ قدحُها سمرُ
وبعضُ أبنائه بالقدسِ متدبٌ
وبعضُهم رومةُ الكبرى له وطرُ
برايةٍ تخرقُ الأرضَ الكبيرةَ في
جمعٍ ، تقولُ له الأجسامُ : لا وِزَرَ

ويكرر هذه الدعوة في قدسية أخرى ، ويطلب
من صلاح الدين الأيوبي أن يملك البسيطة ، ويوحد
أجزاءها ، وينشر عليها راية الإسلام ، ويعيد مجد
البطولات في عصر النبوة (٦٧) :

يا فاتحَ المسجدِ الأقصى عليَّ بهم
وقانصُ الجيشَ لا يَحصى بقفرتِه

أبشرُ بملكٍ كظهرِ الشمسِ مطلع
على البسيطةِ فتّاحِ بنشرتهِ
حتى يكونَ لهذا الدينِ ملحمةُ
تحكي النبوةَ في أيامِ فترتهِ

لقد بعث خروج الإفرنج من (القدس) بعد
مكوثهم فيها مدة طويلة ، حزناً شديداً ، والآن مريراً
في نفوس الأوربيين ، فهبوا يحثون ملوكهم للعودة
إلى الشرق ثانية ، واحتلال (القدس) ، فاستجاب
ملك الألمان للدعوة ، وخرج في سنة ٥٨٥ للهجرة .
وقام الشعراء من جديد بواجبهم المقدس ، وأخذوا
يستثيرون الناس للتأهب إلى حروب شديدة ،
والوقوف بحزم مع قوادهم ضد الهجمات التي
ينوي المدون أن يشنّها ، منهم أبو الفضل عبدالمع
الجلياني الذي خاطب صلاح الدين الأيوبي
بقوله (٦٨) :

يا منقذَ القدسِ من أيدي جبايرة
قد أقسوا بذراع الربِّ تدخله
استصرخوا الأهلَ ، والعدوى تمزقهم
واستكثروا المالَ ، والهيجا تنقله
هم الفراشُ ، لهيبُ الحربِ تصرعه
وكلكمَ لجَّ صدماً جلَّ مقتله
سيفُ أمّامِ فلسطين يري أمّاماً
خلفَ البحارِ لقد أمّاهُ صيقله
وانما اسمُ صلاح الدين يذكركُ في
جيشِ المدوّ فيسيهم تخيله

ويبعث رشيد الدين عبدالرحمن بن بدر
النابلسي الويل والثبور للإفرنج الذين يريدون
الإغارة على (القدس) ثانية ، لأنهم لم يعتبروا من
ضربات صلاح الدين الأيوبي التي بددت شملهم ،
وفرطت عقدهم ، وتركتهم بين قتيل وأسير
 وهارب . ويكيل الثناء لصلاح الدين ، ويشبهه
بالأسد الهصور في غابة (٦٩) :

(٦٨) الروضتين ٢ : ١٥١ .

(٦٩) الروضتين ٢ : ١٩٤ .

(٦٧) الروضتين ٢ : ١٠٢ .

ويحَ الفرنجة ، بل ويلَ أمهم ، أوما
فيهم لييب" على العلاتِ يعتبرُ ؟
فكم ثرتهمُ ضرباً إذا انتظموا
وكم نظمتهمُ طعناً إذا انتشروا
فكم سقيتهمُ ذلاً فلا عجبُ

إنَّ عربدوا سنفا فالتقومُ قد سكروا
إنَّ يسوكُ فلا بدع لجهلهم
تسعى الى الأسدِ في غاباتها الحس
زاروا نموراً ولا تغني وقاحتهم
إذا أسودكُ في أبطالهم زاروا
فحامٍ عن حوطة البيتِ المقدس لا
خوف" - وحاشاكُ من خوفٍ - ولا ضرر
هو الشريفُ وقد ناداكُ معتصماً
فما على مجده من بعدِها حذرُ

لقد كانت (القدس) انشودة الشعراء زمن
صلاح الدين الأيوبي ، يتغنون بها على قيثارتهم
انفرحة ، وحينما قضى نحبه في سنة ٥٨٩ للهجرة ،
عادوا الى حزنهم ، وانشدوا قصائدهم (٧٠) ،
يكونه فيها ، ويأسفون على فقده ، ويذكرون الم
(القدس) عليه ؛ لأنها تحررت على يديه ، واطمأنت
من عادية الصليبيين مدّة من الزمن . وكانت قصيدة
العماد الأصفهاني ، التي تقع في مئتين وأثنين
وثلاثين بيتاً ، خير معبرٍ عن ذلك ، منها (٧١) :

وكعادة البيت المقدس يحزن ال
بيتُ الحرامُ عليه ، بل عرفاته
مَنُ للثغور ، وقد عداها حفظه ؟
مَنُ للجهاد ، ولم تمدّ عاداته ؟
بكتِ الصوارمُ ، والصواهلُ قد دخلتُ
مِن سلكها وركوبها غزواته

(٧٠) الروصتين ٢ : ٢١٥ - ٢١٧ ، ٢٢٢ .

(٧١) الروصتين ٢ : ٢١٦ .

يا وحشة الإسلام يومَ تمكنتُ
في كلِّ قلبٍ مؤمنٍ روعاته
ملأتُ مهابتُه البلادَ ، فإتته
أسدُ ، وإنَّ بلادَه غاباته

الملاح الفية للشعر الذي قيل في القدس :

كان لاحتلال الصليبيين (القدس) في القرن
السادس للهجرة ثم تحريرها ، دور كبير وفعل في
إثارة عواطف الشعراء ، وإلهاب مشاعرهم ،
وإلهاسهم مادة غزيرة ، وانتاجاً أدبياً وفيراً ،
عبّروا به عن خوالجهم واحاسيسهم تجاه الأحداث
التي جرت في ذلك العصر ووقائمه خير تعبير .

وقد تمسك الشعراء - كما لا حظنا -
بموروثهم القديم ، واقتدوا به ، وساروا على هديه ،
واستلهموا من صوره وأخيلته الشيء الكثير . وهذا
ما جعلهم قلابي الابتكار والتوليد والإبداع .

وإذا أمعنا النظر في الشعر الذي ذكرناه في
دراستنا نجده - غالباً - دون تمهيد أو تقديم ،
فهو يبدأ بالموضوع الأساس مباشرة ، وتتوالى فيه
الآبيات ، وتتداعى المعاني ، وتتسلسل الأفكار
بنسق حسن وتنظيم جيد مائلاً لتفصيلات
الأحداث التي يتناولها الشعراء ، وهذا ما يؤكد
وجود الوحدة الفنية وتمثلها فيه خير تمثيل .

وقد برّأ الشعراء السنتهم من هجر القول
ورذله ، وابتعدوا نظمهم - إلا ما ندر - من الغموض
والإبهام اللذين يجهدان الذهن ويكدانه .

إن سمة السهولة والوضوح اتجاه معروف في
القرن السادس للهجرة ، يدعى باتجاه الرقة
والسهولة ، أو مدرسة الرقة والسهولة كما يسميها
الدكتور محمد كامل حسين (٧٢) . وهذا الاتجاه
سلكه أغلب الشعراء الذين شاركوا في النضال
وحرب التحرير ، كي يكون شعرهم واضحاً وجلياً
تفهمه العامة والخاصة من القراء والسماعين .

والمأمل في الشعر الذي قيل في (القدس)
يلحظ التكرار في بعض الألفاظ والصور ، فمن
الألفاظ التي يكثر دورانها على السنتهم على سبيل
المثال : انهض ، أبشر ، اعزم ، سر ، افتح ، طهر ،
أغز ، حطم ، جهز ... ومن الصور تشبيه

(٧٢) دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين ص ١٩٠ .

(القدس) بالفتاة البكر ، او الغانية الحسناء التي تنتظر خاطباً كفتاً يليق بها .

وقد عبّر الشعراء عن عواطفهم ومشاعرهم أثناء الحروب التي دارت على ارض الشام ، خاصة فلسطين ، بكل صدق وامانة ، ونعني بالصدق : التعبير الأمين عن واقع الحياة التي كان يحياها الناس آنذاك في ظل القهر والاستعباد من جهة ، والامن والاستقرار من جهة اخرى . يقول الدكتور محمد النويهي وهو يتحدث عن معنى الصدق في الادب (٧٢) : « والصدق الذي نريده من الاديب دائماً ان يقول بلسانه حقيقة ما في قلبه ، فإن قالها فهو صادق بمعنى الصدق الادبي ، وإن خالف كلامه الواقع في بعض الاشياء وإن لم يقلها فهو كاذب بمعنى الكذب الادبي » . وقد كان شعراؤنا صادقين بأنسنتهم وقلوبهم في التعبير عن الامهم ؛ لأن القضية الفلسطينية كانت تشغل بالهم كما كانت تشغل بال الآخرين ، وتهمهم بقدر ما تهم الناس اجمعين .

وقد استعان الشعراء في تصوير عواطفهم ومشاعرهم بالخيال ، وهو في الغالب عندهم يقوم على كاهل بعض الفنون البلاغية ، ومظهره : التشبيهات ، والاستعارات والكنائيات ، فمن تشبيهاتهم قول الحسين بن عبدالله بن رباح (ت ٥٨٥) في مدح صلاح الدين الأيوبي ، الذي أصبح اسمه يبعث الرعب في نفوس العدو ، ويشير الخوف فيهم ، حتى خياله الذي شبّهه بالسيف البتار (٧٤) :

يرون خياله كالسيف يري

قلوا جمعوا أتاها بعد وهن

ومن استعاراتهم البديعة قول ابن الساعاتي في فتح القدس (٧٥) :

وأصبح ذلك الثغر جذلاناً باسماً

والسنة الأغمار توسمته لثماً

ومن كنيائهم قول ابن الساعاتي أيضاً (٧٦) :

أدرت على الفرنج - وقد تلاقت

جموعهم عليك - وحى طحونا

والى جانب الصور البيانية التي شاعت في شعرهم ، نرى كثرة استخدامهم المحسنات البديعية التي انكروا عليها في تجميل أساليبهم وتزويقها ، خاصة الطباق والجناس والاقتباس . فمن الأول نأخذ ابيات سعادة بن عبدالله الأعمى التي خاطب فيها صلاح الدين الأيوبي ، ليرى القاريء الطبقات المتداخلة التي تقصدها الشاعر تقصداً (٧٧) :

لا يقعدك ما حثوا وما عقدوا

هم الذئاب ، وأنت الضيف الأسد

والقوم قد قعدوا عما نهضت به

من السدادر ، فلا قاموا ولا قعدوا

صدروا وما عطفوا ، ألوا وما وقفوا

ولثو وما رجعوا ، ذكثوا وما أفيدوا

صدعت ما شعبوا ، قطعت ما وصلوا

فللت ما شحدوا ، حلت ما عقدوا

ومن الجناس قول فقيه الدين ابي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (٧٨) :

فالجدة والجدة مقرونان في قرن

والحزم في العزم والإدراك في الطلب

وقول رشيد الدين النابلسي (٧٩) :

زاروا نورا ، ولا تغني وقاحتهم

إذا أسودك في أبطالهم زاروا

ومن الاقتباس قول طلائع بن رزيك (٨٠) :

وإذا ما أبطأ مسيرك فاللـ

هـ حسبنا ونعم الوكيل

(٧٧) الخريدة - قسم الشام - ١ : ٤١٢ .

(٧٨) الخريدة - قسم الشام - ١ : ٢٧٧ .

(٧٩) الروستين ٢ : ١٩٤ .

(٨٠) ديوان طلائع بن رزيك ص ٨٧ .

(٧٢) وظيفة الادب ص ٤٨ .

(٧٤) الحياة الادبية في عصر الحروب الصليبية ص ٤٤٣ .

(٧٥) ديوان ابن الساعاتي ٢ : ٤٠٧ .

(٧٦) مفرج الحروب ١ : ١٩٨ .

المصادر والمراجع

- ١ - أسامة بن منقذ بطل الحروب الصليبية : جمال الدين الألويسي ، مط أسعد - بغداد ١٩٦٧ .
- ٢ - التاريخ الباهر : ابن الأثير ، ت ٣٦٠ . ط دار الكتب الحديثة - القاهرة ١٩٦٢ .
- ٣ - تاريخ ابن الفرات : محمد بن عبدالرحيم بن الفرات ، ت ٨٠٧ هـ . تد : قسطنطين ذريق ، والدكتورة نجلاء عز الدين ، المط الأمريكية - بيروت ١٩٢٨ .
- ٤ - تاريخ ابن الوردي : عمر بن الوردي ، ت ٧١٩ هـ ، تد : أحمد رفعت البدرائي . دار المعرفة - بيروت ١٩٧٠ .
- ٥ - تاريخ أبي الفداء : أبو الفداء اسماعيل بن علي ، ت ٧٣٢ هـ . المط الحسينية - القاهرة ١٢٢٥ هـ .
- ٦ - ابن جبير شاعراً : منجد مصطفى ، مستل من مجلة آداب الرافدين - العدد التاسع ١٩٧٨ .
- ٧ - الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي في مصر والشام : محمد سيد كيلاني . مط دار الكتاب العربي - مصر ١٩٦٩ .
- ٨ - الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية : د . أحمد أحمد بدوي . مط نهضة مصر - القاهرة ١٩٥٤ .
- ٩ - خريدة القصر وجريدة العصر : العماد الإصفهاني ، ت ٥٩٧ هـ . تد : د . شكري فيصل ، قسم الشام ج ١ . المطبعة الهاشمية - دمشق ١٩٥٥ ، وبداية شعراء الشام . المطبعة الهاشمية - دمشق ١٩٦٨ .
- ١٠ - دراسات في الشعر في عصر الأيوبيين : د . محمد كامل حسين . مط دار الكتاب العربي - القاهرة ١٩٥٧ .
- ١١ - ديوان أسامة بن منقذ : تد : د . أحمد أحمد بدوي وحامد عبدالمجيد . المط الأميرية - القاهرة ١٩٥٢ .
- ١٢ - ديوان ابن الخياط : تد : خليل مردم . المط الهاشمية - دمشق ١٩٥٨ .
- ١٣ - ديوان ابن الساعاني : تد : انيس القحسي . المط الأمريكية - بيروت ١٩٢٨ .
- ١٤ - ديوان سبط ابن التعاويذي : تد : مرجليوث . مط المصطف - القاهرة ١٩٠٢ .
- ١٥ - ديوان ابن سناء الملك : تد : محمد إبراهيم نصر . دار الكتاب للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٦٩ .
- ١٦ - ديوان طلائع بن دزيك : تد : د . أحمد أحمد بدوي . مط الرسالة - القاهرة ١٩٥٨ .
- ١٧ - ديوان فتيان الشانغوري : تد : أحمد الجندي ، المط الهاشمية - دمشق ١٩٦٧ .

وقول العماد الإصفهاني (٨١) :

سل الله تسهيل صعب الخطو
بفهو على كل شيءٍ قديرٌ

وقول أحد المجاهدين (٨٢) :

ولقد أتانا عن مقال نبينا
قول "صحيح" صادق لا يكذب
لا يستوي وغبارٌ خيل الله في
أنفٍ امريءٍ ودخانٍ نارٍ تلهبُ

بقي أن نشير إلى أن البحور الموفورة الحظ من الذبوع والاستعمال في الشعر الذي تناولنا دراسته ، هي الطويلة دون القصيرة أو المجزوءة ، خاصة الطويل والبسيط والكامل ، وهي بحور تمثل الفخامة ، وتناسب جلال المواقف (٨٣) . وقد لاءموا بين البحور التي استخدموها وبين القوافي التي نظمت - حسب الأكثرية - على حروف الراء ثم الميم والباء والنون والسين والتاء والذال والجيم والحاء . ولعل من الجدير بالذكر أن شعراءنا لم يخالفوا منهج الذين تقدّموهم في اعتماد قافية الراء عنصراً أساساً في النظم ؛ فهي من القوافي الدال كما يقولون (٨٤) ، كما أنهم كانوا حريصين على أن يأتوا بقوافيهم مطلقة في الأعم الأغلب ، مقيّدة في الأقل القليل منها .

أمّا موسيقى شعرهم ، فكانت ثلاثم البحور الذي نظمت فيه ، فهي - على العموم - حربية صاخبة ، تملأ النفوس قوة ، والافتدة عزيزمة وثباتاً .

وفي خاتمة البحث نقول : إن الشعر الذي قيل قبل تحرير (القدس) وبعده في القرن السادس للهجرة كثير في دواوين الشعراء وكتب التاريخ والأدب . وما أوردنا منه نماذج قليلة استدلتنا بها على أثره في نفوس القارئ على الحكم آنذاك ، ودوره في استنهاضهم ، وقدرته على استشارتهم لخوض معركة الخلاص من احتلال القادمين من الغرب .

(٨١) الروضتين ١ : ٢٤٠ .

(٨٢) الحروب الصليبية وأثرها في الأدب ص ٢٥ .

(٨٣) المرشد إلى فهم أشعار العرب ١ : ٤٦ .

(٨٤) المرشد إلى فهم أشعار العرب ١ : ٤٦ .

- ١٨- أروغتين في أخبار الدولتين : أبو شامة المقدسي ، ت ٦٦٥هـ . مط وادي النيل - القاهرة ١٢٨٧هـ .
- ١٩- زبدة العلب من تاريخ حلب : ابن العديم ، ت ٦٦٥هـ . تد : د . سامي الدخان . المط الكاثوليكية - بيروت ١٩٦٨ .
- ٢٠- سنا البرق الشامي : الفتح بن علي البنداري ، ت ٦٤٢هـ . تد : د . رمضان ششن . ج ١ . مط دار الكتاب الجديد - بيروت ١٩٧١ .
- ٢١- الشعر العربي في العراق من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد : عبدالكريم توفيق العبود . دار الحرية للطباعة - بغداد ١٩٧٦ .
- ٢٢- شفاء القلوب في مناقب بني أيوب : أحمد بن إبراهيم الحنبلي ، ت ٨٧٦هـ . تد : ناظم رشيد . دار الحرية للطباعة - بغداد ١٩٧٨ .
- ٢٣- عيون الأنبياء في طبقات الأطباء : ابن أبي أصيبعة ، ت ٦٦٨هـ . مط الأقبال - بيروت ١٩٥٦ .
- ٢٤- الكامل في التاريخ : ابن الأثير ، ت ٦٢٥هـ . دار صادر - بيروت ١٩٦٥ .
- ٢٥- المرشد إلى فهم أعلام العرب : عبدالله الطيب ، مط دار الفكر - بيروت .
- ٢٦- معجم البلدان : ياقوت الحموي ، ت ٦٢٦هـ . مط دار صادر - بيروت ١٩٥٥ .
- ٢٧- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب : ابن واصل ، ت ٦٩٧هـ . تد : د . جمال الدين الشيال . ج ١ . مط جامعة فؤاد الأول - القاهرة ١٩٥٢ ، ج ٢ المط الأميرية - القاهرة ١٩٥٧ .
- ٢٩- موسيقى الشعر : د . إبراهيم أنيس . مط لجنة البيان العربي - القاهرة ١٩٥٢ .
- ٣٠- النجوم الزاهرة : ابن تفسري بردي ، ت ٨٧٤هـ . دار الكتب المصرية - القاهرة ١٩٢٦ .
- ٣١- النواذر السلطانية والمحاسن اليوسفية : بهاء الدين بن شداد ، ت ٦٣٢هـ . تد : د . جمال الدين الشيال . ط الدار المصرية للتأليف والترجمة - القاهرة ١٩٦٢ .
- ٣٢- وظيفة الأدب بين الالتزام والانفصال الجمالي : د . محمد النويهي . مط الرسالة - القاهرة ١٩٦٦ .



رَحَلَتُنَا يَلِرَ إِلَى الْعِرَاقِ

(سنة ١٧٨٩ - ١٧٩٠)

ترجمة وتعليق

الأب الدكتور بطرس حلا

بغداد - الجمهورية العراقية

كلمة عن الرحلة :

يلقي المؤلف في مقدمة الرحلة نظرة سريعة على السياح القدمين ويتحدث عن أهمية الرحلات السريعة الى الهند ، وعن اقرب الطرق الى ذلك البلد (الفني) ، ويذكر ان اكثر الرحالين الاوروبيين سلكوا طريق البحر ، وبعضهم ساروا عبر الصحراء ، وانه يقترح الطريق البري ويعتبره احسن الطرق واسرعها .

وفي مجرى كلامه عن العرب وعلاقات الغرب بالشرق يتطرق الى الحروب الصليبية فيعترف بانها كانت ضربا من الجنون ، ويلقب صلاح الدين « بالرجل المظفر » ويدعو اتباعه « الجنود البواسل » وينتهي الى القول بان العائدين من تلك الحملات حملوا الى الغرب العادات الشرقية الحميدة والسجايا الفاضلة فافتوا بلادهم ونشروا فيها الفنون والعلوم التي اقتبسوها من الشرق .

ولكن بالرغم من هذا الموقف الحسن الذي نلمسه في المقدمة ، فاننا نمش هنا وهناك على شطحات ومثرات تتعلق بتقاليدنا الشرقية ، ونلاحظ عنده اعتراضا مغرطا بقوميته ، لا بد ان نرفضه .

من معيزات الكتاب انه يتكلم عن مختلف الطرق التي نسلكتها القوافل ، فيقول ان الخلفاء والامراء العرب اعتنوا بهذه الطرق وبناء المنازل للمسافرين اكثر من الاتراك ، اذ اهمل هؤلاء كليا هذه الامور .

ويتطرق ايضا الى الامراض المنتشرة في هذه الربوع ويشير الى طرق معالجتها .

وينوه بالنقود المستعملة في الاقطار التي مر بها ، ويذكر ما يقابلها بالعملات الاوروبية ، وقد اقمنا في الترجمة على ذكر النقود التي كانت تتداول في العراق .

كان تايلر كما افنا رجلا عسكريا ، لذا نرى في ملاحظاته

المؤلف :

صاحب الرحلة رجل من اهل انكلترا اسمه جون تايلر John Taylor ترقى في المناصب العسكرية ، وكان يعمل لحساب شركة الهند الشرقية ، حتى اصبح من المختصين في الشؤون الهندية . وقد اوفدته تلك الشركة في مهام لها الى الهند ، فمر بالعراق سنة ١٧٨٩-١٧٩٠ ونشر اخبار رحلته باللغة الانكليزية ، طبعت في مجلدين سنة ١٧٩٩ بعنوان « رحلات من انكلترا الى الهند »

Travels from England to India

عاش في الهند حتى وافاه الاجل في مدينة « بونا » Poonah يوم ١٠ تشرين الاول سنة ١٨٠٨ وترك مؤلفات عديدة ، هذه

عناوينها (١) :

- 1- Considerations on the Practicability and Advantages of a more speedy Communications between Great Britain and her Possessions in India. London, 1795
- 2- Observations on the Mode proposed by the New Arrangement for the Distributions of the Off. reckoning Fund of the several Presidencies in India. 1796
- 3- Travels from England to India by the way of Tyrol, Venice, Scandaroon, Aleppo, and over the Great Desert to Bas-sora, London, 1799
- 4- Letters on India, 1800
- 5- The India Guide, 1801

(١) انشر عن المؤلف واثاره في :

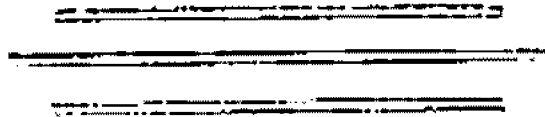
Dictionary of National Biography, ed. S. LEE, London 1898, vol. LV, pp. 443-445

شيئا من التفكير المسكري . فهو يثبت مواقع المدن على خطوط
الطول والعرض ، ويمن انجاه القافلة ، ويضيف الى الكتاب
خارطة مفيدة ، ويرفض البدخ في نفقاته ، ويفكر دائما باسرع
الطرق للوصول الى هدفه .

غادر نايلر مدينة لندن يوم ٢٢ اب ١٧٨٩ مع زوجته التي
ارادت ان تزور مدينة البنديفة في ايطاليا ثم تعود الى بلادها ،
ومعهما الدكتور ادم بلاكادر وهو مولف في مدينة ماداراس بالهند .
اتجهوا اولا الى المانيا ثم الى ايطاليا ، وبعد زيارة البنديفة
طاب للسيدة نايلر ان تكمل الرحلة مع زوجها ، فابحروا الى

الشرق ووصلوا الى الاسكندرونة في ٢٨ تشرين الثاني ١٧٨٩ ،
ومنها رحلوا الى حلب ثم اكملوا الرحلة مرورا بالعراق .

من الصعوبات التي يعاينها كل من يقدم على ترجمة الرحلات
اسماء المواقع والمدن التي يذكرها الرحالون الاوروبيون مشوهة
ومحرفة ، نظرا لجهل معظمهم اللغة العربية ، او لانهم يكتبون
الاسماء نقلا عن السماع من اصحابهم في القافلة ، وكثيرا ما
يبتعد لفظ الموام عن النطق الفصيح . وقد حاولنا التوصل
الى تعيين المواقع الصحيحة واصفنا بعض الهوامش المفيدة .
نأمل اننا توفقتنا في محاولتنا ، ومن الله التوفيق .



رحلة تايلر الى العراق

السفر من حلب (٢)

« حل أخيراً يوم مغادرتنا مدينة حلب ، وقد اعددنا قافلة خاصة بنا ، تتكون من اربعين رجلاً بدوياً ، تدجج جميعهم بأنواع السلاح كالبنادق والسيوف . وعلى رأس القافلة شيخ ، دفعنا له أربعة آلاف قرش (٢) ، إضافة الى نفقات أخرى لم تدخل ضمن هذا المبلغ كانت ضرورية لتدارك أمور أخرى مفيدة في السفر .

وضع الشيخ في خدمتنا عدداً من الإبل لاستعمالنا الخاص ، لكننا طلبنا المزيد لحمل الماء والامتنعة والخيام ، فزودنا بستة عشر جملاً ، ثم اشترينا كميات من المشروبات الروحية والخمر واللحوم المطهورة التي وضعناها في أنية من الخزف احكمنا سدها .

كان ذلك عصر اليوم الخامس عشر من كانون الاول سنة ١٧٨٩ ، فسرنا محطة واحدة وتوقفنا لقضاء الليلة الاولى من السفر .

اعتاد القوم على قطع الصحراء على ظهور الخيل ، وكان بعضهم يستخدم المحفة ، وهي عبارة عن صندوقين لا يزيد طول الواحد منهما على خمسة اقدام ، يتدليان عن جانبي البعير ، يعلوهما حجاب يقي من فيهما حرارة الشمس ، وليثبت الحجاب بالسرّج .

* * *

في السابع والعشرين وصلنا الى غور الاصلاخ (١) Ghur-Alaslah ، وفي صباح اليوم الثاني بارحنا المكان متجهين الى الجنوب او بالاحرى الجنوب الشرقي ، وفي الساعة الرابعة من بعد الظهر وصلنا الى منطقة تدعى « شيخ ابو جاموس » (٥) ،

(٢) العناوين التفصيلية من وضعنا ، تساعد على متابعة الرحلة .

(٣) ترجمة كلمة piastre المستعملة في اكثر الرحلات .

(٤) عند ناحية القائم

(٥) الى الجنوب من عانة .

ولم نجد في الطريق نبأ ، بل كانت الارض يابسة قاحلة .

توجهنا في اليوم التالي الى عكلة الحوران Auglat-ul-Horraun ونصبنا هناك خيامنا عند مجرى ماء كان قد جف ، لكن المنطقة عامرة بالابار ، ماؤها عذب .

تركنا هذا الموضع صباح الثلاثين من كانون الاول ، وشرنا بالاتجاه عينه أي الجنوب الشرقي حتى وصلنا الى غور عميق لاماء فيه (٦) يبعد عن الطريق المؤدي الى الحلة نحو أربعة أيام ، ويقع على مسيرة ساعتين من كببسه (٧) ، وهي قرية صغيرة تقع على طريق حلب - بغداد (٨) ، ولم ننزل في جوارها ، لأنها عرفت منذ زمن طويل انها ملجأ أمين لقطاع الطرق ، ولا يقترب منها احد ان لم يكن مسلحاً وتحت حراسة شديدة . وكان شيخنا قد ارسل في اليوم السابق رجالاً يستعلمون الطريق ويتأكدون من سلامته .

حيوانات الصحراء

وجدنا في الطريق انواعاً من الحيوانات البرية ، كالخنازير الوحشية . . . واليرابيع . وهذه اليرابيع هي حيوانات صغيرة سريعة الحركة ، ومن الصعب جداً اصطيادها لأنها تتقافز هنا وهناك . وراينا في الطريق ضبعا ، وعدداً من البط البري ، كما صادفنا عدداً من النعام ، التي تضع بيضها على ارض متجهة باتجاه الشرق لتقوم الشمس باعدادها للفقس . واخيراً راينا عدداً كبيراً من الارانب .

مررنا على بعد ميلين من كببسة ، وهي قرية تتكون من عدد من الاكواخ الحقبيرة المتناثرة في وسط غابة من النخيل ، قائمة وحدها في ذلك المكان القاحل ، وقد وجدنا في تلك الغابة عدداً من الارانب والوعول . (٩)

(٦) لعله يشير الى الموقع الذي يطلق عليه اسم عين الارنب

(٧) موضع معروف ذكره الحموي في معجم البلدان ١ : ٢٢٥

(٨) هنا مغرب القوافل ، فمنها توجه الى بغداد ، وغيرها تواصل السفر الى البصرة .

(٩) هكذا في الاصل ولعله يشير الى الغزلان المنتشرة في بلادنا .

نحو الساعة الثالثة من بعد الظهر وصلنا الى
موقع يدعوه الاعراب « محمدي او محمدية »
Mohammady Mohammadie

فنزلنا في موضع خصب
حيث كان مجرى ماء جف من فترة ، وكانت الاعشاب
كثيرة ، ولبعضها رائحة عطرة .

ابار معدنية

في اليوم الاول من كانون الثاني [١٧٩٠] تركنا
ذلك المكان وشرنا باتجاه الجنوب ، حتى وصلنا
الساعة الثانية من بعد الظهر الى « البردون »
Bredaun, Ul-Burdaun وهذا الاسم يطلقه الاعراب
على عدد من الابار المعدنية التي لمائها طعم الكبريت .
وقد وردت الابل ماء البئر لتروي عطشها ، لكنني لم
استسغ طعمها (١٠) .

قبل وصولنا الى موقع الابار راينا عددا كبيرا
من البط البري ومختلف الطيور .

لقد لاحظت انه من الممكن الحصول على الماء في
الصحراء خاصة لارواء الابل ، وذلك بالحفر في مواقع
الجداول الجافة ، وقد اسفت لاني لم اجلب معي
الادوات اللازمة للحفر ، واني اذكر ذلك نصيحة
للمسافرين الذين يسرون في اثري .

مررنا بعدد من القبور كانت على مرتفع قريب
من الماء ، ووقع نظرنا على صريقة متداعية يسكنها
اعراب يشبهون فقراء الهند ، لم اعرف عنهم شيئا .
ولعلمهم من الدراويش او من انفراء الجوالين ، ولم
يكن معهم سلاح ، ولم يطلبوا منا شيئا ، بل كانوا
مسالمين وعلى شيء من التادب .

شفانا

في اليوم التالي ... عبرنا عقيق نهر لا بد ان
يكون كبيرا في موسم الامطار ، وفي الساعة الواحدة
من بعد الظهر بدت امامنا عن بعيد قرية شفانا (١١)
وفي ذلك المكان مر بنا اعرابي عار ، فاخبرنا عن
وجود شردمة من اللصوص في تلك البقعة . وفعلا
راينا بعد مدة قصيرة سبعة او ثمانية رجال راكبين

(١٠) لعله يشير الى عيون برذويل ، انظر : طالب علي الشرقي :
عين التمر (النجف ١٢٨٦هـ / ١٩٦٩ م) ص ٧٧

(١١) كتبها صاحبنا « شتات » Shittat . ونقد ورد اسمها
باوجه متعددة في الكتب ، مثل شفانا وشتانا وشفافا
وغيرها . انظر المرجع نفسه ص ٥١-٥٢ ، ولقد ذكرها
الحموي في معجم البلدان ٣ : ٧٥٩ في مادة عين التمر .

الجياد . فاسرع شيخنا الى تغيير الطريق
وانحرف حالا عن الدرب السلوك متجهاً
الى اليمين ، فتوقفنا في موضع
اسمه « قصر الاسالي » (١٢) Auchally (٨) حيث
اختبانا في مكان عميق لا يرانا الا من يصل الى المرتفع
الذي يطل علينا مباشرة . ثم ارسلنا رجلا يستطلع
الطريق ويحمل البنا الخبر اليقين . وفي هذه الاثناء
اتخذنا مواقعنا للمجابهة واعددنا انفسنا للقتال .
واصدر شيخنا امره مانعاً الجميع من الصعود الى
المرتفع المحيط بنا ومحرمنا علينا ايقاد النار لئلا
يفضحنا الدخان المتصاعد . وفي صباح اليوم التالي
علمنا ان الرجال الذين توقعنا مناجرتهم لم يكونوا
قطاع طرق بل افراد قافلة كبيرة من التجار تتكون
من نحو ثلاثمئة مسافر ، وقد حطوا الرحال في ذلك
الموقع القريب من شفاتا ليشتروا كميات من التمر
من تلك القرية نظراً الى جودته وشهرته
الواسعة (١٢) . وكانت نيتهم الاتجار بهذه التمر
وبيعها في اسواق حلب ودمشق . لقد فرحنا بهذا
الخبر فاسرعنا الى مكافاة الرجل ببضعة قروش ،
وسار شيخنا من ثم الى القرية . بيد ان الرجل
الذي ارسل رائداً يستطلع الطريق جلب انتباهي ،
لانه عوضاً عن ان يكون مرتدياً لباساً بسيطاً لا يلفت
الانظار ، كان متسربلاً برداء جيد ، متسلحاً ببندقية
ومسدسين وسيف من النوع الجيد . ان منظره في
وحدة الفلاة يجعله لقمة سائغة للصوص .

نحو الساعة الواحدة وصلنا قريباً من غابة
النجيل ، حيث تتوسطها قرية شفانا فاقمنا خيامنا
عند عدوة نهر ضحل الماء كثير النبت والاشجار ،
وانطلقت جمالنا وحيادنا تسرح في ذاك المرعى
الخصيب ، وطاب لنا المقام في تلك البقعة بعد ان تعبنا
عيوننا وملت منظر الصحراء الرتيب فالفينا انفسنا
على العشب ... بعد وصولنا بقليل اخبرنا الشيخ
بانه سيرسل نفراً من القافلة الى القرية لشراء
الحاجيات ، وتبرع احد مرافقينا بالذهاب عنا لتلبية
طلباتنا ، فسالناه ان يشتري دجاجاً وحلياً وبيضاً ،
وهي الاشياء الوحيدة المتوفرة في القرية ، وشكرنا
الرجل استعداداه الطيب ، فمضى مع المنصرفين ،
وعاد في الماء وهو يحمل بعض الطيور واخبرنا انه لم

(١٢) اسم الموقع غير واضح في الرحلة - نظراً يشير الى التمر
المذكور .

(١٣) قال الحموي : « منها يجلب القصب والتمر الى سائر
البلاد وهو بها كثير جداً » المرجع نفسه . وفي مراسد
الاطلاع المضي نعه ٢ : ٩٧٧

يجد حليبا او بيضا ، ولم يشأ العودة خالي الوفاض كما انه اراد استعمال النقود التي تسلمها منا فاشترى كميته من التمر الفاخر .

ان الاعراب يدفعون في البادية نصف قرش ثمنا للدجاجة الواحدة ، ونحو أربعة قروش او خمسة ثمنا للخروف الواحد ...

رقص الجنسود

قبل وصولنا الى هذا الموضع ، طاب للجنود المرافقين لنا ان يقوموا باستعراض امامنا . فشرعوا يرقصون رقصة عسكرية ، فيجتمعون في حلقة ويشهر كل واحد منهم سيفه ، ويدورون حول اعلام مثبتة في الارض وسط الحلقة . فلما وصلنا الى سفائنا اخذوا يرقصون وهم يرددون أغنية عربية ويقومون بحركات مضحكة تنفق وكلمات الاغنية . ولما كانت الحفلة على شرفنا ، راينا انه من واجبنا ان نكافئهم ، فوزعنا عليهم عشرين قرشا ، وقدمنا لهم شيئا من خبز الشعير ومن التمر الفاخر الذي اشتريناه من القرية . وجدير بالذكر ان الرجال يفضلون خبز الشعير ويستسيغونه .

كان رجال اخرون قد مضوا الى القرية ثم عادوا وهم يسوقون امامهم حميرا تحمل المواد التي اشتروها ، والحمير كثيرة الاستعمال في تلك الاطراف لانها مفيدة جدا ، وهي حيوانات قنوعة .

لقد اشترى الرجل شيئا يسيرا من التبغ والتمر والطحين والدهن والشعير ...

الرماية عند المرب

امضى الرجال ذلك اليوم بالتمرن على الاسلحة النارية ، فكانوا وكأنهم في يوم عيد . ولقد اظهر العرب من المهارة في هذا الميدان شيئا كبيرا ، في طريقة الامساك بالسلاح وفي طريقة استعماله .

وبهذه المناسبة ايضا ، كان لابد ان نظهر بمظهر يليق بنا ، فقدمنا لهم جوائز ، وهي عبارة عن اسلحة اقتنيناها في مدينة البندقية ، فوضعناها لاحسن الرماة . فاسرع جميعهم ووقفوا في صف واحد والشيخ في مقدمتهم ، واخذ الشيخ يرمي فربح ثلاث جوائز ، لكنني اعتقد ان الرجل بحكم مكانته المرموقة في القافلة اثر على الحكام مهما يكن من امر فقد نال مسدسين وبندقية . وكان الهدف على بعد ١٥. خطوة وهو حجرة بحجم الصحن العادي . وكادت طلقات الرماة كافة تصيب الهدف . ومن

الامور الطريفة ان رجلا حاول الرماية ببندقية صيد ، وهي جديدة عليه ولم يستعملها من قبل قط ، وقد اصاب الهدف ، فكان سروره عظيما لنجاحه في استعمال ما لاعد له به ، ولشدة فرحه اخذ يطر البندقية بوابل من القبل .

الاخضر

في الساعة السادسة والنصف من صباح اليوم الرابع من كانون الثاني حددنا جمالنا وانطلقنا في نفس الاتجاه السابق ، في ارض منبسطة قاحلة ، فعبرنا مجرى ماء ، وفي الساعة الحادية عشرة صباحا راينا على يسارنا اطلال حصن صغير مربع الشكل (١٤) يبعد عنا نحو نصف ميل ، يطلق عليه العرب اسم « الاخضر » Ul-Ackader وفي ذلك اليوم هطلت الامطار بغزارة طوال الليل ، وبالرغم من كل الاحتياطات التي اتخذناها عند نصبنا الخيام ، فاننا لم نسلم من الببل .

لاحظت ان البعران لا تقابل العواصف وجهاً لوجه ، بل تدبر لها ظهرها . ويظهر عليها القلق عند المطر ، وقد يقضي المطر عليها اذا دام سقوطه مدة طويلة . وهذا ما حدث في تلك الليلة ، اذ ظهرت بوادر الموت على احد الجمال فامر الشيخ بنحصره وتوزيع لحمه على الحاضرين ، فاكلوه بشهية كبيرة . وكانت طريقة طبخ اللحم ان اعدوا حفرة في الارض واوقدوا النار فيها حتى تكوم امامهم جمر ورماد حار جداً ، فالقوا اللحم في الحفرة ، وجعلوا يقلبونه حتى نضج ، وتزداد لذة اللحم بقدر ما يحترق ظاهره .

قرب النجف الاشرف

نحو الساعة الثامنة صباحاً (٦ كانون الثاني ١٧٩٠) تهيأنا للسفر بعد ان زالت الغيوم وضحكت السماء فانطلقنا ... وفي الساعة الواحدة راينا في الافق البعيد « مشهد علي » (١٥) Mesched Aly وكان عن يسارنا على بعد ما يقارب اربعة اميال او خمسة . لقد اكدوا لنا ان قبة المسجد مفضاة بالذهب ، وشهد الاعراب الذين كانوا برفقتنا على صحة هذا القول . لكنني لاستطيع البت في امر لم

(١٤) الاخضر حصن منيع مستطيل الشكل (١٧٥ x ١٦٩ مترا) وله سور عظيم مدعوم بسلسلة من الابراج الشاهقة ، وهو اشهر من ان نتكلم عنه . والغريب ان تايلر يصفه بالحصن « الصغير » !

(١٥) يريد مدينة النجف الاشرف .

اتحققه بنفسه (١٦) . ومهما يكن من امر فمن المؤكد ان الناظر اليها عن بعد يراها تلمع وتتوهج . لكن النحاس المذهب له المشهد نفسه . ان هذا المكان هو محط تكريم المؤمنين وتقديسهم .

و استثنينا القبة التي قد تكون ذات قيمة عالية ، فان الموضع الذي اصبح مشوى خليقة الرسول لا يحسد عليه ، لانه محاط بارض جرداء قاحلة صخرية ، تفتقر الى انواع النباتات كافة . ولم نجد في تلك الارعاء ايا من الحيوانات التي تعيش في الصحراء كالارانب والطيور .

وجدنا بالقرب من « المشهد » مجرى نهر كبير ، لكنه حسب اعتقادي يجف في فصل القيظ . وقد نقل اليها ان اهل البلدة يشكون شحة الماء ، ويضطرون الى الذهاب الى اماكن بعيدة لجلبه .

تغير الجو هناك وارتفعت الحرارة تدريجياً ، وكانت الامطار السابقة قد جعلت الارض موحلة ، وازدادت الرطوبة ، فاخذت البعران تسيير بصعوبة ... ثم توقفنا في (١٧) (Wader a homi) .

الصيد عند العرب

ان العرب مولعون جداً بالصيد بواسطة الطيور ، وهم ماهرون للغاية في هذا الميدان . فعندما كنا في تلك الارعاء ارادوا ممارسة هوايتهم ، لكن اخذ الصقور حلق في الجو وهرب من اصحابه ، فتبعوه مدة طويلة وظلوا يلاحقونه مسافة بعيدة مقدمين له طعماً لعله يعود ، لكن محاولتهم باءت بالفشل ، فضاع الطير !

مواقع مختلفة

كان المناخ رديئاً ، فامضينا ليلة تعسة ... وفي صباح اليوم التالي عدنا الى الطريق سائرين في نفس الاتجاه ، وكنا نلاحظ بعض النباتات من وقت الى آخر . ثم عبرنا ثلاثة جداول صغيرة اعتقد انها تكونت من جراء الامطار الغزيرة التي هطلت في الايام الاخيرة .

توقفنا نحو الساعة الخامسة من بعد الظهر في موقع يسمى « عين السيد » (١٨) Anaseyd فنصبنا

(١٦) ظليت قبة المسجد بالذهب سنة ١١٥٦ هـ (١٧٤٢ م) .

(١٧) لم انحقق من اسم هذا الموقع

(١٨) في الاصل « انا سيد » ، واعتقدها كما ذكرت اعلاه ، وهي عين عند الرحبة - بضم الاول - (وهي غير رحبة سوريا) ذكرها الحموي ٢ : ٧٦٢

الخيام قرب جدول ماء صغير لاطاقة له على بعث الخصب في ذلك الموضع القاحل .

كانت الارض هناك مزيجاً من الرمل والحصباء والحجارة الصغيرة . اما العشب فلا وجود له البتة . وبينما كنا نرح انظارنا في الفلاة ، وقعت عيوننا على سبعة رجال او ثمانية امامنا ، فالتبس الامر علينا ، لان رؤية رجال في ذلك المكان الموحش ، وفي ذلك الوقت من النهار وقد مالت الشمس الى الغروب امر لا يبعث على الارتياح . لكن رجال القافلة اعدوا الاطمئنان الى قلوبنا بعد قليل اذ تعرفوا على الرجال وقالوا انهم من سكان المرتفعات القريبة .

راينا على بعد فرسخ وراء خيامنا اطلال قرية تسمى « قلعة علي » (١٩) Alataly وروى الشيخ لنا قصة تلك القرية وسكانها الامنين قائلاً انها كانت قرية كبيرة عامرة لكن السكان اضطروا الى هجر قريتهم بعد ان تعود قطاع الطرق على الاحتماء بها والاستيلاء على بضائع المسافرين واموال اهل القرية الساكنين . لقد تحملوا الظلم فترة لكنهم في آخر الامر اضطروا الى هجر قريتهم طالبين الراحة والامن في مكان آخر .

تركنا ذلك الموضع صباح اليوم الثامن من الشهر . وكانت الارض يابسة جرداء ، لكننا كنا نجد هنا وهناك باقات من نباتات الصعتر والخزام .

وفي الساعة العاشرة شاهدنا برجاً عالياً شبيهاً بالهرم ، يستخدم في تلك الانحاء كمرشد للمسافرين الى وجود عين ماء ؛ وكان اسم العين التي وصلنا اليها « عين الجان » (٢٠) Eyn-ul-Gyan وكان ماؤها غير مستساغ .

وبعد لحظات راينا على البعد قافلة . فتوجس الشيخ شراً ، واسرع فنزل عن بعيره وتقدم مني طالباً جوادي ومنظاري المقرب ليذهب ويتحقق امر المسافرين . فلبيت طلبه واعطيته الحصان وامتطيت من ثم الجمل ، وكانت هذه المرة الاولى بالنسبة الي ان امتطي جملاً ، فلاحظت ان السفر على ظهره ليس صعباً كما كنت اتصور خاصة اذا اعد عليه رحل جيد ، بل لعلي صرت افضل في السفر .

لم يتأخر شيخنا كثيراً ، بل عاد بعد فترة وجيزة ليخبرنا بان القافلة كانت تضم بضع مئات من الحمير محملة بالملح .

(١٩) هناك قلعان صغيرتان على تل لجاورهما عين ماء .

(٢٠) تقع الى الغرب من الشنافية . نلاحظ ان المؤلف كتبها في الغارطة الملحقة بالكتاب Ga'im

في صباح اليوم التالي (٩ كانون الثاني ١٧٩٠) عدنا الى الطريق وسرنا باتجاه الشرق والجنوب الشرقي ، حتى وصلنا عصر ذلك اليوم الى « ابو المريس » (٢١) او مشيهد Emshehed التي تقع على ضفاف شط العطشان ، وهو نهر ضحل قد يصيبه الجفاف في قسم من السنة ، ولهذا يظهر عقيقه واضحا في ارض الصحراء اذ تنمو الاشواك والادغال على طول مجراه بحيث تراه من بعيد .

السماء

واصلنا رحلتنا صباح اليوم التالي ، فاخذنا نسير في سهول « السماء » Semawat, Samava حتى توقفنا عصرا على بعد خمسة اميال منها . وهي بلدة صغيرة لا بأس بها ، يحيطها سور (٢٢) لا يختلف عن التحصينات العادية المنتشرة في انحاء الشرق . وقد اخبرنا الشيخ ان عدد سكان السماء يبلغ نحو ثلاثمئة بيت .

كنا نقرب شيئا فشيئا من نهر الفرات . وكلما اقتربنا منه كانت الارض اقل جفافا واكثر خصوبة ، فاخذنا نرى النباتات والادغال العالية وكانت الارض باردة رطبة .

دراويش متجولون

انطلقنا في اليوم التالي في الساعة السادسة والربع . وبعد منتصف النهار لاحظنا اثار التعبد بادية على البعيران ، فقد كانت منهوكة القوى . لذا توقفنا في موضع كثير الكلا تتوسطه كمية وفيرة من مختلف انواع الادغال يطلق على المكان اسم « ام الحنطة » (٢٣) Om-al-Hunta وقد التقينا في ذلك المكان بخمسة دراويش قالوا انهم غادروا البصرة قبل خمسة ايام .

ان هؤلاء الرجال يسافرون بكل امان في طول الصحراء وعرضها ، يتنقلون بين القرى ، ويلقون في

(٢١) وهو اسم واد .

(٢٢) انظر عن السماء وسورها : عبدالرزاق الحسني : العراق قديما وحديثا ط٤ (١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م) ص ١٥٦-١٥٥

(٢٣) ورد ذكرها في كتاب دوحه الوزراء للشيخ رسول الكركوكلي ، ترجمة موسى كاظم نورس ص ١٨٧ ، وذكرها نقلا عن المرجع السابق عباس المزوي : تاريخ العراق بين احتلالين (بغداد ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٤ م) ج ٦ ص ٤٠ ، ووردت في الباحث العراقي ليعقوب سركيس (بغداد ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م) ج ٢ ص ٢٦٢ في الهامش ، ويقع المكان جنوبي الخضر .

كل مكان يحطون فيه استقبالا حارا . من قبل الاعراب الذين يتعرفون عليهم من بعيد من صوت القرون الصغيرة (٢٤) التي ينفخون بها قبل وصولهم الى الاماكن المأهولة او عندما يمرون بالمسافرين . ولقد ابدي رجال قافلنا نحوهم احتراما كبيرا واعتنوا بامرهم وقدموا لهم كمية وافرة من التمر .

كنا على بعد ميلين من الفرات ، وراينا على شاطئيه اشجارا عالية ، وكان المنظر رائعا لم نعهده منذ مدة طويلة .

اكملنا سيرنا ، تاركين عن يسارنا قلعة قديمة آلت الى الخراب تسمى « الجرية » Jeriah وهناك التحق بنا رجل من اهل السماء ، كان شبه عار ، وقد تعمد السفر على هذه الصورة ليتجنب تحرشات البدو الذين ليسوا من عشيرته ، اذ يحدث كثيرا ما ان تهاجم احدى القبائل ابناء قبيلة ثانية فتغزوها وتنهب اموالها . وطلب الرجل منا السير في ركابنا فلبينا طلبه عن طيبة خاطر ، وتقاسم الجنود معه بكرم حاتمى شيئا من مؤونتهم . وفي ذلك اليوم راينا حفرا فيها كميات كبيرة من الماء ، وبالرغم من كونها راكدة لكنها كانت طيبة المذاق .

اسد في القلعة

سمعنا في هدوء الليل زئير اسد من موضع غير بعيد عنا . ولم تكن الابل راغبة في هذه الزيارة المفاجئة . فهبت سوية واجتمعت الى بعضها في خط دفاعي . وعادة القوم في هذه الانحاء انهم يجعلون الجمال في دائرة ويعلقون سيقانها ويربطونها الى بعضها ليمنعوها من النهوض والسير . . . وكان الاعراب متيقظين الى ابعد حد ، فما ان سمع الحراس زئير الليث حتى اطلقوا النار في اتجاهه ففر بعيدا . ولقد استيقظنا على صوت العيارات النارية معتقدين ان جماعة من الفرسان قد احاطت بنا ، ووثبت من فراشي مرتعبا واسرعت الى سلاحي ، وخرجت من خيمتي لاناجز الاعداء ! لكنني لم اجد احدا ، فقد هرب الاسد وعاد السكون يخيم على ارجاء المكان .

في صباح اليوم التالي غادرنا منطقة « ام الحنطة » وفي نحو الساعة العاشرة تركنا عن يسارنا قرية اسمها « طاهر » Tahir تقع على ضفة نهر .

(٢٤) انظر عن الدراويش ماكتبه احمد حامد الصراف : الدراويش (مجلة لغة العرب ١٩٢٨/٦) ص ٨٥ .

وفي الساعة الثانية راينا عن يميننا قبرا صغيرا
يقال له « عين علي » (٢٥) Ehen Aly

كانت الدرب التي نسلوها في ارض مشبعة
بالمح ، وكان مجرى نهر الفرات واضحا لكثرة
الغابات الملتفة القائمة على عدويه . وراينا قرى
عديدة متناثرة على ضفتيه ، والدخان يتصاعد من
اماكن عدة ، فنحن نسير والحالة هذه في ارض
ماهولة بالسكان . ونظرا لوجود الماء بكثرة في تلك
المناطق لم تكن نحتاج بعد الى الزقاق التي كانت
معنا .

في الساعة الرابعة من بعد الظهر توقفنا ونصبنا
الخيام في « شكاره » (٢٦) Shicarab بعد ان سرنا
مدة طويلة بمحاذاة مجرى النهر .

وفي اليوم الثالث عشر من الشهر اكملنا رحلتنا
بمحاذاة الفرات ، وقد تركنا البادية القاحلة
والاراضي الحجرية الواسعة واخذنا نحلم ونمني
النفس بقرب رؤيتنا البلاد الماهولة بالسكان ، وكنا
نرى في اماكن متفرقة مخيمات الاعراب واثار
مواشيهم .

مضارب المتفق

كانت المناظر التي نمر بها تدل على وجود
قبائل من البدو في تلك المناطق . وقد تحققت
توقعاتي ، اذ انا راينا في الساعة الثامنة جماعة
منهم ، يقدر عدد رجالها بثلاثمائة رجل ، وقد اصطفوا
في مجموعات وراء خندق ، وراينا يبارقهم ترفرف
فوق المتاريس ، كما راينا عن بعد مجموعات من
الرجال المسلحين يسرون بانتظام وهم يحملون
رمحا يبلغ طول الرمح الواحد ستة اقدام ، وقد
تسلح عدد قليل من المقاتلين بالبنادق . فلما اقتربنا
منهم انفصلت عنهم ثلة من الخيالة قوامها خمسة
عشر رجلا واتجهت اليها لتعرف علينا ، ثم افترق
عن الكوكبة فارس فتقدم منا حتى وصل الى مسافة
مئة قامة (٢٧) من قافلنا وقد اشهر رمحه ، فما كان
منا ، عند ظهور بوادر المجابهة ، الا ان تركنا محفطنا
بلمحة بصر وامتطينا الجياد لنستعد للمعركة ،
واشعلنا الفتائل الضرورية للبندقيات (٢٨) ، ووقف

(٢٥) لم نتحقق من هذين الموقعين .

(٢٦) قد تلفظ شكاره او شكره .

(٢٧) ترجمة كلمة Toise وسواي ١٩٤٩ مسم

(٢٨) يتكلم عن البنادق التي كانت تملأ بالبارود من فوهتها ويمد
لها فتيل قبل استعمالها .

الشيخ على راسنا ، واتخذ افراد القافلة موقف
الاستعداد للقتال ، وكان متاعنا في مؤخرة القافلة
تحت حراسة رجال مسلحين .

كان شيخنا غير هيب وظهر بموقف المستعد
للمجابهة . وعندما صرخ احدهم : من هناك ؟ اجاب
احد الفرسان بلهجة المنطقة مرفقا نفسه انه من اهل
البصرة وهو في عداد القوات المجتمعة تحت راية
شيخ المتفق . لقد كنا اذا بين اصدقاء ، لذلك
هبت كوكبة الفرسان للاقائنا ورافقتنا من ثم مسافة
ميلين .

قدم لنا هؤلاء العرب الكرام غنما وسمنا ولبنا
وكل ماكان في حوزتهم من مواد . اما شيخنا فقد
حننا على عدم التوقف هناك قائلا انه لا يزال الطريق
امامنا طويلا حتى نصل الى القرية التي قررنا المبيت
فيها ، واكد لنا ان تلك القرية هي احسن مكان نمضي
فيها ليلتنا اذ تقع على ضفاف الفرات ، وهناك سنجد
كل ما نحتاج اليه من امتعة ومؤونة ، ولهذا استأذنا
اصدقائنا الجدد الكرام بالسفر .

القيت نظرة فاحصة على هؤلاء القوم . فرايت
الخيالة لابسين البسة حسنة راكبين خير الجياد ،
مدججين بسلاح جيد ، وتظهر على محياهم سمات
الطيبة ولهم وجوه هادئة . اما المشاة فكانوا اقل
انتظاما . ورايت عددا قليلا من الجنود لهم كوفيات
على رؤوسهم وقد ايتزروا بقطعة من القماش على
اوساطهم ، مسلحين برماح من نوع تلك التي ذكرتها
قبل قليل ، لكن اكثر الرماح كان يعطوها الصدا .

كانت هناك خيام سود غير عالية لاستعمال
شيوخ القبيلة فقط . وخيامهم هذه منصوبة بطريقة
تثير الدهشة فقد صنعت من نسيج الصوف ووبر
الابل فهي والحالة هذه جيدة لمقاومة المطر والمحافظة
على الدفء دون ان تكون حارة جدا .

ان الاراضي الواسعة في تلك المنطقة كانت
قد زرعت في السنة المنصرمة كما اعتقد ، وقد انتهوا
من حصاد الحنطة ، وكانت الارض قد قسمت الى
حقول عديدة لكي تسهل عملية السقي من حقل الى
آخر . وكانت الحقول كثيرة الكلا ، وراينا هناك
مواشي القبيلة وحيواناتها . ويمكنني ان اقدر عدد
مارايت هناك ببضعة الاف راس ، منها الثيران
والغنم والماعز ، وعددا من الخيل والابل .

دأبنا على السير في ارض غنية بالمراعي ، لكننا
لم نجد حطباً نستعمله لاعداد النار . والتقينا في
رحلتنا بقطعات من المحاربين كانت منشرة هنا وهناك

فلم تلتفت إلينا ولا اعارتنا انتباهها . وكانت القطعات الاولى التي التقينا بها سابقاً هي مقدمة جيش شيخ المنتفق (٢٩) .

وفي نحو الساعة الخامسة مساءً رأينا مضارب خيام الشيخ قائمة على ضفاف الفرات . وبعد نصف ساعة وصلنا الى قرية « سوق الشيوخ » (٣٠) Shoogal-Shugh حيث نصبنا خيامنا على بعد نصف ميل من مضارب القوم .

كان على شيخنا ، قبل ان نتابع رحلتنا ، واجب الذهاب الى الشيخ حمود (٣١) شيخ مشايخ المنتفق (٣٢) ورئيس القوم في منطقة البصرة ، ليقدم له الاكرام اللازم .

فلما حل الليل وخيم الظلام مضى لزيارته . فطلبوا منه ان يعود في صباح اليوم التالي ، وعندئذ سيرافقه رجل يلقي نظرة على البضائع التي كانت في قافلتنا . لان حمود المذكور كان يستوفي اتاوة من قوافل التجارة كافة . ويخسبها على عدد الابل المحملة في القافلة . فاخبره شيخنا ان رجال قافلته سياح لا علاقة لهم بالتجارة ، وبصفتهم عسكريين فهم لا يحملون الا السلاح . فاجابه شيخ المنتفق قائلاً : انه لا يعقل ان قافلة متكونة من هذا العدد الكبير من الجمال لا يكون فيها من يتماطى التجارة . ولهذا السبب قرر ان يرسل عند الصباح رجلاً عنه يلقي نظرة على امتعتنا .

عاد شيخنا المدعو « عبدالله » واخبرنا بكل ما دار من حديث في الاجتماع ، وحثنا على التصلب تجاه الشيخ وان نرفض رفضاً قاطعاً تقديم هدية ما ، واردف قائلاً : ان فعلتم ما قلت فان شيخ المنتفق سيصدق عند ذاك ماروبته له ، واضاف ايضاً : ان بطانة الشيخ متكونة من رجال جشعين سيحاولون بمختلف الطرق والحيل انتزاع شي منا .

(٢٩) يكتبها البعض « المنتفك » وفيل ان اصل التسمية يعود الى اتفاق القبائل ولذا ترجع التسمية الاخرى اي « المنتفق » .

(٣٠) يلاحظ التحريف في التسمية عند صاحب الرحلة . وسوق الشيوخ بلدة معروفة انظر الحسيني : المرجع المذكور ص ١٦٧

(٣١) هو حمود بن تامر ابن الشيخ سمعون المعروف بحمود الاعمي . انظر دوحة الوزراء ص ١٨٨ ، ومباحث عراقية ليعقوب سركيس ج ١ ص ٦٥

(٣٢) في الاصل « شيخ المنطقة » وفضلنا اللب التاريخي الذي عرف به حمود التامر ومن خلفه في منصبه . مباحث عراقية نفس المرجع .

ولقد صدق الشيخ في توقعاته . ففي صباح اليوم التالي قدم إلينا رجال في الساعة العاشرة ، واخذوا يطلبون امتعتنا ، واذا لم يجدوا ما يمكن ان يطلق عليه اسم بضاعة تجارية ، شرع رئيس الشرذمة التي زارتنا يطلب هدية قبل ان يتركنا ، وكذا ان نعطيه لولا ان شيخنا كان يومئذ إلينا بان نرفض الطلب . فقلنا انه ليس فيما نحمل ما يستحق ان يقدم كهدية . وبعد الحاح قليل انسحب مع مرافقه ، اذ لم يجد نفماً في الحاحه .

حاول الاعراب الذين كانوا في القافلة اعطاءنا فكرة واضحة عن شيخ المشايخ ، فقالوا : انه عظيم جداً وله تحت قيادته نحو عشرين الف مقاتل . وكانت مضارب خيامه تمتد بدون نظام بمحاذاة الفرات مسافات طويلة لكنها لم تكن تحتل مسافات بعيدة في العمق . واني اقدر عدد رجال شيخ المنتفق المقاتلين بثلاثة الاف شخص لا اكثر ، لكنني لم اشأ مناقشة الاعراب او ردهم بهذا الخصوص (٣٣) .

سرنا نهار الثالث عشر من الشهر مسافات طويلة قرب النهر ، وفي الماء كان الجو بارداً جداً . وعند الفلج رأينا اثار الانجماد على الاديم وهكذا اخذنا نشعر بالبرد بعد ايام طويلة من المناخ الطيب .

وحدث في اليوم التالي انه لم يسمح لنا بالنزول ونصب الخيام الا بعد ان قدم شيخنا هدية معتبرة لشيخ المنطقة (٣٤) فقد اهداه صقرا وطاقني (٣٥) فماش وعشرين زوجاً من الخفاف التركية التي يطيب للبدو استعمالها . فتنازل الشيخ لقاء ذلك وتلطف فاوفد رسولا يحمل إلينا باسمه تمنياته الطيبة في الحل والترحال ويطلب في الوقت ذاته قليلاً من البارود الاوروبي ، فاعطيناه ما طلب . وهكذا سويت الامور خلال نصف ساعة فمررنا في اراضيه ونحن نسير قرب مجرى النهر ، وكانت ضفافه مليئة بالقصب العالي وتفرع من النهر سواق كثيرة الى مسافة

(٣٣) قال ابو طالب خان في رحلته في مجرى كلام عن شيخ المنتفق سنة ١٧٩٩ ، اي في زمان رحلة نايلر : « يستطيع ان يجيش جيشاً عدته بين خمسين الفا واربعين الفا » . ترجمة الدكتور مصطفى جواد ص ١٠٥ ! وبشكل مؤلف « دوحة الوزراء » عن عشرين الف مقاتل ص ١٠٧

(٣٤) اعتقد ان نايلر يتكلم عن الشيخ نوبني منافس حمود التامر على المشيخة . انظر : لونغريك : اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر خباط ، بغداد ١٩٦٠ ص ٢١٤

(٣٥) الطافة قطعة من اي نسيج قائمة بذاتها تكفي لتفصيل قباء .

اميال عديدة على الجهنين وتميش في تلك الاجمات اعداد هائلة من الخنازير الوحشية الضخمة ...

كانت اراضي تلك المنطقة منبسطة ، والقرى منتشرة على ضفتي الفرات والسهول تغشاها بمراع خصبة رائعة . وهناك قبائل تهتم بتربية عدد كبير من الماشية . والتقىنا اثناء رحلتنا بقبيلة تعنى بنوع خاص بتربية الابل وكانت تملك حنوب تقديري اكثر من الفين من هذه الحيوانات المفيدة التي يسمى الواحد منها بكل حق « سفينة الصحراء » .

بعد مسافة قصيرة راينا عددا كبيرا من الحمير ، وبان لي ان الاعراب لا يهتمون هناك كثيرا بتربية الخيل ، لاننا لم نجد في كل قبيلة التقينا بها الا عددا قليلا من الامهار والافراس الصغيرة . انهم يعمون الحصن بعد السنة الثالثة من عمرها ، ففي هذه السن يعتبرون الخيل قادرة على الخدمة . اما الافراس فلا تباع البتة ، وليس هناك انسان يستطيع اقتناع العربي ببيعها ، فالخيول العربية من جنس اصيل وهي مشهورة في العالم كله .

مساء ذلك اليوم توقفنا في موضع اسمه « الدشاولي » Dachauli وهو قريب من النهر . فوجهت من هناك رسالة الى المقيم الانكليزي في البصرة السيد مانيستي (٢٧) Manesty اعلمه بها عن قرب وصولنا .

كان شيخ قافلنا يفضل عدم النزول في الاماكن القريبة من النهر ويبعد عنه ميلين او ثلاثة ، اذ ان سكان تلك المناطق لا يتمتعون بسمعة طيبة . وقيل عنهم انهم سراق وغدار .

المحطات الاخيرة

في اليوم الخامس عشر من الشهر حشنا الشيخ على التزود بالماء من جدول مررنا به ، لان طريقنا سيبتعد على مجرى النهر ... وامضينا تلك الليلة في موضع اسمه « لكادة » (او : لقادة) Legatta وكانت الاراضي التي مررنا بها جميلة ، وراينا في رحابها عددا من القبائل ومعهم قطعان عديدة من مختلف الحيوانات .

وفي اليوم التالي تبدلت المناظر امامنا ، فبعد تلك السهول الخضراء الواسعة ، اذا بنا من جديد

(٢٧) هو المقيم البريطاني في البصرة ، ذكره ايضا ابو طالب خان في رحلته ص ٤٠٦ و ٤٠٧ و ٤٠٩ وغيره من الكتاب والسياح .

في صحراء قاحلة لا نبت فيها ، وامضينا ليلتنا في مكان اسمه « كوييدة » (٢٨) Quebda وكان التعب قد انهكنا ونفق في ذلك اليوم عدد من الابل ، من بينها الجمل الذي كان يحمل محفتي فضاع وقت طويل لاعادة ربط المحفة على جمل آخر ... واخذنا نفتش عن سائق العيس الذي كان يسير امامي فلم نجده ، وكان نشيطا خدوما . وبعدئذ علمنا بانه كان بالقرب من اخيه المريض الذي توفاه الله قبل الوصول الى كوييدة . وكان يشكو الا منذ ان غادرنا حلب ، ولقد اجريت مراسيم دفنه ببساطة وووري في حفرة . وهو الشخص الوحيد الذي فقدته القافلة في هذه الرحلة .

كوييدة قرية صغيرة مهمة تركها سكانها ، فالت الى الخراب ، وليس فيها ما يستحق الذكر سوى بناء كبير اشبه بقلعة عتيقة ، لعله كان مسجد القرية .

لقد كنا منهوكي العوى فاسرعنا الى النوم لناخذ قسطا من الراحة ، وبدا الناس يداعب جفوننا ، والاحلام الحلوة تنراى لمخيلتنا ونحن نفكر بقرب وصولنا الى البصرة لنضع نهاية المطاف لهذا السفر الشاق .

الزبير

في اليوم السابع عشر من الشهر استأنفنا رحلتنا . وكنا نستحث الشيخ على الاسراع ، فسرنا باتجاه الشرق راسا حتى بدت لنا اسوار الزبير (٢٩) ، فاخذنا نسير بمحاذاتها ، حتى وصلنا الى القرية التي طالما اشتقنا اليها . وكانت ابوابها واطلة جدا بحيث لا يدخل فيها الجمل محملا ، لذلك نزلنا عن مطايانا وانزلنا الاحمال ، وشرع الشيخ يصدر اوامره الى هذا وذاك . وفي هذه الاثناء رافقنا احدهم الى بيت احد اكابر القوم لنحل فيه .

كان عوام الزبير ينظرون الينا ونحن نسير في الدروب نظرات استغراب ، مع هذا كان الاحترام والادب باديين عليهم .

هناك امر اعجبت به اكثر من شئ آخر ، وهو شعور السكان الطيب في هذه القرية . كنا لانزال على بعد مسافة غير قليلة عن الزبير ، عندما نشر اعراب

(٢٨) كوييدة في البادية بين المغير والبصرة لانزال معروفة بهذا الاسم ، لكن بعضهم يكتبها : جيوييدة او كيدة .

(٢٩) عن الزبير وسورها راجع مقالة علي الترفي : بلد الزبير او البصرة القديمة ، مجلة لغة العرب ٦ (١٩٢٨) ص

القافلة بيارقهم الملونة وشرعوا يطلقون عيارات ناربة ،
فهب سكان الزبير الى ملاقتنا .

لقد هرع الرجال والصبيان للترحيب بالاهل
والاصدقاء معبرين عن حبهم باجمل علامات الشوق
والوداد ، ولم اشاهد في حياتي قط تعبيراً عن الفرح
واكثر اخلاصاً وحرارة مما رأيته هناك . ان منظرنا
كهذا كان جديداً على اشخاص اوروبيين لقنوا منذ
نعومة اظفارهم . ان العرب شعب متأخر ، فلقد
بدا الواقع عكس ذلك ، وكان المنظر مؤثراً للغاية .

ان هؤلاء الناس البسطاء الطيبين ، انفصلوا عن
بعضهم منذ بضعة اشهر ليمملوا كحراس ومرشدين
للقوافل ، وهامهم عند التقائهم يسرعون فيلقون
انفسهم على بعضهم ويتبادلون علامات الحب .

كان رجال القافلة كافة ، من الشيخ الوقور
حتى حادي العيس البسيط ، قد اخرجوا اجمل
ما عندهم مما اشتروه في حلب من ثمرات تعبهم
وادخارهم ، ولبسوا احسن ما عندهم من ثياب
فظهروا وكانهم في يوم عيد ، ولم ينسوا احباءهم في
الزبير ، فحملوا اليهم الهدايا .

عند وصولنا الى البيت المعد لنزلنا ، دخلنا
الى غرفة واسعة خصصت لنا ، كانت قريبة من
مشوى النساء . فقدموا لنا اولا القهوة ثم وزعت علينا
الفلايين ، وبسطت اخيراً امامنا حصيرة وضع عليها
الطعام المتكون من بيض وخبز شعير .

بعد العشاء كتبت من جديد رسالة الى السيد
مانيسي اطلب منه ارسال عربات لحمل امتعتنا لان
جمال القافلة لتسير الى البصرة بعد ان وصلت الى
نهاية المطاف اي الزبير . . . وانتظرت الجواب
طويلاً حتى عيل صبري . فاسرعت الى جواد لانطلق
به بنفسي الى البصرة برفقة دليل .

تجاوزنا الزبير باربعة اميال واذا برجل على
حصان يتجه نحونا . فلما التقينا اخبرنا بان المنطقة
قد غرقت في الاونة الاخيرة بسبب الفيضان فمن
المستحيل اخراج عربات من المدينة ، لذا ارسل
المقيم البريطاني جياداً ستصل بعد مدة قصيرة .
واخرج الرجل رسالة من السيد مانيسي ، فاذا به
يرحب بنا ويدعونا للنزول عنده خلال فترة بقائنا في
البصرة ، ويخبرنا بان هذه المدة لن تطول نظراً لوجود
سفينة من سفن الشركة (١٠) اسمها « انتريبيد »
Intrepide بقيادة القبطان « جرفيس » Jervis

(١٠) بريد « شركة الهند الشرقية » وهي شركة احتكروت التعامل

مستعدة للابحار الى الهند ، وهي بانتظار رسائل من
اوروبا .

كانت الارض التي نسير عليها ونحن نتجه
الى البصرة مستوية طينية ، بحيث ان الجياد كانت
تسير بصعوبة ، ولم نشاهد اشجاراً او ادغالاً . وكان
منظر البصرة من بعيد وكأنها قائمة في وسط بحيرة ،
يحيط بها التخييل . ثم لمحنا على البعد علم بريطانيا
العظمى يرتف فوق المقيمة الانكليزية . واخيراً
وصلت الى البيت في الساعة الثالثة والنصف
فاستقبلني السيد مانيسي بمودة واحترام . . . وهذا
الرجل حسبما علمت كان محط تقدير اهل البصرة
واحترامهم .

وبعد ساعتين وصلت السيدة تايلر مع رفيقنا
الآخر السيد بلاكيدر (١١) . . . وفي ذلك المساء اوفينا
الى الفراش بسرعة لننسى في النعاس اللذيذ اتعاب
السفر وهمومه . . . وفي صباح اليوم التالي نهضنا
وقد استعدنا قواماً فخرجنا لزيارة المدينة والتجول
في بساطينها الواقعة على شط العرب (١٢) وهو النهر
الذي يبدأ بالقرنة ويتكون من التقاء الفرات بدجلة .
وتقع القرنة على بعد ثلاثة عشر فرسخاً او اربعة
عشر الى الشمال من البصرة .

البصرة (١٣)

يطلق العرب على البصرة اسم « الصورة » وهي
كلمة منحوتة من « بالصورة » التي تعني الارض
الحجرية (١٤) وهي بهذا تعبر عن طبيعة الارض التي
قامت عليها هذه المدينة .

ان البصرة ليست قديمة جداً (١٥) وكانت الغاية
من بنائها ان تكون مستودعاً للتجارة (١٦) . ولذلك
لم يتخذها الملوك عبر تاريخها قاعدة لهم ، ولم يهتموا
بهندستها المعمارية ولا نجد فيها ابنية مهمة كتلك
التي تزين عواصم الشرق .

التجاري بين انكلترا والهند ، لعبت دوراً مهماً في تاريخ
الاستعمار البريطاني .

(١١) ذكرنا في المقدمة ان زوجة تايلر وافقته في رحلته مع الدكتور
بلاكيدر .

(١٢) قال تايلر : شط العطشان وقد اخطأ .

(١٣) هنا يبدأ الفصل السادس من الرحلة .

(١٤) البصرة في كلام العرب الارض الغليظة التي فيها حجارة
صلبة تقطع حوافر الخيل . انظر : مجلة لفة الصرب

١٩٣٠/٨ ص ٢٥١

(١٥) انظر : الحسني : العراق قديماً وحديثاً ص ١٧٢-١٨٢

(١٦) هذا وهم من المؤلف ، لقد خططت البصرة لخدمة الجيش
في بدء الفتح الاسلامي .

البصرة ، انتقلت بالتناوب من سلطة الى اخرى ، فخضعت تارة للعرب وطورا للفرس او للاتراك . وهذه الاحداث المتتالية اثرت عليها وادت الى انحطاطها الذي نراه حاليا .

البناء في البصرة

للبصرة اسوار تحيط بها ، وفي هذه الاسوار ابراج مدورة . لكن لاقيمة دفاعية لها . ورئيس المدينة (٥٢) يخضع لباشا بغداد (٥٣) ، وليس له من الجنود والعتاد ماهو جدير بالذكر ، ماعدا كوكبة من الفرسان تعمل لحمايته الشخصية .

لاوجود لفن البناء في مدينة البصرة ، فهي مهمة كما اسلفنا ، وبيوتها منخفضة ، وهي مشيدة بالمدن الابيض الذي لم يفخر بالنار ، وهو مصنوع من طين فاخر نظيف للغاية ، بعد ان يخلط خلطا جيدا بالطين وروث الخيل . تخلط هذه المواد مع الطين وتعجن جيدا ، ثم تقسم الى قطع حسب الاحجام المطلوبة وتعرض من ثم للشمس لتجف وتتماسك . وان القوم مضطرون الى اتباع هذه الطريقة لافتقارهم الى الاخشاب في تلك الانحاء . والخشب الوحيد المتوفر لديهم هو خشب النخيل لكنه رخو ضعيف فلا فائدة ترجى منه .

فواكه البصرة

من جهة اخرى ، تتميز البصرة ببساتين جميلة ، وفيها فواكه لذيدة . فاهل البصرة يزرعون الورد بكميات كبيرة ويستقطرونه ، وماء الورد الذي يستقطر في البصرة يعتبر من اجود الانواع ويصدر الى مختلف البلاد حتى الهند وحلب ، والى جميع الامصار التي لها علاقات تجارية مع المدينة .

اضافة الى ما ذكرت ، ففي البصرة انواع مختلفة من الفواكه منها : الخوخ والتمر والتفاح والاجاص والعنب . وكمياتها وفيرة . وبالرغم من مناخ البصرة الذي لا يرحم فهي مدينة ساحرة .

الزعلي : « كان كيس الفضة في احسن اوقاته يساري خمسمائة قرش وكيس الذهب عشرة الاف قرش » (ذكره الشعراء او شعراء بغداد وكتابتها) بغداد ١٩٣٦ ص ٩٧ ولم يذكر نادر ما في الكيس ، اكان ذهب ام فضة .

(٥٢) كان في ذلك العهد عيسى بك الماردني وبقي يحكم البصرة الى سنة ١٢٠٨ هـ (دوحة الوزراء ص ٩٠) ويطلق عليه عادة اسم « متسلم المدينة » .

(٥٣) مراد والي بغداد ، وهو انذاك سليمان باشا بيوك اي الكبير .

عندما اراد الخليفة عمر (رض) في السنة الخامسة عشرة من الهجرة جمع تجارة الهند وفارس وبلاد العرب ، قرر وضع اساس مدينة البصرة في موقع قريب من ملتقى الفرات بدجلة ، على بعد ثمانين ميلا فوق مصب شط العرب في الخليج ، ولقد نجح والحق يقال في اختيار الموقع (٤٧) . اذ هناك تجتمع القوافل القادمة من بلاد الفرس والعرب . وهي تحافظ على السفن التي تبحر الى البلاد القريبة فتكون نقطة اتصال بين هذه البلاد وساحل الهند . ولذلك قدم اليها اناس من كل فج عميق : يونانيون ويهود وارمن وهنود (٤٨) ومغاربة فحلوا فيها .

تقع المدينة في ارض واطنة ، وهي لهذا السبب عرضة للفيضانات التي يتكرر حدوثها ، اما لازدياد المياه وطفيانها ، او بسبب القبائل العربية نفسها التي تكسر السداد المحيطة بمجرى النهر ، ويقطعون ذلك بغضا للحكام او انتقاما منهم .

وبالقرب من المدينة مستنقعات مياه (٤٩) ، تتصاعد منها ابخرة موبوءة ، لهذا ترى وجوه السكان شاحبة . ويعتبر فصل الصيف بحرّه اللاهب من اصعب الفصول على الاوروبيين خاصة . وفي هذا الفصل يحصد الموت عددا كبيرا من الارواح ، فيقل عدد السكان ولا يبقى من كل قوم الا عدد يسير .

يخمن عدد سكان البصرة حاليا اكثر بقليل من ثمانية الاف نسمة . لكن محيط الاسوار واتساعها يدلان على انها كانت تضم في زمن سابق اكثر من هذا العدد عشرة اضعاف . ولقد ذكر ان المدينة كادت تخلو من سكانها في سنة ١٦٩١ عندما زحف الطاعون عليها ، فقد قضى على ثمانين الف ضحية (٥٠) .

يدفع النصارى في مدينتي بغداد والبصرة الجزية ، او ضريبة الراس ، وهي لا تتجاوز عن البلدين خمسمئة كيس (٥١) . ان هذه المدينة ، اي

(٤٧) لايفكر صاحبنا الا بالتجارة ! لقد تم فتح البصرة على يد عتبة بن غزوان سنة ١٤ هـ فانخلها بمسكرا لجيشه ثم شرع بتمصيرها بالن من الخليفة عمر بن الخطاب (رض) .

(٤٨) في الاصل « البينانيون » وهم جماعة من الهنود استهروا بمعاونة التجارة .

(٤٩) لعله يشير الى احد الانوار القريبة من البصرة .

(٥٠) جاء في تاريخ كلشن خلفا في حوادث سنة ١١٠٢ هـ : « وسرى الطاعون الى البصرة ايضا حيث فتك بالالوف الى درجة ان الذي يموت يدفن في مكانه لعدم وجود من ينقله » ص ٢٩٨ (ترجمة موسى كاظم نورى) .

(٥١) اختلف قيمة ما في الكيس باختلاف الزمان . قال الاب

محصورة في البصرة في ايادي الارمن الذين يخضعون الى ضرائب عالية .

يتعاطى الاوروبيون الساكنون في البصرة بيع كميات قليلة من البضائع التي يستوردونها من « سورات » (٥٧) والاقمشة التي تصنع في البنغال وبعض الاقمشة الانكليزية الصنع .

ان الارباح التي تجني من هذه التجارة لا تفي بالمصاريف الكبيرة التي تنفق على المقيمة وما تتطلبها من خدمات ، ولكن وجود المقيمة ضروري للبقاء على العلاقات مع الجزيرة وتنظيم الاتصالات والرحلات البرية مع المستعمرات الانكليزية في الهند .

للانراك في البصرة مجموعة سفن في نهر الفرات هي قوتها البحرية ، ويراسها موظف يحمل لقب « قبطان باشا » ويخضع لوالي بغداد مباشرة . وله تحت سلطته خمس سفن ذات اهمية ، واعظم هذه السفن مجهزة بخمسين مدفعا . وهناك سفن اخرى صغيرة اقل اهمية من السابقة غايتها حماية السفن الداخلي وتنظيمه . والحقيقة ان جميع السفن بصورة عامة هي في حالة سيئة من جميع وجوهات النظر .

الطاعسون

كنت قد ذكرت انفا ان الطاعون يبيث فسادا ودمارا في هذه المدينة . ولقد حسب اهل المدينة فترة ظهوره فقالوا انه ياتي كل تسعة عشر عاماً . وجدير بالذكر ان هذا المرض الوبيل يقل انتشاراً كلما توغلنا في الشرق . ويروى ان ظهوره له علاقة بالبيئات التي تزرع الزيتون وتنتجه . ففي الهند مثلاً - حيث لا يعتنى بالزيتون - لا اثر له تقريباً . بينما يظهر كثيراً في القاهرة واسطنبول فيحصد الارواح بصورة هائلة .

ليس في البصرة ما يجلب نظر الزائر . لكن لابأس ان نذكر طريقة فريدة في بناء وسائل عبور الانهار التي يستعملها السكان . هذه الوسيلة هي عبارة عن قفاف في احطاب متشابكة مغطاة بالجلد تصنع بشكل مدور . انها غير مريحة لكنها امينة ولا تقل فائدتها عن القوارب الكبيرة التي تتطلب اعتناء بالغاً في صنعها . ويستعينون بمجذاف طويل ليمخروا في الفرات المعروف بسرعة جريانه .

ان بناء هذه الانواع من المواخر يرجع الى عهد سحيق ، اذ نجد اثارها في مخلفات ملوك بابل .

(٥٧) مدينة في الهند .

قد يستغرب القاري، هذا الوصف ، خاصة بعد ان يعلم ان الصحراء تمتد الى ابواب المدينة تقريباً . لكن البساتين الواسعة الموجودة داخل الاسوار والمنتشرة خارجها تجهز السكان بكميات كبيرة من مختلف انواع الخضروات التي يحتاجون اليها .

يسطاد السكان في النهر افخر انواع الاسماك . كما ان البادية مليئة بالصيد البري . فهناك في الاراضي المجاورة للمدينة عدد كبير من الخنازير الوحشية ، وطيور الحجل ودجاج البر والحذف .

ويهتم السكان بتربية الماشية داخل المدينة ، منهم يتقنون طرق تسمين الاغنام ، ويربون في افنية انبيوت الداخلية اعداداً كبيرة من الطيور .

والى جانب هذه اللحوم اللذيذة المتوفرة هناك ، فعندهم اجود الخمور الفارسية المستوردة من شيراز ، تلك الخمور التي طالما تغنى بها الشعراء حافظ (٥٨) .

بعد هذا الوصف الطويل لابد ان القاري يرى انقائمة الطويلة التي تحتوي على كل ما ذ وطاب في البصرة (٥٩) . بل اضيف الى كل ذلك اني وجدت خمر بوركونية الشهير (٥١) وقد وصل اليها من ساحل البحر الابيض المتوسط بعد ان قطع الفياضي على ظهور البعران . لكن هذا الصنف العزيز لا يتمتع به سوى المقيم البريطاني .

تجارة البصرة

ازدهرت التجارة في البصرة كثيراً على ايام الخلفاء . فقد اصبحت مستودع البضائع التي كانت تاتي اليها من الهند عن طريق الخليج . ثم تنتقل منها بواسطة الجمال الى البحر الابيض المتوسط . او الى بلاد العرب ، والى اقصى المناطق في ايران .

ثم كان اكتشاف راس الرجاء الصالح بمثابة ضربة قاصمة على تجارة البصرة خاصة في علاقاتها التجارية مع اوروبا . ومن الاسباب التي ادت الى انحطاط تجارتها معاملة الانراك الشرسة وجبلهم طرق تعاطي الامور التجارية . كل ذلك ادى الى اضعاف العلاقات مع آسيا . وتكاد التجارة تكون

(٥٨) حافظ الشيرازي (شمس الدين بن محمد) شاعر ايراني مشهور (١٢٢٠-١٢٨٩ م) .

(٥٩) يذكر صاحبنا من ذكر الطعام والشراب في رحلته ، ولو اننا لم نترجم دائماً تلك الفقرات لقلة قيمتها . والظاهر انه كان نهماً اكولاً .

(٥٦) افليم في شرق فرنسا ، اشتهر بصنع الخمور الجيدة .

القباب البصرية

فالقبائل البدوية الضاربة في اعماق الصحراء تذكرنا بما كان يروي عن الابطاء الاقدمين . فهم يعيشون ضمن تجمعات عائلية ، ويتنقلون من منطقة الى اخرى سعياً وراء الماء والكلا لاجل مواشيهم . هؤلاء يعيشون الحرية وهم لذلك يفضلون العيش في البداه التي لاتحدها حدود فيتوجهون حشماً بطيب لهم دون التقيد بمسكن دائم . . .

اما في المناطق القريبة من المدن الكبرى ، حيث نتجاوب الارض مع الحاجة الزراعية ، كما في سهل سوريا ، فان اعراب تلك المنطقة يتحلون بالطبيعة والمسالمة ، وينزلون الى اسواق المدن القريبة لبيعوا منتجات مواشيهم الفائضة عن حاجتهم كالحليب والسمن ، واثمار اراضيهم . وهذه الطبقة نافعة للخير العام ولهذا فان الآخرين ، اي سكان المدن يشجعونهم ويحافظون عليهم .

اما الصحراء الممتدة بين حلب والبصرة فهي ارض قاحلة جداً . لا يستطيع العربي استثمارها في شيء من اجل معيشتة ، فهو يلتجئ الى عمل اي شيء آخر ليعيش مهما كان نوع هذا العمل ، المهم انه يحاول . ومن الاعمال التي يتعاطاها انه يسير كدليل للقوافل التي تقطع الصحراء لقاء مبلغ يتم الاتفاق عليه . وهو امين في وعده متى وعد لا يخلف ابداً . وباستطاعة التجار ان يسيروا في حمايته بدون خوف .

ولكن عندما توسعت التجارة . اخذت القبائل تنافس في هذا المجال . فخلق هذا التنافس عداوة بينهما وكان له اثره السيء على التجار ايضاً . بيدان هذه العداوات الداخلية اخذت بالتقلص بعد ان توصل العرب الى اتفاق داخلي . وهو انهم عينوا ممثلاً عنهم في حلب يجذب التجار ويجمعهم ويعد لهم للسفر ويزودهم بوثائق مرور وياخذ منهم اجراً يوزع على كافة الشيوخ الذين تدير القوافل ضمن اراضيهم .

وقد اشتهر في هذا العمل اهالي الزبير . والزبير كما نوهنا سابقاً بلدة صغيرة مسورة ، تبعد عن البصرة ثمانية اميال . ويتصف اعراب هذه المنطقة بانهم يتمسكون بالعمل من اجل نفع الذين يدفعون لهم . وهم يخضعون لشيخ المنتفق المسيطر على ضواحي البصرة . وهو بالطبع يستفيد من كل البضائع التي تمر في منطقته .

اما العرب الذين يسكنون على ضفاف النهرين : دجلة والفرات فتتلخص طباعهم في امرين : القسوة وانتهاز الفرص اذا ما واثنتهم لسرقة

نظراً لافتقار اهل البصرة الى الاخشاب ، فانهم عندما يريدون بناء فبة او اقامة قوس ، يصممون القوس بصفين متساويين على الارض . ويضعون الاجر الى بعض ويستعملون الملاط ، ثم يرفعون الصفين الى المحل المقرر لوضعهما ويثبتون في نقطة التقائهما قطعة كبيرة وسطية تكمل العمل وتقويه . وهذه الطريقة في العمل جيدة ، فالاقواس التي تبنى على هذه الطريقة تتحمل ثقلاً كبيراً .

انطباعات عامة عن العرب

ان فترة مكوثي في البصرة اتاحت لي الفرصة وانوقت المقتضى لاثم ملاحظاتي عن طباع العرب وعاداتهم واخلافهم . ولعل السياح الذين حلوا في هذه المدينة مدة اطول مني استطاعوا التعرف عليهم احسن مني . مهما يكن من امر فلا باس بان ابين رأيي في حقهم بكل سراحة وسلامة نية . واذا اكتب هذه الملاحظات ، فان روحي لاتزال متأثرة بالانطباعات التي اخذتها عن هذه الامة العجيبة .

يتفق الجميع على القول بان العرب يتحلون في قبائلهم بصفات اجتماعية عالية ، ومن هذه الصفات : الالتزام بالمهود التي يقطعونها على انفسهم . والاعتزاز باكرام لاحد له للضيوف الذين يقصدهم ليتقاسموا وايامهم الحياة البسيطة . وحماية الغرباء الذين يسمون اليهم .

ان مختلف الاقوام في ارجاء المعمورة كافة ، لها عادات توارثتها منذ اقدم العصور . وهذه العادات تخضع لمؤثرات عديدة تتكون من عوامل مختلفة كالمناخ والارض وحالة الاستقرار في البلاد التي يسكنون فيها . هذه العوامل لها اثرها في العرب ايضاً . وانطلاقاً من هذه الفكرة يمكننا ان نقسم العرب الى طبقات مختلفة ، طبقاً لاختلاف اماكن وجودهم . فهناك :

- ١ - عرب الصحراء (البدو)
- ٢ - العرب الذين يزرعون الارض على ضفاف الانهر الكبيرة .
- ٣ - العرب الذين يعيشون في المدن (الحضر) .
- ٤ - قطاع الطرق المتشردون (*) .

(*) وكان هؤلاء معقد الاستهجان ، والعرب براء منهم وسوف نجد رحلتنا عند حديثه عنهم في صفحة قادمة يؤكد ما ذهبت اليه .

الغرباء . فلا تنجح فيهم إلا القوة . . . ويرجع سبب اختلافهم عن البدو الى وجودهم في مساكن ثابتة جعلهم يخضعون لنير الحكم التركي الثقيل ، فانقبسوا من الاتراك عادات سيئة وتطبعوا بطباع لا يقبلها البدوي .

يعمل افراد هذه الطبقة في زراعة النخيل وتربية المواشي ويفلحون الارض ويهتمون بزراعة الشعير . وتنتشر قراهم على ضفاف الفرات ، متناثرة بين غابات النخيل وتمتد الاراضي التي يعتنون بزراعتها على مدى نحو ميل من الشاطئ لا اكثر ، تليها الصحراء الجرداء .

الطبقة الثالثة هي سكان المدن ويتصفون بالاعتداد والاعتقاد بالخرافات والتظاهر بالتقوى وعدم الثقة بالغرباء . ان هذه الملاحظة تعتمد على رأي « مونتسكيو » (٥٨) القائل بانه على قدر ما يتكاثر افراد المجتمع بقدر ذلك تنتشر بينهم صفات الشر . . .

اما الطبقة الرابعة فهي مكونة من قطاع الطرق المتشردين . وهذه الجماعة تشجها القبائل الاخرى . ولحسن الحظ فان عدد هؤلاء قليل .

اعراب الصحراء هم خير الأزواج ونعم الاءاء . وهم ضمن قبائلهم امناء نحو نظامها يعشقون الحرية ويتمكون بوعودهم بامانة تكاد تكون دينية . فاذا انفصلوا عن قبائلهم تغيرت اخلاقهم ومالوا عندئذ الى الشر . . . ان الطبيعة وهبتهم حب الحرية وهم لهذا يرفضون الخضوع للظلم .

يتصف العربي بقناعة مدهشة ، وتقتصر حاجياته على اشياء قليلة - فلباسه بسيط ، ويسير في الصيف شبه عار ، بينما يتدثر في الشتاء باللبسة مصنوعة من الصوف او الوبر . اما الرؤساء فيطلبون القماش الجيد والكوفية القطنية او الحريرية والخفاف التركية الملونة ، خاصة عندما يكونون في سن الشباب . ويعتنون اعتناء كبيرا باقتناء السلاح وهم يفضلون المسدسات الاوروبية والسيوف الدمشقية والبنادق الحلية التي تشعل بالفتائل .

لا يقرب العربي المشروبات الروحية ابداً . وطعامه بسيط اكثره من الشعير . ويكثر من اكل التمر واللبن . . . ويقل من تناول اللحوم ، اذ هم

(٥٨) Montesquieu مفكر فرنسي (١٦٨٩ - ١٧٥٥) له مؤلفات عديدة كان لها تاثير في رجال الثورة الفرنسية .

لا يدبحون الغنم الا نادراً . وهم صيادون مهرة ولذلك ياكلون لحم طرائدهم كالارانب . . . يتناولون القهوة عدة مرات في اليوم ، ويدخنون الغلايين التركية . . . وتنحصر ملذاتهم في هذه الاشياء البسيطة .

لهم قطعان كبيرة من مختلف المواشي . يبيعون جيادهم في اسواق المدن الكبرى كالبصرة وبغداد وحلب ودمشق . ويحافظون على الانفراس لتكثير النسل . ويربون جنساً من الحمير قوي الجسم يتحمل العيش في الصحراء ويستعملونه لحمل الملح الى المدن الداخلية . لكن احسن حيواناتهم هي دون شك الجمال فهي حيوانات الصحراء الاصلية .

ينتشر الحجل بكثرة في اطراف حلب . . . وقد يظهر في الصحراء ولكن ليس في فصل الصيف ، ويجتمع بالقرب من الينابيع والعيون . . . كما يوجد الحذف والبطل الصحراوي وانواع الطيور الاخرى التي تنتقل في مجموعات .

اما الحيوانات المفترسة فهي قليلة في تلك الانحاء ؛ فهناك عدد من السباع على ضفاف الفرات ، كما توجد الضباع ، وقد ترى في الصحراء ايضاً بنات اوى وعدداً من الارانب واليرابيع .

مفادرة العراق

في الرابع والعشرين من شهر كانون الثاني [١٧٩٠] ركبنا البحر على متن سفينة من اسطول الشركة اسمها « انثريد » وكانت مسلحة باربعة عشر مدفعاً ، وتحت قيادة القبطان جرفيس ، لنسافر الى الهند .

مررنا صباح اليوم التالي مواجهين البصرة القديمة فراينا آثارها ماثلة على بعد نصف فرسخ من النهر على الضفة المجاورة للاراضي الايرانية ، وقيل لنا عن هذه المدينة انها كانت عظمة الشأن واسعة الارعاء في سالف الزمن .

نصائح عملية للرحالين (٥٩)

من السهل ان تجد في البصرة رجالا يقومون على خدمتك ويراقدونك في الرحلة ، يتكلمون التركية والعربية وقليلاً من البرتغالية كما يلفظها اهل الهند ، وبعضهم يتكلم اللغات الافرنجية (٦٠) المنتشرة

(٥٩) تركنا مالا شأن لنا به من الرحلة وايضا على نهايتها نترجم المفيد منها .

(٦٠) قال في مواضع اخرى من الرحلة انه يعني باللغات الافرنجية : الفرنسية والابطالية .

في حوض البحر الابيض المتوسط . وان وجود مثل هؤلاء اصدقاء مفيد جدا في السفر ، ويرافقك الدليل اذا دفعت له مبلغا زهيدا لا يتعدى ستين روبية (٦١) نرحله كلها .

اذا اراد السائح السفر من البصرة الى بغداد بطريق النهر ، فعليه ان يختار شهر كانون الثاني اذ يكون نهر دجلة ، والفرات ايضا في انحدار هادي ، لان مياههما تتكون في ذلك الوقت من ذوبان الثلوج وليس من سقوط الامطار . ويكون المناخ طيباً في ذلك الموسم . وباستطاعة الاوروبي الذي لم يتعود على المناخ الحار جداً ان يتحملة .

ويستغرق السفر من البصرة الى بغداد بالنهر خمسة عشر يوما . وتتم السفرة بواسطة سفن شراعية ، فاذا هب الريح تنشر الاشرعة والا فانهم يضطرون الى استعمال المجاديف .

ان اول ما يصادف المسافر بعد مغادرته البصرة بطريق النهر هو « القرنه » حيث يلتقي النهران : دجلة والفرات . وتقع القرنه على بعد اربعين ميلا شمال البصرة . وللحكومة في تلك المنطقة اسطول من السفن تصنعه هناك للمحافظة على الارض والتجارة النهرية . ولهذه المدينة ثلاثة حصون : اولها مقام على ارض بارزة في النهر ، والثاني مواجه لارض كندية والاخير يقع باتجاه بلاد العرب (٦٢) . ويستغرق السفر من البصرة الى القرنه ١٢ الى ١٤ ساعة .

ويمر المسافر بعد القرنه بالاماكن التالية :

الجزائر (٦٣) (Gazar)

مزار (٦٤) (Mazar)

المنصورية (٦٥) (Mansoury) وهي بلدة كبيرة

..... (Satarat) ولها قلعة مبنية بالاجر

العمارة (Anarat) ولها قلعة مماثلة

بغداد (Bagdad) وهي مقر الوالي .

(٦١) نقد هندي من فضة .

(٦٢) الاعطلي : تاريخ البصرة ص ١٢١ في الحاشية

(٦٣) هي الجزائر المتكونة من سواعد شط العرب وتشتمل على فرى عديدة .

(٦٤) لعله يشير الى مزار العزيز المعروف .

(٦٥) ان الاسم يشير الى « الشطرة » ولكنها ليست على دجلة وبعيدة كل البعد عن العمارة .

ومن الاماكن الجديرة بالزيارة ، بقايا طيسفون التي تسمى اليوم « كسرى » (٦٦) فمن المتعة للسائح ان يزورها ، وهي بعيدة نسبيا عن بغداد . . . ان اسوارها تدل على عظمتها السابقة وهي مشيدة باجر مغخور بالنار هائل الحجم . حجم كل قطعة نحو عشرة اقدام مربعة وسمكها ثلاثة اقدام . اما عرض الجدران فكبير جدا بحيث يمكن ان تمر ست عربات عليها . ان مقارنة ابنية كهذه بما يشيد اليوم يجعلنا نندهش الى اقصى حد من الاقدمين كيف استطاعوا انجاز معجزات كهذه .

اني انصح المسافرين ان يتعنوا بكميات من خبز البصرة ، فهو اجود انواع الخبز في البلاد .

باستطاعة المسافر ان يذهب من بغداد الى كركوك Karkuk, Thourkat مستغرقا ثمانية ايام ، ومن هناك يكمل الطريق الى الموصل في اربعة ايام . ولكركوك موقع حصين . وعلى المسافر - كما ارى - ان يقضي فيها يومين ليتزود بالزاد الضروري لاربعة ايام وهي المدة التي يستغرقها السفر الى الموصل .

كلمة عن النقود

على المسافر ان يتزود كذلك بمقدار من نقود البندقية المسماة « الزكين البندقي » (٦٧) فهذه العملة مرغوبة في الشرق ولها سوق رائجة .

ليس للنقد بصورة عامة قيمة ثابتة في اي مكان . اذ انه يخضع لاسعار السوق ولنظام التبادل التجاري . فعلى سبيل المثال : ان « زر محبوب » (٦٨)

(٦٦) هكذا في الاصل اذ لم يذكر طاق كسرى ، او ابوان كسرى . وفي الخريطة المنشورة مع الرحلة كتب « ابار كسرى » .

(٦٧) الزكين او الزكيتو نقد من الذهب اصله من البندقية من اعمال ايطالية ، انتشر في الشرق . ويرجع ان اصل اسمه من كلمة « سكة » العربية .

(٦٨) اصل هذا النقد من اسطنبول . اما التسمية بهذه الصورة فقد انتشرت اولاً في مصر ومعنى الذهب محبوب . انظر : المزوي : تاريخ النقود العراقية (بغداد - ١٩٥٨) ص ١٢٧ اما البندقي المذكور اعلاه فهو على الأرجح « الفندقي » والنسبة الى مدينة البندقية ايضا ، لكن يختلف عن النقد المذكور في هامش سابق اي الزكين . انظر : الكرمل : النقود العربية وعلم النميات (القاهرة ١٩٢٩) كلمة « فندقي » .

zurnachbub الاسطبولي وزن ١٢ قيراطاً
« والبندقي fundulki وزن ١٧ قيراطاً
ونصف ويزيد خمسة قروش .

اما العملة الاكثر انتشاراً في الشرق فهي
« القرش » وتختلف قيمته من عشرين « بنساً » الى
« شلن » انكليزيين . ويمكن التعامل بالقرش على
طول الفرات ودجلة .

القرش الواحد يساوي ٦ محمودي (٦٦)
الروبية الهندية تستعمل ايضاً وتساوي ٥
محمودي ونصف

الزككن البندقي يساوي ٢١ محمودية ونصف
محمودية

اربع محموديات ونصف تساوي زولطة
واحدة (٧٠)

وعلى المسافرين ان يميز بين نوعين من القرش .
اولهما يقال له « القرش الرائج » piastre courante
والثاني اسمه « القرش الخاص » piastre en espee
فعليه ان يهتم في معاملاته ان لا يكتب
الواحد عوضاً عن الآخر ، او يتعامل بالواحد ويدفع
بالآخر . والقرش الخاص يسمى عند الاتراك « قرش

(٦٩) وهو نقد صغير من الفضة ويختلف عن « المحمودية » فهي
من الذهب

(٧٠) زولطة او زولته واحياناً زولاطا وازلوط نقد يرجع اصل
تسميته الى العنقلية ، انتشر في سوريا اكثر من العراق ،
اختلفت قيمته مع الزمن . انظر : الكرمل : المرجع نفسه ،
ص ١٧٥ - ١٨٠ ، الغزاوي : المرجع نفسه : ص ١٤٨

رومي « (٧١) او العملة الجديدة ، ويقال لها بالايطالية
« العملة الجيدة » ايضاً moneta buona واذكر
التعبير الايطالي ، نظراً لتأثير هذه اللغة واهميتها في
عالم النقود . اما القرش الرائج فيطلق عليه
بالايطالية moneta corrente

القرش الرومي اعلى من القرش الرائج بنسبة
٦ الى ١٠ بالمة . فاذا لم يذكر صراحة في المعاملة او
الاتفاقية نوع القرش فاعتقد بأنه سيدفع له بالقرش
الرائج وهذا ماحدث لرحالين عديدين .

نموذج من الاسعار السائدة في ذاك الزمن :

- ثمن الزي التركي ١٢ لويز (٧٢)
- اجور حراس ملحجين عدد ٤٠ ٤٠٠ لويز
- ثمن اتمعة للطريق ٤٠ لويز
- هدية للشيخ ونفقات في البصرة ٢٠ لويز
- اجور السفر من البصرة الى الملبار في الهند ٦٦ لويز

انتهى

القسم الخاص بالعراق من رحلة تايلر

(٧١) القرش الرائج يسمى المحمودي (الغزاوي ، المرجع نفسه
ص ١٤٧) والقرش الرومي هو القرش الشامي ويقال له
ايضاً « قرش عين » (الغزاوي : ص ١٥١ ، الكرمل :
ص ١٧٧ و ١٨١) .

(٧٢) اللويز نقد قديم من الذهب سمي باسم لويس الثالث عشر
ملك فرنسا .

الجاحظ والفصاحة

بقلم الدكتور

أحمد مطلوب

كلية الآداب - جامعة بغداد

الفصاحة :

كانت الفصاحة من أهم ما عني به العرب منذ القديم ، لأنها عنوان القدرة على الكلام والقاء الخطب وأنشاد الشعر . والفصاحة هي الوضوح والبيان ، قال ابن منظور : « الفصاحة : البيان . فصح الرجل فصاحة فهو فصيح من قوم فصحاء . وفصاح وفصح ، وامرأة فصيحة من نسوة فصاح وفصائح . رجل فصيح وكلام فصيح : أي بليغ . لسان فصيح : أي طلق وفصح الأعجمي فصاحة : تكلم بالعربية وفهم عنه ، وقيل : وجادت لفته حتى لا يلحن . أفصح كلامه أفصاحا وأفصح : تكلم بالفصاحة ، وكذلك الصبي يقال : أفصح الصبي في منطقته أفصاحا إذا فهمت ما يقول في أول ما يتكلم . أفصح الأغتم : إذا فهمت كلامه بعد غتمته (١) . أفصح عن الشيء أفصاحا : إذا بينه وكشفه . فصح الرجل وفصح : إذا كان عربي اللسان فازداد فصاحة . وقيل : تفصح في كلامه وتفصح : تكلف الفصاحة . يقال : ما كان فصيحاً ولقد فصح فصاحة ، وهو البين في اللسان والبلاغة .

التفصح : استعمال الفصاحة ، وقيل : التشبه بالفصحاء ، وقيل : جميع الحيوان ضربان : أعجم وفصيح ، فالفصيح : كل ناطق ، والأعجم : كل ما لا ينطق . الفصيح في اللغة : المنطلق اللسان في القول ، الذي يعرف جيد الكلام من رديئه (٢) .

ويتضح من هذا القول ان الفصاحة بيان التعبير ووضوحه وانها تخص الكلام والتكلم ، ففصاحة الكلام ان يكون واضحاً بليفاً ، وفصاحة التكلم ان يكون منطلق اللسان في القول ، عارفاً جيد الكلام من رديئه . ولو مضينا نبحث عن لفظة « الفصاحة » لرأيناها في كلام العرب كقول نضلة السلمي :

راؤه فازدزؤه وهو خرق
وينفع أهله الرجل القبيح
فلم يخشوا منصاته عليهم
وتحت الرغبة اللبن الفصيح (٣)

وفي القرآن الكريم كقوله تعالى حكاية عن نبيه موسى - عليه السلام - :

« وأخي هرون هو أفصح مني لساناً » (٤) . وفي الحديث النبوي الشريف كقوله - صلى الله عليه - وسلم - : « أنا أفصح العرب بيداني من قریش » ، وقوله : « غفر له بعدد كل فصيح وأعجم » (٥) . ولا يخرج ما في كتاب الله وكلام الرسول الكريم عن المعنى الذي ذكرته المعاجم لكلمة « الفصاحة » وهو الظهور والبيان وانطلاق اللسان ، وحينما دخلت هذه اللفظة الدراسات البلاغية ارتبطت بلفظة البلاغة وصارت صنوها ، وأصبح رجال البلاغة الأوائل لا يفرقون بينهما بل لم يروا بأساً في أن يستعملوا أحدهما مكان الأخرى .

(٣) الخرق : اللطيف في سباحة ونجدة . المصالة : ما قلر من الجرة أو الغاية .

(٤) القصص ٢١ .

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر ج ٢ ص ٤٥ .

(١) القنمة : المعجمة في المنطق ، والأغتم : من لا يفصح في كلامه .

(٢) لسان العرب (فصح) .

وكان أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ من أوائل الذين اهتموا بدراسة الفصاحة . وفي كتابيه « البيان والتبيين » و « الحيوان » وغيرهما كثير من الاشارات الى فصاحة المتكلم وفصاحة الكلام ، وهي اشارات كان لها اثر عظيم في الدراسات البلاغية وتقسيم الفصاحة الى نوعيها .

فصاحة المتكلم :

حدد القدماء فصاحة المتكلم بان يكون منطلق اللسان في القول ، عارفاً جيد الكلام من رديئه ، وان لا يكون في لسانه عيب يمنع من الطلاقة واخراج الحروف من مخارجها بصورة صحيحة . وقد عالج الجاحظ هذه المسألة في كثير من فصول كتابيه « البيان والتبيين » وتعرض لها عند كلامه على الخطابة وما ينبغي ان يتصف به الخطيب . وهدفه من ذلك ان يعطي صورة وضاءة للخطباء العرب وهو يرد على الشموبيين الحاقدين .

عرف الجاحظ الفصيح والاعجم بقوله : « الفصيح : هو الانسان ، والاعجم : كل ذي صوت لا يفهم ارادته الا ما كان من جنسه » . (١) فالعربي فصيح ان ادى الكلام اداءً حسناً وافهم الآخرين ، وكان نطقه للحروف سليماً واخراجه للكلمات سلساً ، وكان بعيداً عما عرف في بعض قبائل العرب من كشكشة وغمغمة . وقد قال معاوية بن ابي سفيان يوماً : « من افصح الناس ؟ فقال قائل : قوم ارتفعوا عن لخلخانية الفرات ، وتيامنوا عن عننة تميم ، وتياسروا عن كسكة بكر ، وليست لهم غمغمة فضاة ولا طمطمانية حمير . قال من هم ؟ قال : قريش » . (٢) فقريش من افصح قبائل العرب ، وهي التي نزل عليها كتاب الله اول منازل فأصبح بيانه والفاظه المثل الاعلى لكل فصيح بليغ ، واصبح اهل الامصار يفخرون بلفتهم التي تقرب من لغة القرآن ولا تخرج على ما جاء فيه من عذب الالفاظ . فقد قال اهل مكة لمحمد بن منذر الشاعر : « ليست لكم معاشر اهل البصرة لغة فصيحة ، انما الفصاحة لنا اهل مكة . فقال ابن المنذر : اما الفاظنا فاحكى الالفاظ للقرآن واكثرها له موافقة فضعوا القرآن بمقد هذا حيث شئتم » (٣) .

لقد ذهب الجاحظ الى ان الفصيح من عبر عن

نفسه بوضوح وابان عن قصده بجلاء ، وينطبق ذلك على أية لغة مادام المتكلم ينطق بحروفها نطقاً سليماً ، ويتكلم بها بطلاقة ووضوح . ان الانسان فصيح « وان عبر عن نفسه بالفارسية او بالهندية او بالرومية وليس العربي اسوا فهما لطمطمة الرومي من الرومي لبيان لسان العربي ، فكل انسان من هذا الوجه يقال له فصيح » (٤) . وهذا ادراك واسع لحقيقة الفصاحة التي لاتخص لغة من اللغات او امة من الامم بل هي مقسومة عليهم ، والفصيح فيهم من عبر عن نفسه بلسان سليم .

وقد تجتمع فصاحة لفتين او اكثر في واحد ، ومن ذكرهم الجاحظ وكان من اعاجيب الدنيا موسى بن سيار الاسواري الذي « كانت فصاحته بالفارسية في وزن فصاحته بالعربية ، وكان يجلس في مجلته المشهور به فتقعد العرب عن يمينه والفرس عن يساره فيقرأ الآية من كتاب الله ويفسرهما للعرب بالعربية ثم يحول وجهه الى الفرس فيفسرها لهم بالفارسية ، فلا يدري بأي لسان هو ابين . واللغتان اذا التقتا في اللسان الواحد ادخل كل واحدة منهما الضيم على صاحبتهما » (٥) ، الا ما ذكرنا من لسان موسى بن سيار الاسواري « (٦) » .

لقد اولى الجاحظ الفصاحة عناية كبيرة لاهميتها في المناظرة والخطابة وانشاد الشعر ، وقال : « كلما كان اللسان ابين كان احمد ، كما انه كلما كان القلب اشد استبانة كان احمد » (٧) . وذكر سؤال موسى - عليه السلام - لربه ان يحل عقدة من لسانه ليفقهوا قوله ، وان يكون اخوه هرون رداً بصدقه ، لانه افصح لساناً . ولم يكن ذلك الا « رغبة منه في غاية الافصاح بالحجة والمبالغة في وضوح الدلالة لتكون الاعناق اليه اميل ، والعقول عنه افهم ، والنفوس اليه اسرع ، وان كان قد يأتي من وراء الحاجة ويبلغ افهامهم على بعض المشقة » (٨) .

فصاحة المتكلم مهمة في التعبير وازفاء الروعة على المعاني واكسابها القوة في التأثير . وكان العرب يأنسون بالحديث الجميل والكلام العذب ويعدون جانباً من القرى ، وقد قالوا : « من تمام الضيافة الطلاقة عند اول وهلة ، واطالة الحديث عند المواكلة » (٩) ، وقال عروة بن الورد :

(٩) الحيوان ج ١ ص ٢٢ .

(١٠) عالج الجاحظ هذه المسألة في الحيوان ج ١ ص ٧٦ .

(١١) البيان ج ١ ص ٣٦٨ .

(١٢) البيان ج ١ ص ١١ .

(١٣) البيان ج ١ ص ٧ .

(١٤) البيان ج ١ ص ١٠ .

(٦) الحيوان ج ١ ص ٢٢ .

(٧) البيان والتبيين ج ٢ ص ٢١٢ .

(٨) البيان ج ١ ص ١٨-١٩ .

سلي الجائع الغرثان يا ام منذر
اذا ما اتاني بين ناري ومجزري
هل ابسط وجهي انه اول القرى
وابذل معروفني له دون منكسري

وكان اعطاء الحروف حقها من الفصاحة اول ما يسمى اليه الفصحاء ؛ ولذلك كانوا يتمرنون على النطق السليم والالقاء الحسن ليكونوا اشد تأثيراً حينما يتحدثون او يخطبون او يجادلون . وكانوا يتحاشون الحروف التي لا يحسنون نطقها ؛ ويتعمدون عن الالفاظ التي لا ينطق بها اللسان . وكان واصل ابن عطاء المعتزلي من احرص الناس على ان يكون كلامه فصيحاً ؛ لانه كان داعية مقالة « ورئيسي نحلة » ولما علم انه الشخ فاشترى اللثخ وان مخرج ذلك منه شنيع ؛ رام اسقاط (الراء) من كلامه واخراجها من حروف منطقته ؛ فلم يزل يكابد ذلك ويفالجه حتى انتظم له ما حاول . ومن طريف ما رواه الجاحظ عنه ان بشاراً حينما هجاه بقوله :

مالي اشابع غزالا له عنق
كنفق الدو ان ولي وان مثلاً
عنق الزرافة ما بالي وبالكم
اتكفرون رجالا اكفروا رجلاً (١٥)

قال : « اما لهذا الاعمى الملحد المشنف المكنى بأبي معاذ من يقتله ؛ اما والله لولا ان الفينة سجية من سجايا الغالية لبعث الله من يبيع بطنه على مضجعه ويقتله في جوف منزله وفي يوم حقله ، ثم كان لا يتولى ذلك منه الا عقيلي او سدوسي » (١٦) .

لقد تجنب واصل الراء في كلامه وهو كثير الدوران في اللغة العربية ؛ فهو حين لم يستطع ان يقول : بشار وابن برد والمرعث جمل المكنى بأبي معاذ بدلا من بشار ، والمشنف بدلا من المرعث ، والملحد بدلا من الكافر . وقال : « لولا ان الفيلة سجية من الغالية » ولم يذكر المنصورية ولا المفيرية (١٧) لمكان الراء . وقال : « على مضجعه » ولم يقل : على فراشه .

وكان اذا اراد ان يقول « البر » قال : القمح او الحنطة ، والحنطة لغة كوفية والقمح لغة شامية ، هذا وهو يعلم ان لغة من قال « بر » افصح من لغة

من قال : قمح او حنطة . ولقدرته على اجتناب الراء قال الشاعر :

وبجعل البر قمحا في تصرفه
وجانب الراء حتى احتال للشعر
ولم يطق مطرا والقول يجعله
فعاذ بالفيث اشفاقا من المطر

وقال قطرب النحوي فيما نقله الجاحظ عنه : « سالت عثمان البري : كيف كان واصل يصنع في العدد ، وكيف كان يصنع بعشرة وعشرين واربعين ؟ وكيف كان يصنع بالمحرم وصفر وربيع الاول وربيع الآخر وجمادى الآخرة ورجب ؟ فقال : مالي فيه قول الا ما قال صفوان :

ملقن ملهم فيما يحاوله
جم خواطره جواب آفاق (١٨)

وفد ذكر الجاحظ ذلك ليؤكد اهمية الفصاحة وانرها في الحديث ؛ ولكي يجلوها خاض في مسائل كثيرة كالاصوات والاسنان واللسان وعيوبه والعي والحصر واللحن وافتران الحروف وتناثر الالفاظ وغرايتها وجمالها وتنوعها وتطورها . ولكنه على طريقته في البحث والتأليف نثر هذه المسائل في كتبه نثراً ؛ ولكن جمع الاشباه والنظائر وضما يعطي سورة عن جهود الجاحظ في الفصاحة .

الاصوات :

الاصوات ظاهرة طبيعية تنشأ عن اهتزاز الاجسام ؛ والصوت الانساني ينشأ من ذبذبات مصدرها الحنجرة التي تضم الوترين الصوتيين ، واهتزازات هذين الوترين تنطلق من الفم او الانف وتنقل خلال الهواء الخارجي . واعضاء النطق هي القصب الهوائية والحنجرة والحلق واللسان والحنك الاعلى والفراغ الاعلى والشفان ، ولكل عضو وظيفة خاصة في اخراج الصوت وتحديد مخارج الحروف .

وقد تحدث الجاحظ عن الصوت ، وهو « آلة الملفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع وبه يوجد التأليف . ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منشوراً الا بظهور الصوت ، ولا تكون الحروف كلاماً الا بالتقطيع والتأليف (١٩) .

وللصوت تأثير عجيب في النفوس « فمن ذلك ان منه ما يقتل كصوت الصاعقة ؛ ومنها ما يسر

(١٥) النفق : ذكر النعام . الدو : الغلاة . وبشير بشار في البيت الثاني الى طول عنق واصل .

(١٦) البيان ج ١ ص ١٦ .

(١٧) المنصورية والمفيرية : من الفرق الغالية .

(١٨) البيان ج ١ ص ٢٢ .

(١٩) البيان ج ١ ص ٧٩ .

النفوس حتى يفرط عليها السرور فتتعلق حتى ترقص وحتى ربما رمى الرجل بنفسه من حائق ، وذلك مثل هذه الأغاني المطربة . ومن ذلك ما يكمد ، ومن ذلك ما يزيل الحمل حتى ينشئ على صاحبه كنحو هذه الاصوات الشجية والقراءات الملحنة . وليس يعترهم ذلك من قبل المعاني ، لانهم في كثير من ذلك لا يفهمون كلامهم ، وقد يكى ماسر جويه (٢٠) من قراءة أبي الخوخ فقبل له : كيف بكيت من كتاب الله ولا تصدق به ؟ قال : انما ايكاني الشجا . وبلاصوات بنوتمون الصبيان والاطفال (٢١) .

وللدربة اثر في اخراج الحروف وان كان الاعجمي غير قادر على نطق جميع الحروف العربية الا بعد النصب . ويظهر ذلك منه من غير تأمل طويل او ملاحظة دقيقة فقد « يتكلم المغلاق (٢٢) الذي نشأ في سواد الكوفة بالعربية المعروفة ويكون لفظه متميزاً فآخرأ ومعناه شريفاً كريماً ، ويعلم مع ذلك السامع لكلامه ومخارج حروفه انه نبطي . وكذلك اذا تكلم الخراساني على هذه الصفة ، فانك تعلم مع اعرابه وتخبر الفاظه في مخرج كلامه انه خراساني ، وكذلك ان كان من كتاب الاهواز (٢٣) .

ومع هذا انا نجد الحاكية من الناس يحكي الفاظ سكان اليمن مع مخارج كلامهم لا يفادر من ذلك شيئاً ، وكذلك تكون حكايته للخراساني والاهوازي والزنجي والسندي والاحباش وغير ذلك .

نعم حتى تجده كانه اطبع منهم ، فاذا ما حكي كلام الفأفأ فكانما قد جمعت كل طرفة في كل فافأ في الارض في لسان واحد ، وتجده يحكي الاعمى بصور ينشئها لوجهه وعينيه وأعضائه لا تكاد تجد من الف اعمى واحداً يجمع ذلك كله فكانه قد جمع جميع طرف حركات العميان في اعمى واحد (٢٤) .

وكان بعضهم يقلد اصوات الحيوانات ويربي عليها في التقليد ، ومن طريف ما ذكره الجاحظ ان ابا دبوبة الزنجي مولى آل زياد كان « يقف بباب الكرخ بحضرة المكارين فينهيق فلا يبقى حمار مريض ولا هرم

حسير ولا متمب بهير الا نهق . وقبل ذلك تسمع نهيق الحمار على الحقيقة فلا تنبعث لذلك ولا يتحرك منها منحرك حتى كان ابو دبوبة يحركه . وقد كان جمع جميع الصور التي تجمع نهيق الحمار فجعلها في نهيق واحد ، وكذلك كان في نباح الكلاب (٢٥) .

وقد يصعب تغيير النطق اذا تمكن في اللسان وانتبه الى ذلك الجاحظ فقال : « الا ترى ان السندي اذا جلب كبيراً فانه لا يستطيع الا ان يجعل الجيم زايا ولو اقام في علياتميم وفي سفلى قيس وبين عجز هوازن خمسين عاماً . وكذلك النبطي القح وهو خلاف المغلاق الذي نشأ في بلاد النبط ، لان النبطي القح يجعل الزاي سينا فاذا اراد ان يقول : « زورق » قال : سورق ، ويجعل العين همزة فاذا اراد ان يقول « مشعمل » قال : « مشمل » .

والنخاس يمتحن لسان الجارية اذا ظن انها رومية واهلها يزعمون انها مولدة بان تقول : « ناعمة » وتقول « شمس » ثلاث مرات متواليات (٢٥) .

وربط الجاحظ بين كثرة مخارج الحروف وكثرة ما يحتاج اليه الانسان او الحيوان من اصوات تعبر عن حاجاته ، قال : « وتزعم الهند ان سبب ماله كثر كلام الناس واختلفت صور الفاظهم ومخارج كلامهم ومقادير اصواتهم في اللين والشد ، وفي المد والقطع ، كثرة حاجاتهم ، وكثرة حاجاتهم كثرت خواطرهم وتصاريف الفاظهم ، وانسمت على قدر اتساع معرفتهم (٢٦) » . ولذلك كانت اصوات الحيوانات وصورها قليلة ، فالسنابير لا تعدد حوائجها خمسة اوجه ، : « منها صياحها اذا ضربت ولذلك صورة ، وصياحها اذا دعت اخواتها والافها ولذلك صورة ، وصياحها اذا دعت اولادها للطعم ولذلك صورة ، وصياحها اذا جاءت ولذلك صورة ، فلما قلّت وجوه المعرفة ووجوه الحاجات ، قلّت وجوه مخارج الاصوات . واصواتها تلك فيما بينها هو كلامها (٢٧) » .

وربط بين صعوبة اللغة واصواتها وقال : « واللغات انما تستند وتصر على المتكلم بها على قدر جهله باماكنها التي وضعت فيها ، وعلى قدر كثرة العدد وقلته ، وعلى قدر مخارجها وخفتها وسلسها وثقلها وتمقدها في انفسها ، كفرق ما بين الزنجي

(٢٠) ما سرجوبه : يهودي من اطباء البصرة ، واحد المترجمين من السريانية .

(٢١) الحيوان ج ١ ص ١٩٢ .

(٢٢) يقال استغلق عليه الكلام : اذا ارتج عليه فلم يجد وجهاً للتكلم .

(٢٣) كذا في الاصل والصحيح : الاهواز - بالحاء - لانها عربية . ومثل ذلك الاحوازي لا الاهوازي .

(٢٤) البيان ج ١ ص ٦٩ .

(٢٥) البيان ج ١ ص ٦٩-٧٠ .

(٢٥) البيان ج ١ ص ٧١-٧٠ .

(٢٦) الحيوان ج ٢ ص ٢٢-٢٣ .

(٢٧) الحيوان ج ١ ص ٢٢ . وملاحظ ان الجاحظ سماه من ذكر الصورة الخامسة .

والخوزي فان الرجل يتنخس في بيع الزنج وابتياهم شهراً واحداً فيتكلم بعامة كلامهم ، ويباع الخوز ويجاورهم زماناً فلا يتعلق منهم بظائل (٢٨) .

وتكلم الجاحظ على بعض اعضاء النطق كالاسنان واللسان وذكر بعض ما يتصل بها وتأثيرها في اخراج الحروف .

الاسنان :

وهي احد اقسام الحنك في اعضاء النطق او الجهاز الصوتي ، ولها اثر في اخراج الحروف وقد قال سهل بن هارون : « لو عرف الزنجي قرط حاجته الى ثناباه (٢٩) في اقامة الحروف وتكميل آلة البيان لما نزع ثناباه (٣٠) » . وكان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قد قال من قبل في سهيل بن عمرو الخطيب : « يا رسول الله انزع ثنيتيه السفليين حتى يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيباً ابداً (٣١) » ولذلك لم يتكلم معاوية بن أبي سفيان على منبر جماعة منذ سقطت ثناباه .

وليس شيء من الحروف ادخل في باب النقص والعجز من فم الاهتم (٣٢) من الفاء والسين اذا كانا في وسط الكلمة . ولا تخرج الضاد الا من الشدق الايمن الا ان يكون المتكلم اعسر يسرا مثل عمر بن الخطاب - رحمه الله - فانه كان يخرج الضاد من أي شدقيه شاء ، فأما الايمن والاعسر والاضبط (٣٣) فليس يمكنهم ذلك الا بالاستكراه الشديد (٣٤) .

وقيل ان سقوط جميع الاسنان اصلح في الابانة عن الحروف منه اذا سقط اكثرها وخالف أحد شطريها الشطر الآخر . قال الجاحظ : « وقد رأينا تصديق ذلك في افواه قوم شاهدتهم الناس بعد ان سقطت جميع أسنانهم ، وبعد ان بقي منها الثلث أو الربع .

وممن سقطت جميع اسنانه وكان معنى كلامه مفهوماً : الوليد بن هشام القحضي ، وصاحب الاخبار ، ومنهم ابو سفيان بن العلاء بن ليبيد التغلبي ، وكان ذا بيان ولسن . وكان عبيد الله بن

أبي غسان يصرف لسانه كيف شاء ، وكان اللاحاح على القيسي (٣٥) قد برد أسنانه حتى لا يرى أحد منها شيئاً الا ان تطلع في لحم اللثة أو في أصول منابت الاسنان . وكان سفيان بن الابرذ الكلبى كثيراً ما يجمع بين الحار والقار فتساقطت أسنانه جمع ، وكان في ذلك كله خطيباً بيناً . وقال اهل التجربة : اذا كان في اللحم الذي فيه منارز الاسنان تشمير وقصر سمك (٣٦) ، ذهبت الحروف وفسد البيان .

واذا وجد اللسان من جميع جهاته شيئاً يقرعه ويصكه ، ولم يمر في هواء واسع المجال ، وكان لسانه يملا جوبة فمه واذا كان كذلك ، لم يضره سقوط أسنانه الا بالمقدار المغتفر والجزء المحتمل (٣٧) .

اللسان :

اللسان عضو مهم في عملية النطق لمرونته وكثرة حركته في الفم عند الكلام . وقد تحدث الجاحظ عنه وذكر صلته الوثيقة بالنطق وذكر ان من سقط جميع اسنانه كان عظم اللسان نافعاً له ، ونقل عن ارسطو « ان كل طائر عريض اللسان فالافصاح بحروف الكلام منه اوجد » (٣٨) وقال : « ويؤكد ذلك قول صاحب المنطق فانه زعم في كتاب الحيوان ان الطائر والسبع والبهيمة كلما كان لسان الواحد منها اعرض كان افصح وايقن ، واحكى لما يلحق ولما يسمع كنحو البيغاء والغداف وغراب البين وما اشبه ذلك » (٣٩) .

ويحتاج اللسان الى التدريب فاذا « ترك الانسان القول ماتت خواطره وتبلدت نفسه وفسد حسه . وكانوا يروون صبيانهم الارجاز ويعلمونهم المناقلات ، ويأمرونهم برفع الصوت وتحقيق الاعراب ، لان ذلك يفتح اللهاة ويفتح الجرم (٤٠) . واللسان اذا كثرت تقلبيه رقيق ولان ، واذا اقللت تقلبيه واطلت اسكانه جسا وغلظ (٤١) » .

وكانوا يمتدحون رحابة الشدقين وقد قيل لاعرابي : ما الجمال ؟ قال : « غور العينين ، واشراف الحاجبين ، ورحب الشدقين (٤٢) » .

(٣٥) القيسي : الشمس الجاف .

(٣٦) التشمير : النقيص . السمك بالفتح وسكون الميم : الارتفاع .

(٣٧) البيان ج ١ ص ٦١-٦٢ .

(٣٨) الحيوان ج ٥ ص ٢٨٨ .

(٣٩) البيان ج ١ ص ٦٢ .

(٤٠) الجرم بالكسر : الحلق .

(٤١) البيان ج ١ ص ٢٧٢ .

(٤٢) الحيوان ج ٢ ص ١٧٥ .

(٢٨) الحيوان ج ٥ ص ٢٨٩ .

(٢٩) الثنابا : اسنان مقدم الفم ، ثنان من فوق وثنان من اسفل .

(٣٠) البيان ج ١ ص ٥٨ .

(٣١) البيان ج ١ ص ٥٨ .

(٣٢) الاهتم : هو الذي انكسرت ثناباه من اصولها .

(٣٣) الاضبط : الاعسر اليسر الذي يعمل بكلتا يديه .

(٣٤) ينظر البيان ج ١ ص ٦٢ .

وكانوا يذمون المتشدد الذي يلوي شدقه للتفصيح ، ولكن الجاحظ رأى أن «صاحب التشديد والتعمير والتقميع» (٤٢) من الخطباء والبلغاء مع سماجة التكلف وشئعة التزيد اعذر من عيب يتكلف الخطابة ، ومن حصر يتعرض لاهل الاعتياد والدربة . ومدار اللائمة ومستقر المذمة حيث رايت بلاغة يخالطها التكلف وبيانا يمازجه التزيد . الا ان تعاطي الحصر المنقوص مقام الدرب التام اقبح من تعاطي البليغ الخطيب ومن تشادق الاعرابي القح . وانتحال المعروف ببعض الغزارة في المعاني والالفاظ وفي التعبير والارتجال انه البحر الذي لا ينزح والفر الذي لا يسر ايسر من انتحال الحصر المنخوب ، انه في مسلاخ (٤٤) التام الموفر والجامع المحكم ، وان كان النبي - صلى الله عليه وسلم - قد قال : « اياي والتشادق » وقال : « ابغضكم الي الثرثارون المتفيهقون » ، وقال : « من بدا جفا » . وعاب الفدادين (٤٥) والمتزידين في جهارة الصوت وانتحال سعة الاشدق ورحب الغلاصم وهذل الشفاء ، واعلمنا ان ذلك في اهل الوبر اكثر وفي اهل المدر اقل (٤٦) .

ومن الخطباء من كان اشفى افلح (٤٧) كزيد بن جندب الذي قال الجاحظ عنه : « ولولا ذلك لكان اخطب العرب قاطبة » (٤٨) . ومنهم من كان اروق ومن كان اضجم ومن كان اقعم (٤٩) .

عيوب اللسان :

لابد للفصيح من ان يكون سليم النطق اي : ان يكون لسانه خالياً من العيوب التي تعوقه عن اخراج الحروف بصورتها الصحيحة . وقد تكلم الجاحظ على بعض تلك العيوب ومنها :

اللثغة : وهي التي تعتري الصبيان الى ان ينشأوا ، وهي خلاف مايمتري الشيخ الهرم المسترخي الحنك ، وخلاف مايمتري اصحاب اللكن من المعجم ومن نشأ من العرب مع المعجم (٥٠) .

(٤٢) التعمير : ان يتكلم بالقصى لمر فمه ، والتقميع في الكلام كالتفصيح فيه .

(٤٤) المنخوب : الجبان . المسلاخ : الجلد .

(٤٥) الفداد : الجافي الصوت والكلام .

(٤٦) البيان ج ١ ص ١٢ .

(٤٧) الشفا : اختلاف نبتة الانسان . الفلح : شق في الشفة العليا .

(٤٨) البيان ج ١ ص ٥٥ .

(٤٩) الرواق : ركوب السن الشفة . المعجم : الموجاج في الفم ، والفقم مثله .

(٥٠) البيان ج ١ ص ٧١ .

والحروف التي تدخلها اللثغة اربعة هي : القاف والسين واللام والراء ، قال الجاحظ : « فاما التي على الشين المعجمة فذلك شيء من الخارج . والمخرج لا تحصى ولا يوقف عليها . وكذلك القول في حروف كثيرة من حروف لغات المعجم ، وليس ذلك في شيء اكثر منه في لغة الخوز . وفي سواحل البحر من اسياف فارس ناس كثير تلامهم يشبه الصغير . فمن يستطيع ان يصور كثيراً من حروف الزمزمة والحروف التي تظهر من فم المجوسي اذا تسرك الافصاح عن معانيه واخذ في باب الكناية وهو على الطعام .

فاللثغة التي تعرض للسين تكون ثاء كقولهم لابي يكسوم : « ابي يكثوم » وكما يقولون « بشرة » اذا ارادوا (برة) ، و « بشم الله » اذا ارادوا (باسم الله) .

واللثغة الثانية التي تعرض للقاف فان صاحبها يجعل القاف طاءً فاذا اراد ان يقول : « قلت له » قال : طلت له ، واذا اراد ان يقول : « قال لي » قال : طال لي .

واما اللثغة التي تقع في اللام فان من اهلها من يجعل اللام ياء فيقول بدل قوله : « اعتللت » : اعتليت ، وبدل « جمل » : جمى . واخرون يجعلون اللام كافاً كالذي عرض لعمر اخي هلال فانه كان اذا اراد ان يقول : « ما العلة في هذا ؟ » قال مكمة في هذا .

واما اللثغة التي تقع في الراء فان عددها يضعف على عدد لثغة اللام ، لان الذي يعرض لها اربعة احرف : فمنهم من اذا اراد ان يقول : « عمرو » قال : عمغ ، فيجعل الراء غينا . ومنهم من اذا اراد ان يقول : « عمرو » قال : عمد ، فيجعل الراء ذالا . واذا انشد قول الشاعر :

واستبدت مرة واحدة

انما العاجز من لا يستبد

قال :

واستبدت مئة واحدة

انما العاجز من لا يستبد

فمن هؤلاء علي بن الجنيدي بن فريدي .

ومنهم من يجعل الراء ظاء معجمة فاذا اراد ان يقول :

واستبدت مرة واحدة

انما العاجز من لا يستبد

يقول :

واستبدت مظلة واحدة

انما العاجز من لا يستبد

ومنهم من يجعل الراء غينا معجمة فاذا اراد ان ينشد
هذا البيت قال :

واستبدت مظلة واحدة

انما العاجز من لا يستبد

كما ان الذي لثغته بالياء اذا اراد ان يقول :
« واستبدت مرة واحدة » يقول : « واستبدت مئة
واحدة » .

واما اللثغة الخامسة التي كانت تعرض لو اصل
ابن عطاء وسليمان بن يزيد المدوي الشاعر فليس
الى تصويرها سبيل ، وكذلك اللثغة التي تعرض في
السين كنحو ما كان يعرض لمحمد بن الحجاج كاتب
داود بن محمد كاتب ام جعفر ، فان تلك ايضا ليست
لها صورة في الخط ترى بالعين ، وانما يصورها
اللسان وتتأدى بالسمع (٥١) . ولكنهم قالوا ان
اللثغة التي تكون بالعين اقلها قبحا ، واوجدها في
كبار الناس وبلغائهم واشرافهم وعلماهم (٥٢) .

وقد تجتمع في اللسان لثغتان في حرفين كان
يجعل اللام ياء والراء ياء كلثغة شوش صاحب عبدالله
ابن خالد الاموي فانه قال مرة : « مويائي ويئي ايئي »
يريد : مولاي ولي الري (٥٣) .

واللثغة التي في الراء اذا كانت بالياء احقرهن
واوضعهن ثم التي على الفاء ، ثم التي على الدال ،
فاما التي على الغين فهي ايسر ، وان صاحبها لو جهد
نفسه واحدة لسانه وتكلف مخرج الراء على حقها
والافصاح بها لم يك بعيدا من ان تجيبه الطبيعة
ويؤثر فيها ذلك التعهد اثرا حسنا . وقد كانت لثغة
محمد بن شبيب المتكلم بالعين وكان اذا شاء ان
يقول : « عمرو » و « لعمري » وما اشبه ذلك على
الصحة قال ، ولكنه كان يستثقل التكلف والتهيؤ .
وقد قال الجاحظ له : « اذا لم يكن المانع الا هذا
العدر فلست اشك انك لو احتملت هذا التكلف
والتبعية شهرا واحدا ان لسانك كان يستقيم (٥٤) » .

وكانوا يقولون ان احسن اللثغ ما كان على
السين وهو ان تصير ثاء ، وكانوا يقولون ايضا :

احسنها على الراء وهو ان تصير غينا (٥٥) . وكانوا
يستملحون اللثغاء اذا كانت حديثة السن ومقدودة
مجدولة ، فاذا اسنت واكتهلست تغير ذلك
الاستملاح (٥٦) . وكانوا يخافون من الوراثة في
اللثغ ، ولذلك يقال ان ابا رمادة طلق امراته حين
وجدها لثغاء خشية ان تجيئه بولد لثغ وقال :

لثغاء تأتي بحيفس اللثغ

تمبىس في الموشى والمصبغ (٥٧)

ومن عيوب اللسان الاخرى التمتع وهو
التردد في الكلام ، فاذا تمتع اللسان في التاء فهو
تمتام ، واذا تمتع في الفاء فهو فافاء ، وقد قيل في
مدح الطلق اللسان :

ليس بفافاء ولا متمتام

ولا كثير الهجر في الكلام

وقيل : ان التتمام غير المعرب عن معناه ولا
المفصح بحاجته (٥٨) .

واذا ادخل الرجل بعض كلامه في بعض فهو
التف ، وقيل : بلسانه لتفت . قال الشاعر :

كان فيه لثغا اذا تنطق

من طول تحببهم وهم وارق

قال الجاحظ : « كانه لما جلس وحده ولم يكن
له من يكلمه وطال عليه ذلك اصابه لثغ في لسانه .
وكان يزيد بن جابر قاضي الازارقة بعد المقنطيل
يقال له : « الصموت » ، لانه لما طال صمته ثقل عليه
الكلام فكان لسانه يلتوي ولا يكاد يبين . واخبرني
محمد بن الجهم ان مثل ذلك اعتراه ايام محاربة
الزط من طول التفكير ولزوم الصمت (٥٩) » .

وقد يكون في كلام بعضهم عجلة فلا يستطيع
السامع ان يفهم منه الا بعد النصب والانتباه
الشديدين .

ومن العيوب الحبيسة وهي ان يشغل الكلام في
اللسان ولكنه لا يبلغ حد الفافاء والتتمام .

والعقلة : وهي ان يحبس اللسان عن الكلام .

(٥٥) البيان ج ٢ ص ٢٢٢

(٥٦) البيان ج ١ ص ١٤٦ .

(٥٧) البيان ج ١ ص ٥٧ . الحيفس : الولد القصير الصغير ،

وهو على وزن : هزير .

(٥٨) البيان ج ١ ص ٢٨-٢٧ .

(٥٩) البيان ج ١ ص ٢٨ .

(٥١) البيان ج ١ ص ٣٦-٢٤

(٥٢) البيان ج ١ ص ١٥ ، ٢٧ .

(٥٣) البيان ج ١ ص ٢٦ .

(٥٤) البيان ج ١ ص ٢٦ ، ٢٧ .

« البيان والتبيين » بقوله : « اللهم نعوذ بك من فتنة القول كما نعوذ بك من فتنة العمل ، ونعوذ بك من التكلف لما لا نحسن كما نعوذ بك من المجب بما نحسن ، ونعوذ بك من السلاطة والهدر كما نعوذ بك من العي والحصر ، وقديما ما نعوذوا بالله من شرهما وتضرعوا الى الله في السلامة منهما (٦٤) » . وقالوا : « البيان بصر والعي عي ، كما ان العلم بصر والجهل عي . والبيان من نتاج العلم والعي من نتاج الجهل (٦٥) » . وقال النمر بن تولب :

اعذني رب من حصر وعي
ومن نفس اعاجبا علاجا
وقال آخر :

وما بي من عي ولا انطق الخنا
اذا جمع الاقوام في الخطب محفل
وكانوا يقواون : « عي اباس من شلل » كان العي فوق كل زمانة (٦٦) .

وفي الباب الذي عقده الجاحظ للعي (٦٧) امثلة كثيرة تدل على استهجان القدماء له ونفورهم منه .

الحصر :

وكانوا يذمون الحصر ، وهو « ضرب من العي . حصر الرجل حصرا مثل تعب تعباً فهو حصر عيبي في منطقته . وقيل : حصر لم يقدر على الكلام (٦٨) » . وقد قال الجاحظ : « والناس لا يميرون الخرس ولا يلومون من استولى على بيانه العجز ، وهم يذمون الحصر ويؤنبون العي فان تكلفا مع ذلك مقامات الخطباء وتعاطيا مناظرة البلغاء تضاعف عليهما الذم وترادف عليهما التأنيب . ومماننة العي الحصر للبليغ المصقع في سبيل مماننة المنقطع المفحم للشاعر المفلق واحدهما الوم من صاحبه ، والالسة اليه اسرع . وليس اللجلاج والتمتام والالغ والفافاء وذو الحبسة والحكمة والرثة (٦٩) ، وذو التلفف والمعجلة في سبيل الحصر في خطبته والعي في منازلة

واللكنة وهي المعجمة في اللسان أو ان تعترض في الكلام اللغة الاجنبية ، قال الجاحظ : « ويقال في لسانه لكنة اذا ادخل بعض حروف المعجم في حروف العرب وجذبت لسانه العادة الاولى الى المخرج الاول . (٦٠) وقد يكون المتكلم غير قادر على نطق بعض الحروف ، ومن ذلك زياد الاعجم الذي كان فصيح الشعر غير انه لا ينطق الطاء فاذا نطق « السلطان » قال : الشلتان . ومنهم سحيم عبد بني الحسحاس الذي كان يقلب الشين سينا فاذا نطق : « ما شعرت » قال : ما سمرت . ومنهم ام ولد لجريز بن الخطفي الشاعر التي كانت تقلب الدال دالا في كلمة « الجرذان » . ومنهم عبيد الله بن زياد الذي نشأ في الاساورة عند شيرويه الاسواري زوج امه مرجانة فانه كان يقلب الحاء هاء فيقول في « احروري ؟ » : اهروري ؟ وكان صهيب بن سنان ينطق العربية بلكنة رومية فيقول في « حائن » : هائن . ومنهم ابو مسلم الخراساني الذي كان يقلب القاف كافا فيقول في « قلت » : كلت .

وذكر الجاحظ موصفا آخر من اللكنة ولكنه يتصل بصيغة الفعل او بناء الكلمة لا بنطق الحروف ، قال : « وباب آخر من اللكنة قبل لنبطي : لم ابتمت هذا الاثان ؟ قال : « اركبها وتلد لي » . فجاء بالمعنى بعينه ولم يبدل الحروف بغيرها ولا زاد فيها ولا نقص ولكنة فتح المكسور حين قال : « وتلد لي » ولم يقل : « تلد لي » (٦١) ..

ومن العيوب الحكلة وهي نقصان آلة المنطق وعجز أداة اللفظ حتى لا تعرف معانيه الا بالاستدلال (٦٢) . وقال الجاحظ عنها ايضا وهو يتحدث عن الحبسة : « يقال في لسانه حبسة اذا كان في لسانه ثقل يمنعه من البيان ، فاذا كان الثقل الذي في لسانه من قبل المعجمة قيل في لسانه حكلة . والحكل من الحيوان كله مالم يكن له صوت يستبان باختلاف مخارجه عند حرجه وضجره وطلبه ما يفتدو او عند هياجه اذا اراد السفاد او عند وعيد لقتال وغير ذلك من امره (٦٣) » .

العي :

وكانوا يذمون العي وهو العجز عن الامر واحكامه او عن الحجة ، وقد بدا الجاحظ كتابه

(٦٤) البيان ج ١ ص ٢ .
(٦٥) البيان ج ١ ص ٧٧ .
(٦٦) البيان ج ١ ص ٢١٥ .
(٦٧) ينظر البيان ج ٢ ص ٢٢٤ وما بعدها .
(٦٨) لسان العرب (حصر) .
(٦٩) الرنة : عجلة في الكلام وقلة اناة ، وقيل : هي المعجمة في الكلام والحكمة .

(٦٠) البيان ج ١ ص ٢٩ .
(٦١) ينظر البيان ج ١ ص ٧١ وما بعدها ، ج ٢ ص ٢١٣ ، والحيوان ج ٢ ص ٢٩٢ .
(٦٢) البيان ج ١ ص ٤٠ .
(٦٣) الحيوان ج ٤ ص ٢١ .

خصومه كما ان سبيل المفحم عند الشعراء والبكىء عند الخطباء خلاف سبيل المسهب الثرثار والخطل المكثار (٧٠) .

اللحن :

وكانوا يستقبحون اللحن ، لانه من عيوب الكلام ، وقالوا : « اللحن في المنطق اقبح من آثار الجذري في الوجه (٧١) » . وكان اول لحن سمع بالبادية : « هذه عصاتي » ، واول لحن سمع في العراق : « حني على الفلاح » (٧٢) .

واقبح اللحن لحن اصحاب التعمير والتقميع والتشديق والتمطيط والجهورة والتفخيم ، واقبح من ذلك لحن الاعراب النازلين على طرق السابلة وبقرى مجامع الاسواق . وقد رأى الجاحظ ان تذكر النوادر والطرف كما قيلت ولا يصلح ما فيها من لحن ، قال : « ومتى سمعت - حفظك الله - بنادرة من كلام الاعراب فاياك ان تحكيها الا مع اعرابها ومخارج الفاظها ، فانك ان غيرتها بان تلحن في اعرابها واخرجتها مخارج كلام المولدين والبلديين خرجت من تلك الحكاية عليك فضل كبير . وكذلك اذا سمعت بنادرة من نوادر العوام وملحة من ملح الحشوة والظفام فاياك ان تستعمل فيها الاعراب او تنخير لها لفظاً حسناً او تجعل لها من فيك مخرجاً سرياً . فان ذلك يفسد الامتاع بها ويخرجها من صورتها ومن الذي اريدت له ويذهب استطابتهم اياها واستملاحهم لها (٧٣) » . وقال : « ان الاعراب يفسد نوادر المولدين كما ان اللحن يفسد كلام الاعراب (٧٤) » . وقال عن كتابه « البخل » : « وان وجدتم في هذا الكتاب لحناً او كلاماً غير معرب ولفظاً معدولاً عن جهته فاعلموا انا انما تركنا ذلك لان الاعراب يبغض هذا الباب ويخرجه من حده الا ان احكي كلاماً من كلام متعاطلي البخله واشحاء العلماء كسهل بن هارون واشباهه (٧٥) » . وقال عن الجواري : « واللحن من الجواري الظراف ومن الكواعب النواهد ومن الشواب الملاح ومن ذوات الخدور الفرائر ايسر . وربما استملح الرجل ذلك منهن مالم تكن الجارية صاحبة تكلف ، ولكن اذا كان

اللحن على سجية سكان البلد (٧٦) » . وفي باب اللحن (٧٧) كثير من الاخبار والطرائف وهي تدل على استهجان القدماء لهذا العيب الذي يقع فيه المتحدثون والخطباء . وفي باب اللحنين البلفاء (٧٨) اسماء بعض الذين كانوا يقومون في هذا العيب على الرغم مما عرفوا به من بلاغة واقتدار على الكلام .

تلك هي المسائل التي تحدث عنها الجاحظ في باب فصاحة المتكلم ، وتلك هي العيوب التي عرض لها . وقد يكون بعضها طبيعياً لا يد للمتكلم فيها وقد يكون بعضها بسبب نقص التمرين والعناية بالكلام ، ولذلك كان العرب يرسلون اولادهم الى البادية او يتخذون لهم مؤدبين يدربونهم على الفصاحة والنطق السليم ويعلمونهم البيان وفن القول ، لان التمرين سبيل الى اتقان الكلام وسلامة النطق وفصاحة اللسان ، وقد قال الجاحظ : « ويد الانسان لا تكون ابداً الا خرقاء ولا تصير صناعاً مالم تكن المعرفة ثقافاً لها ، واللسان لا يكون ابراً ذاهباً في طريق البيان متصرفاً في الالفاظ الا بعد ان تكون المعرفة متخللة به منقلة له واضعة له في مواضع حقوقه وعلى اماكن حظوظه ، وهو علة له في الاماكن العميقة ومصرفة له في المواضع المختلفة (٧٩) » .

فالفصاحة من صفات المتكلم ، وقد كانت مهمة في القديم حينما كان العربي يعتمد على فصاحته في القاء الخطب وانشاد الشعر ومقارعة الخصوم ، والجاحظ حين بحث هذه المسألة كانت امامه الخطابة والمناظرات التي كانت تقوم بين المتكلمين وخصومهم او بينهم وبين الطاعنين في كتاب الله العزيز ، وقد كانت جهارة الصوت وسلامة اللسان من العيوب ذات أهمية كبيرة لانها تؤثر تأثيراً عظيماً في المستمعين .

ولم يقف الامر عند هذه المسائل بل كان الخطيب يعتمد على هيئته وزيه واشاراته وتمثيله للمعاني بنبرات صوته ومقاطع كلامه ، وقد قال ابو دواد بن حريز وقد جرى شيء من ذكر الخطب : « تلخيص المعاني رفق ، والاستعانة بالغريب عجز ، والتشادق من غير أهل البادية بغض ، والنظر في عيون الناس عي ، ومس اللحية هلك » . وقال : « راس الخطابة الطبع ، وعمودها الدربة ، وجناحاها

(٧٠) البيان ج ١ ص ١٢ .

(٧١) البيان ج ٢ ص ٢١٦ .

(٧٢) البيان ج ١ ص ٢١٩ .

(٧٣) البيان ج ١ ص ١٤٥-١٤٦ .

(٧٤) الحيوان ج ١ ص ٢٨٢ .

(٧٥) البخل ص ٤٠ .

(٧٦) البيان ج ١ ص ١٤٦ .

(٧٧) البيان ج ٢ ص ٢١٠ وما بعدها .

(٧٨) البيان ج ٢ ص ٢٢٠ وما بعدها .

(٧٩) الحيوان ج ١ ص ١١٦ .

رواية الكلام، وحلية الاعراب وبهاؤها تخيير الالفاظ،
والمحبة مقرونة بقلّة الاستكراه (٨٠) .

وقال الجاحظ : « ان البيان يحتاج الى تمييز
وسياسة ، والى ترتيب ورياسة ، والى تمام الآلة
واحكام الصنعة ، والى سهولة المخرج وجهارة النطق
وتكميل الحروف واقامة الوزن ، وان حاجة المنطق
الى الحلاوة والطلاوة كحاجته الى الجزالة والفخامة .
وان ذلك من اكثر ما تستمال به القلوب وتثنى به
الاعناق وتزين به المعاني (٨١) » .

فصاحة الكلام :

اما فصاحة الكلام فهي « خلوصه من ضعف
التأليف ، وتنافر الكلمات ، والتعقيد (٨٢) » ، وقد
تحدث الجاحظ عن ذلك حديث العارف المطلع
والاديب المقتدر ، وكان لنزعة الادبية وثقافته
الواسعة اكبر الاثر في معالجة هذا الموضوع . ولا
تنحصر فصاحة الكلام في مسألة واحدة وانما
تشمل كثيراً من المسائل المتصلة بالحروف والالفاظ
والكلام ، وقد اولى الجاحظ هذه المسائل عناية
كبيرة وتحدث عنها حديث الخبير .

الحروف :

تحدث الجاحظ عن الحروف وذكر ما يشيع
منها في بعض اللغات ، قال : « ولكل لغة حروف تدور
في اكثر كلامها كنحو استعمال الروم للسين واستعمال
الجرامقة للعين . وقال الاصمعي : ليس للروم ضاد ،
ولا للفرس ثاء ، ولا للسرياني ذال (٨٢) » . وقال ان
اكثر الحروف دورانا في اللغة العربية الراء والباء
واللام والالف ، ولذلك كانوا يتمجبون من واصل
ابن عطاء لتجنبه الراء في كلامه . وانشد ابو محمد
اليزيدي :

وخلة اللفظ في الباءات ان ذكرت
كخلة اللفظ في اللامات والالف
وخصلة الراء فيها غير خافية
فاعرف مواقعها في القول والصحف

قال الجاحظ : « يزعم ان هذه الحروف اكثر
ترداداً من غيرها والحاجة اليها اشد ، واعتبر ذلك
بان تأخذ عدة رسائل وعدة خطب من جملة خطب

الناس ورسائلهم فانك متى حصلت جميع حروفها
وعددت كل شكل على حدة علمت ان هذه الحروف
الحاجة اليها اشد (٨٤) » . وذكر ان الميم والباء اول
ما يتهيا في افواه الاطفال كقولهم : « ماما » و « بابا »
لانهما خارجان من عمل اللسان وانما يظهران بالتقاء
الشفتين (٨٥) .

وتحدث عن اقتران الحروف . وهو ما يتصل
بفصاحة اللفظة المفردة وقال : « قاما في اقتران
الحروف فان الجيم لا تقارن الظاء ولا القاف ولا الطاء
ولا الفين بتقديم ولا بتأخير . والزاي لا تقارن الظاء
ولا السين ولا الضاد ولا الذال بتقديم ولا بتأخير .
وهذا باب كبير وقد يكفي بذكر القليل حتى يستدل
به على الغاية التي اليها يجري (٨٦) » . وهذه التفاتة
ذكية ، لان لغة العربية ذوقا خاصا في اقتران
الحروف ، ولذلك لانجد ما اشار اليه الجاحظ الا في
الالفاظ الدخيلة . وهذه القاعدة يستطيع الباحث
ان يعرف اصيل اللفظ العربي من معربه .

الالفاظ :

تكون اللفظة من حروف ، واللفظة المفردة موقع
في الجملة فاذا وضعت وضعا حسنا كانت جملة
موحية واذا وقعت في غير موقعها نبت وانكرتها
الاذواق . وقد تكلم الجاحظ على تنافر الالفاظ
وقال : « ومن الفاظ العرب الفاظ تنافر وان كانت
مجموعة في بيت شعر ثم يستطع المشد انشادها الا
بعض الاستكراه ، فمن ذلك قول الشاعر :

وقبر حرب بمكان قفر
وليس قرب قبر حرب قبر

ولما راي من لا علم له ان احداً لا يستطيع ان
ينشدها هذا البيت ثلاث مرات في نسق واحد فلا
يتمتع ولا يتلجلج وقيل لهم ان ذلك انما اعتراه اذ
كان من اشعار الجن صدقوا بذلك . ومن ذلك قول
ابن يسير :

لم يضرها والحمد لله شيء
وانثنت نحو عزف نفس ذهول

فتفقد النصف الاخير من هذا البيت فانك
ستجد بعض الفاظه يتبرا من بعض (٨٧) » . ولذلك

(٨٤) البيان ج ١ ص ٢٢ .

(٨٥) البيان ج ١ ص ٦٢ .

(٨٦) البيان ج ١ ص ٦٩ .

(٨٧) البيان ج ١ ص ٦٥-٦٦ ، وينظر الحيوان ج ٦ ص ٢٠٨-٢٠٧ .

(٨٠) البيان ج ١ ص ٤٤ .

(٨١) البيان ج ١ ص ١٤ .

(٨٢) الايضاح ص ٤ .

(٨٣) البيان ج ١ ص ٦٥-٦٦ .

ينبغي أن تكون الالفاظ متماثلة متلائمة لكي لا يقع بينها التنافر فتصبح كأولاد علة ، قال الجاحظ : « وأنشدني أبو العاصي ، قال : أنشدني خلف الأحمر في هذا المعنى :

وبعض قريض القوم أولاد علة
يكذب لسان الناطق المتحفظ (٨٨)

وقال أبو العاصي : وأنشدني في ذلك أبو البداء :

وشعر كبير الكبش فرق بينه
لسان دعي في القريض دخيل

فانه يقول : اذا كان الشعر مستكرها ، وكانت الفاظ البيت من الشعر لا يقع بعضها مماثلا لبعض كان بينها من التنافر ما بين أولاد العلات . واذا كانت الكلمة ليس موقعها الى جنب اختها مرضيا موافقا كان على اللسان عند انشاد ذلك الشعر مؤونة . قال : واجود الشعر ما رأيت متلاحم الأجزاء ، سهل الخارج ، فتعلم بذلك انه قد افرغ افرغا واحدا ، وسبك سبكا واحدا فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان . وأما قوله : « كبير الكبش » فانما ذهب الى أن يمر الكبش يقع متفرقا غير مؤلف ولا متجاور ، وكذلك حروف الكلام وأجزاء البيت من الشعر تراها متفقة ملسا ولينة المعاطف سهلة ، وتراها مختلفة متباينة ومتنافرة مستكرهة تشق على اللسان وتكده ، والأخرى تراها سهلة لينة ورطبة موابية سلسلة النظام خفيفة على اللسان ، حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة ، وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد (٨٩) .

ومن امثلة الكلام الذي لا تتباين الفاظه ولا تنافر اجزاؤه قول الأجرد الثقفي :

من كان ذا عضد يدرك ظلامته
أن الدليل الذي ليست له عضد
تنبو يدها اذا ما قل ناصره
ويأنف الضيم أن اثرى له عدد

وقول أبي حية النميري :

رمتني وستر الله بيني وبينها
عشيئة آرام الكناس رميم

رميم التي قالت لجارات بيتها
ضمنت لكم إلا يزال بهيم
ألا رب يوم لو رمتني رमितها
ولكن عهدي بالنضال قديم

الغرابسة :

رأى الجاحظ أن اللفظ كما لا ينبغي أن يكون عاميا وساقطا سوقيا ، فكذلك لا ينبغي أن يكون غريبا وحشيا إلا أن يكون المتكلم بدويا أعرابيا ، فإن أنوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس كما يفهم السوقي رطانة السوقي (٩٠) . فالفصاحة لا تتفق مع الغريب ، لأنه يقضي عليها ويحيل الكلام الفاذا ويجعله بعيدا عن الفهم والادراك ، والمغربون هم مدخولون في عقولهم اذا كانوا من غير الاعراب ، فأبو علقمة النحوي مرّ ببعض طرق البصرة وهاجت به مرة فوثب عليه قوم فاقبلوا يعضون ابهامه ويؤذنون في أذنه فافلت منهم وقال : « مالكم تتكاوون عليّ كما تتكاوون على ذي جنة ، افرنقوا عني (٩١) . » وقال الجاحظ بعد أن ذكر بعض الغريب : « فإن كانوا انما رويوا الكلام لأنه يدل على فصاحة فقد باعده الله من صفة البلاغة والفصاحة ، وأن كانوا انما دوّنوه في الكتب وتذاكروه في المجلس لأنه غريب ، فأبيات من شعر العجاج وشعر الطرماح واشعار هذيل ثاني لهم مع حسن الرصف على أكثر من ذلك (٩٢) . » ولذلك كانت الاستعانة بالغريب عجزا ، وكانت دليلا على أن المتكلم أو الكاتب لا يعرف أهمية الالفاظ ونصاحتها وإيجاءها وصلة ما بينها وبين المعاني التي ينبغي أن تكون الالفاظ مطابقة لها ، أو هي كما نقله الجاحظ عن صحيفة بشر بن المعتمر :

« ومن أراغ معنى كريما فليتمس له لفظا كريما ، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما وعما تمود من أجله أن تكون أسوأ حالا منك قبل أن تلتبس اظهارهما وترتهن نفسك بملاستهما وقضاء حقهما (٩٣) . »

أن جمال الالفاظ وحسنها وصلتها بالمعاني مهمة في الكلام البليغ ، والغرابسة تفقدها ذلك الجمال والحسن . وقد نقل الجاحظ عن بعض الربانيين الراسخين في العلم ما فعله الالفاظ المدبة في النفوس ،

(٩٠) البيان ج ١ ص ١٤٤ .

(٩١) البيان ج ١ ص ٢٧٩ .

(٩٢) البيان ج ١ ص ٢٧٨ .

(٩٣) البيان ج ١ ص ١٣٦ .

(٨٨) أولاد علة : بنو رجل واحد من امهات شتى .

(٨٩) البيان ج ١ ص ٦٧-٦٦ .

قال : « اندركم حسن الالفاظ وحلاوة مخارج الكلام ، فان المعنى اذا اكتسى لفظاً حسناً ، وأعاره البليغ مخرجاً سهلاً ، ومنحه المتكلم دلاً متمشياً صار في قلبك أحلى ولصدرك أملاً . والمعاني اذا كسيست الالفاظ الكريمة ، واكسبت الاوصاف الرفيعة تحولت في العيون عن مقادير صورها ، وأرابت على حقائق أقدارها بقدر ما زينت وحسب ما زخرفت . فقد صارت الالفاظ في معاني المعارض ، وصارت المعاني في معنى الجواري ، والقلب ضعيف ، وسلطان الهوى قوي ، ومدخل خدع الشيطان خفي » (٩٤) .

فاللفظ الحسن عند الجاحظ هو مالم يكن غريباً بل كان كريماً في نفسه قال : « ومتى كان اللفظ أيضاً كريماً في نفسه متميزاً من جنسه ، وكان سليماً من الفضول وبرئاً من التعقيد حبيب الى النفوس واتصل بالاذهان والتحم بالعقول وهشت اليه الاسماع وارتاحت له القلوب وخف على السن الرواة وشاع في الافاق ذكره وعظم في الناس خطره ، وصار ذلك مادة للعالم ورياضة للمتعلم الريض » (٩٥) ، ولذلك تشيع بعض الالفاظ ويستخفها الناس ، لانها فصيحة جميلة او لانها توحى بقرينتها وما يتصل بها من الالفاظ وماتعطيه من معان . قال الجاحظ : « وقد يستخف الناس الفاظاً ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها ، الا ترى ان الله ببارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع الا في موضع العقاب او في موضع الفقر المدقع والمعجز الظاهر . والناس لا يذكرون السغب ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة ، وكذلك ذكر المطر ، لانك لا تجد القرآن يلفظ به الا في موضع الانتقام ، والعامه واكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وبين ذكر الفيث . ولفظ القرآن الذي عليه نزل انه اذا ذكر الابصار لم يقل الاسماع ، واذا ذكر سبع سماوات لم يقل : الأرضين . الا تراه لا يجمع الارض أرضين ، ولا السمع اسماعاً ، والجاري على افواه العامة (٩٦) غير ذلك ، لا يتفقدون من الالفاظ ما هو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال . وقد زعم بعض القراء انه لم

(٩٤) البيان ج ١ ص ٢٥٤ .

(٩٥) البيان ج ٢ ص ٨ .

(٩٦) قال الجاحظ في البيان ج ١ ص ١٢٧ : « والذا سمعتموني اذكر العوام فاني لست أعني الفلاحين والعشوة والصناع والباعة ولست أعني ايضاً الاكراد في الجبال وسكان الجزائر في البحار ولست أعني من الامم مثل البير والطليسان ومثل موطن وجيلان ومثل الزنج واشباه الزنج وأما العوام من اهل ملتنا ودعوتنا ولقننا وأدبنا وأخلاقنا ، فالطبقة التي غفلتوا وأخلاقها فلول تلك الامم ولم يبلغوا منزلة الخاصة منا » .

يجد ذكر نلفظ النكاح في القرآن إلا في موضع التزويج . والعامه ربما استخفت اقل اللغتين وأضعفهما ، وتستعمل ما هو اقل استعمالاً وتدع ما هو اظهر . وأكثر (٩٧) . ومعنى ذلك ان للالفاظ ايحاء خاصاً حينما تأتي في الكلام او حينما تقرر بغيرها ولذلك تشيع كلمات وتهمل غيرها او تتجنب لما فيها من ايحاء غير جميل . ومما يتصل بهذه المسألة ما ذكره الجاحظ من تنبيه الرسول - صلى عليه وسلم - الى اجتناب اضافة المؤمن الطاهر الى نفسه الخبث والفساد بوجه من الوجوه . فقد روي عنه - عليه السلام - انه قال : « لا يقولن أحدكم خبثت نفسي ، ولكن ليقل لقست نفسي » (٩٨) . وذكر الجاحظ في باب « ما يكره من الكلام » (٩٩) كثيراً من الالفاظ التي يكره استعمالها في غير مواضعها ، ومن ذلك قول القائل : « استأثر الله بفلان » والصحيح ان يقال : « مات فلان » ، ويقال في استأثر : « استأثر الله بعلم الغيب » واستأثر الله بكذا وكذا . وكانوا يكرهون ان يقال : « قراءة عبد الله » او « قراءة سالم » او « قراءة ابي » او « قراءة زيد » ، ويكرهون ان يقال : « سنة ابي بكر وعمر » بل يقال : « سنة الله ورسوله » . وكره ابن عمر - رضي الله عنهما - قول القائل : « أسلمت في كذا وكذا » وقال : لا ليس الاسلام الا الله عزوجل . وكره ابن عباس - رضي الله عنهما - قول القائل : « الناس قد انصرفوا » يريد من الصلاة . قال : « بل قولوا : قد قضوا الصلاة ، وقد فرغوا من الصلاة ، وقد صلوا ، لقوله : ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم » .

وهذه الامثلة التي ذكرها الجاحظ تدل على ان للالفاظ ايحاء خاصاً واستعمالاً تحذره اللغة واساليب التعبير ، وان لها سحراً يؤثر في النفوس كما تقدم من كلام بعض الربانيين من الادباء واهل المعرفة من البلغاء ، وكما جاء عن عمر بن الخطاب حينما حبس الأحنف بن قيس حولا تاماً وقال : « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان خوّفنا كل منافق عليم وخفت ان تكون منهم » وذلك لما كان راعه من حسن منطقته ، ومال اليه لما رأى من رفقه وقلة تكلفه (١٠٠) ، وقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « ان من البيان لسحرا » ، وقال عمر بن عبد العزيز لرجل احسن في طلب حاجة وتأتى لها بكلام وجيز ومنطق حسن : « هذا والله السحر الحلال » .

(٩٧) البيان ج ١ ص ٢٠ .

(٩٨) الحيوان ج ١ ص ٢٢٥ .

(٩٩) ينظر الحيوان ج ١ ص ٢٢٥-٢٤٢ .

(١٠٠) البيان ج ١ ص ٢٥٤ .

ومن طريف ما تحدث عنه الجاحظ سلطان الحظ على الالفاظ ، قال : « وكما تحظى بعض الاشعار وبعض الامثال وبعض الالفاظ دون غيرها ودون ما يجري مجراها او يكون ارفع منها (١٠١) » ولذلك تشيع الفاظ بعينها وينداولها الادباء اكثر من غيرها ، وقد يكون وراء ذلك سبب من الاسباب كخفتها او دلالتها على المعاني الجديدة او صلتها بالحضارة ، الى جانب ما اشار اليه الجاحظ وهو الحظ الذي يرافق الانسان .

التعقيد :

ومن شروط الكلام الفصيح ان يكون بعيدا عن التعقيد ، وقد تقل الجاحظ عن بشر بن المعتمر قوله : « واباك والتوعر فان التوعر يسلمك الى التعقيد ، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك ويشين الفاظك (١٠٢) » . وصارت هذه العبارة قاعدة سار عليها البلاغيون في فصاحة الكلام . ولم يشرح الجاحظ التعقيد او يذكر له امثلة كما فعل في كثير من المسائل المتصلة بالالفاظ ، وقد يرجع ذلك الى ان الشعر ما يزال في صفائه ورونق اسلوبه ولم تدخل فيه التعمية التي اخذت تظهر بوضوح بعد ذلك .

الدلالة :

للمعاني الفاظ تدل عليها ، ولكن تلك الالفاظ لا تبقى محتفظة بمعانيها الاولى بل تنتقل الى غيرها وتكتسب صورا جديدة لم تكن معروفة من قبل . وقد ادرك الجاحظ ذلك وعرف ان اللغة تتطور بتطور الحياة ، وان اللغة التي يتحدث بها اهل زمان قد تختلف عما يتحدث به اهل زمان سابق او لاحق . وكان للمعاني الجديدة اثر في هذا التطور ، فقد تقل عن الاصمعي قوله : « كان للعرب كلام على معان فاذا ابتدلت تلك المعاني لم يتكلم بذلك الكلام (١٠٣) » ، ومن ذلك قول الناس : « ساق اليها صداقها » وانما كان هذا يقال حين كان الصداق ابلا وغنما . وقال الجاحظ تعليقا على ذلك : « وفي قياس الاصمعي ان اصحاب التمر الذين كان التمر دياتهم ومهورهم كانوا لا يقولون : « ساق فلان صداقه » . قال : ومن ذلك قول الناس اليوم : « قد بنى فلان البارحة على اهله » وانما كان هذا القول لمن كان يضرب على اهله في تلك الليلة قبته وخيمته وذلك هو بناؤه » .

(١٠١) الحيوان ج ٢ ص ١٠٢ .

(١٠٢) البيان ج ١ ص ١٢٦ .

(١٠٣) البخل ص ٢١٤ .

وكان لنزول القرآن الكريم اثر كبير في تطور دلالة الالفاظ ، فقد تركت الفاظ كانت مستعملة في الجاهلية ومن ذلك تسميتهم للخراج « اتاوة » ، وكقولهم للرشوة ولما يأخذه السلطان « الحملان والمكس » . كما تركوا « انعم صباحا » و « انعم ظلاما » وصاروا يقولون : « كيف اصبحتم ؟ » و « كيف امسينم ؟ » . وتركوا ان يقال للملك او السيد المطاع : « ابيت اللمن » ، وترك العبد ان يقول لسيده : « ربي » كما يقال : « رب الدار » و « رب البيت » . وتركوا ان يقولوا لقوام الملوك « السدنة » وقالوا : « الحجة » ، وتركوا « غلامه » و « المربع » و « النسيطة » وبقي « الصفايا » (١٠٤) .

واستحدثت أسماء لم تكن ، وقد اشتقت من أسماء متقدمة على التشبيه من ذلك قولهم لمن أدرك الجاهلية والاسلام « مخضرم » ، ومن ذلك اسم « منافق » لمن رأى بالاسلام واستسر بالكفر ، و « المشرك » و « الكافر » و « الفاسق » و « النيم » و « القرآن » و « الفرقان » (١٠٥) . ومن ذلك قولهم في الاسلام لمن يحج : « ضرورة » ولم يكن ذلك معناها في الجاهلية ، فالضرورة عندهم « كان ارفع الناس في مراتب العبادة ، وهو اليوم اسم للذي لم يحج اما لمعجز واما لتضييع واما لانكار ، فهما مختلفان كما ترى (١٠٦) » .

لقد نزل القرآن الكريم بالفاظ ذات دلالات جديدة ، وليس ذلك غريبا ، فقد تغيرت كثير من قيم العرب وجاءت قيم جديدة ، وكان لابد من التعبير عن هذه القيم والمعاني . وكان نزول القرآن اكبر دافع الى تطور اللغة وقد قال الجاحظ وهو يتحدث عن الفاظ كتاب الله : « فاذا كانت العرب يشتقون كلاما من كلامهم واسماء من اسمائهم واللغة عارية في ايديهم ممن خلقهم ومكنهم والهمهم وعلمهم ، وكان ذلك منهم صوابا عند جميع الناس ، فالذي اعارهم هذه النعمة احق بالاشتقاق ووجب طاعة . وكما انه له ان يبتديء الاسماء فكذلك له ان يبتدئها

(١٠٤) ينظر الحيوان ج ١ ص ٢٢٧-٢٢٨ .

المربع : ربع جميع الفتيمة الذي كان خالصا للرئيس وصار في الاسلام الخمس .

النسيطة : كان للرئيس ان ينشط عند قسمة الناع العلق النيس يراه اذا استحلاه . وبقي الصفي ، وكان لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - من كل مفهم ، وهو كالسيف اللهم والفرس العتيق والدرع الحمينة والشيء النادر .

(١٠٥) الحيوان ج ١ ص ٢٢٠ وما بعدها .

(١٠٦) الحيوان ج ١ ص ٢٤٧ .

مما أحب . قد سمي كتابه المنزل « قرآنا » وهذا الاسم لم يكن قد كان (١٠٧) . وقال : « واذا كان للنبغة ان يتديء الاسماء على الاشتقاق من أصل اللغة كقوله :

الا اوارى لايأ ما ابينها
والنؤي كالحوض بالظلومة الجلد

وحتى اجتمعت العرب على تصويبه وعلى اتباع انره وعلى انها لغة عربية ، قاله الذي له أصل اللغة احق بذلك (١٠٨) .

واصبحت كلمات كثيرة مصطلحات جديدة افتشتها نهضة العرب العلمية ، ومن ذلك مصطلحات المتكلمين والمروزيين والنحاة . قال الجاحظ عن المتكلمين : « وهم تخيروا تلك الالفاظ لتلك المعاني ، وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الاسماء ، وهم اصطالحوا على تسمية مالم يكن له في لغة العرب اسم فصاروا في ذلك سلفا لكل خلف وقدوة لكل تابع ، ولذلك قالوا العرض والجوهر وايس وليس ، وفرقوا بين البطلان والتلاشي ، وذكروا الهذبة والهوية والماهية (١٠٩) واشباه ذلك » . وقال عن المروزيين : « وكما وضع الخليل بن احمد لاوزان القصيدة وقصار الأرجاز القابا لم تكن العرب تتعارف تلك الأعاريض بتلك الألقاب وتلك الاوزان بتلك الاسماء ، كما ذكر الطويل والبسيط والمديد والوافر والكمال واشباه ذلك ، وكما ذكر الاوتاد والاسباب والخرم والزحاف . وقد ذكرت العرب في اشعارها السناد والاقواء والاكفاء ولم اسمع بالابطاء . وقالوا في القصيد والرجز والسجع والخطب ، وذكروا حروف الروي والقوافي ، وقالوا : هذا بيت وهذا مصراع » . وقال عن النحاة : « وكما سمي النحويون فذكروا الحال والظروف وما اشبه ذلك ، لانهم لو لم يضعوا هذه العلامات لم يستطيعوا تعريف القرويين وابناء البلديين علم العروض والنحو . وكذلك اصحاب الحساب قد اجتلبوا أسماء جعلوها علامات للتفاهم (١١٠) » .

لقد ادرك الجاحظ بسعة علمه وصدق حدسه ان الالفاظ تنتقل من معنى الى آخر ، وان المعاني الجديدة تفيّر كثيراً من دلالة الالفاظ ، ولو نظر الباحث الى معاني هذه الكلمات وغيرها لوجدها تختلف اختلافاً واضحاً عما كانت عليه قبل ان تكون

مصطلحات دينية او كلامية او عروضية او نحوية او علمية . وهذه نظرة عميقة في فهم اللغة وما يطرا عليها من تحول يقتضيه تطور الحياة ، ولو استعمل المتكلم او الكاتب هذه الالفاظ بمعانيها القديمة لخرج عن الفصاحة وصار كلامه غير فصيح لانه لا يفهم منه المعنى الجديد او ما تعارف عليه الناس في زمانه .

ولم يقف الامر عند هذا التطور ، وانما دخلت اللغة العربية الفاظ اجنبية ، وهذا امر طبيعي بعد ان اتصل العرب بالاقوام المختلفة وامتزجت المجتمعات العربية والاسلامية . وقد حصل شيء من ذلك قبل الاسلام ، قال الجاحظ « ان اهل المدينة لما نزل فيهم ناس من الفرس في قديم العهد علقوا بالفاظ من الفاظهم ، ولذلك يسمون البطيخ : الخربز ، ويسمون السميطة : الرزديق ، ويسمون المصوص : المزور ، ويسمون الشطرنج : الاشرنج في غير ذلك من الاسماء . وكذلك اهل الكوفة فانهم يسمون المسحاة : بال ، وبال بالفارسية (١١١) » . ولكن اللغة العربية استطاعت ان تجري كثيراً من الالفاظ الاجنبية مجرى العربية ، وهذه من خصائص اللغة الحية .

والتفت الجاحظ الى ان الالفاظ بحسب طبقات الناس ، ولذلك ينبغي للمتكلم ان يعرف اقدار المعاني ويوازن بينها ويجعل لكل طبقة من ذلك كلاما . وعرف ان لكل طبقة من الناس الفاظاً تديرها في كلامها ، فالكتاب يكثر من الالفاظ الجميلة الموحية التي لا توغل في الغرابة ولا تسقط في الابتذال ، وهم كما قال عنهم : « اما انا فلم ارقط امثل طريقة في البلاغة من الكتاب فانهم قد التمسوا من الالفاظ مالم يكن متوعراً وحشياً ولا ساقطاً سوقياً (١١٢) » . والمتكلمون يكثر من الالفاظ الدالة على الجوهر والعرض والكون والفساد والتلاشي والليسية والايسية ، قال الجاحظ : « فان راى في هذا الضرب من هذا اللفظ ان اكون مادمت في المعاني التي هي عبارتها ، والمادة فيها ان اللفظ بالنسيء العتيد الموجود وادع التكلف لما عسى يسلس ولا يسهل الا بعد الرياضة الطويلة . وارى ان اللفظ بالفاظ المتكلمين مادمت خائضاً في صناعة الكلام مع خواص اهل الكلام ، فان ذلك افهم لهم عني واخف لمؤونتهم علي . ولكل صناعة الفاظ قد حصلت لاهلها بعد امتحان سواها فلم تلزق بصناعتهم الا بعد ان كانت مشاكلها بينها وبين تلك الصناعة . وقبيح بالتكلم ان يفتقر الى الفاظ المتكلمين في خطبة او

(١٠٧) الحيوان ج ١ ص ٢٤٨ .

(١٠٨) الحيوان ج ٥ ص ٢٨٠ .

(١٠٩) نسبة الى هذا ، وهو ، وما هو .

(١١٠) البيان ج ١ ص ١٢٩-١٢٠ .

(١١١) البيان ج ١ ص ١٩ .

(١١٢) البيان ج ١ ص ١٢٧ .

رسالة او في مخاطبة العوام والتجار ، او في مخاطبة اهله وعبيده وامته ، او في حديثه اذا تحدث او خبره اذا أخبر . وكذلك فانه من الخطا ان يجلب الفاظ الاعراب والفاظ العوام وهو في صناعة الكلام داخل ، ولكل مقام مقال ، ولكل صناعة شكل (١١٢) . ولكن قد تحسن بعض الفاظ المتكلمين على وجه التقرف والتلح كما جاء في شعر ابي نواس وغيره من ظرفاء ذلك الزمان .

وانتبه الجاحظ الى ما يستعمله الاديب في كلامه من الفاظ يديرها ويكثر منها ، وهو ما يسمى « لغة الكاتب » او « لغة الشاعر » ، قال : « ولكل قوم الفاظ حظيت عندهم ، وكذلك كل بليغ في الارض وصاحب كلام متشور ، وكل شاعر في الارض وصاحب كلام موزون ، فلا بد من ان يكون قد لهج والغب الفاظا باعيانها يديرها في كلامه وان كان واسع العلم ، غزير المعاني ، كثير اللفظ (١١٤) » .

وربط بين الالفاظ والمعاني فقال ان اللفظ من دلالات المعاني ، وهو الذي يصورها في النفوس وينقلها الى الآخرين (١١٥) ، وربط شريف اللفظ بشريف المعنى وسخيفه بسخيف المعنى (١١٦) . وقرن اللفظ بالمعنى فقال : « ولكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ ، ولكل نوع من المعاني نوع من الاسماء ، فالسخيف للسخيف ، والخفيف للخفيف ، والجزل للجزل ، والافصاح في موضع الافصاح ، والكناية في موضع الكناية ، والاسترسال في موضع الاسترسال . واذا كان موضع الحديث على انه مضحك ومله ، وداخل في باب المزاح والطبيب فاستعملت فيه الاعراب ، انقلب عن جهته ، وان كان في لفظه سخف وابدلت السخافة بالجزالة صار الحديث الذي وضع على ان يسر النفوس يكرها ويأخذ باكظامها (١١٧) » .

وينبغي ان تكون الالفاظ على اقدار المعاني ، قال : « وانما الالفاظ على اقدار المعاني ، فكثيرها لكثيرها وقليلها لقليلها وشريفها لشريفها وسخيفها لسخيفها ، والمعاني المفردة البائنة بصورها وجهاتها تحتاج من الالفاظ الى اقل مما تحتاج اليه المعاني المشتركة والجهات المتبسة (١١٨) » .

لقد اهتم الجاحظ بالالفاظ اهتماما عظيما

واولاها عناية كبيرة ، ودفعه ذلك الى ان يقول : « والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي ، والبدوي والقروي والمدني ، وانما الشأن في اقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء ، وفي صحة الطبع وجودة السبك ، فانما الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير (١١٩) » .

وظن بعض الباحثين انه يميل الى اللفظ كل الميل ، وانه لا يرى للمعنى كبير اهمية . ولمعل موقفه من ابي عمرو الشيباني يشعر بانه من انصار اللفظ ، فقد اعجب الشيباني بقول القائل :

لا تحبسن الموت موت البلى
فانما الموت سؤال الرجال
كلاهما موت ولكن ذا
افظع من ذاك لذل السؤال

قال الجاحظ : « وانا رايت ابا عمرو الشيباني وقد بلغ من استجاداته لهذين البيتين ونحن في المسجد يوم الجمعة ان كلف رجلا حتى احضره دواة وقرطاسا حتى كتبهما له . وانا ازمع ان صاحب هذين البيتين لا يقول شعرا ابدا ولولا ان ادخل في الحكم بعض الفتك لزعمت ان ابنه لا يقول شعرا ابدا (١٢٠) » .

والواقع ان الجاحظ عني باللفظ واعطاه نصيبه من الاهتمام وشغل بالمعنى والتصوير الذي قال عنه : « فانما الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير » . وكلامه في كتبه يؤكد انه لم يهمل المعنى ، لان « مدار الامر على فهم المعاني لا الالفاظ ، والحقائق لا العبارات (١٢١) » ، وان حكم المعاني « خلاف حكم الالفاظ ، لان المعاني مبسطة الى غير غاية ، وممتدة الى غير نهاية ، واسماء المعاني مقصورة معدودة ، ومحصلة محدودة (١٢٢) » . لقد ربط بين اللفظ والمعنى ربطا وثيقا وقال : « فاذا كان المعنى شريفا واللفظ بليفا وكان صحيح الطبع بعيدا عن الاستكراه ومنزها عن الاختلال مصونا عن التكلف صنع في القلوب صنع الفيت في التربة الكريمة (١٢٣) » . وقال وهو يتكلم على ثمامة بن اشرس : « وما علمت انه كان في زمانه قروي ولا بلدي كان بلغ من حسن الافهام مع قلة

(١١٩) الحيوان ج ٢ ص ١٢١-١٢٢ .

(١٢٠) الحيوان ج ٢ ص ١٢١ .

(١٢١) الحيوان ج ٥ ص ٥٤٢ .

(١٢٢) البيان ج ١ ص ٧٦ .

(١٢٣) البيان ج ١ ص ٨٢ .

(١١٢) الحيوان ج ٢ ص ٢٦٨ .

(١١٤) الحيوان ج ٢ ص ٢٦٦ .

(١١٥) البيان ج ١ ص ٧٦ .

(١١٦) البيان ج ١ ص ١٤٥ .

(١١٧) الحيوان ج ٢ ص ٢٩ .

(١١٨) الحيوان ج ٦ ص ٨ .

عدد الحروف ولا من سهولة المخرج مع السلامة من التكلف ما كان بلغه ، وكان لفظه في وزن اشارته ومعناه في طبقة لفظه ، ولم يكن لفظه الى سمعك بأسرع من معناه الى قلبك (١٢٤) . وقال : « ومتى شاكل - ابتك الله - ذلك اللفظ معناه وأعرب عن فحواه ، وكان لتلك الحال وفقا ولذلك القدر لفظا ، وخرج من سماجة الاستكراه ، وسلم من فساد التكلف كان قمينا بحسن الموقع وبانتفاع المستمع (١٢٥) » .

هذه الأقوال الكثيرة تدل دلالة واضحة على ان الجاحظ لم يهمل المعنى ، وكيف يهمله وهو جوهر الكلام ؟ وكيف يميل عنه وهو المعتزلي الذي يعتمد في الاقتناع على الفكرة والمعنى قبل اعتماده على الالفاظ ؟ وكيف يهمله وهو لم يفرق بين الفصاحة التي أصبحت وصفا للالفاظ ، والبلاغة التي صارت وصفا للمعاني قبل الالفاظ ؟ لقد كانت اللفظتان عنده بمعنى واحد ، وكان كثيراً ما يجمع بينهما ، قال في تعريف البلاغة : « وقال بعضهم - وهو من احسن ما اجتبيناه ودوناه - لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ، ولفظه معناه ، فلا يكون لفظه الى سمعك أسبق من معناه الى قلبك (١٢٦) » .

ان المعاني والالفاظ تتحد لتخرج صورة تنتقل الى القراء والسامعين ، ومحال ان يكون اللفظ وحده مؤديا الهدف ، او المعنى وحده محققا الغاية ، ولكن الجاحظ الى جانب اهتمامه بالمعنى رأى ان الصياغة مهمة في التعبير ، ولذلك كان من اصحاب الأساليب التي تعرض الفكرة عرضا واضحا وتعبر عنها تعبيراً دقيقاً ، او هو من انصار النظم ، وقد فسر اعجاز القرآن الكريم به ولف كتابا هو « نظم القرآن » ، وكان لهذا الاتجاد اثر في الدراسات البلاغية حينما اقام عبدالقاهر الجرجاني اعجاز القرآن على النظم ولف من اجل ذلك كتابه « دلائل الاعجاز » .

انظره :

كان لجهود الجاحظ في الفصاحة اثر كبير في الدراسات البلاغية والنقدية ، وقد اخذ الدارسون يستقون منه مادة بحثهم ويحاولون ان يضعوا شروطاً لفصاحة اللفظة المفردة والالفاظ المؤلفة . وبدأت تأخذ كلمة « الفصاحة » صورة علمية بعد ان كانت عامة المعنى واسعة المدلول ، واخذت تنفصل عن البلاغة التي اقترنت بها في بداية التأليف .

والبحث في اثر الجاحظ متسع الجوانب ، لانه لم يترك أدبياً او مؤلفاً من غير ان يؤثر فيه ، وكان كتابه « البيان والتبيين » احد الكتب الأربعة التي عدت من اصول الادب واركانه . قال ابن خلدون : « وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم ان اصول هذا الفن واركانه اربعة دواوين وهي : ادب الكاتب لابن قتيبة ، وكتاب الكامل للمبرد ، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ ، وكتاب النوادر لأبي علي القالي البغدادي ، وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها (١٢٧) » . ولذلك سيكون الوقوف على اهم البلاغيين والنقاد ، ولعل اول من نفل كلام الجاحظ وامثله في فصاحة الكلام ابو الحسن علي بن عيسى الرماني (- ٢٨٦ هـ) ، فقد وقف عند كلام الجاحظ من غير ان يذكره وذكر البيت المشهور مثالا للتنافر ، وابيات ابي حية النميري مثالا للتلازم (١٢٨) . ولكن ابا هلال العسكري (- ٢٩٥ هـ) كان أكثر تأثراً بالجاحظ ، لانه نقل كثيراً من اقوال القدماء التي ذكرها الجاحظ ورتبها ترتيباً دقيقاً ، لان كتاب « البيان والتبيين » لم يغفل بالمنهج الدقيق . قال ابو هلال : « وهو لعمرى كثير الفوائد ، جم المنافع ، لما اشتمل عليه من الفصول الشريفة والفقر اللطيفة والخطب الرائعة والأخبار البارة ، وما حواه من اسماء الخطباء والبلغاء وما نبه عليه من مقاديرهم في البلاغة والخطابة وغير ذلك من فنونه المختارة ونعوته المستحسنة . الا ان الابانة عن حدود البلاغة واقسام البيان والفصاحة مبثوثة في تضاعيفه ومنشرة في اثنائه ، فهي ضالة بين الامثلة ولا توجد الا بالتأمل الطويل والتصفح الكثير (١٢٩) » . ودفعه هذا النقد الى ان يرتب موضوعات البلاغة ترتيباً دقيقاً ويقسم فنونها تقسيماً طريفاً ، وكانت الفصاحة مسن الموضوعات التي نالت اهتماماً منه ، ويمد ابو هلال من اوائل الذين ميزوا بينها وبين البلاغة ، قال : « وقال بعض علمائنا : الفصاحة تمام آلة البيان فلهذا لا يجوز ان يسمى الله تعالى فصيحاً اذ كانت الفصاحة تتضمن معنى الآلة ، ولا يجوز على الله - تعالى - الوصف بالآلة ، ويوصف كلامه بالفصاحة لما يتضمن من تمام البيان . والدليل على ذلك ان الالغ والتمتاع لا يسميان فصيحين لنقصان التهما عن اقامة الحروف . وقيل : « زياد الأعجم » لنقصان آلة نطقه عن اقامة الحروف ، وكان يعبر عن الحمار بالهمار ، فهو أعجم وشعره فصيح لتمام

(١٢٧) مقدمة ابن خلدون ص ٥٥٢ .

(١٢٨) النكت في اعجاز القرآن ص ٨٧-٨٩ .

(١٢٩) كتاب الصنائع ص ٥ .

(١٢٤) البيان ج ١ ص ١١١ .

(١٢٥) البيان ج ٢ ص ٧ .

(١٢٦) البيان ج ١ ص ١١٥ .

بيانه . فعلى هذا تكون الفصاحة والبلاغة مختلفتين ؛ وذلك أن الفصاحة تمام آلة البيان فهي مقصورة على اللفظ ، لأن الآلة تتعلق باللفظ دون المعنى ، والبلاغة إنما هي إنهاء المعنى إلى القلب فكأنها مقصورة على المعنى . ومن الدليل على أن الفصاحة تتضمن اللفظ ، والبلاغة تتناول المعنى أن الببغاء يسمى فصيحاً ولا يسمى بليغاً ، إذ هو مقيم الحروف وليس له قصد إلى المعنى الذي يؤديه .

وقد يجوز مع هذا أن يسمى الكلام الواحد فصيحاً بليغاً إذا كان واضح المعنى سهل اللفظ جيد السبك ، غير مستكره فج ولا متكلف وخم ولا يمنعه من أحد الاسمين شيء لما فيه من إيضاح المعنى وتقويم الحروف (١٢٠) . وكان ذلك إبانة عن موضوع الفصاحة والبلاغة ، أما الفصل الثاني من الباب الأول فقد كان في الإبانة عن حد البلاغة ، ولا يتضح أثر الجاحظ في هذين الفصلين ، ولكن الفصل الثالث من الباب نفسه كان عرضاً لكثير من الأقوال والآراء التي ذكرها الجاحظ في « البيان والتبيين » . وهذا يدل على أن الجاحظ فتح طريق البحث للنقاد والبلاغيين ، ووضع أمامهم المادة الأصلية لإبواب البلاغة وفصولها .

وعقد ابن سنان الخفاجي (- ٤٦٦ هـ) في كتابه « سر الفصاحة » فصولاً ضافية تحدث فيها عن صفات الحروف ومخارجها ، وفصاحة اللفظة المفردة والالفاظ المؤلفة . والفصاحة عنده « الظهور والبيان » ، والفرق بينها وبين البلاغة « أن الفصاحة مقصورة على وصف الالفاظ ، والبلاغة لا تكون إلا وصفاً للالفاظ مع المعاني ، لا يقال في كلمة واحدة لا تدل على معنى يفضل عن مثلها بليغة وإن قيل فيها فصيحة . وكل كلام بليغ فصيح ، وليس كل فصيح بليغاً (١٢١) » . وذكر شروط اللفظة الفصيحة والالفاظ المؤلفة ، وكانت هذه الدراسة من أعمق الدراسات وأكثرها تفصيلاً ، وكانت منطلق الآخرين كضياء الدين بن الأثير (- ٦٣٧ هـ) الذي أطال الكلام على الفصاحة وناقش ابن سنان وأخذ ببعض كلامه وردّ الآخر (١٢٢) ، ودعا إلى العناية بالالفاظ واختيار الجميل منها وإطراح الوحشي العكر ، وكان يطرب للفظ الحسن وتلذذ له ، قال :

« ومن له أدنى بصيرة يعلم أن الالفاظ في الأذن نعمة لذيدة كنعمة أوتار ، وصوتا منكراً كصوت

حمام ، وإن لها في الفم أيضاً حلاوة كحلاوة العسل ومرارة كمرارة الحنظل ، وهي على ذلك تجري مجرى النعمات والطعوم (١٢٣) » .

ولئن هؤلاء النقاد والبلاغيين لم يقفوا على فصاحة المتكلم كما وقف عليها الجاحظ ، لأن الفصاحة والبلاغة لا تكون للمتكلم إلا على التوسع . قال أبو هلال : « وتسميتنا المتكلم بأنه بليغ توسع ، وحقيقته أن كلامه بليغ ، كما تقول : فلان رجل محكم ، ونعني أن أفعاله محكمة . قال الله تعالى : « حكمة بالغة » فجعل البلاغة من صفة الحكمة ولم يجعلها من صفة الحكيم ، إلا أن كثرة الاستعمال جعلت تسمية المتكلم بأنه بليغ كالحقيقة (١٢٤) » . ولكن الخطيب القزويني (- ٧٣٦ هـ) قال : أن الفصاحة والبلاغة تقع كل واحدة منهما صفة لمعنيين :

الأول : الكلام كما في « قصيدة فصيحة أو بليغة » و « رسالة فصيحة أو بليغة » .

الثاني : المتكلم كما في « شاعر فصيح أو بليغ » و « كاتب فصيح أو بليغ (١٢٥) » .

ولم يفصل القزويني القول في المعنى الثاني ، ووقف عند تعريفه فقال : « وأما فصاحة المتكلم فهي ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح (١٢٦) » ، ويفهم من شرحه لهذا التعريف أن الفصاحة هيئة راسخة في المتكلم ، وأنها تشمل النطق وغيره ، وهو ما أراد الجاحظ حينما تحدث عن الخطيب وهيئته وصفاته وأطال الكلام على الأسنان واللسان وما يعتريهما من عيوب تعوقهما عن الفصاحة والنطق السليم .

ويبقى الجاحظ بعد ذلك متفرداً بدراسة هذه المسائل وإن بدأت تباعد عن كتب البلاغة ، وكان ما اهتم به وجعله من « البيان » أخذه اللغويون وأداروه في كتبهم حينما تحدثوا عن الأصوات ومخارج الحروف وما يعتري اللسان من عيوب . ولم يزل انصراف الناس عن الخطابة واهتمامهم بالكتابة والتأليف جعل البلاغيين والنقاد يهتمون بما يقرأ ويعنون بالفكرة لا بمظهر المتحدث أو الخطيب وجهارة صوتهما وسلامة نطقهما للحروف .

ولا يقلل هذا الانصراف من جهود الجاحظ ،

(١٢٣) المثل السائر ج ١ ص ١٥٠ .

(١٢٤) كتاب الصنائع ص ٦ .

(١٢٥) الإيضاح ص ٢ .

(١٢٦) الإيضاح ص ٩ .

(١٢٠) كتاب الصنائع ص ٨ .

(١٢١) سر الفصاحة ص ٦٠ .

(١٢٢) ينظر المثل السائر ج ١ ص ١٢٢ وما بعدها .

فقد كان رائداً في الدرس البلاغي وكانت ملاحظاته وأراؤه معالم في الطريق . وصوى اهتدى بها المؤلفون مع أنها توزعت في كتبه وانتشرت في رسائله، ولم ينكر القدماء فضله كما لم يهمله المعاصرون بل كان من أكثر الذين نالوا عناية كبيرة واهتماماً عظيماً في عالم البحث والتأليف .

تلك وقفة عند الفصاحة كما صورتها كتب الجاحظ ، وتلك جهوده في مباحثها ، ولكن ما قيمة هذه الدراسة وما نفعها في هذا العصر ؟ هل نكتفي بعرض التراث وتبيان جهود السابقين أو أننا ننتفع بذلك الجهد ونضيف إليه ما يخدم اللغة العربية ويطورها لتكون أكثر قدرة على استيعاب العصر ورسم المستقبل ؟

إنَّ الاهتمام بالتراث يعني كشفه وتقويمه والاختد بما يفيد ، وقد كانت هذه الدراسة كشفاً عن جهود الجاحظ في الفصاحة وتبياناً لموقفه في كثير من المسائل التي تخص المتكلم والكلام . وقبل وضع هذه الجهود في صورتها المعاصرة لابد من تلخيص ما سبق ، لتتضح الأبعاد وتتكشف الأهداف .

لقد تحدث الجاحظ عن :

١ - الأصوات وتأثيرها في النفوس ، وقدرة الإنسان على تقليد الأصوات المختلفة ، لأن جهاز نطقه قادر على إخراج الأصوات الكثيرة .

٢ - بعض أعضاء النطق كالأسنان واللسان والشفيتين وما يعثر بها من عيوب كالهتم وسقوط الأسنان كلها واللثغة والتمتمة والفافأة واللفف والرتة والحبسة والعقلة واللكنة .

٣ - العي والحصر وما يصيب المتحدث أو الخطيب أو المجادل حينما يعيا أو يحصر فتذهب روعة كلامه إن كان بليفاً وتسقط هيئته بين الناس .

٤ - الخصائص الصوتية للغة العربية والحروف الكثيرة الدوران فيها واتساقها .

٥ - اللحن وما يترك في نفس السامع من أثر سيء .

٦ - تنافر الألفاظ .

٧ - الغرابية والتعقيد .

٨ - دلالة الألفاظ على المعاني وتطورها وأثر الإسلام في تغير المعاني أو وضع الفاظ ومصطلحات تطلبتها النهضة العلمية والحضارة العربية الإسلامية .

ويتضح أن الجاحظ جال في رحاب واسعة ، وهذه الرحاب ينفضي بعضها إلى علم اللغة ويوصل بعضها إلى علم البلاغة ، وكلا السبيلين مهمان في الدراسات الحديثة . إن معظم ما تحدث عنه يدخل اليوم في علم اللغة ، فالأصوات ومخارج الحروف وعيوب النطق مما تعرض له الدراسات الحديثة وتعنى به ، بل إن هذه الدراسات طغت على ما عرف من فقه اللغة والصرف والنحو وغيرها من علوم اللغة عند القدماء . وفيما ذكر الجاحظ زاد للباحثين ، لأن معظم آرائه وما نقله عن الآخرين يثبت أمام البحث العلمي الجديد ، وبذلك يظل الجاحظ حياً وإن بعد الزمان به .

وليس هذا وحده ما ينفع الدارسين وإنما للدراسات التربوية نصيب من تراث الجاحظ فما تزال المدارس - وستبقى - تعنى بنطق الأطفال وكلامهم وتعالج عيوب السنتهم وتصلح منها ، وتدفع الفصحاء إلى التحدث بطلاقة وتشجعهم على الخطابة باقتدار . وكم في النطق الصحيح والكلام الفصيح من أثر في النفوس .

ودراسة الجاحظ للكنة تكشف عن الحروف التي يقع فيها هذا العيب ، وتبين لحن الرومي والفارسي والنبطي والزنجي ، وهي نافعة في تدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها ، لأنها تضع أمام المعنيين الحقائق الواضحة وتنبيههم إلى العناية بكل جنس من هذه الاجناس ، وتعويد المتعلمين النطق السليم ، والابتعاد عن اللكنة التي قد تأتي من طبيعة اللغة التي نشأوا عليها .

ودلالة الألفاظ من الدراسات المهمة التي عني بها الجاحظ ، لأنها تبين نشأة الألفاظ وتطور معانيها وترصد العوامل التي تؤثر فيها . وكتب « البيان والنبين » و « الحيوان » و « البخلاء » معجم غير مصنف ، ولو هيء لهذه الكتب أن تجرد ألفاظها وتصنف لكان للعربية معجم تاريخي يصور واقع الفكر العربي والحضارة الإسلامية حتى القرن الثالث للهجرة ، ويكشف عن النقلة الكبيرة التي شهدتها العصر العباسي الأول ، وقد كان الجاحظ أحد أقطاب هذا العصر الذين تفاعلوا معه .

وتأتي دراسة الجاحظ للحروف واتساقها شاهداً على أصالة اللغة العربية ، فقد أدرك بحسه اللغوي وثقافته الواسعة ارتباط الحروف في الكلمة الواحدة وما يوحى من فصاحة أو عجمة . وبعد ما ذكره أساساً للغويين الذين جاءوا من بعده كابن جني (٣٩٢ هـ) الذي قال : « أما إهمال ما أهمل مما

تحتمله قسمة التركيب وبعض الاصول المتصورة أو المستعملة فأكثره متروك للاستثقال ، وبقيته ملحقة به ومقفاة على اثره . فمن ذلك ما رفض استعماله لتقارب حروفه نحو سص و طس و ظث و ثظ و ضش و شض . وهذا حديث واضح لنفور الحس منه والمشقة على النفس لتكلفه . وكذلك نحو قج و جق و كق و قك و كج و جك . وكذلك حروف الفم (١٢٧) « وكأبي ابراهيم اسحاق بن ابراهيم الفارابي (١٢٨) الذي قال : « الجيت : صنم ، ويقال ان الجيت هو حيي بن اخطب . وهذا ليس من محض العربية ، لاجتماع الجيم والتاء في كلمة من غير حرف ذولقتي (١٢٩) » . وكانوا يعرفون أصالة الكلمة من حروفها ، وقد افادهم ذلك في أرجاع الالفاظ الى اصولها ونفعهم في التعريب الذي كان من اهم معالم الحضارة العربية بعد ظهور الاسلام . والقاعدة التي وضعها الجاحظ وغيره من اللغويين تنفع في عملية التعريب التي تخوضها الامة العربية في هذه الايام ، لانها تحدد طبيعة اللغة العربية

(١٢٧) الخصائص ج ١ ص ٥٤ .

(١٢٨) اختلف في وفاته فمن قال انه مات سنة ٣٩٨ هـ ، ومن قال انه مات قبل ذلك بكثير . (تنظر مقدمة ديوان الادب ج ١ ص ٢) .

(١٢٩) ديوان الادب ج ١ ص ١٧٧-١٧٨ .

(١٤٠) ينظر الزهر ج ١ ص ٢٦٨ وما بعدها .



المصادر

وتضبط حروفها ، وان الاخذ بها يجنب العاملين في حقل التعريب كثيراً من المزالق ويصون اللغة من المعجمة والاصوات الغريبة ويقيها من التنافر الذي لا تقبله الاذن ولا يستسيغه الذوق العربي .

اما ما يدخل في الدراسات البلاغية فشيء كثير ، منه فصاحة اللفظة المفردة والالفاظ المولفة وما يتصل بها من وضوح أو غرابة ، ورقة أو خشونة ، وما يرتبط بها من احياء جميل أو قبيح ، ومن استحسان أو استهجان . وكل ذلك مهم في الدراسات البلاغية والنقدية الحديثة ، لانها تمثل اللغة العربية وخصائصها ، وتصور حياتها المتطورة .

وليس هذا وحده ما قدمه الجاحظ فهناك مصطلحات علم اللغة والفصاحة وما يتصل بهما ، وقد كانت هذه المصطلحات الاساس الذي بنى عليه القدماء دراساتهم ، وهي كذلك في هذا العصر ، فما تزال كتب اللغة والبلاغة والنقد تستعمل ما نقله الجاحظ أو ابتدعه ، وستظل كذلك مادامت اللغة العربية ، وما دامت امة العرب .

ان دراسة جهود الجاحظ في الفصاحة لم تكن تاريخاً يعرض ماضي الامة وتراثها وانما هي حاضر ينبض بالحياة ومستقبل يزهر بالامل ، وهكذا كان التراث ماضياً مشرقاً ، وحاضراً زاهراً ، ومستقبلاً باهراً .

البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم . القاهرة ١٢٧١ هـ - ١٩٥٢ م .

١ - لسان العرب . ابن منظور .

١- المثل السائر في ادب الكتاب والشاعر . نبيه الدين بن الانير . تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . القاهرة ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٩ م .

١١- الزهر في علوم اللغة . عبد الرحمن جلال الدين السيوطي . تحقيق محمد احمد جاد المولى ومحمد ابو الفضل ابراهيم وعلى محمد البجاوي - القاهرة - الطبعة الثالثة .

١٢- مقدمة ابن خلدون . عبد الرحمن بن خلدون . دار الكشاف - بيروت .

١٣- التكت في اعجاز القرآن . ابو الحسن علي بن هبسي الرماني . تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام (ثلاث رسائل في اعجاز القرآن) . دار المعارف - القاهرة .

١٤- النهاية في غريب الحديث والاثر . مجد الدين ابو السعادات المبارك بن محمد الجزوي . تحقيق طاهر احمد الراوي ومحمود محمد الطناحي . القاهرة ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م .

١ - الايضاح . الخطيب التزويني . تحقيق لجنة من اساتذة كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر . القاهرة .

٢ - البخلاء . أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . تحقيق الدكتور طه الحاجري . القاهرة ١٩٦٢ م .

٣ - البيان والتبيين . أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . تحقيق عبد السلام محمد هارون . القاهرة ١٩٦٧ هـ - ١٩٤٨ م .

٤ - الحيوان . أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . تحقيق عبد السلام محمد هارون . القاهرة ١٢٥٠ هـ - ١٩٢٨ وما بعدها .

٥ - الخصائص . أبو الفتح عثمان بن جني . تحقيق محمد علي النجار . القاهرة ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م .

٦ - ديوان الادب . أبو ابراهيم اسحاق بن ابراهيم الفارابي . تحقيق الدكتور احمد مختار عمر . القاهرة ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .

٧ - سر الفصاحة . ابن سنان الخفاجي . تحقيق عبد المنال الصبيدي . القاهرة ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٢ م .

٨ - كتاب الصنائع . أبو هلال العسكري . تحقيق علي محمد

الوزير أبو علي محمد بن علي بن مقلّة

(٢٧٢ - ٣٢٨ هـ)

بقلم الدكتور

نافع توفيق العبد

كلية الآداب - جامعة بغداد

حياته :

شديداً ، حتى صار فيما بعد خطاطاً من الطراز الاول
« لا ينازعه في ذلك منازع ولا يسو الى مساماته ذو
فضل بارع » (٥) .

والراجح ان ابا علي كان يتكسب لقمة العيش
في حياته الاولى من الكتابة واجادته الخط ، اذ ليس
بين ابدينا ما يدل على اشتغاله بأى عمل آخر ، وقد
ساعدته هذه الميزة الى جانب تثقيف نفسه بثقافة
عصره ، على التطلع لاشغال وظيفية مناسبة فوظف
قابليته في بعض الدواوين بمرتب شهرى قدره ستة
دنانير (٦) ولا تعلم السنة التي تسنم فيها هذه
الوظيفة ، لان المصادر المتوفرة لم تنطرق الى ذلك .

في سنة ٣٠٤ هـ تولى الكتابة للسيدة ام المقتدر
بالله واولاده (٧) . ثم تعلق بأبي الحسن علي بن
الفرات الوزير ، واختص به ، وارتفع بسببه بعد ان
« ادخله في اموره واسراره وقلده أعمالاً كثيرة (٨) » .
وقد تعلم ابو علي بن مقلّة من هذا الوزير الشيء
الكثير في سنين قليلة ، واكتسب خبرة ادارية اهلته

هو ابو علي محمد بن علي بن الحسين بن مقلّة (١)
ولد ببغداد يوم الخميس لتسع بقين من شوال سنة
٢٧٢ هـ / ٨٨٥ م (٢) ، ونشأ في اسيرة متواضعة
الحال (٣) ، اشتهر عميدها وبعض ابنائها بجودة
الخط (٤) ، وقد كان لترعرعه في كنف تلك الاسرة ان
اصبح مولماً بالخط منذ الصغر ، فشغف به شغفاً

(١) مقلّة (لقب ابيه علي ، نص عليه ابن النديم ولم يبين
سبب تلقب به (الفهرست : ٢٠) وبينه ياقوت الحموي
في ترجمة ابي عبدالله الحسن بن علي اخي الوزير فقال
« ومقلّة : اسم ام لهم ، كان ابوها يرقصها ، فيقول يامقلّة
ابيه ، فقلب عليها » (معجم الادباء : ١٥٠/٣) .

(٢) ابن خلكان ، وفيات الاعيان : ١١٧/٥

(٣) صور الشاعر جحظه البرمكي حال ابن مقلّة قبل وزارته ،
معاتباً اياه عندما لم يؤذن له بالدخول عليه بقوله :

فلم للوزير ادام الله دولته
اذكر مناديتي والخبز خشكسار
الا ليس بالباب سرزون لتوتكسار
ولا حمسار ولا في الشط طيسار
(ابن الجوزي ، المنتظم : ٢١٠/٦)

(٤) ياقوت ، معجم الادباء : ١٥٠/٢ - ١٥١ .

ولي جودة خطه ، قال الثعالبي :

خط ابن مقلّة من اروع ما قلته
ودت جوارحه لو صيرت مقلّا
فالمدر يصغر لا استحسانه حسداً
والبدر يحصر من انواره خجلاً
(نهار القلوب : ٢١٠)

(٥) ياقوت ، معجم الادباء : ١٥٠/٢

ارناينا ان نقصر بحثنا على تناول الجوانب الادارية
والسياسية للوزير ابن مقلّة ، اما اثره في الخط العربي
فستحاول تناوله في بحث مستقل غير هذا .

(٦) ابن الطقطقي ، الفخرى في الاداب السلطانية : ٢٧٠

(٧) الهمداني ، تكملة تاريخ الطبري : ٥٧/١

(٨) الصابي ، الوزراء : ٢٧

لتبوا منصب الوزارة فيما بعد . وبخاصة عندما ولاه ابن الفرات ، الاشراف على بعض الدواوين .

ولا يفوتنا ان نذكر بأن حال ابا علي بن مقله قد حسنت كثيرا وبالاخص ايام وزارتي ابن الفرات الثانية (٢٠٤-٢٠٦ هـ) والثالثة (٣١١-٣١٢ هـ) ، فتمكن من جمع مال وفير من جاري راتبه الذي بلغ خمسمائة دينار (٩) ، فضلا عن مبالغ اخرى استحصلها من اولئك الذين بايعوا عبدالله بن المعتز سنة ٢٩٦ هـ ، حينما خوله الوزير المذكور كتابة الامان لهم ، بعد ان عفا عنهم الخليفة المقتدر (١٠) .

وظل ابو علي بن مقله يحظى بمترلة محترمة حتى بعد عزل ابن الفرات نهائيا عن الوزارة في سنة ٣١٢ هـ ، وتعاقب وزراء آخرين كابي القاسم عبيد الله بن محمد بن الخاقاني (٣١٢-٣١٣ هـ) ، وابي العباس احمد بن عبيد الله الخصيبى (٣١٣-٣١٤ هـ) ، وعلي بن عيسى الذي استوزر ثانية (٣١٤-٣١٦ هـ) ، الى ان ساءت علاقته بالوزير الاخير الذي تنبه الى اثره اصحاب الدواوين ، فانزل رواتبهم وقرر لابي علي بن مقله عن ديوان الخاصة والمستحدثة مائة دينار (١١) ، مما جعل ابن مقله يضطغن على هذا الوزير ويسمى لابعداده عن الوزارة ، بل وتبوا هذا المنصب بدلا منه وهكذا كان .

ثقافته :

انصرف ابو علي بن مقله في مستهل حياته الى تثقيف نفسه ، فورث فضل ابيه وحسن خطه ، وبلغ مرتبة عالية في علم النحو ، واتقان اللغة ، وبلاغة البيان منشوره ومنظومه (١٢) ، كما شهد له الصولي بذلك وبفضائل اخرى تميز بها على اقرانه من اهل عصره ، فقال : « مارايت وزيرا - منذ توفى القاسم ابن عبيد الله - احسن حركة ولا اطرف اشارة ، ولا املح حظا ، ولا اكثر حفظا ، ولا اسلط قلما ، ولا اقصد بلاغة ، ولا آخذ بقلوب الخلفاء من محمد بن علي (١٣) » .

(٩) ن . م . : ١٢٥

(١٠) ن . م . : ١٢٥

(١١) ن . م . : ٢٢٠

(١٢) الدكتور سهيل انور ، الخطاط البغدادي علي بن هلال المشهور بابن البواب ، (الترجمة العربية) - راجع فيه التمليكات والاستدراكات القيمة للاستاذ محمد بهجة الانرى : ٥٢ .

(١٣) ابن نفري بردى ، النجوم الزاهرة : ٢٦٨/٣ .

واذا اضفنا الى ذلك جملة الواصل اليها من آثاره الادبية متفرقا في بطون كتب الادب والتاريخ ، واستثنينا ما فقد منها ، لتبين لنا ما كان يمتاز به من ملكة ادبية جيدة ، وثقافة عالية .

اشتهر ابو علي بن مقله بجودة خطه - كما اسلفنا - ولكنه لم يقتصر على الخط وحده ، كما مثاله من ارباب المعرفة ، بل لقد قرض الشعر ايضا . . . وكان بارعا في علم الهندسة ، وبهذا العلم استطاع ان يقلب الخط الكوفي الى الخطوط التي تكتب الى الآن (١٤) .

اما انشاؤه وشعره ، فيكفي - تجنبا للأطالة - ان نسوق بعض النماذج منها ، فمن انشائه مثلا نسوق رسالته التي انفذها من سجنه الى الوزير ابن الفرات ، والتي قال فيها :

« امسكت - اطلال الله بقاء الوزير - عن الشكوى ، حتى تناهت البلوى ، في النفس والمال ، والجسم والحال : الى ما فيه شفاء للمنتقم ، وتقويم للمجترم ، حتى افضيت الى الحيرة والنبيل ، وعيالي الى الهتكة والتشرد ، وما ابداه الوزير - ايده الله - في امرى الا بحق واجب ، وظن غير كاذب ، وعلى كل حال فلي ذمام وحرمة ، وصحبة وخدمة ، ان كانت الاساءة اضاعتها ، فرعاية الوزير - ايده الله تعالى - بحفظه ، ولا مفرغ الا الى الله بلطفه ، وكنف الوزير وعطفه ، فان راى - اطلال الله بقاءه - ان يلحظ عبده بعين رافته ، وينعم باحياء مهجته ، وتخليصها من العذاب الشديد والجهد الجهد ، ويجعل له من معروفه نصيبا ، ومن البلوى فرجا كبيرا (١٥) » .

واوردت بعض المصادر المتوفرة بين ايدينا ، مقطوعات من شعره ، لاحظنا ان اكثرها تتعلق في شرح حاله وما آل اليه امره ، واليك نماذج من شعره :

قال في الشرب على الدجن :

لا يكن للكأس يوم الغيم في كفك لبث

او ما تعلم ان الفيث ساق مستحث (١٦)

وقال في حاله :

جربني الدهر على صرفه

فلم اخسر عند التصاريف

(١٤) الدكتور سهيل انور ، الخطاط البغدادي علي بن هلال :

١٦-١٥ .

(١٥) ابن نفري بردى ، النجوم الزاهرة : ٢٦٨/٢ .

(١٦) الشالبي ، من غاب عنه العرب : ٣٢ .

الفت يوميه ويا ربما
يؤلف شيء غير مألوف (١٧)
وقال ايضا :

لست ذا ذلة اذا عضني اللد
هر ولا شامخا اذا واتاني
انا نار في مرتقى نفس الحا
سد ماء جار مع الاخوان (١٨)

وذكر ابو عبد الله محمد بن اسماعيل المعروف
بزنجي كاتب ابن الفرات قال : لما نكب ابن مقله
وحبس ، لم ادخل اليه في محبسه ، ولا كاتبته ، ولا
توجعت له ، على ما بيني وبينه من المودة والصداقة
خوفا من ابن الفرات ، فلما طالت به ، كتب الي رقعة
فيها :

تري حرمت كتب الاخلاء بينهم
ابن لي ، ام القرطاس اصبح غالبا
ما كان لو ساءلنا كيف حالنا
وقد دهمتنا نكبة هي ماهيا
صديقك من راعاك في كل شدة
وكلا تراه في الرخاء ومراعيها
فهبك عدوى لا صديقي فأنني
رايت الاعادي يرحمون الاعادي (١٩)

ويجد القاريء الكريم في نهاية البحث نموذجين
آخرين من شعر ابي علي بن مقله ، آثرنا ارجاء
ذكرهما في هذا الموضع ، وهما مما قاله متألما على
قطع يده اليمنى ، ايام نكبته الاليمة التي حلت به ايام
الخلافة الرازي .

وزارته الاولى :

في سنة ٣١٦ هـ عجز الوزير علي بن عيسى
عن تشيئة امور الوزارة وانه رأى اختلال النواحي
في ايام من سبقه من وزراء المقتدر ، اضافة الى
النفقات الباهظة فاستعفى المقتدر من الوزارة ولكن
هذا امره بالصبر قائلا له : « انت عندي بمنزلة
المعتضد بالله ولي عليك حقوق (٢٠) » .

لقد واصل علي بن عيسى الاستعفاء ، وشاور
المقتدر قائد الجيش مؤنس المظفر في تسمية مرشح
للوزارة ، واعلمه انه قد سمي له ثلاثة هم : الفضل
ابن جعفر ابن الفرات وابو علي بن مقله ومحمد بن
خلف النيرماني (٢١) ، ولما بلغ ابن مقله ذلك جد في
السمي لتبوا منصب الوزارة وشاور المقتدر نصرا
الحاجب في امر المرشحين الثلاثة فأبدى هذا رأيه في
كل منهم قائلا :

« اما الفضل بن جعفر فلا يدفع عن صناعة
ومحل ، ولكنك بالامس قتلت عمه وبنو الفرات
يدينون بالرفض ، واما ابن مقله فلا هيبة له ، وأشار
بمحمد بن خلف . . . فنفر المقتدر منه لما عرفه من
جهله وتهوره (٢٢) » .

عمد ابن مقله الى مسايرة ومداراة نصر الحاجب
حتى وفق الى كسب مودته ، فأترح على الخليفة
ان يستوزره ، وهنا وجد ابن مقله فرصة طيبة
امامه ، لاظهار ولائه ، ومناصحته للمقتدر ، فادعى
ان ابا طاهر القرمطي قد اقترب من الانبار ، فقلق
المقتدر واراد استطلاع امره فقام ابن مقله بتلك المهمة
خير قيام واوصل اخبار القرمطي الى نصر الحاجب
الذي اطرى عليه امام المقتدر قائلا :

« ان كانت هذه مراعاته لامورك - يا امير
المؤمنين - ولا تعلق له بخدمتك فكيف يكون اذا
اصطنعته . واستكفيت - (٢٣) » . وقد عد ذلك
من اقوى الاسباب في وزارته (٢٤) .

مال المقتدر الى عزل علي بن عيسى عن
الوزارة ، فمزله عنها ، واودعه السجن في النصف
من شهر ربيع الاول سنة ٣١٦ هـ ، فحينئذ جد ابن
مقله في طلب الوزارة ، واعانه عليها نصر الحاجب
وابو عبدالله البريدي (٢٥) ، حتى تم استئصال
موافقة المقتدر على استيزاره بعد ان بذل له مبلغا
قدره خمسمائة الف دينار (٢٦) . وجرت له مراسيم
الوزارة حيث حضر يوم الخميس للنصف من شهر
ربيع الآخر ، وخلع عليه وحمل اليه من دار السلطان
على رسم الوزراء اذا خلع عليهم (٢٧) .

(٢١) ن . م : ١٨٤/١ . ابن الاثير ، الكامل في التاريخ :
١٨٢/٨ .

(٢٢) مسكويه ، تجارب الامم : ١٨٤/١ .

(٢٣) ن . م : ١٨٥/١ . الصابي ، الوزراء : ٢٤٢ .

(٢٤) ابن الاثير ، الكامل : ١٨٤/٨ .

(٢٥) ن . م : ١٨٤/٨ .

(٢٦) مسكويه ، تجارب الامم : ١٨٧/١ .

(٢٧) الهمداني ، تكملة تاريخ الطبري : ٧٥/١ .

(١٧) ابن الطقطقي ، الفخرى : ٢٧١ ، ابن نوري بردي : النجوم
الزاهرة : ٢٦٨/٣ .

(١٨) ابن خلكان ، وفيات الاعيان : ١١٦/٥ .

(١٩) ابن الطقطقي ، الفخرى : ٢٧١ .

(٢٠) مسكويه ، تجارب الامم : ١٨٤/١ .

اعماله الوزارية :

استهل ابو علي بن مقله اعماله الوزارية « باخذ خطوط العمال والضمان بنحو مائة الف دينار » (٢٨) .
كأجراء منه لتوفير المستلزمات المالية للدولة ، ثم اتبع عمله هذا بتهيئة ظروف ملائمة للعمل فكتب كتابا « برفع كل الجنائيات والصادرات وسكن من الناس لينبسطوا في اعمالهم » (٢٩) .

ورث ابو علي بن مقله عجزا ماليا عن سلفه علي بن عيسى ، فاستطاع ان يرفده عندما بعث اليه عبد الله البريدي سفائح (صكوك) بثلاثمائة الف دينار من جملة الباقي بالاحواز ، اضافة الى تسلمه سفائح اخرى بمبلغ ستمائة الف دينار من الضامنين القاسم ابن دينار واحمد بن محمد بن رستم (٣٠) ، هذا فضلا عن مصادره لابي محمد عبدالله كاتب نصر حيث الزمه خمسين الف دينار (٣١) .

لم تزودنا المصادر المتوفرة بين ايدينا عن اعمال مهمة اخرى قام بها ابن مقله ، ولعل ذلك يعود الى عدم استقرار امور الخلافة ، فبعد مضي بضعة اشهر على استيزاره اندلعت الفتنة بين القواد ، وتمكن القائد مؤنس المظفر من عزل المقتدر عن الخلافة وبويع بها للقاهر بالله ليلة السبت النصف من المحرم سنة ٣١٧ هـ . وفي اليوم التالي احضر الوزير ابن مقله وكتب كتابا انشاه الى الولاة في النواحي بخبر تقليد القاهر الخلافة (٣٢) .

على ان المقتدر لم يستكن لتلك الفتنة ، بل تمكن بعد ايام من اخمادها والسيطرة على زمام الامور ، فاعاد ابا علي بن مقله الى وزارته ، فكتب هذا عن المقتدر بالله برجوع الخلافة اليه وتجديد البيعة له في سائر الاقاليم (٣٣) .

وفي خضم تلك الاحداث التي تلت عودة المقتدر الى الخلافة ، لم يتمكن ابن مقله من ابداء اي نشاط يذكر في وزارته ، فقد حكى ثابت بن سنان انه « حضر مجلس الوزير ابي علي بن مقله ولم يكن له شغل غير التوقيع للجند ببيع الضياع ... وكان الناس مجتمعين عليه وهو يوقع » (٣٤) . مما يدل على انه

كان مسلوب الارادة ، ينفذ ما يؤمر به . ومع ان المقتدر خلع عليه وكناه وكتب الى جميع النواحي بذلك الا انه لم يظهر ارتياحه منه ، بل كان يهتمه بتواطئه مع مؤنس المظفر ، وظل ينحين فرصة مناسبة لعزله ، حتى اتفق ان يخرج مؤنس الى (اوانا) (٣٥) متنزها وانحدر ابن مقله الى دار السلطان فاعتنم المقتدر بالله فرصة غياب مؤنس فقبض على ابن مقله وانفذ الى داره من احرقها وكان ذلك في سنة ٣١٨ هـ (٣٦) .

ولما بلغ مؤنس المظفر ما اقدم عليه المقتدر ونبته في استيزار الحسين بن قاسم بن عبيدالله ، خشي انفراد الخليفة بهذا التدبير ، فعاد مسرعا الى بغداد وسأل المقتدر رد ابن مقله ، فاعشاط المقتدر من ذلك وهم بقتل ابن مقله لولا توسط علي بن عيسى له (٣٧) .

واخيرا صرف المقتدر النظر عن استيزار الحسين بن القاسم ، واسند الوزارة الى سليمان بن الحسن رسميا على ان يقوم علي بن عيسى فعليا بالاشراف على سائر الامور من الاعمال والدواوين والا يتراخى في ذلك (٣٨) .

ويمكن القول ان منصب الوزارة لم يشهد استقرارا بعد عزل ابن مقله ، يدل على ذلك ان المقتدر عهد بعد عزله وخلال سنة واحدة ، الى ثلاثة وزراء هم : سليمان بن الحسن وابو القاسم بن عبيدالله ابن محمد الكلواذاني وابو الفتح الفضل بن جعفر ، حتى ان المقتدر ارتأى من الافضل اعادة ابن مقله ، ولكن الوشاية حالت دون ذلك . واخيرا اجتمع راي مؤنس مع الوزير الفضل بن جعفر على ابعاد ابن مقله الى الاحواز فابعده ، وهناك سلم الى ابي عبدالله البريدي في شيراز وكان ذلك في سنة ٣١٩ هـ (٣٩) .

وزارته الثانية :

لبث ابو علي بن مقله في منغاه بالاحواز سنة واحدة ، ولا نعلم عن اخباره هناك شيئا ، ولما حلت سنة ٣٢٠ هـ التي تسنم القاهر بالله فيها مقاليد الخلافة بعد مقتل المقتدر ، استدعاه الى بغداد فقدم اليه في يوم النحر فتلقيه بالحفاوة واعد له دار هارون

(٣٥) اوانا : بليدة كثيرة البساتين والشجر من نواحي دجيل بغداد ، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ (٦٠ كم) من جهة تكريت (يافوت ، معجم البلدان : ٢٧٤/١) .

(٣٦) مسكويه ، تجارب الامم : ٢٠٣/١ .

(٣٧) ن . م . : ٢٠٤/١ .

(٣٨) ن . م . : ٢٠٥/١ .

(٣٩) ن . م . : ٢٢٩/١ .

(٢٨) مسكويه ، تجارب الامم : ١٨٧/١ .

(٢٩) ن . م . : ١٨٧/١ .

(٣٠) الهمداني ، تكملة تاريخ الطبري : ٥٧/١ . مسكويه ،

تجارب الامم : ١٨٧/١ .

(٣١) الهمداني ، تكملة تاريخ الطبري : ٥٧/١ .

(٣٢) مسكويه ، تجارب الامم : ١٩٣/١ .

(٣٣) عريب ، صلة تاريخ الطبري : ١٤٤ .

(٣٤) مسكويه ، تجارب الامم : ٢٠٠/١ .

ابن المقندر فانزله فيها ، وفي اليوم التالي خلع عليه واعاده الى الوزارة (٤٠) ، فلما خرج منه بادر الى كسب ود مؤنس المظفر ، فزاره في داره وسلم عليه ، ثم انصرف الى داره وجلس لاستقبال الناس والوجوه الذين توافدوا عليه للتهنئة ، وكان من بينهم علي بن عيسى الذي راح اليه في آخر النهار ، الا ان الوزير لم يابه به فاستقبح الناس ذلك (٤١) .

عاد ابو علي بن مقله الى الوزارة وهو يضطفن على اولئك الذين ناوؤوه ايام المقندر بالله ، والذين تنكروا له ولاسرتة ولاسبابه خلال مدة ابعاده الى الاحواز ، فوجد في ذلك مايبرر مصادرتة لهم والتشكيل بهم . فابتدا اولا بمحاسبة الكواذاني الذي لم يقلد احدا من اسبابه اى عمل من الاعمال ، فقبض عليه ووبخه ، ثم صادرة على مائة الف دينار (٤٢) وقيل على مائتي الف دينار (٤٣) وسلمه مع كاتبه الى ابي بكر بن قرابة . واردف عمله هذا بالقبض على جماعة من العمال وكتاب الدواوين . وتكرر ايضا لبني البريدى وضمن اعمالهم بزيادة قدرها ثلاثمائة الف دينار وامر باعتقالهم ، فاعتقلوا في دار محمد بن خلف النيرماني ثم صب عليهم غضبه ، فامر بتعليق الجرار المملوءة على بعضهم لاستخراج الاموال منهم (٤٤) .

وتكرر ابن مقله ايضا لال الفرات ، فصادر ابا الخطاب بن ابي العباس بن الفرات ، وكان سبب عداوته له انه كان استسغفه ايام تكبته فلم يسغفه ، فحقد عليه ، وقد صادف ان ابا الخطاب ختن اولاده ، واقام بهذه المناسبة حفلا كبيرا دعا اليه الكثير وكان من جملة المدعوين ابناء الوزير ابن مقله ، فلما راوا اسرافا في البذخ عادوا فحدثوا اباهم بما شاهدوا وبالفوا في ذلك ، وهنا وجد ابن مقله فرصة مواتية لمحاسبة ومصادرة ابي الخطاب ، فعندما قصده هذا للسلام عليه في يوم الموكب قبض عليه وطالبه بثلاثمائة الف دينار ، وشرط عليه ان يؤديها خلال عشرين يوما ، ثم سلمه للخصيبي الذي سلمه بدوره الى صاحب الشرطة ، فانكب هذا على تعذيبه وضربه بالدرر والمقارع (٤٥) ، وبعد هذه الاهانة هدده بضرب عنقه ان لم يؤد شيئا .

غير ان هذا الاسلوب لم يزد ابا الخطاب الا اصرارا على عدم دفع اى مال ، فلما يش ابن مقله منه ، عفا عنه بشفاعة البعض له ، فوجه اليه بخلفة من ثيابه وحمله على دابة بمركب واستدعاه ثم قال له : « كثر علي الخليفة في امرك ، وعزيز علي مالحقك ، فامض مصاحبا الى منزلك » (٤٦) . فانصرف وادى المال في مدة عشرة ايام واطلقت ضياعه واملاكه .

بعد هذا اخذ الوزير ابن مقله خط ابي عبدالله البريدى واخويه ابي يوسف وابي الحسين بحمل اربعة الاف دينار في كل شهر (٤٧) ، كل ذلك من اجل توفير المال اللازم لتسيير امور الدولة . وقد لاقت مصادراته واجراءاته هذه ، كل استحسان وقبول من جانب القاهر بالله . ثم التفت ابن مقله الى ناحية مهمة اخرى ، وهي التخلص من مناوئيه وفي مقدمتهم بعض قادة المقندر ، الذين اجتمعوا في الاحواز فسير اليهم جيشا بقيادة ابي عبدالله البريدى ، فشنت شملهم ، وتعقبهم الى عسكر مكرم (٤٨) .

وحاول ابن مقله ايضا التخلص من علي بن عيسى بابعاده الى مصر للاشراف عليها عندما بلغه موت تكين الخاصة بها في سنة ٣٢١ هـ ، فتجهز علي ابن عيسى للخروج الى مصر ، ولكنه في الوقت نفسه التمس الوزير ان يعفيه من هذه المهمة متذعرا بكبر سنه وضعف قوته ، وحلف له الايمان المؤكدة على موالاته ، فحينئذ رق له قلب الوزير فأعفاه من مهمة الشخص الى مصر (٤٩) .

يتبين لنا مما تقدم ان الوزير ابن مقله ، قد استعاد شيئا من هيبة الوزارة الى حد ما ، فحظي بتقدير الخليفة القاهر بالله ، الذي كتب له رقعة بالتكسية وزيادة في التشريف والرتبة ، وامره ان يكتب بذلك الى الامصار ، والاعمال كلها ففعل .

تآمر ابن مقله على الخليفة القاهر بالله :

لم تدم مدة الصفاء طويلا بين الخليفة القاهر ووزير ابن مقله الذي طمح الى الانفراد في الامور ، وتآمر على سيده الخليفة مع بعض القادة ، ومن بينهم

(٤٠) المسعودى ، التنبيه والاشراف : ٣٧٦ .

(٤١) مسكويه ، تجارب الامم : ٢٤٥١ .

(٤٢) مؤلف مجهول ، العيون والحدائق في اخبار الحقائق : ٤/٦ : ٢ .

(٤٣) مسكويه ، تجارب الامم : ٢٤٦١ .

(٤٤) مجهول ، العيون والحدائق ، ١/٢ : ٦ .

(٤٥) مسكويه ، تجارب الامم : ٢٥٢١ .

(٤٦) ٢٥٣/١ : ٢٠٥ .

(٤٧) ٢٥٢/١ : ٢٠٥ .

(٤٨) عسكر مكرم . بضم الميم وسكون الكاف وفتح الراء ، مدينة مشهورة من نواحي (عربستان) منسوبة الى مكرم بن معز ابن الحارث ، ابتناها ايام ولاية الحاجب بن يوسف التتفي (ياقوت ، معجم البلدان : ١٢٣١ - ١٢٤) .

(٤٩) مسكويه ، تجارب الامم : ٢٥٨/١ .

مؤنس المظفر ويلقب ، فضيقوا على القاهر ، واتفقوا سرا على خلعهم من الخلافة وتقليدها ابا احمد ابن المكتفي بالله الذي عقدوا له البيعة سرا ، واكثر من هذا فقد اناط المتآمرون مهمة عزل القاهر بالقوة الى علي بن يلبق ، وكانت الخطة تقضي بأن يوهب ابن مقله الخليفة بتهديد ابي طاهر القرمطي للكوفة ، وانه اتفق مع مؤنس المظفر على تسيير علي بن يلبق مع اكثر قواده وقواد ابيه لمحاربة القرمطي ، وانه وافقه على التوجه قبل خروجه الى دار الخليفة ليصل اليه ويودعه في العنية (٥٠) ، في حين كانت مهمته الاساسية القبض على الخليفة ومن ثم عزله .

غير ان الوزير ابن مقله لم يستطع اخفاء ما كان قد دبّر ، وقلق من عدم جواب الخليفة له بالموافقة على خروج ابن يلبق المزعوم الى الكوفة . فكتب في الصباح رقعة ثانية الى الخليفة بمثل ماكتب به في اليوم السابق ، ولما اطلع القاهر عليها استراب في الامر وحذر ان يكون هناك تدبير عليه .

ويبدو ان احد اعوان ابن مقله ويدعى طريف السبكري قد وشى بالمتآمريين الى القاهر ، لانه كان يحسد بليقا ومؤنسا ويخشى انفرادهما بالامر (٥١) ، فاتخذ القاهر اجراءاته ودعا اليه الساجية (٥٢) الذين هبوا بسلاحهم لحمايته فبطل بذلك ما كان قد دبّر المتآمرون ضده .

والراجع ان علي بن يلبق لم يتمكن ان يحشد ويستجمع قوة عسكرية ذات شأن لتنفيذ ما اسند اليه ، فتمكن الساجية من تشتيت شمله ولاذ بالفرار ثم استتر ، فلما بلغ خبر هزيمته الى ابن مقله استتر هو الآخر ومن معه من اصحابه ، ولم يكن القاهر ليغفر لاولئك المتآمريين فعلتهم النكراء ، بل انه امر بحرق دار ابن مقله فأحرقت ، ثم جد في طلب المستترين ، فقبض على ابي احمد بن المكتفي فأمر بجعله في باب وسد عليه بالجص والاجر وهو حي (٥٣) ، وأمر ايضا بنهب دور بنسي مقله ودور

(٥٠) ن . م . : ٢٦٣/١ .

(٥١) ابن الجوزي ، المنتظم : ٢٤٩/٦ .

(٥٢) الساجية : هم فرقة من عسكر الخلافة ، سميت بهذا الاسم على ما اصطلح الحكام في تلقيب كل جماعة من الجند لمميزاتهم عن سواهم ، ونسب (الساجية) الى ابي الساج ديودان بن ديوست القائد العباسي الذي اع اسمه منذ عهد المعتصم ، واستمر من ذريته جماعة خدموا الخلافة العباسية .

انظر : تاريخ ابن خلدون : ٨٢٢/٤ . حمدان الكبيسي ،

عصر الخليفة المنتصر بالله : ٢٦٥-٢٦٦ .

(٥٣) ابن الجوزي ، المنتظم : ٢٥٠/٦ .

المتآمريين الآخرين فنهبت . ولم ينج علي بن يلبق من الملاحقة رغم استتاره ، بل قبض عليه وحمل الى دار السلطان وضرب بحضرة القاهر ضربا مبرحا فاقر بعشرة الاف دينار فصودرت وسلمت الى بيت المال ، ثم رُج به في السجن حيث ذبح مع ابيه ، ووجه براسيهما الى مؤنس الذي لعن قاتلهما ، فأمر الخليفة به فجر برجله الى بالوعة وذبح هو الآخر كما تذبح الشاة على مرأى من الخليفة القاهر ، وطيف برؤوس الثلاثة في بغداد ، ثم ردت اخيرا الى خزانة الرؤوس (٥٤) .

اما ابو علي ابن مقله ، الذي افلت من العقاب واستتر ، فانه لم يكف عن التآمر على الخليفة القاهر ، بل كان يرأسل الساجية والحجرية (٥٥) سرا ويحرضهم عليه ، وكان يلتقي بهم في الليل تارة في زى اعشى ، وتارة في زى 'مكد' ، وتارة في زى امرأة (٥٦) ، يدعوهم الى جمع الكلمة ويحذرهم من بطش القاهر بهم وبنائه انظامير لهم . ويبدو ان ابن مقله افلح في تحريضه لقواد الساجية والحجرية ، وشحذ عزمهم على مناوأة الخليفة القاهر ، فاجتمعوا وتحالفوا على ان تكون كلمتهم واحدة ، ثم استحثوا اتباعهم فقصدوا دار القاهر وقبضوا عليه في ضحوة نهار الاربعاء لست خلون من جمادى الآخرة سنة ٢٢٢ هـ . واودعوه في السجن تحت حراسة مشددة بعد ان سملوا عينيه ثم بايع القواد ابا العباس احمد ابن المقتدر الذي لقب بـ (الراضي) ، والجدير بالذكر ان ابن مقله أسهم في اخذ البيعة للخليفة الجديد (٥٧) .

وزارته الثالثة :

عندما تسلم الراضي الخلافة ، طلب الى علي ابن عيسى ان يتولى الوزارة له ، ولكن هذا اعتذر عن اجابة الخليفة الى طلبه في ظرف كانت الغلبة فيه للقواد فتذرع بأنه ربما لايفي بمهمة الامر لكبر سنه وضعفه ، غير ان الراضي لم يعفه من ذلك اول الامر ، بل الح عليه ، ثم اسندها الى اخيه عبد الرحمن بن عيسى على « ان يكون الاسم له ويتولى

(٥٤) مسكويه ، تجارب الامم : ٢٦٨/١ .

(٥٥) الحجرية : هم ضرب من الحرس الخاص وجدوا في دار الخلافة ، وكانوا يقيمون « في حجر منفردة » لكل حجرة منها اسم يخصها ، وعدتهم كاملة ... ومتى طلبوا لهم لم يجدوا عائقا .. وللصبيان منهم حجرة منفردة ... بمعزل عن القصر » . انظر : (الفلقشندي صبح الاعشى :

٢٧٧/٣) .

(٥٦) ابن الاثير ، الكامل : ٢٧٩/٨ .

(٥٧) مسكويه ، تجارب الامم : ٢٨٦/١ .

هو النظر في أمر الملك وتدبير الناس وجباية الاموال على كره منه لذلك ، لما رأى من تعذر مال البيعة (٥٨) .

وهنا تطلع ابو علي ابن مقله الى تسلم الوزارة للراضي وطمع فيها ، ولكي يحقق رغبته هذه ، لجأ الى سيما المناخلي (قائد الساجية) ، وبذل له خمسمائة الف دينار بصرفها في رجاله ليساعده في الوصول الى الوزارة ، ووعدده ايضا بخمسمائة الف دينار اخرى لنفسه ان هو ساعده في مسماه ، وكان للمال الذي بذله ابن مقله ، اثره في استمالة المناخلي الى جانبه ، فاشار هذا على الراضي استيزار ابن مقله ، فوافق الراضي على ذلك ، واستوزره في يوم السبت لتسع خلون من جمادى الاولى سنة ٣٢٢ هـ (٥٩) .

حاول ابو علي بن مقله اثر استيزاره للراضي ، ان يسير في الناس سيرة حنة لكسب رضاهم ، وكان يقول : « قد عاهدت الله في استتاري الا سيء الى احد » (٦٠) ثم انه امر باطلاق المحبوسين الذين كانوا في حبس القاهر ، وقلد ابا العباس الخصيبي مهمة الاشراف على الدواوين والضيايع (٦١) .

ولكن ابن مقله فوجيء في مستهل وزارته هذه ، بمنافس قوى له ، وهو محمد بن ياقوت الذي استولى على الحجبة ورياسة الجيش ، وتدخل في تدبير اعمال الخراج والضيايع بل وامور الوزارة ، فضلا عن مطالبته اصحاب الدواوين بالا يوقعوا توقيعاً بولاية ولا صرف ولا غير ذلك الا بعد ان يوقع فيه بخطه (٦٢) .

وصور الصولي استبداد ابن ياقوت بالامور قائلا :

« وتمزق الامر بين محمد بن ياقوت ومحمد بن علي بن مقله ، واستبد ابن ياقوت بالامر دونه ولم يعض امرا الا بتوقيعه ، ورمى باكثر امره الى محمد ابن احمد القراريطي الى ان اظهر الوزير اطباق دواته وترك النظر في شيء البتة ، فاذا اضطر ان يوقع في اعمال او ينظر في امر مال ، عرضت توقيعاته على ابن

ياقوت فما اراد امضاه ورضيه وقع فيه بامضائه ، وما لم يرده لم يوقع فيه فبطل ، ولم يلتفت الى توقيع غيره » (٦٣) .

يتبين لنا من هذا ان الوزير ابن مقله اصبح مسلوب الارادة والنفوذ في دولة الخلافة ، فلم يكن منفذا لاوامر الخليفة القاهر فحسب ، بل منفذا ايضا لاوامر محمد بن ياقوت الذي ازدادت منزلته علوا وبخاصة بعد خروجه على راس جيش من الساجية والحجرية لمحاربة هارون بن غريب انخال صاحب الدينور وما سبذان وحلوان والذي زحف الى بغداد مطالبا بزيادة المال لرجالته ، ولكن ابن ياقوت حاربه وقتله وسير راسه مع رؤوس عدد من قواده الى بغداد حيث امر الراضي بنصب تلك الرؤوس على باب العامة وخلع على ابن ياقوت واليسه طوقا وسوارا وكان ذلك في جمادى الاخرة سنة ٣٢٢ هـ (٦٤) .

لم يستكن ابن مقله لقلبة محمد بن ياقوت على الامور ، بل راح يدبر ضده للتخلص منه ، وقد وافته الفرصة المناسبة لتحقيق بغيته ، حينما اظهر الراضي انه يريد ان يولي جملة قواد نواحي عديدة من دولته ، وانه يرغب ان يخلع عليهم فركب الوزير ابن مقله ومحمد بن ياقوت وكاتبه ابو اسحاق القراريطي الى دار السلطان لحضور مراسم التقليد وذلك في يوم الاثنين لست خلون في جمادى الاولى سنة ٣٢٣ هـ ويبدو ان الوزير عزم في تلك الاثناء على التخلص منهما بمساعدة بعض اعوانه ، فالقى القبض على ابن ياقوت وادخل الى حجرة منفردة ، حيث جرد من سيفه ومنطقته وحبس فيها ، كما ادخل القراريطي الى حجرة اخرى وجرى عليه مثل الذي جرى على صاحبه على ان ابن مقله لم يكتف بحبس هذين اللذين يعتبرهما من الد خصومه ، بل ارسل جندا الى دار المظفر بن ياقوت ، فقبضوا عليه وحملوه الى دار السلطان ، وحبس مع اخيه محمد بن ياقوت ، ووضع الثلاثة تحت حراسة مشددة (٦٥) .

والجدير بالذكر ان الخليفة الراشي لم يحرك ساكنا ازاء هذا التصرف من جانب وزيره ، مما يدل على تأييده لاجراءاته المذكورة . ولا يستبعد ان تكون تلك الاجراءات قد تمت بعلم الخليفة ورضاه ، للتخلص من ابني ياقوت بعد ان ازداد نفوذهما وتدخلهما في امور الدولة .

(٥٨) الصولي ، اخبار الراضي والمتقي لله : ٤ .

(٥٩) ن . م . ٥ : ٥ ، ابن خلكان ، وفيات الايمان : ١١٤/٥ .

(٦٠) مسكويه ، تجارب الامم : ٢٩٢/١ - ٢٩٤ .

(٦١) ن . م . ٢ : ٢٩٥/١ .

(٦٢) ن . م . ٢ : ٢٩٥/١ - ٢٩٦ .

(٦٣) الصولي ، اخبار الراضي والمتقي لله : ٢١ .

(٦٤) مسكويه ، تجارب الامم : ٢٩٦ - ٢٩٧ .

(٦٥) ن . م . ٢ : ٣١٨/١ ، ابن الاثير ، الكامل : ٢٠٥/٨ .

في الموصل ليعلمه بذلك ، رفض هذا دفع مال الضمان ، واستشاط غضبا على عمه فامر غلمانه بقتله فقتلوه (٧٠) .

ولما ورد خبر ذلك الى الراضي امتعض ، وامر وزيره ابن مقله بالتأهب للخروج الى الموصل والإيقاع بناصر الدولة ، وهنا راجت شائعة تقول بأن علي بن عيسى هو الذي حرض ناصر الدولة على الامتناع عن دفع المال للخلافة وحشة على منع حمل الميرة من الموصل الى بغداد . ولا يستبعد أن يكون لتلك الشائعة ظل من الحقيقة فمن المحتمل أن علي بن عيسى كان يهدف من وراء تحريضة ناصر الدولة الحمداني احراج خصمه ابن مقله من الناحية المالية لتعود الفوضى والاضطرابات ، ومن ثم يعجز عن تسيير امور الوزارة . وعلى اية حال فقد وجد ابن مقله في ذلك مسوغا لمصادرة علي بن عيسى ، فحبسه والزمه بتأدية خمسين الف دينار ، فضلا عن مصادرة ما قيمته عشرة الاف دينار من عقاراته وضياعه (٧١) .

تأهب الوزير ابن مقله للخروج الى الموصل ، فاستخلف ابنه ابا الحسين مكانه ببغداد ، واطلق سراح علي بن عيسى من السجن ، واستخلفه على ان « لا يسمى في مكروهه ولا يتكلم فيه بما يقدح في حاله ولا فيما يفسد امره ولا يسمى في الوزارة لنفسه ولا لغيره من الناس (٧٢) » . ثم حشد واستجمع العساكر فسار الى الموصل في شعبان سنة ٣٢٣ هـ لمحاربة ناصر الدولة الحمداني (٧٣) . فلما وصل اليها ، وجد ان ناصر الدولة قد غادرها ، فتعقبه الى بلد الزوزان ولم يظفر به . وحينئذ عاد الوزير ابن مقله الى الموصل ، فلبث فيها مدة يجبي مالها ، ويستلف من التجار والمجهزين للدقيق لتغطية نفقات جيشه « فأجتمع له من ذلك اربعمائة الف دينار (٧٤) » .

ويبدو ان مقام الوزير ابن مقله قد طال في الموصل حتى اتاه كتاب ابنه ابي الحسين من بغداد ، يعلمه ان الامور قد اختلفت ، وان تأخر لم يأمن حدوث ما يبطل به امرهم . وذكر ابن الاثير ان بعض اصحاب ناصر الدولة الحمداني قد احتالوا على ابن الوزير وبذلوا له عشرة الاف دينار ليكتب الى ابيه يستدعيه ليعود ناصر الدولة الى الموصل (٧٥) .

بعد ان تخلص الوزير ابن مقله من اخطر منافسيه الذين حاولوا فرض هيمنتهم على الخلافة والوزارة معا ، عول اعتماده على ابنه ابي الحسين فاستخلفه على جميع الدواوين والاعمال ، وصار اليه الحل والعقد ، حتى بات وكأنه وزير ثان مع ابيه وبخاصة بعد ان خلع الراضي عليه خلع الوزارة وخاطبه بها ، مع حدائنة سنه ، اذ كان عمره وقتئذ ثمانى عشرة سنة (١١) .

اما احوال بغداد فانها لم تهدأ بسبب ضعف الخلافة التي لم ينقذها تدبير الوزير ابن مقله ، فقد ساءت الامور الى حد بعيد ، وشغب الجند مطالبين بأرزاقهم ، وعندما لم يجابوا الى طلبهم ، قاتلهم قصدوا دار الوزير ونهبوا اصطبلاته ، واهانوا جماعة في مجلسه ، ثم عاثوا في طرقات بغداد وتعرضوا للمارة بها ، فأنزعج الناس من ذلك . وهنا لم يجد الوزير بدا من اطلاق ارزاقهم فسكنوا الى حين ، ثم عاودوا الشغب ثانية فهجموا على دار الوزير ونهبوا احدى خزائنه (١٢) ، دون ان يقوى على منهم .

وانتهز الحنابلة شغب الجند والفرسان ، فعمدوا هم الآخرون الى اثارة المشاكل والاضطرابات ، وقويت شوكتهم ، فكبسوا دور القواد والعمالة ، واعترضوا في البيع والشراء ، وتعرضوا للناس في الدروب (١٣) ، فركب بدر الخرشني ، صاحب الشرطة لتهدئة الامور ، فنادى في جانبي بغداد الا يجتمع من الحنابلة اثنان في موضع واحد ، وقبض على جماعة منهم وزج بهم في السجن (١٤) .

اما في خارج بغداد ، فحدثت احداث اخرى اقضت مضجع الوزير ابن مقله فقد تحرك ابو عبد الله البريدي ضامن اعمال خراج وضياع الاحواز ، ولكن ابن مقله سكنه وارضاه .

وحدث حادث آخر من جانب ناصر الدولة الحمداني ، تسبب في ازعاج الخليفة الراضي وخروج ابن مقله الى الموصل ، خلاصته ان ابا العلاء سعيد بن حمدان (عم ناصر الدولة الحمداني) كان قد تضمن الموصل وديار ربيعة سرا على مال يؤديه للخلافة ، فلما قصد ابن اخيه ناصر الدولة بن عبدالله بن الحسن

(٧٠) ن . م . ٢ : ٢٢٤/١ .

(٧١) ن . م . ٢ : ٢٢٤/١ - ٢٢٥ .

(٧٢) ن . م . ٢ : ٢٢٥/١ .

(٧٣) ابن الاثير ، الكامل : ٢١٠-٢٠٩/٨ .

(٧٤) مسكويه ، تجارب الامم : ٢٢٦/١ .

(٧٥) ابن الاثير ، الكامل : ٢١٠/٨ .

(١٦) ن . م . ٢ : ٢٢١/١ .

(١٧) ن . م . ٢ : ٢٢٢/١ .

(١٨) ابن الاثير ، الكامل : ٢٠٧/٨ .

(١٩) مسكويه ، تجارب الامم : ٢٢٢/١ .

ومهما يكن فقد انزعج الوزير مما بلغه ، فقرر العودة الى بغداد ، وقبل عودته استعمل على الموصل وديار ربيعة ، علي بن خلف بن طناب ، وقلد اعمال المعاون هناك ، ماكرد الديلمي ، وهو من الساجية ، ثم انه وفي التجار ما استلغفه منهم ، وفي الوقت نفسه ارسل كتاباً الى ابنه ابي الحسين اوصاه فيه بمداواة علي ابن عيسى ، وسبب ذلك هو ان الوزير ابن مقله كان ارسل رسولا من عنده الى ناصر الدولة الحمداني يدعو الى الطاعة ويبدل له الامان ، غير ان هذا لم يأمن جانبه كما يظهر ذلك من قوله للرسول : « ليس بيني وبين هذا الرجل (يعني ابن مقله) عمل ولا اقبل ضمانه لانه لا عهد له ولا وفاء ولا ذمة ولا اسمع منه شيئا اللهم الا ان يتوسط ابو الحسن علي بن عيسى بيني وبينه ويضمن لي عنه ، فاسكن الى ذلك واقبله (٧٦) » .

وبعد ذلك انحدر ابن مقله من الموصل في منتصف شوال (٧٧) عائدا الى بغداد من غير ان يحقق المهمة التي خرج من اجلها ، وبعودته هذه وجد امامه مشاكل كثيرة ، في مقدمتها امتناع ابي عبد الله البريدي عن تأدية ضمان الاحواز وايوانه احمد بن علي الكوفي الذي كان احد المقربين للوزير وابنه ، والذي تنكر لهما بعد ارسالهما اياه الى البريدي ، حيث راح يصغر له امر الخلافة ويصف له ادبارها بسبب سوء تدبير الوزير .

وقد سعى ابن مقله الى مداواة البريدي خشية تغير نيته عليه ، فكتب اليه كتابا بخطه جاء فيه : « الويل للكوفي الفاض ، فيما انفلد حتى انفلتته ليصلحك لي فافسلك علي واطمعلك ، واصفيت بالشرة اليه ، والله لا قطعن يديه ورجليه ، فاما انت فارجو الا تصر علي كفر نعمتي واحساني اليك . وان تنيب بك الروية الى رعاية حقوق اصطناعي لك فترضيني من نفسك ، وتعينني في مثل هذه الحالة الصعبة ، التي لم يدفع من جلس مجلسي في دولة من الدول الى مثلها ، وان تجبرني مما قد اظلني بمال تحمله ، فتحفظ به نعمتك التي احداها في يدي والاخرى في يدك ان شاء الله (٧٨) » .

هذا واننا لانعلم فيما اذا كان ابو عبد الله البريدي قد اجاب الوزير ابن مقله على كتابه ام لا ؟ فالراجح انه لم يجبه بشيء بل ظل يماطله حتى سيطر ابو بكر بن رائق على مقاليد الامور ببغداد .

لقد استمر ابن مقله في الوزارة ، ولكننا نكاد لانحس بأي اثر له في الناحيتين السياسية والادارية ، وكل ما وصل اليها من اخباره ، هو تقليد الحسن بن هارون على بلاد الجبل ، ومن بعده محمد بن خلف النيرماني على البلاد نفسها وذلك في سنة ٣٢٣ هـ (٧٦) . وقلد في السنة التالية (٣٢٤ هـ) محمد بن طفج اعمال المعاون بمصر مضافة الى ما كان يتقلد من اعمال معاون الشام ، وفي السنة نفسها امر باطلاق المظفر بن ياقوت في حبسه من دار السلطان (٨٠) .

على ان الامور لم تجر لصالح ابن مقله ، اذ ارتفعت الاسعار في سنة ٣٢٤ هـ وضج العامة واشتبكوا مع الجند في مسجد الرصافة وباب الطاق ورموهم بالحجارة وقد تدخل ابن مقله لتخفيف حدة الغلاء ، فاشار بان يسمر مكوك الدقيق بثلاثة دراهم ، واجاز ايضا تعامل الناس بالغليظ من الدراهم والمسوح طلبا للرفق بهم (٨١) ، ولكن جهوده في هذا المجال ذهبت سدى اذ تفاقت الازمة باستحقاق الجند اعطياتهم ، فالتجأ الوزير الى الاقتراض من ميسير التجار مقابل صكوك يكتبها لهم ، ولكن هؤلاء لم يجيبوه الى ما طلب خوفا على اموالهم ان لا يتردد ، وهنا لم يتردد في القبض على بعضهم واخذ اموالهم وبضاعتهم بالاكراه ، ومثال ذلك ماجرى على ابن جبير الدقاق حيث اخذ منه ماله ، وامر الوزير ان يفرق الدقيق على الاشراف والفقراء ، فاستحسن الناس ذلك ، فانفجرت الازمة ومالت الاسعار الى الاعتدال بوصول زواريق كثيرة محملة الى بغداد (٨٢) .

عزله عن الوزارة :

لم توقف اجراءات ابن مقله روح السخط بين منائيه الذين كانوا يتربصون به الدوائر ، وفي مقدمة هؤلاء الساخطين عليه المظفر بن ياقوت الذي ظل يسعى لاخذ الثار منه بعد ان صح عنه انه هو الذي قتل اخاه وكان السبب في ازالة امر اهله .

وافلح المظفر هذا بتحريض الحجرية على الوزير ، فتنكروا له ومالاهم الساجية فوثبوا جميعا

(٧٩) ن . م . : ٣٢١/١ .

(٨٠) ن . م . : ٣٢٢/١ .

(٨١) الصولي ، اخبار الرازي والتقني لله : ٧١ .

(٨٢) ن . م . : ٧٦ .

(٧٦) مسكويه ، تجارب الامم : ٢٢٧/١ .

(٧٧) ابن الاثير ، الكامل : ٢١٠/٨ .

(٧٨) مسكويه ، تجارب الامم : ٢٢٩/١ .

بالوزير وقبضوا عليه (٨٢) ، وذلك في يوم الاثنين لاربع عشرة ليلة بقيت من جمادى الاولى من سنة ٣٢٤ هـ (٨٤) ، ووجهوا الى الراضي يعلمونه بما جرى ، ويسألونه استيزار غيره .

ويبدو ان الخليفة الراضي لم يكن بإمكانه تدارك الموقف بل انه وجه اليهم يستصوب فعلهم بأنهم لو لم يفعلوا ذلك لفعله هو بنفسه ، ثم ترك اليهم اختيار وزير جديد .

ولما بلغ الناس عزل الوزير هجموا على داره ودار ابنه الملاصقة لها ونهبوها وطرحوا فيهما النار ، ونهبوا أيضا جماعة من كتابه ، كما كتبوا على حيطان داره :-

احسنت ظنك بالايام اذ حسنت
ولم تخف سوء ماياتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها
وحين تصفو الليالي يحدث الكدر (٨٥)

وهنا سعى الخليفة الراضي الى اسناد منصب الوزارة الى مؤهل لها ، ينوء بأعبائها ويرضى عنه الفلمان الحجرية ، الذين اشاروا عليه باستيزار علي ابن عيسى لامانه وكفاءته ، غير ان هذا رفض تسلم الوزارة ، واقتراح اسنادها الى اخيه عبد الرحمن بن عيسى فلاقى اقتراحه هذا هوى في نفس الراضي ، فقلد عبد الرحمن الوزارة والدواوين وخلع عليه (٨٦) .

اما ابن مقلة فانه سلم الى خلفه عبد الرحمن بن عيسى الذي عامله بالبغضاء والجفاء وضربه بالمقارع وصادر امواله ، حيث اخذ خطه بألف الف دينار . وبعد ان جرى عليه من المكارة الشيء الكثير توسط امره ابو بكر بن قرابة وضمن ماعليه (٨٧) .

وهكذا ظل ابن مقلة بعيدا عن الوزارة ، يرقب الاحداث عن كثب ، فلما رأى عجز الوزير عبد الرحمن بن عيسى عن تصريف الامور وعزله ، فضلا عن عجز وزيرين آخرين اعقباه زج بنفسه في خضم الاحداث الصعبة مما تسبب في قطع يده اليمنى ولسانه على نحو ما سندكره بعد قليل .

(٨٢) ن . م . : ٨١ .

(٨٤) مسكويه ، تجارب الامم : ٢٣٦/١ .

(٨٥) الصولي ، اخبار الراضي والمتقي لله : ٨٢ .

(٨٦) مسكويه ، تجارب الامم : ٢٣٦/١ .

(٨٧) الصولي ، اخبار الراضي والمتقي لله : ٨٢ .

نهايته

اذا كان ابو علي بن مقلة قد عاش ردحا من حياته في امن ونعمة فاشية (٨٨) فان الوشاية كانت تترصده والمكائد تنصيده ، مما تسبب في نهاية حياته نهاية مأساوية مؤلمة .

ان محاولة ضبط الصورة التي انتهت فيها حياة ذلك الوزير الطموح ، تستلزمنا متابعة ماجرى عليه ، بدءا من استيلاء ابن رائق على مقاليد الامور ببغداد في سنة ٣٢٦ هـ وانتهاء بوفاته في سنة ٣٢٨ هـ .

عمد ابن رائق الى مصادرة ضياع ابي علي بن مقلة وابنه ، فسمى ابو علي الى استرداد الضياع المقبوضة بوساطة جماعة لدى ابن رائق ، ولكن هذا ماطله مرارا . وحينذاك لم يجد ابن مقلة بدا من الكيد له ، فأخذ يحرض الخليفة الراضي عليه من جهة ، ويطمع الامير (بجكم التركي) بأبن رائق من جهة اخرى ، فكتب الى الراضي يشير عليه بالقبض على ابن رائق واسبابه ويضمن مقابل ذلك ان يستخرج له ثلاثة الاف الف دينار ، وأشار عليه ايضا بتنصيب بجكم مكانه (٨٩) . وكانت مكاتبتة للراضي قد جرت على يد علي بن هارون بن المنجم النديم (٩٠) .

لقد ظن ابن مقلة ان تصريف الامر سيكون في صالحه ، فهم بتنفيذ تدبيره على ابن رائق بعد ان توثق لنفسه من الخليفة ، فخرج من داره متخفيا ليلة الاثنين لليلة بقيت من شهر رمضان لمقابطة الراضي ، فلما وصل اليه رفض هذا مقابلته ، وامر باعتقاله في حجرة بدار السلطان ، وفي الصباح ارسل الى ابن رائق يخبره بتدبير ابن مقلة عليه وما جرى له (٩١) . فكان ذلك بداية لنهايته المأساوية اذ ما ان حل يوم الخميس لاربع عشرة خلت من شوال سنة ٣٢٦ هـ ، حتى اخرجته الراضي من سجنه ، فأمر بقطع يده اليمنى (٩٢) ، اى انه امر بقطع كف صناع

(٨٨) انظر على سبيل المثال : المحسن بن علي التنوخي ، نشوار الحاضرة واخبار المذاكرة ٧٠١ . الدلجسي ، الفلاكيه والفلوكون : ١٢٨ . لسترنج ، بغداد في عهد الخلافة العباسية (الترجمة العربية) : ١٨٩ . ادم منز الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري (الترجمة العربية) : ١٧٢/١ .

(٨٩) مسكويه ، تجارب الامم : ٢٨٦/١ .

(٩٠) بالقوت : معجم الادباء : ٤٤٠/٥ .

(٩١) مسكويه ، تجارب الامم : ٢٨٧/١ .

(٩٢) ن . م . : ٣٨٨/١ . ابن الاثير ، الكامل : ٢٤٥-٢٤٦ .

وإداة من ادوات الزينة والجمال في دولته وذلك هر الحمق بعينه ، والغفلة في افبح صورها (٩٢) .

على ان الراضي لم يطلق سراح ابن مقلة بعد الذي احله به ، بل رده الى سجنه متوجعا متحسرا على يمنيه ، ويكفي هنا ان تصور حاله في نكبته هذه بما حكاه ثابت بن سنان (٩٤) قائلا : « استدعاني الراضي وامرني بالدخول اليه وعلاجه فصرت اليه فوجدته في حجرة مقفلة عليه ، ففتح الخادم الباب فرايته بحال صعبة قدممت (عينه) حين رأني ، ووجدت ساعده قد ورم ورما عظيما ، وعلى موضع القطع خرقة غليظة ... مشدودة بخيط قنب ، فحللت الشد ، ونحيت الخرقة فوجدت تحتها على موضع القطع سرجين الدواب ، فنفضته عنه واذا رأس الساعد اسفل القطع مشدود بخيط قنب قد غاص في ذراعه لشدة الورم وابتدا ساعده يسود (فمرفت) ان سبيل الخيط ان يحل ويجعل موضع السرجين كافور ويطلو ذراعه بالصندل وماء الورد والكافور ... فحللت الخيط وفرغت المخزن في موضع القطع وطلبت ساعده ... فرجعت اليه نفسه وانصرفت ثم ترددت اياما كثيرة الى ان عوفي وكنت اذا دخلت اليه يسألني عن خبر ابنه ابي الحسين فأعرفه استناره وسلامته فتغليب نفسه ثم ينسوح ويبكي على يده ... » (٩٥) .

هذه هي صورة النكبة القاسية التي حلت بأبي علي بن مقلة ، الذي لم يبق امامه سوى ان يندب حظله العائر ، فقال متوجعا متحسرا على يمنيه : « قد خدمت بها الخلافة ثلاث دفعات لثلاثة من الخلفاء وكتب بها القرآن دفعتين تقطع كما تقطع ايدي اللصوص (٩٦) » ! ! وراح يتمثل بهذا البيت من الشعر :

إذا مامات بعضك فأبك بعضا

فبعض الشيء من بعض قريب

(٩٢) على الجندي واخرون ، اطوار الثقافة والفكر في ظلال العروبة والاسلام : ٤٧٣ .

(٩٤) هو ثابت بن سنان بن ثابت بن مرة الطيب ، من اسرة اشتهرت بالطب ، وورث هو الصنعة عن ابيه وجده . (الفنطى اخبار العامة باخبار الحكماء : ١٢٠ ، ١٢٢) .

(٩٥) مسكويه ، نجارب الامم : ٢٨٧/١ - ٢٨٨ .

(٩٦) ن . م . : ٢٨٨/١ .

ومن قوله المؤثر في نكبته وغدر الدنيا به :

ما سئمت الحياة لكن توقفت
بأيمانهم فبانست يميني
بعت ديني لهم بدنياي حتى
حرموني دنياهم بعد ديني
ولقد حطت ما استطعت بجهدى
حفظ ارواحهم فما حفظوني
ليس بعد اليمين لذة عيش
ياحياتي بانت يميني فييني (٩٧)

وقد وصف بعض المؤرخين حال هذا الرجل في اخر ايامه بعد القوة وحياة الابهة ، وتسلمه الوزارة ثلاث دفعات في ظل ارباب السيوف ، فيقال انه كان لايجد من يخدمه حتى كان يستسقي الماء بنفسه من البئر فيجذب حبل الدلو بيده اليسرى ثم يمسكه بفيه (٩٨) .

والغريب انه كان يرسل الراضي من السجن بعد قطع يده ، يطعمه في المال ويطلب اليه اعادة استيزاره ، ولكن الراضي لم يسمع له ، بل صب عليه جام غضبه وهو متمكن منه شر تمكين ، فأمر بقطع لسانه بعد يده ، ثم نقل الى سجن ضيق ، ولحقه شقاء شديد الى ان مات فاستراح من عذابه الاليم ، وذلك في شوال سنة ٣٢٨ هـ (٩٩) ، ودفن بدار الخليفة ، ثم ان اهله طالبوا فيه فنبش وسلم اليهم ، فدفنوه في داره ، ثم نبش ونقل الى دار اخرى هي دار زوجته (١٠٠) .

وهكذا انتهت حياة الوزير ابي علي بن مقلة ، الذي ولي الوزارة ثلاث دفعات ، ووزر لثلاثة خلفاء ، وسافر ثلاث سفرات اثنتين منفيا الى شيراز وواحدة في وزارته الى الموصل ، ودفن بعد موته ثلاث مرات .

(٩٧) ابن خلكان ، وفيات الاعيان : ١١٦/٥ .

ابن العماد الغنيلي ، شذرات الذهب : ٢١١/٢ .

(٩٨) ابن الاثير ، الكامل : ٢٤٦/٨ . ابن خلكان ، وفيات الاعيان : ١١٦/٥ .

(٩٩) الصولي ، اخبار الراضي والمتقي لله : ١٤٢ . ابن الاثير ، الكامل : ٢٤٦/٨ .

(١٠٠) ابن الاثير ، الكامل : ٢٤٦/٨ . ابن الطنقى ، الفخرى في الاداب السلطانية : ٢٧٢ - ٢٧٣ .

المصادر والمراجع

- ابن الاثير ، عز الدين علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني (ت ٦٢٠ هـ)
- ١ - الكامل في التاريخ ١٢ جزءا (دار صادر - دار بيروت ، بيروت ١٩٦٥ - ١٩٦٦)
- ابن تغري بردي ، ابو المحاسن جمال الدين يوسف (ت ٨٧٤ هـ) :
- ٢ - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ١٢ جزءا ، النسخة المصورة عن طبعة دار الكتب المصرية (١٩٦٢) .
- ابن الجوزي ، علي بن عبد الرحمن بن محمد (ت ٥٩٧ هـ) :
- ٣ - المنظم في تاريخ الملوك والامم ج ٦ - ١٠ : حيد آباد الدكن (١٩٥٩) .
- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ) :
- ٤ - تاريخ ابن خلدون المسمى المعبر ودبران ابدا والخير في ذكر ايام العرب والبربر ومن والا هم من ذوي السلطان الاكبر ، ٧ مجلدات (دار الكتاب اللبناني بيروت ١٩٥٦ - ١٩٦١) .
- ابن خلكان ، شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر (ت ٦٨١ هـ) :
- ٥ - وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ٨ اجزاء ، تحقيق تحقيق احسان عباس (دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٨ - ١٩٧٢) .
- ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا (ت ٧٠٩ هـ) :
- ٦ - الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية (بيروت ١٩٦٦)
- ابن العماد الحنبلي ، ابو الفلاح عبد الحي (ت ١٠٨٩ هـ) :
- ٧ - شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، ٨ اجزاء (المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت) .
- ابن النديم ، محمد بن احمد بن اسحاق (ت ٢٨٠ هـ) :
- ٨ - الفهرست (مطبعة الاستقامة ، مصر)
- انور ، الدكتور ، ا . سهيل :
- ٩ - الخطاط البندادي علي بن هلال الشهور بأبي البواب ، ترجمة محمد بهجة الانزي وعزيز ساسي : مطبعة المجمع العلمي العراقي - بغداد (١٩٥٨) .
- التنوخي ، او علي الحسن بن علي (ت ٢٨٤ هـ) :
- ١٠ - نشوار الحاضرة واخبار المذاكرة ، ٨ اجزاء ، تحقيق عبود السالحي (بيروت ١٩٧١ - ١٩٧٢) .
- الثعالبي ، ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل (ت ٤٢٩ هـ) :
- ١١ - ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، تحقيق محمد ابو الفخر ابراهيم (مطبعة المدني ، القاهرة ١٩٦٥)
- ١٢ - من غاب عنه المطرب (المطبعة الادبية ، بيروت ١٣٠٩ هـ) .
- الجندي ، علي واخرون :
- ١٣ - اطوار الثقافة والفكر في خلال العروبة والاسلام ط ١ (القاهرة ١٩٥٦) .
- الدلحي ، احمد بن علي (ت ٨٠٨ هـ) :
- ١٤ - الفلاحة والمفلوكون ، (مطبعة الشعب ، مصر ١٣٢٢ هـ) .
- الصابي ، هلال بن الحسن (ت ٤٤٨ هـ) :
- ١٥ - الوزراء او بحفة الامراء في تاريخ الوزراء ، تحقيق احمد عبد الشار فراج (دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٥٨) .
- الصولي ، ابو بكر محمد بن يحيى (ت ٢٢٥ هـ) :
- ١٦ - اخبار الرازي والمقري لله ، علي بنشره ج . هيونت . دن (مطبعة الصاوي مصر) .
- القرطبي ، عريب سميد (ت ٢٦٦ هـ) :
- ١٧ - صفة تاريخ الطبري (لندن ١٨٩٧) .
- القلقشندي ، ابو العباس احمد بن علي (ت ٨٢١ هـ) :
- ١٨ - صبح الاعشى في صناعة الانشا ١٤ جزءا ، النسخة المصورة بالانفست عن الطبعة الاميرية (.
- الكبيسي ، حمدان عبد المجيد :
- ١٩ - عصر الخليفة المتندر بالله (مطبعة النعمان ، النجف ١٩٧٤) .
- لسترانج ، في :
- ٢٠ - بغداد في عهد الخلافة العباسية ، ترجمة بشير يوسف ترنيسين ط ١ (المطبعة العربية ، بغداد ١٩٦٢) .
- متسز آدم :
- ٢١ - الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة عبد الهادي ابو ريدة ط ٢ (القاهرة ، ١٩٥٧) .
- المسعودي ، علي بن الحسين بن علي (ت ٢٤٦ هـ) .
- ٢٢ - النبه والاشراف (بيروت ، ١٩٦٥)
- مسكويه ، احمد بن محمد (ت ٤٢١ هـ) :
- ٢٣ - تجارب الامم ، جزوان ، اعنى بنشره ه . ف . اندروز (مطبعة شركة التمدن العثمانية ، القاهرة ١٩١٥ - ١٩١٦) .
- مؤلف مجهول :
- ٢٤ - الميون والحدائق بأخبار الحقائق ، الجزء الرابع - القسم الثاني ، تحقيق نبيلة عبد المنعم داود (مطبعة الارشاد ، بغداد ١٩٧٤) .
- الهمداني ، محمد بن عبد الملك (ت ٥٢١ هـ) :
- ٢٥ - تكملة تاريخ الطبري ، ط ٢ (المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٦١)
- ياقوت الحموي ، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٩ هـ) :
- ٢٦ - ارشاد الاربيب الى معرفة الاديب المعروف بمعجم الادباء ، ٧ اجزاء ، باعثناء مرقليوت (مطبعة هندية ، مصر ١٩٢٣ - ١٩٢٥) .
- ٢٧ - معجم البلدان ، ٥ اجزاء (بيروت ١٩٥٧) .

كتاب لِفَاتِ لابن خالويه

تحقيق الدكتور

علي حسين البواب

كلية الشريعة واللغة العربية - ابها
السعودية

القسم الاول

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

إذا كانت لغتنا العربية قد شهدت لراء في التأليف اللغوية على مرّ العصور ، فإن القرن الرابع الهجري يعدّ بحق عصر ازدهار المباحث اللغوية ، فقد اجتمع في هذا القرن عدد كبير من ائمة اللغة وعلمائها: فأبو علي الفارسي، وابن جنّي والجوهري، وابن فارس ، والأزهري ، وابن دريد ، والقارابي ، والقالي ، والزبيدي ، وأبو بكر بن الانباري وغيرهم كثيرون ، هم بعض علماء اللغة في ذلك القرن ، وتراثهم اللغوي شاهد على ما كان لعصرهم من انتعاش العلوم العربية بعامة ، والبحث اللغوي بصفة خاصة .

في تلك الفترة المزدهرة سياسيا وثقافيا عاش ابن خالويه (١) : وهو أبو عبدالله ، الحسين بن

أحمد (٢) بن خالويه بن حمدان ، ولا تتعرض كتب التراجم لسنة ولادته ، ولكنها تذكر أن أصله من « همدان » ، ثم دخل بغداد سنة ٣١٤ هـ ، وتلقى العلوم على اكابر علماء بغداد ، كابن مجاهد أحد ائمة القراءة (٣) ، وأبي عمر الزاهد (٤) وابن دريد (٥) اللغويين ، وأبي بكر بن الانباري (٦) وأبي سعيد السيرافي (٧) النحويين وغيرهم . ثم انتقل الى الشام ، واتصل بالحمدانيين في حلب ، فأكرموه واستقر عندهم ، وكان له في مجلس سيف الدولة مع المتنبي مباحث تفيض بها كتب الأدب . وقد وصف ابن خالويه بأنه : امام في العربية ، حافظ للغة ، بصير بالقراءة ، ثقة مشهور . واجمع المؤرخون على انه توفي بحلب سنة ٣٧٠ هـ . ولا بن خالويه مؤلفات كثيرة اذكر منها : الآل ،

وينظر مقدمة كتاب « الحجة » ، وخاتمة كتاب : اعراب ثلاثين سورة « وكلاهما للمؤلف

(١) اعتمدت في هذه الترجمة الموجزة للمؤلف على :

- ابن خلكان - وفيات الاعيان : ١٧٨/٢ .
- القفطي - انباء الرواة : ٢٢٤/١ .
- ياقوت - معجم الادباء : ٢٠/٩ .
- السبكي - طبقات الشافعية : ٢١٢/٢ .
- ابن الجزري - غاية النهاية : ٢٢٧/١ .
- السيوطي - بغية الوعاة : ٥٢٩/١ .

- (٢) هكذا ورد اسمه في الكتب المذكورة ، عدا انباء الرواة ، فقد سماه : الحسين بن محمد ...
- (٣) ينظر ترجمته في غاية النهاية : ١٢٩/١ .
- (٤) ينظر ترجمته في وفيات الاعيان : ٢٢٩/٢ .
- (٥) ينظر ترجمته في وفيات الاعيان : ٢٢٢/٢ .
- (٦) ينظر ترجمته في وفيات الاعيان : ٢٤١/٢ .
- (٧) ينظر ترجمته في وفيات الاعيان : ٢٤٢/٢ .

و الأماي ، والتذكرة ، والجمل ، والاشتقاق ، وشرح الدريدية ، والمقصود والممدود ، والمذكر والمؤنث وغيرها . وقد طبع من مؤلفاته : اعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ، والحجة في القراءات السبع ، ومختصر في شواذ القراءات ، وليس في كلام العرب .

واقدم هنا مؤلفا لابن خالويه يظهر لأول مرة ، وهو كتاب «الالفات» ، وهذا الكتاب ذكره للمؤلف ابن خلكان ، والقفطي ، وياقوت ، والسيوطي (٨) . والمؤلف لم ينسب الكتاب صراحة بهذا الاسم ، ولكنه سئل شرح أصول الهمزات التي في أوائل الاسماء والحروف ، وما جاء من ذلك في كتاب الله تعالى خاصة ... فرأى أن يؤلف كتابا « يذكر فيه جميع الالفات ، وكل ما ورد من ذلك في التنزيل وغيره ، ليكون كتابي هذا جامعا للالفات كلها » (٩) ولذلك اخترت لكتاب عنوان « الالفات » . واشير الى ان شيخه ابن الانباري الف كتاب « شرح الالفات » (١٠) ، ولكن الترتيب والمادة مختلفة بين الكتابين .

اما نسبة الكتاب لابن خالويه فهي جلية لا شك فيها : فالترجمون - كما أسلفت - ذكروا له كتابا بهذا الاسم ، وقد كتب في أول المخطوطة التي أحقق الكتاب عنها : قال أبو عبد الله الحسين بن خالويه النحوي رحمة الله عليه ومادة الكتاب ، واسلوبيه لا تدع مجالا للشك في نسبة الكتاب للمؤلف ، والاهم من ذلك أن كثيرا مما جاء في الكتاب من الآراء والاحكام يطابق نصا أو معنى ما جاء في كتبه الأخرى كالحجة والاعراب وليس ، وقد أحال المؤلف في « الاعراب » على هذا الكتاب (١١) .

اما مادة الكتاب فتناول فيها المؤلف ما سماه « الالفات » ، وقد تحدث فيه عن الف الوصل في الأفعال والاسماء والحروف والادوات ، وعن الف الاصل ، والف الفصل ، والف القطع ، فهي على

(٨) ينظر ترجمة المؤلف في وفيات الأعيان ، وانباء الرواة ، ومعجم الأدباء ، وبقية الوعاة .

(٩) الصفحة الأولى من الكتاب .

(١٠) طبع هذا الكتاب في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق - العدد ٢٤ سنة ١٩٥٩ م

(١١) اعراب ثلاثين سورة : ٢١ .

ذلك أربعة اقسام . ولكنه تعرض خلال الكتاب للحديث عن كتابة الهمزة متوسطة او متطرفة ، وعن تخفيفها وابدالها وغير ذلك . فالالف عنده شامل لها والهمزة . وقد ألفت في موضوع « الالف » و « الهمزة » في العربية عدة مؤلفات لا حاجة لذكرها في هذه المقدمة المختصرة .

وقد قدم المؤلف للكتاب بمقدمة اشار فيها الى ان كتابه جامع للالفات كلها ، ومن ثم عدتها سبعة وسبعين قسما ، ومن هذا التقسيم يتضح التصنيع والمبالغة ، وتفتيت النوع الواحد الى اقسام عديدة ليظهر الجمع والاستقصاء ، وهو في المقدمة لا يفرق بين الهمزة والالف ، وبين الاصل والزايد . ولكنه عاد فاعترف بأن « اكثرها فروع » . واقتصر في الشرح على الاقسام الرئيسة منها .

وعقد المؤلف في آخر الكتاب فصلا لمعاني صيغة « افعل » واستخداماتها ، ولمكة فعل ذلك لوقوع الهمزة في أول هذه الصيغة ، فأوجد لنفسه مبررا للاحاق هذا الفصل بالكتاب .

وتتمثل قيمة هذا الكتاب في انه احد مؤلفات التراث العربي ، الذي من واجب كل غيور على لغته وامته أن يعمل على اظهاره وخدمته ، ومؤلف الكتاب من العلماء القدماء المشاهير ، والكتاب يحوي بعض المسائل الصرفية الخاصة بالحذف والابدال ، وفيه بعض القواعد الاملائية ، ويهتم مؤلفه بالقراءات القرآنية ، كما اننا نجد في الكتاب بعض القواعد الكتابية المتعلقة بالهمزات ، والف الفصل ، وغيرها مما تفرقت طريقة كتابتها في إيماننا هذه .

وصف المخطوطة ، ومنهج التحقيق

لم يتعرض احد من المحدثين ، ممن تناولوا ابن خالويه بالدراسة ، او ترجموا له ، او حققوا بعض كتبه - لم يتعرض احدهم لذكر شيء عن كتاب « الالفات » ، لان كل ما عرف عن الكتاب هو اسمه فقط ، ولم يطلع احدهم عليه ، او يقف على نسخة منه .

وقد عثرت على هذا الكتاب ضمن المجموع رقم (١٢ مجاميع تيمور) المخطوط بدار الكتب

المصرية ، وفي المجموع عدد من الرسائل والكتب ، وهو مكتوب بخط نسخي هادي ، وقد رقت صفحات المخطوط كلها ، وليس كل ورقة على حدة كما هو الغالب في ترقيم المخطوطات . وقد عزمت على تحقيق هذا الكتاب - بعد أن تأكدت من صحة نسبه لابن خالويه ، فبحثت في فهارس المخطوطات ، وكتب التراجم الحديثة لعائى أقف على نسخة أخرى للكتاب فلم أفلح .

ويقع كتاب ابن خالويه في اثنتين وثلاثين صفحة من المخطوط المذكور ، من صفحة ١٨٠ الى صفحة ٢١١ . وفي كل صفحة واحد وعشرون سطرا ، ومعدل كلمات السطر الواحد حوالي اثنتى عشرة كلمة . وقد كُتِبَ سنة ١٠٢٩ هـ كما نص على ذلك الناسخ في آخر صفحة ولكنه لم يذكر اسمه ، أو اسم من نسخ الكتاب له ، أو المصدر الذي استنسخ عنه .

وأول صفات المخطوطة انها مليئة بالأخطاء النحوية والإملائية ، كثيرة التحريفات والسقط ، وقد أخطأ الناسخ في كتابة الآيات القرآنية ، أما الأشعار فقل أن تجد بيتا كتب صحيحا أو مستقيما الوزن . وقد اقتضى هذه الأخطاء الكثيرة الى اصلاح ما أمكن منها دون اشارة الى ذلك - كما هو المتبع في منهج تحقيق الكتب ، وذلك اني لو اشرت الى كل خطأ إملائي أو نحوي أو تحريف وقع في المخطوطة - لامتلات الرسالة بالحواشي والتعليقات التي لا طائل تحتها ولا جدوى منها .

أما الزيادات التي يقتضيها النص - وهي غير قليلة - فقد أثبتتها بين قوسين معكوفين ، ولم أشر لذلك في الحواشي اكتفاء بالتنبيه على ذلك هنا ، واعتمادا على أن كل ما هو بين معكوفين من تدخل المؤلف في النص .

وفي الرسالة الفاظ غير واضحة ، تركت منها ما لم أتمكن من تصويبه ، وشرت الى ذلك في الحواشي .

وقد اشرت الى بداية كل صفحة من صفحات المخطوطة ، وذكرت رقمها .

وكان من عملي في تحقيق النص :

تخريج الآيات القرآنية ، بذكر رقم الآية والسورة . واكتفيت بالقول من الآية ... اشارة الى انها جزء من الآية . كما اشرت الى القراءات المختلفة التي أوردها المؤلف ، ومصادرها . وقد خرّجت الحديثين الشريفين اللذين ساقهما في الكتاب .

- اثبات الآيات الشعرية على أقرب صورة ارادها المؤلف - بعد تصويب ما فيها من أخطاء اعتمادا على المصادر المختلفة ، ثم نسبتها ان أمكن .

- تخريج بعض النصوص والآراء ، وذكر ما يلزم من الأقوال المساعدة على فهم النص ، والإحالة على بعض المراجع للإفادة . وقد استعنت في كثير من ذلك بكتب المؤلف : الإعراب ، والحجة ، وليس .

- وقد عرفت بالأعلام المحتاجة لذلك باختصار ، وشرت بعض ما غمض من الألفاظ .

وبعد :

فاني أسأل الله تعالى أن يجعل عملي المتواضع هذا خالصا لوجهه ، وأرجو أن أكون قد قدمت شيئا للفتنا العربية وأن كنت قد وفقت في شيء فمن الله ، وما قصرت فيه وأخطأت فمن نفسي .

ولله الحمد والمنة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه ، وسلم .

قال أبو عبد الله الحسين بن خالويه النحوي ، رحمة الله عليه :

الحمد لله حق حمده ، وصلى الله على محمد عبده ، وآله .

أما بعد ، وفقنا الله وإياك ، فإنك سألتني شرح أصول الهمزات التي في أوائل الأسماء والأفعال والحروف ، وما جاء من ذلك في كتاب الله تعالى خاصة ، إذ كانت كثيرة الدهور في القرآن ، مختلفة الألفاظ : فتارة تكون مفتوحة أو مضمومة ، وأخرى مكسورة ، وتجيء موصولة ، ومقطوعة ، وسنخية^(١) ، وزائدة لاتغير معنى ، وزائدة تفيد معنى بدخولها ، وسبيل ما كان بهذه الصفة أن يبين ويخلص بما يقرب من فهم القارئ والمتعلم ، بتفصيل أصوله ، وشرح فروعه .

فأعلمك - أرشدك الله - للذي يترلف إليه - أتني قد أجبتك إلى ما سألت ، ولم أقصر على تبين الهمزات المبتدأ بها دون الألفات المتوسطة والمتطرفات ، إذ كان احتياج القارئ إلى معرفة هاتين كاحتياجه إلى تلك ، فرأيت أن أؤلف كتاباً أذكر فيه جميع الألفات ، وكل ما ورد من ذلك في التنزيل وغيره ، ليكون كتابي هذا جامعاً للألفات كلها ، وأن لا يشذ عنه شيء من الأصلية والزائدة / والمنقلبة عن الياء والواو ، والمبدلة من النون ، وأجمع القابها في أول الكتاب / وأتبعها بتفسير ألف ألف على النسق ، ليسهل حفظه . وما توفيتني إلى بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب

باب القاب هذه الألفات^(٢)

وهي تنقسم سبعة وسبعين قسمًا :

ألف وصل ، وألف أصل ، وألف فصل ، وألف قطع ، وألف استفهام ، وألف أمر بلفظ

(١) السنخية من السنخ ، وهو الأصل ، أي : الأصلية .

(٢) يلاحظ على التقسيمات التي ذكرها المؤلف أن العدد الذي ذكره - وهو سبعة وسبعون غير مطابق لما ساق من الألفات ، وإن أكثرها فروع لأصول معدودة ، وأنه أورد هذه الألفات دون توضيح أو استشهاد وبعضها محتاج لذلك .

الاستفهام ، وألف تكون تويخاً ووصلاً وقطعاً ، وألف تويخ ، وألف تعزير ، وألف التسوية ، وألف لفظه القطع وهو أصل ، وألف التوقيف ، وألف يولد بها الاستفهام والخبر وتكرّر ، وألف تحتل أربعة معان باختلاف ، وألف تكون في الاسم المفرد فتى حرّكت صارت جمعا ، وألف الإيجاب ، وألف الادماج منقلبة عن ياء ، وألف منقلبة عن واو ، وألف بدل من هاء ، وألف تعوّض من النون الخفيفة ، وألف تبدل من التنوين في الوقف ، وألف مقصورة وألف مدودة تكونان علامتي تأنيث ، وألف إشارة إلى حاضر وأخرى إلى غائب ، وألف الترتيم بعد الصوت ، وألف تدخل في أبنية الأسماء والأفعال ، وألف تحجر بين النونات ، وألف تكون بدلا من حرف مشدّد ، وألف تكون علامة للرفع والتثنية ، وأخرى تكون علامة للتثنية خاصة وألف تكون علامة للنصب ، وألف تكون علامة للجبر ، وألف تزداد على هاء التأنيث ، وألف تدخل مع التاء للجمع ، وألف تزداد وحدها للجمع بإزاء ياء التصغير قبل آخرها ، وألف تزداد في الجمع متطرفة ، وألف تزداد مع نون الجمع ، وأخرى تزداد في صفة المذكر في فعّلان ومؤنّته فعّلى ، وأخرى بلفظها ولا مؤنّث له ، وأخرى بلفظها / واختلف النحويون فيها ، فجعلها بعضهم — أعني الكلمة فعّالا ، وبعضهم فعّالنا ، وألف تفخّم تفخيما شديدا في لغة أهل الحجاز ولا تعد في الثمانية والعشرين حرفا ، وألف تكون استفهاماً متى تحرّك الحرف الثاني دخلت عليه ، فإن سكن كان خبرا ، وألف مثلها متى سكن ما بعدها أشبه الشك ، وألف مقصورة يحتمل أن تكون سنخية وملحقة ، وأخرى بلفظها يحتمل أن تكون ملحقة وبدلا من التنوين وزائدة للتأنيث ، وألف تزداد عامة للفتحة في رؤوس الآي وقوافي الشعر ، وألف تكون بإزاء المخاطب ، وألف تكون المكنيّ فيستوى كناه المرفوع والمنصوب والمجرور فيها ، وأخرى كذلك يولد بها المرفوع والمنصوب والمجرور ، وألف تكون مع الاسم الظاهر ألفا ومع المكني ياء ، وألف تكون ضدّا لما ذكرت في بعض اللغات فتصير مع الظاهر ياء ، وأخرى تكون مع الظاهر ألفا ومع المكني واوا ، وألف تكون مع الظاهر والمكنيّ جميعا ألفا ، وألف في لفظ التثنية والمراد جماعة أو اثنان ، وألف تبدل من ياء المتكلم ، وألف تكون علامة للرفع والنصب ، وألف تعوّض من عين ، وألف تبدلها من واو في الأفعال ولا تبدلها في الأسماء ، وألف تحرّكها في الترخيم مع آخر الاسم ، وأخرى لا تحذفها في الترخيم وإن كانت قبل آخر الاسم ، وألف في آخر كلمة تحذفها

وقد تعرض كثير من اللغويين والنحويين لألقاب الألف والهمزة ، ينظر في ذلك :

لسان العرب ، وناج العروس : حرف الألف اللينة ، والجنى الدانى للمرادى : ٣٠-٣٦ ،
ورصف الباني : ٨-٥٨ ، ومغنى اللبيب : ١٧-٢٩ ، ٤٨٤-٤٨٧ ، وشرح التصريف الملوكي
١٣٥-١٥٠ ، وأدب الكاتب ٢٨٥-٢٩٥ .

في الدَّرَج وتثبتها في الوقف اتِّباعاً للمصحف ، وألف في المصحف بدل من التنوين وجعلها
بعضهم ياء ولاماً في الفعل ، وألف تحذفها تارة أخرى اتِّباعاً للقراء والمصاحف متفق على
إثباتها خطأ ، وألف ثبت فيما لا ينصرف / في الوقف خاصة ، وأخرى ثبت فيما لا ينصرف
اتِّباعاً لرؤوس الآي ، وألف ثبت في المصحف اتَّفَق القراء على حذفها ولو ثبتت لفظاً ، وألف
قدّموها وحكمها التأخير ، وألف تقرأ موصولة ومقطوعة : فمتى قَطَعَ كان جمعا ، ومتى وَصَلَ
كان فعلا ماضيا ، وألف زيدت مع واو تشبيهاً بألف الفصل — أعني في المصحف ، ومنها ما
اختلف القراء فيه فجعلها بعضهم ألف قطع ، وجعلها آخرون ألف وصل ، وألف ثبت في آخر
ما لا ينصرف في بعض المواضع دون بعض اتِّباعاً للمصحف ، وألف متى أثبتت في الاسم انصرف
ومتى حذفها لم ينصرف وقد جاء ذلك في القرآن العظيم ، وألف أنت مدودة لتحجز بين الساكنين
فهمزها بعضهم ، وألف أنت كذلك ولو حذف ما أخلَّت بالكلام ، وألف تأتي مقصورة
وممدودة بلفظ واحد ، وأخرى تأتي مقصورة وممدودة لمعنيين مختلفين ، وألف مقصورة
معربة ، وأخرى منوَّنة غير معربة ، وأخرى غير منوَّنة ولا معربة ، وألف قلبت ياء لثلاث يجتمع
ثلاث ألفات ، وأخرى قلب واوا في النسب ، وأخرى قلب في التثنية لثلاث تحذف لتكون
ألف التثنية ، وأخرى تحذف في التثنية لا غير ، وأخرى قلب واوا في التصغير ، وألف ثبت بعد
واو متحرّكة في موضع واحد من القرآن ، وألف اتَّفقت المصاحف أو أكثرها على كتبها ياء واتَّفَق
القراء على تفخيمها ، وألف التأنيث — ومن القراء من يجعلها ياء بالاضافة الى النسب ، وألف كتبت
في المصحف ياء وهي منقلبة عن واو لعلّة تباينها ، وأخرى كتبت في المصحف بالياء وهي من
الواو ، / وألف التأسيس وهي تقع في قوافي الشعر .

واعلم أن هذه الأقسام أكثرها فروع فلا يهولنك عددها ، فإني سأشرحها بأخصر لفظ
وأوجز بيان ، لتنال معرفة ذلك عن قرب إن شاء الله تعالى . وإنّما تَقْصَيْتُ ذلك لإثني رأي
بعض النحويين قد خطأ السلف في كتّيبهم بعض هجاء المصحف ، ولحقَّ آخرون كثيرا من
القراء ، وذلك لقلّة المعرفة بسجّاز كلام العرب ، وقصور همهم عن افتتان العرب في أَلِفَاتِها ،
وإنّما أسأل الله تعالى العون على جميع أموري ، والسلامة في الدين والدنيا ، فإنّه لا حول ولا
قوة إلّا بالله ، وهو ربّ العرش العظيم .

باب معرفة الف الوصل [في الأفعال] (٣)

اعلم أنّ ألف حكمها أنّ تدخل على الفعل دون الاسم والحرف ، وذلك أنّ الأفعال

(٣) عَرَفَ ابن جني في المنصف ٥٢/١ الف الوصل بأنها همزة تلحق اول الكلمة توصل الى النطق

هي المتصرفّة والتي يسكن أوائلها ، فأتى بألف الوصل ليتوصل بها إلى الساكن ؛ لأن اللسان لا يَطْوَعُ بالنطق بالساكن . وإنما دخلت ألف الوصل في أسماء معدودة سوف أذكرها ، وقد دخلت ألف الوصل في جميع كلام العرب على حرفين ، ونبيّن ذلك أيضاً .

فألف الوصل تشتحن بثلاثة أشياء - أعني في الفعل الثلاثي : بسقوطها في الماضي ، وسقوطها في الدرّج ، وبفتح أول المستقبل ، وذلك^(٤) نحو الألف في اضرب واعلم وادخل ؛ ألا ترى أنك تقول : يا زيد اضرب عمراً ، وَاَعْلَمْ ، وَاَدْخُلْ^(٥) . قال الله تعالى : « أن اضرب بعصاك الحجر »^(٦) ، « واعلموا أنما غنمتم من شيء »^(٧) ، « وإياك نستعين » . اهـ
الصراط المستقيم »^(٨) . فكلّ هذه الألفات ساقطة في الدرج لأنّها ألف وصل ، ولا تدخل أبداً إلا على ساكن في ابتداء الكلمة ، فإنّ وصلها بكلام قبلها أسقطها لفظاً وأثبتها خطاً ، إلا ما كثر استعماله فحذفت / لفظاً وخطاً ، وهو قوله « بسم الله »^(٩) ، وذلك أن الخط مبناه على الوقف لا على الوصل .

فَإِذَا حَرَّكَتَ فَاءَ الْفِعْلِ اسْتَقْنَى عَنْ أَلِفِ الْوَصْلِ ، وَذَلِكَ نَحْوَ كَلَّمْ بِكَلَّمْ ، وَدَخَرَجْ
يُدْخَرَجْ ، وَقَالَ يَقُولُ ، وَبَاعَ يَبِيعُ • تَقُولُ فِي هَذَا إِذَا أَمَرْتَ : عَلَّمْ ، وَدَخَرَجْ ، وَقَتْلُ ،

بالساكن وهرباً من الابتداء به ، اذ كان ذلك غير ممكن في الطاقة فضلاً عن القياس ... وهذه الهمزة انما حُرِكت لسكونها وسكون ما بعدها ، وهي في الاصل زائدة ساكنة . وقال الماقلی فی وصف المباني ٢٨ : وكان الوجه أن يقال لها همزة ايصال لا وصل ، لانها لاتصل ولكن توصل الناطق الى النطق بالساکن بعدها وقد ذكر الرضی فی شرح الشافية ٢٦/٢ ، والماقلی فی الصرف ٣٩ الافعال التي تكون همزاتها للوصل وهي : ماضي ومضارع تسعة أفعال من مزيد الثلاثي هي : افعلل ، وافعل ، وافعمال ، وافتعّل ، وانستفعل ، وافعلنل ، وافعنلني ، وافعولن ، وافمّوعل . واثنان من الرباعي المزيد هما : افعلنل واففعلل ، وصيغة امر الثلاثي اذا لم يتحرك فاء المضارع . وينظر اوضح المسالك لابن هشام ٣٦٧/٤ .

- (٤) بدأ المؤلف بالتمثيل لسقوط همزة الوصل في الدرج مخالفا الترتيب الذي ذكره .
(٥) في الأصل (واجلس) ، وصوب مراعاة لمافله .

- (٦) من الآية ١٦. سورة الأعراف .

- (٧) من الآية ١ سورة الانفال .

- (٨) الأيتان ٥٤٤ من سورة الفاتحة . ويلاحظ أن الهزة تسقط من (اهدنا) في الدرج إذا قرأنا الأيتين متصلتين .

- (٩) قال المؤلف في اعراب ثلاثين سورة ٩ : فإن قيل : لم اسقطت الالف من «بسم» والاصل «باسم» ؟
فقل : كثرت على السنة العرب عند الاكل والشرب والقيام والنعوذ . « قال ابن قتيبة في ادب
الكاتب ٢٣٦ : تكتب «بسم الله» اذا افتتحت بها كتابا ، او ابتدأت بها كلاما بغير الف لانها كثرت في
هذه الحال على الالف في كل كتاب يكتب عند الفزع والجزع ، وعند الخير يرد ، والطعام يؤكل ،
فحذفت الالف استخفافا . وينظر ادب الكتاب لابي بكر الصولي : ٣٥ .

وبع . وذلك أن الأمر مبنى على الفعل المستقبل ، فإذا صادفته [ساكنا] أدخلت عليه ألف الوصل كقولك : جَلَسَ يَجْلِسُ ، وضرب يضرب ، تقول [اجلس و] اضرب . فإذا صادفته متحركا استغنى عنها .

وأصل قُلْ : اقْوُلْ^(١٠) ، فاستثقلت الضمة على الواو ، لأن الواو من حروف المد واللين^(١١) ، وهي لا تحتل ، فنقلت حركة الواو إلى القاف ، فلما تحركت القاف استغنى عن ألف الوصل ، فصار قول ، فوجدوا اللام ساكنة والواو ساكنة ، فحذفوا الواو لالتقاء الساكنين ، وكان أولى بالحذف من اللام ، لأن اللام حرف صحيح ، والواو عليل ، والعليل أولى بالحذف من الصحيح ، لأنك إن حذفتها كانت هناك ضمة تدل على الواو . وكل فعل صحّت لامه واعتلت عينه كان حذف [عينه] عند سكون لامه لالتقاء الساكنين لا للجزم . ومثل قال يقول ، زال يزول ، وحال يحول .

فإن كانت عين الفعل ياء وحذفتها لالتقاء الساكنين بقيت كسرة تدل عليها ، وذلك نحو : بيع وكلّ وسِرْ ، في باع يبيع ، وكال يكيل ، وسار يسير . والأصل : اَبِيعْ مثل اضرب ، فاستثقلت الكسرة على الياء كما استثقلوا الضمة هناك على الواو ، فنقلوها إلى الياء ، واستغنى عن ألف الوصل لتحرك الباء ، وحذفت الياء لالتقاء الساكنين^(١٢) .

وإذا كان المحذوف ألفا بقيت فتحة كقولك : خَفَّ وثَمَّ ، من خاف يخاف ، ونام ينام . والأصل ، يَخْوَفُ وَيَثْوَمُ ، وفي الأمرِ خَوْفٌ وإِثْوَمٌ^(١٣) ، فنقلت فتحة الواو إلى الخاء^(١٤) ، وحذفوا / ألف الوصل لتحرك الخاء ، وحذفت الواو لسكونها وسكون الفاء . يُقاس على ذلك جميع ما يرد .

(١٠) على وزن انضر .

(١١) قال ابن منظور في اللسان - لين : وحروف اللين الألف والياء والواو ، كانت حركة ما قبلها منها أو لم تكن ، فالذي حركة ما قبله منه كنار وداروفيل وقيل وحول وغول ، والذي ليس حركة ما قبله منه إنما هو الياء والواو كببت وثوب ، فأما الألف فلا يكون ما قبلها إلا منها . وقال الشيخ أحمد الحملاوي في شذا العرف ٢٧ : أن سكن حرف الملة وانفتح ما قبله سمى ليئا كثوب وسيف ، فإن جانسه ما قبله من الحركات يسمى مدا . ولاتفك الألف عن كونها حرف علة ومدولين لسكونها وفتح ما قبلها دائما بخلاف اختيها . وسيتحدث المؤلف على ذلك في الصفحة التالية .

(١٢) الساكنان هما العين والياء بعد نقل حركتها إلى الباء .

(١٣) مثل اعمل .

(١٤) وذلك في الفعل « اخوف »

واعلم أن كل فعل إذا صحت عينه واعتلت لامه كانت ساكنة في الرفع ، مفتوحة في النصب ، محذوفة في الجزم^(١٥) . واعتلاله أن يكون واواً أو ألفاً أو ياءً ، فهؤلاء الثلاثة الأحرف ستين حروف العلة لأنهن ضعفن عن احتمال الحركة ، وسمين لينا لأن مخرجهن ، وستين مداً لامتداد الصوت بهن . فإذا حذفت واو بقيت ضمة نحو : لم يدع ، ولم يغز . وإذا حذفت ياء بقيت كسرة نحو : لم يعصر ، ولم يرم ، وإذا حذفت ألف بقيت فتحة نحو : لم يسع ، ولم يخش .

وهذا الفصل من الكتاب بيئنته لك لتعرف به أصول الأفعال ، والمعتل من الصحيح ، ودخول الألفات على فاءات الفعل عند سكونها ، وحذفها عند تحرّكها . ونعود الآن إلى ذكر ألف الوصل . فأمّا سقوط الألف في الماضي^(١٦) فقولك : ذهب وضرب وعلم ، كقوله تعالى : « وضرب الله مثلاً »^(١٧) ، « وعلم أن فيكم ضعفاً »^(١٨) . وفتح أول المضارع^(١٩) كقولك : يضرب ويعلم ويجلس ، ونحوه قوله تعالى : « ويضرب الله الأمثال للناس »^(٢٠) ، « قد يعلم ما أتم عليه »^(٢١) . ومثل ذلك : قبل يقبل ، ودخل يدخل ، وركب يركب .

فإذا أمرت من هذه الأفعال التي قدّمت ذكرها نظرت : فكلما وجدت ثالث الفعل من المستقبل مفتوحاً أو مكسوراً كسرت الألف الالتقاء الساكنين ، هي وما دخلت عليه ، وذلك أنها لا تدخل أبداً إلا على ساكن ، وحملها في نفسها أن تكون ، فكسرت على أصل ما يجب في الساكنين إذا التقيا . فتقول : إركب بكسر الألف ، إذهب ، إجلس ، « إهدنا الصراط المستقيم »^(٢٢) ،

(١٥) يلاحظ في هذه العبارة أن المقصود بالفعل هو المضارع ، لأنه الذي يرفع وينصب ويجزم ، وأن ما قاله يصدق على المعتل اللام دون اشتراط صحة عينه ، والمقصود بـ « ساكنة في الرفع » أن الضمة تكون مقدرة على آخر المعتل اللام . أما مفتوحة في النصب ، فإن الفتحة لا تظهر على المعتل الآخر بالالف .

(١٦) ذكر هنا العلامة الثانية التي يعرف بها ألف الوصل في الفعل - وهي سقوطها في الماضي .

(١٧) من الآية ٧٥، ٧٦، ١١٢ - سورة النحل .

(١٨) من الآية ٦٦ - سورة الانفعال .

(١٩) هذه هي العلامة الثالثة .

(٢٠) من الآية ٢٥ - سورة ابراهيم .

(٢١) من الآية ٦٤ - سورة النور .

(٢٢) سورة الفاتحة : ٥ .

«إضرب بعصاك الحجر» (٢٣)، «اركب معنا» (٢٤)، «اهبط بسلام» (٢٥)، «اهبطوا مصرا» (٢٦)،
«انفروا خفافا» (٢٧)، «اخشوا يوماً» (٢٨)، «اصفح عنهم» (٢٩)، «امشوا واصبروا» (٣٠).

فإذا كان ثالث الحروف من المضارع مضموماً ضمت ألف الوصل استثقلاً للخروج من الكسر إلى الضم، فكأنهم أتبعوا الضمَّ الضمَّ، إذ كانت فاء الفعل ساكنة، وليست حاجزاً حصيناً، ولا يعتدُّ بها (٢١)، فتقول: أقتل، أخرج، أعبر، بضم الالف لضمه التاء والراء والباء، ومثل ذلك قوله تعالى: «اعْبُدُوا رَبَّكُمْ» (٣٢)، «انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً» (٣٣) و «أَدْخُلُوا مساكنكم» (٣٤).

فإنَّ قال قائل: أخبرني عن هذه الهمزة التي في أوائل الأفعال، ألف هي أم همزة - فالجواب في ذلك أنها همزة باجماع البصريين والكوفيين، وإنَّما يُعَبَّرُ عنها بالالف تقريباً على المتعلم، إذ كانت ألفاً في الخط (٣٥). وإنَّما امتنعت الألف أن تحلَّ أولاً لأنها لا تكون أبداً إلا ساكنة ولا

(٢٣) من الآية ٦ - سورة البقرة، ومن الآية ١٦ - سورة الأعراف.

(٢٤) من الآية ٤٢ - سورة هود.

(٢٥) من الآية ٤٨ - سورة هود.

(٢٦) من الآية ٦١ - سورة البقرة.

(٢٧) من الآية ٤١ - سورة التوبة.

(٢٨) هكذا في الاصل. وفي القرآن الكريم في الآية ٣٣ - سورة لقمان «واخشوا يوماً» ولو أثبت الواو لبطل الاستشهاد بالآية في هذا الموضع.

(٢٩) هكذا في الاصل، وفي الآية ٨٩ - الزخرف «فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون»، وهو كسابقة لو أثبت الفاء لما صح أن يستشهد به هنا.

(٣٠) من الآية ٦ - سورة ص. والاصل في «امشوا»: «امشوا»، استثقلاً لضمه على الياء فنقلوها إلى الشين بعد أن أزالوا الكسرة، واسقطوا الياء لسكونها وسكون الواو. أما «واصبروا» فلا تظهر فيه الهمزة المكسورة لسقوطها في الدرج.

(٣١) ذكر ابن جني في المنصف ٥٣/١، وابن الأنباري في كتاب شرح الالفات ٢٨٦، والمؤلف في الأعراب ٢٨ أنه إذا كان ما بعد الساكن مفتوحاً أو مكسوراً فهمزة الوصل مكسورة، وإذا كان مضموماً فتضم الهمزة كراهية الخروج من الكسر إلى الضم الملائم، وليس بينهما حاجز إلا حرف ساكن.

(٣٢) من الآية ٢١ سورة البقرة.

(٣٣) سورة المزمل ٣، وتماها «أو انقص منه قليلاً».

(٣٤) من الآية ١٨ - سورة النمل.

(٣٥) نقل ابن الأنباري في شرح الالفات ٤٤٧ بعض آراء العلماء في ذلك: فقطرب يرى أنها همزة كثر الكلام بها فتحركت لأن الالف لا تحتمل، وهي في قال وباع وعماد وحمار ألف لا يشك فيها، فلو كانت في اضرب الفاء ما تحركت. ورد ثعلب هذا القول عليه وقال: لو كانت همزة لثبتت في الابتداء والوصل كما ثبتت همزة أمر واصر واذن في كل حال. وقال الفراء وسيبويه ومن أخذ بقولهما: هي الف، إذ كانت صورتها صورتها، وإنما دخلت الالف في اضرب واصنع وما أشبههما من أجل أن الضاد والصاد ساكنتان لا يمكن الابتداء بهما فدخلت الالف ليقع الابتداء بها والاعتماد عليها. وقال الماتقي في الرصف ٣٨: بعضهم يسميها الفاء مراعاة لاصلها من السكون الذي هو مد صوت، وبعضهم يسميها همزة مراعاة للنطق بها، وهو الاليق.

يبتدأ به ، ولأنه تكون الألف ثانياً ، وثالثاً ، ورابعاً نحو عثمان ، وخامساً نحو حَبَنطَى
وزعفران ، وسادساً نحو قَبَعَثَرَى (٢٦) .

والهمزة لا صورة لها في الخط ، ولكن تصور إمّا واوا ، وإمّا ألفاء ، وإمّا ياء ، وسأبين
لنك ذلك بألفاظ تسهل معرفتها عليك إن شاء الله تعالى :

اعلم أنّ الهمزة لا تخرج من ن تكون أولاً أو وسطاً أو آخراً : فإن حلت أولاً كتبت ألفاً ،
مكسورة كانت أو مفتوحة أو مضمومة ، وذلك نحو : أذن ، وأذن ، وإذا ، وأمر . وإذا وقعت
متوسطة نظرت : فإذا كانت ساكنة كتبتها على حركة ما قبلها ، فإذا كان قبلها ضمة كتبت واوا ،
وإذا انكسر ما قبلها كتبت ياء ، وإذا انفتح ما قبلها صورتها ألفاً . فالمضوم نحو : يؤمنون ،
ويؤتون ويؤثرون . والمتنوح مثل : يأتون ويأمرون . والمكسور نحو ذئب وبئر . فإذا
تحركت الهمزة كتبت بحركة نفسها إذا كانت متوسطة : فتقول : سئل بالياء لأنها مكسورة ،
وسأل بالألف لأنها مفتوحة ، وسؤل بواو لأنها مضومة (٢٧) .

فإن حلت الهمزة طرفاً وسكن ما قبلها لم تصور خطأ ، وثبت لفظاً ، وذلك نحو :
الجزء ، والخبء ، والدفع ، لأنها خفيت في الوقف فأسقطوها خطأ (٢٨) .

فإن حلت الهمزة آخراً وتحرك ما قبلها ابتها على حركة ما قبلها ، فتقول : اقرأ ، ولن
بقرأ ، ويقرأ ، كل ذلك بألف لانفتاح ما قبلها . ولن يثريء بالياء لكسرة الراء ، ومثروء
بالواو لضمة الراء .

(٢٦) الحبنطى : الممتلىء غيظاً أو بطنة . والقبعثرى : الجمل العظيم .

(٢٧) ينظر أدب الكاتب : ٢٨٥-٢٨٧ ، وصباح الأعشى للقلقشندي : ٢٠٨/٣ وما بعدها .

(٢٨) تشير هذه الفقرة الى قاعدة املائية تركت في العربية ، وقد اشار اليها القدماء : ففي معاني
القرآن للفرأء ٩٦/٢ في قوله تعالى « لكم فيها دفء » : قال : كتبت بغير همز ، لأن الهمزة اذا
سكن ما قبلها حذفت من الكتاب ، وذلك لخفاء الهمزة اذا سكنت عليها ، فلما سكن ما قبلها ولم
يقدروا على همزها في السكت كان سكوتهم كأنه على الفاء .

وقال ابن قتيبة في ادب الكاتب ٢٩٠ : اذا كانت الهمزة آخر الكلمة وما قبلها ساكن حذفت في الرفع
والخفض ، وكذلك اذا كانت في موضع نصب غير منون ، فان كانت في موضع نصب منون الحقتها
الف نحو قولك : اخرجت خبئاً . . . واثار الى مثل ذلك الصولى في ادب الكتاب ٢٤٨ ،
والقلقشندي في صبح الاعشى ٢/٢١٢ . وقال سيبويه - الكتاب ٥٤٥/٣ : وقال الذين يخفون :
« لا يسجدوا لله الذي يخرج الخبئ في السموات والارض » (النمل ٢٥) ، حدثنا بذلك عيسى ، وانما
حذفت الهمزة هاهنا لانك لم ترد ان تتم وارادت اخفاء الصوت ، فلم يكن يلتقى ساكن وحرف هذه
نصته ، كما لم يكن يلتقى ساكنان « وينظر الكشاف للزمخشري ١٤٥/٣ ، وفتح القدير
لشوكاني ١٢٤/٤ .

واعلم أن ألف الوصل تكون مكسورة ومضمومة في الفعل الثلاثي^(٣٩) نحو : افْتَعَلَ ،
 واثْمَعَلَ ، واستْتَمَعَلَ ، وافْعَلَ ، وافْعَنْلَلْ ، وافْعَوَّلَ ونحوهِنَّ^(٤٠) ، فكثرتها مكسورة في
 الأمر والماضي والمصدر . وذلك نحو : اسْتَغْفِرُواْ واستَغْفِرْ يا زيد ، « إِتَّبَعْتُ
 أهواءهم »^(٤١) ، « إستم كما أمرت »^(٤٢) ، إِنْطَلَقَ إِنْطِلَاقًا ، إِنْطَلَقَ يا زيد ، استَقَامَ
 استقامة ، استَقِمَّ يا زيد . كل ذلك مكسورة الألف في الابتداء بها ، ساقطة في الدَرْج .
 فإن رَدَّتْ هذه الأفعال الى ما لم يَسْمَ فاعله ضَمَّتْ الألف فيهنَّ أجمع ، وضمت
 أيضاً ثالث الفعل كقولك : اسْتَغْفِرْ ، انْطَلِقْ ، اتَّبِعْ ، اقْتَتِلْ . ومن ذلك قوله تعالى : « إذ
 تبرأ الذين اتبعوا » إذا وقعت على « الذين » تبدأ « اتبعوا » . فأما ما بعدها فمكسورة ،
 أعني : « وقال الذين إتبعوا » و « من الذين إتبعوا »^(٤٣) . ومثله « خبيثة اجتثت »
 تبتدىء بالضم^(٤٤) ، ووزنه « افْتَعِلَتْ » ، وأصله « اجْتَثِثَتْ » فأدغمت التاء في التاء .
 ومنه : « فمن اضْطُرَّ »^(٤٥) « افْتَعِلَ » من الضر ، والأصل : اضْطَرَّرَ ، فأدغمت الراء
 في الراء ، وقلبت تاء الفعل طاء لمجيئها بعد الضاد ، وكل تاء بعد صاد أو ضاد أو طاء أو ظاء تقلب
 طاء^(٤٦) . ومثله : « واصْطَبِرْ لعبادته »^(٤٧) افْتَعِلَ من الصبر ، والأصل : اصْتَبِرَ .
 فقلبت . ومثله « وهم يَصْطَرِحُونَ »^(٤٨) والأصل : يصترخون . فاعرف ذلك .

(٣٩) المقصود بالثلاثي هنا : مزيد الثلاثي .

(٤٠) من أمثلتها على الترتيب : احتمل ، وانتصر ، واستقبل ، واخضر ، واقعنسس ، واجلوز . وزاد
 الرضى في شرح الشافية ٢/٢٦٠ : افعال كاحمار ، وافعلنى كاسلنقى ، وافموجل
 كاعشوشب . وينظر وصف المباني : ٣٩ .

(٤١) في الآية ١٢٠ - سورة البقرة . قال تعالى : « ولئن اتبعت أهواءهم » ولا تظهر كسرة الهمزة إلا
 إذا ابتدأت « اتبعت »

(٤٢) قال تعالى في سورة هود ١١٢ : « فاستقم كما أمرت » ، وقال في سورة الشورى ١٥ : « واستقم
 كما أمرت » .

(٤٣) يشير هنا الى قوله تعالى في الآيتين ١٦٦، ١٦٧ من سورة البقرة : « إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين
 اتبعوا وراوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب . وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كسرة
 فتبرأ منهم كما تبرءوا منا . . . » ويلاحظ المؤلف قدم قوله تعالى « وقال الذين اتبعوا » على
 قوله تعالى « من الذين اتبعوا » مخالفا الترتيب في الآيتين الكريمتين .

(٤٤) الآية ٢٦ من سورة ابراهيم ، ومعناها : « ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض
 مالها من قرار » وتبتدىء « اجتثت » بالضم اذا وقفت على « كشجرة خبيثة » .

(٤٥) من الآية ١٧٣ من سورة البقرة .

(٤٦) قال الزنجاني : اعلم أنه متى كان فاء افتعمل صادًا أو ضادًا أو طاءً او ظاءً قلبت ناؤه طاء . شرح
 الجرجاني على تصريف الزنجاني : ٥٤ . وينظر أوضح المسالك ٤/٣٩٩ .

(٤٧) من الآية ٦٥ - سورة مريم .

(٤٨) من الآية ٣٧ - سورة فاطر .

وقوله تعالى : « فليؤدّ الذي آمن / أماته »^(٤٩) إذا وقعت على « الذي » مضطرا لا مختاراً - ابتدأت « أوتن » . والأصل « أؤتمن » ، فكرهوا الجمع بين همزتين في ابتداء الكلمة ، فليّنوا الثانية فصارت واوا لانضمام ما قبلها . وأجاز الكسائي أن تبديء « أؤتمن » بهمزتين على الأصل^(٥٠) . وكذلك أجاز إذا وقعت على قوله تعالى : « ... مَنْ يَقُولُ إِذْ ذُنِّي وَلَا تَفْتِنِي »^(٥١) : « إئذن » والاختيار الأول . ووزن « أؤتمن » افتعل من الأمانة ، على وزن أَعْتَمِنَ^(٥٢) ، فالهمزة الثانية ساكنة في الابتداء . وروى خلف^(٥٣) عن يحيى بن آدم^(٥٤) ، عن أبي بكر بن عيَّاش^(٥٥) ، عن عاصم^(٥٦) أنه قرأ في الدَّرَج : « فليؤدّ الذي أؤتمن أماته » ، بإشمام الضم ، وذلك خطأ فاحش ، لأن فاء الفعل في افتعل لا يجوز حركتها^(٥٧) . وإنما قولهم : خذ ومثراً وكلاً وجُـرْ ، إذا نرت من أخذ يأخذ ، وأكل يأكل ، وأمر يأمر ، وأجر الرجلُ الأجيرُ يأجيرُ ، وأجسرك الله يأجيرُك ، وأن الأصل أؤخذ فكرهوا الجمع بين الهمزتين في ابتداء الكلمة ، فحذفوا الهمزة الثانية التي هي فاء الفعل تخفيفاً ، واستغنوا عن الف الوصل ، إذ كانت لا تدخل إلا على ساكن ، فصار خذ وكمل ، هذا قول الأكثر والأفصح . ومن العرب مَنْ يقول : أؤخذ وأؤمر^(٥٨) ، فكره الجمع بين همزتين ، فتلن الثانية فتصير

(٤٩) من الآية ٢٨٣ - سورة البقرة . وقال ابن قتيبة في أدب الكاتب ٢٤٢ عن الآية : كتبت على قطع « أؤتمن » من « الذي » . وفي انحاف فضلاء البشر للدمياطي ١٦٧ : واجمعوا على الابتداء بهمزة مضمومة بعدها واو ساكنة ، لان الأصل : « أتمن » مثل اقتدر ، وقعت الثانية بعد همزة مضمومة فوجب قلبها واوا ، فاما في الدرج فتذهب همزة الوصل فتعود الهمزة الساكنة الى حالها لزوال موجب قلبها واوا ، حينئذ يبدلها مبدل الساكنة .

(٥٠) شرح الالفات لابن الانباري : ٤٦١

(٥١) من الآية ٤٩ - سورة التوبة .

(٥٢) في صبح الاعشى ١٦٦/٣ عن أبي عمرو الداني ان الهمزة تمتحن في موضعها من الكلام بالعين .

(٥٣) هو خلف بن هشام ، البزار ، احد القراء العشرة . توفي سنة ٢٢٦ هـ . ينظر غاية النهاية : ٢٧٢/١ .

(٥٤) هو يحيى بن آدم بن سليمان ، امام كبير حافظ روى عن ابن عيَّاش والكسائي وغيرهما . توفي سنة ٢٠٣ هـ . ينظر غاية النهاية ٣٦٣/٢ .

(٥٥) هو شعبة بن عيَّاش ، الكوفي ، راوية عاصم ، توفي سنة ١٩٣ هـ . غاية النهاية ٣٢٦/١ .

(٥٦) هو عاصم بن بهدلة بن ابي النجود . شيخ القراء بالكوفة ، واحد القراء السبعة . توفي سنة ١٢٩ هـ . غاية النهاية ٣٤٦/١ .

(٥٧) نقل المؤلف في الحجة ١٠٥ عن عاصم وحزمة انهما قرآ بإشمام الهمزة الضمة في الوصل . وقال : هذا وهم ، لانها ألف وصل دخلت على الفاصل .

(٥٨) ينظر رصف المباني ، ٤ .

واوا ، فإذا تقدّمها كلام حركت ألف الوصل وزدت الهمزة التي هي فاء لقوله تعالى : « وَاَوَّكِلْ » .
 أهلك بالصلاة « (٥٩) ، ولم يثقل : واوَّكِلْ ، واوَّخِذْ ، وأرى ذلك لكثرة الاستعمال له (٦٠) .
 ونحو ذلك : سَلْ إذا أمرت من سأل يسأل ، والأصل اسأل مثل اذهب ، فالهمزة عند
 انعرب مُسْتَتَقِلَّةٌ ، لأنها تخرج من أقصى الحلق ويصيب الانسان عليها كالتهوع (٦١) ،
 فربما حرّكوها جملة ، وربما جعلوها حرفا لينا ، فنقلوا فتحة همزة اسأل الى السين ، فلما
 تحركت السين استغني عن ألف الوصل فحذفوها ، وحذفت [الهمزة] لسكونها وسكون
 اللام ، أعني التي هي عين الفعل ، فتقول : سَلْ زيدا . قال الله تعالى : « سَلْ بني اسرائيل » (٦٢) ،
 فإن/ شئت أتيت بها على الأصل فقلت اسأل كما أن [بعض] العرب وهم عبد القيس
 يقولون : إسَلْ ، فيبقون ألف الوصل بعد حذف الهمزة ونقل الحركة ، كأنهم توهّموا أن السين
 ساكنة (٦٣) ، وهذا شاذ لا يقاس عليه ، لأن ألف الوصل لا تدخل إلا على ساكن كما أخبرتك .
 وشذوذ هذا وقلته لشذوذ قراءة نافع (٦٤) قوله تعالى : « فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْر » (٦٥) ، جمع بين
 الساكنين لأنه توهّم حركة الأصل ، يعني حركة التاء في « تخطفه » . وكذلك « لا تعدوا في

(٥٩) من الآية ١٣٢ سورة طه .

(٦٠) في شرح التصريف اللوكي ٢٦٤ ان الهمزة حذفت من خذ وكل ومر تخفيفا، اذ الاصل اوخذ،
 واوكل و اوامر ، فاستغنى عن همزة الوصل لزوال الهمزة الساكنة . وينظر ادب الكاتب ٢٤٨ .

(٦١) التهوع : تكلف القىء . والهمزة عند المحدثين صوت حنجري ، شديد ، لامجهور ولا مهموس .
 ينظر الاصوات اللغوية للدكتور ابراهيم انيس ٩٠ ، والاصوات للدكتور كمال بشر ١٣٦ .

(٦٢) من الآية ٢١١ سورة البقرة .

(٦٣) قال القرطبي في تفسيره ٢٧/٣ : للعرب في سقوط ألف الوصل في « سل » وثبوتها في « اسال »
 وجهان : احدهما حذفها في احدهما وثبوتها في الاخرى وجاء القرآن بهما . والثاني انه يختلف
 اثباتها واسقاطها باختلاف الكلام المستعمل فيه ، فتحذف الهمزة في الكلام مبتدأ مثل قوله
 تعالى : « سل بني اسرائيل » وقوله : « سلهم ايهم بذلك زعيم » وثبتت في العطف مثل قوله تعالى :
 « واسال القرية » وقرا ابو عمرو في « سل » : « اسل » على نقل الحركة الى السين وابقاء ألف
 الوصل .

وفي اللسان - سال ان الفارسي حكى ان ابا عثمان سمع من يقول : اسل يريد اسال ، فيحذف
 الهمزة وبلقى حركتها على ما قبلها ، ثم يأتي بألف الوصل لان هذه السين - وان كانت متحركة -
 فهي في نيّة السكون . وقد تعرض المؤلف لذلك في الحجة ١٢٨ : ٢٣٣ . وكتاب ليس ٣١ .

(٦٤) هو نافع بن عبد الرحمن بن ابي نعيم ، احد القراء السبعة ومقرئ المدينة ، توفي سنة ١٧٠ هـ .
 ينظر غاية النهاية ٢٣٠/٢ .

(٦٥) من الآية ٢١ سورة الحج . وفي الحجة لابن خالويه ٢٥٣ انه يقرأ بفتح الخاء وتشديد الطاء ،
 وذلك انه اراد « فتختطفه » ، فنقل فتحة التاء الى الخاء ، وأدغم التاء في الطاء فشدد لذلك . ونقل
 ابو زرعة في الحجة ٧٦ تلك القراءة عن نافع . وفي فتح القدير ٥١/٢ : قرا ابو جعفر ونافع
 بتشديد الطاء وفتح الخاء ، وينظر اتحاف نضلاء البشر ٣١٤ .

السبب « (٦٦) و « إنَّ اللهَ نِعَمًا يعظكم به » (٦٧) . على أنَّ أبا عمرو وغيره قد وافقه على هذا الحرف .

ومثل نقل الحركة الى ما قبلها وحذف الهمزة اختصارا قولهم : قد أفلح ، ومنْ أبوك ؟ ومن جل ذلك ، يريد ، قد أفلح ، ومنْ أبوك ، ومن أجل ذلك ، وقد قرئ ذلك في القرآن العظيم رواية عن ورش (٦٨) عن نافع (٦٩) .

ومثله حذفهم الهمزة من مضارع رأى يرى ، والأصل : يرْأى ، فنقلوا فتحة الهمزة الى الراء ، وهي عين الفعل (٧٠) ، وحذفوها لسكونها وسكون لام الفعل وهي الياء ، ونحوه [أرى و] نرى وترى .

ومن العرب مَنْ يأتي بها على الأصل (٧١) ، فيثبت الهمزة في المضارع كما أثبتنا في الماضي (٧٢) ، وأنشد أبو زيد :

(٦٦) من الآية ١٥٤ سورة النساء ، وفي الحجة لابي زرعة ٢١٨ أن نافعا قرأ : « لاتعدوا » ساكنة العين مشددة الدال . والأصل : « لاتعتدوا » ثم سكن التاء وادغم في الدال . وقرأ ورش : « لاتعدوا » بفتح العين ونقل فتحة التاء الى العين مثل « بهوى » . وذكر ابن خالويه في الحجة ١٢٨ عن نافع أنه قرأ باسكان العين وتشديد الدال ، وأنه قبيح لجمعه بين ساكنين ليس أحدهما حرف مد ولين في كلمة واحدة ، والحجة له أنه سكن وهو يريد الحركة ، وذلك من لغة عبد القيس . ونقل المكبري مثل هذا القول - املاء مامن به الرحمن ٢٠٠/١ . وينظر تقريب النشر ١٠٦ ، واتحاف فضلاء البشر ١٩٦ ، وفتح القدير ٥٣٣/١ .

(٦٧) من الآية ٥٨ سورة النساء . قال ابن خالويه في الحجة ١٠٢ : الحجة لن اسكن العين وجمع بين ساكنين فاحتمل ذلك لانه جعل « نعم » و « ما » كلمة واحدة فخففها باسكان . وذكر المكبري : ١١٥/١ أن اسكان العين والميم مع الادغام بعيد لما فيه من الجمع بين الساكنين . وقيل : ان الراوي لم يضبط القراءة ، لان القارئ اختلس كسرة العين فظنه اسكانا . وينظر قراءات اللفظ المختلفة في فتح القدير ٢٩٠/١ ، واتحاف فضلاء البشر ١٩١ .

(٦٨) هو عثمان بن سعيد ، انتهت اليه رئاسة الاقراء بمصر في زمانه . توفي سنة ١٩٧ هـ . ينظر غاية النهاية : ٥٠٢/١ .

(٦٩) نقل المؤلف في اعراب ثلاثين سورة ١٠٠ عن ورش عن نافع أنه قرأ « قد أفلح » بنقل حركة الهمزة الى الدال تخفيفا ، والعرب تقول : من بوك ؟ يريدون : من أبوك ؟ وقال سيبويه ٥٤٥/٣ . واعلم ان كل همزة متحركة كان قبلها ساكن فأردت أن تخفف حذفها والقبت حركتها على الساكن الذي قبلها ! وذلك قولك : من بوك ؟ ومنْ منك ؟ وكم بك ؟ اذا أردت ان تخفف من الاب والام والابل . ومن المكبري ١٤٧/٢ في أول سورة « المؤمنون » : من ألقى حركة الهمزة في « قد أفلح » على الدال وحذفها فعلته ان الهمزة صيرت الفا ، ثم حذفت لسكونها وسكون الدال قبلها في الاصل : ولا يعتد بحركة الدال لانها انسية . وينظر اتحاف فضلاء البشر ٣١٧ .

(٧٠) أي : الهمزة .

(٧١) في الاصل (ومن العرب من يثبت زيادة على الاصل فيثبت الهمزة ...) وما أثبتته مناسب للمقام .

(٧٢) أي يقال : رأى برأى كسمى يسمى . قال ابن دريد في الجهرة ١٧٥/١ : وترك العرب الهمزة في

أُرِي عَيْنِي مَا لَمْ تَرَ أَيْاهُ كِلَانَا عَالَمٌ بِالثَّرَاهَاتِ
أَلَا أَبْلَغُ أبا إِسْحَقَ أَنِّي رَأَيْتُ الْبُلْثُقَ بِيضاً مُصْنَعَاتِ (٧٣)

وقال الفرزدق :

رَاحَتٌ بِمَسْلَمَةِ الْبَغَالِ عَشِيَّةٌ فَارَعَى فَرَازَةَ لَاهِنَاكَ الْمَرْتَعِ (٧٤)

يريد : لا هَنَّاكَ ، فحذفت الهمزة . وقال زيد بن عمرو بن نفيل :

سَالَتَانِي الطَّلَاقُ إِذْ رَأَانِي قَلَّ مَا لِي ، قَدْ جِئْتُمَانِي بِشُكْرِ (٧٥)

وقال الآخر :

وَلَا يَرْهَبُ ابْنَ الْعَمِّ مَنَّى صَوْلَتِي وَلَا اخْتَتَى مِنْ صَوْلَةِ الْمُتَمَدِّدِ (٧٦)

مستقبل رايت لكثرة استعمالهم اياه في كلامهم ، وربما احتاجوا الى همزه فهمزوه . وقال سيبويه في الكتاب ٥٤٦/٣ : وحديثي ابو الخطاب انه سمع من يقول اراهم ، يجيء بالفعل من رايت على الاصل من العرب الموثوق بهم . وينظر اعراب ثلاثين سورة ٧٥ ، ١٨٨ .

(٧٣) البيتان لسرافقة البارقي ، وهما في ديوانه ٧٨ . والاول سابق على الثاني وبينهما بيت ثالث . وابو اسحق : هو المختار بن ابي عبيد الثقفي احد الثائرين على بني امية ، وقد وقع سراقه في أسر المختار ، فزعم له انه راى ملائكة على خيول تحارب معه فاطلق سراقه . والاول في نوادر ابي زيد ١٨٥ ، والمحتسب لابن جني ١٢٨/١ ، وجمهرة اللغة ١٧٦/١ ، وشرح الشافية ١/٣ ، واللسان راى ، والاعراب للمؤلف ١٥٤، ٧٥ . والشاهد فيه الاتيان بالمضارع من « راى » دون تخفيف . وقد نقل في اللسان ان الاخفش رواه « مالم ترياها » على التخفيف الشائع ، وعليه لا شاهد فيه . والترهات جمع ترهة : الباطل .

(٧٤) البيت في الكتاب ٥٥٤/٣ ، والمقتضب ١٦٧/١ ، والخصائص ١٥٢/٣ ، والمحتسب ١٣٧/٢ ، وشرح الشافية ٧/٣ وغيرها . قال سيبويه : فابدل الالف مكانها (اى الهمزة من هناك) ، ولو جعلها بين بين لانكسر البيت .

(٧٥) البيت في الكتاب ٥٥٥/٣ ، وشرح الشافية ٤٨/٣ ، وجمع الهوامع ١٠٦/٢ . والشاعر يتحدث من زوجته . والشاهد فيه ابدال الهمزة الغامض (سالتاني) .

(٧٦) البيت لعامر بن الطفيل ، وهو في ديوانه ٥٨ ، وبصائر ذوى التمييز للفيروز ابادى ٣٨/٥ ، واللسان والتاج خنا ، خنا . وتختلف رواية صدر البيت ، والشاهد فيه قلب همزة (اختى) بياء .

ذِيَّانُ النَّاشِيءِ الْكَبِيرِ

أبي العباس عبد الله بن محمد الأنباري

المتوفى سنة ٢٩٣ هـ

القسم الأول

تحقيق وتقديم

هلال ناجي

الاعظمية ص . ب ٦٨ . ٤٠

وبعد الالف شين معجمة وبعدها ياء ، وهو لقب عليه .

قلت : ووقع الخلاف في لفظ هذا اللقب ، هل هو ناشي على ما ذكر ابن خلكان المعروف بدقة ضبطه ؟ أم هو ناشيء بالهمزة على ما ذكره كثير من المصادر^(٥) وقبل في سبب هذا اللقب : إنه دخل مجلساً فيه أهل الجدل ، فتكلم وهو فتى حدث السن ، على مذهب المعتزلة ، فجود وقطع من ناظره . فقام شيخ منهم فقبل رأسه وقال : لا اعدنا الله مثل هذا الناشي أن يكون فينا ، وينشو في كل وقت مثله لنا . واستحسن أبو العباس هذا الاسم فلقب به^(٦) .

والأنباري : قال ابن خلكان : بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الباء الموحدة وبعد الالف راء ؛ فباء ؛ ، هذه النسبة إلى الأنباري وهي مدينة قديمة على الفرات في جهة بغداد تفصل بينهما دجلة ، وهي في الجانب الغربي ، وبغداد في الجانب الشرقي ، وبينهما وبين بغداد عشرة فراسخ ،

(٥) طبقات الشعراء ٤١٧ ومروج الذهب ٥٢/٢ وتاريخ بغداد ٩٢/١٠ والمنتظم ٥٧/٦ والوالي ١٢٩/١٥ .
(٦) الفهرست ٢١٧ ولسان الميزان ٢٢٤/٢ والوالي ١٢٩/١٥ .

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الديوان

حياة الشاعر وشعره

اسمه ونسبه وكنيته ولقبه :

يعد ما ذكره ابن التديم^(١) أو في ما ذكر في نسب الشاعر فهو عنده : عبدالله بن محمد بن عبدالله بن مالك ، وهذا يوافق ما ذكره ابن حجر في لسان الميزان^(٢) . أما بقية المصادر فقد اكتفت بذكر اسمه واسم أبيه ، كنيته : أبو العباس^(٣) . وفي لقبه قيل : إنه الناشيء الأنباري المعروف بابن شير شير .

قال ابن خلكان^(٤) : « والناشي : بفتح النون

(١) الفهرست ص ٢١٧ .

(٢) لسان الميزان ٢٢٤/٢ .

(٣) وفيات الأعيان ٩١/٢ والنجوم الزاهرة ١٥٨/٢ وطبقات الشعراء ١١٧ ومروج الذهب ٥٢/٢ والمبر ٩٥/٢ وتاريخ بغداد ٩٢/١٠ والمنتظم ٥٧/٦ والأنساب ٥٥ والشعر ٢١٤/٢ والأنباء ١٢٨/٢ والبداية والنهاية ١٠١/١١ وهدية العارفين العمود ٤٤٢ .

(٤) وفيات الأعيان ٩٢/٢ .

خرج منها جماعة من العلماء ، وهو جمع واحد
نَبْر ، بكسر النون وسكون الباء . والأنبار : أهراء
الطعام ، وإنما قيل لهذه البليدة الأنبار لأن
الأكاسرة كانوا يخزنون بها الطعام فسميت
بذلك (٧) .

قلت : وفي العراق اليوم محافظة تعرف بهذا
الاسم وهي إلى اقرب من محافظة بغداد ،
ومركزها مدينة الرمادي . وللأنباريين في عصرنا
هذا محلة تعرف باسمهم في مدينة الكاظمية
وأخرى في مدينة المسيب . وللأنباريون كذلك
بطن من عشيرة البو عامر ومواطنهم نواحي
اليوسفية التابعة لمحافظة بغداد .

قال ابن خلكان : وشير شير ، بكسر الشين
الأولى والثانية المعجمتين وبينهما راء ساكنة ثم ياء
مشاة من تحتها وبعدها راء ، وهو في الأصل :
اسم طائر يصل إلى الديار المصرية في البحر في
زمن الشتاء ، وهو أكبر من الحمام بقليل ، وأظنه
من طير الماء ، وهو كثير الوجود بساحل دمياط ،
وأظنه يأتي من صحراء الترك ، وباسمه سُمي
الرجل (٨) .

قلت : ذكر الدميري الشرشور وقال : طائر
أغبر على لطافة الحمرة . ولقد انفرد السمعاني
بقوله أن الشاعر هو : أبو العباس عبدالله بن محمد
ابن شرشر (٩) ولقبه الشمشاطي بشر شير ، وليس
ابن شرشر في بعض المواضع من كتابه (١٠) . ولقبه
ابن معصوم بالجدلي (١١) ، ولقبه ابن منقذ
بالكلمي (١٢) .

ولقد ترجم أبو الطيب اللغوي لرجل يعرف
بالناشي قال : إنه وضع كتاباً في النحو ، مات قبل
أن يستتمها وتؤخذ عنه . ونسب لمحمد بن يزيد
قوله : نو خرج علم الناشي إلى الناس لما تقدمه
أحد (١٣) .

وقد وهم محقق كتاب « مراتب النحويين »
الاستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم ، إذ ظن أن
هذا الناشي هو صاحبنا ، كما وهم الدكتور

يوسف حين بكار (١٤) وبرهان هذا الوهم أن
الناشي النحوي الذي ترجم له أبو الطيب اللغوي
وترجم له السيوطي أيضاً (١٥) ، قد أخذ عن
سيبويه والأخفش - على ما ذكر أبو الطيب ،
والسيوطي - ، وسيبويه توفي عام ١٨٠ هـ وتوفي
الأخفش عام ٢٢٥ هـ فلا يمكن لأبي العباس الناشي
أن يأخذ عنهما .

وقد لُقّب صاحبنا فيما بعد بالناشي،
الأكبر تمييزاً له عن الناشيء الأصغر الذي نبغ في
القرن الرابع الهجري .

أطراف من سيرته :

لم تذكر المصادر شيئاً عن تاريخ مولده .
واكتفت بالإشارة إلى أنه من أهل الأنبار وبها
نشأ (١٦) . ولأن الأنبار وإن كانت على ضفة الفرات إلا
أنها مدينة صحراوية تحيط بها الصحراء من كل
ناحية . ولعل نشأته الأولى في هذه المدينة
الصحراوية التي شهر أهلها عبر العصور بهواية
الصيد والطرْد ، والمحاطة بالصحاري الزاخرة
بأنواع الحيوانات ، كان الدافع الأول في ولعه
بكتابة الطرديات . وكما لم تحفظ المصادر شيئاً
عن تاريخ مولده ، فإنها لم تذكر لنا شيئاً عن
أصوله . لكننا يمكن أن نستنتج أنه كان عربي
الأصول من أبياته التي تقد بها الكندي منسقة
خلطه نسب يونان بقحطان (١٧) .

أبا يوسف إني نظرت فلم أجد

على الفحص رأياً صح منك ولا عقداً

وصرت حكيماً عند قوم إذا امرؤ

بلاهم جميعاً لم يجد عندهم عنداً

اتقرون إلحاداً بدين محمد ؟ !

لقد جئت شيئاً يا أخا كندة إد

وتخلط يونانا بقحطان ضلة

لعمرى لقد باعدت بينهما جدا

فمثل هذه الأبيات المنبئة عن تعصب للعرب،

كتبها على الأغلب شاعر من أصول عربية .

وليس بين أيدينا ما يساعدنا على معرفة

(٧) وفيات الأعيان ٩٢/٢ - ٩٣ .

(٨) وفيات الأعيان ٩٢/٢ .

(٩) الأنساب ص ٥٥١ .

(١٠) الأنوار ومحاسن الأشعار ص ٢٨٤ و ٢٩٧ .

(١١) أنوار الربيع .

(١٢) البديع في نقد الشعر ١٣٦ .

(١٣) مراتب النحويين ٨٥ .

(١٤) مجلة الأدب اللبنانية يونية ١٩٧٤ ص ٢٢ .

(١٥) الزهر ٤٠٩/٢ .

(١٦) النية والأمل لابن الرنقي ص ٩٢ - ٩٣ والبداية

والنهاية ١٩٨/٢ .

(١٧) مروج الذهب ٢١٦/١ .

التاريخ الدقيق لدخونه بغداد ، فالمصادر سكنت عن هذا ، واكتفت بالقول انه دخل بغداد واقام بها مدة طويلة (١٨) .

ويبدو انه اخذ مذهب الاعتزال وهو فتى صغير السن ، والى هذا تشير واقعة تلقيه بالناشي انني تقدم ذكرها .

غير ان دخوله إني بغداد فيما يبدو كان في الفترة التي مال فيها مجد المعتزلة السياسي إلى الغروب . فالمعروف ان الفترة ما بين ١٠٠ هـ إلى ٢٢٧ هـ هجرية تمثل العصر الذهبي للمعتزلة فكريا وسياسيا ، ولقد كانت نهاية هذا العصر على ايدي المتوكل سنة ٢٢٧ هـ ، فقد عزل قضاتهم وصادر ضياعهم واملاكهم ، وانفى بهم في دياجير السجون ، بعد ان كانت (١٩) مبادئهم هي الآراء الدينية الرسمية للبلاط العباسي أيام المأمون والمعتصم والواثق .

نبغ الناشئ إذن في فترة مالت فيها شمس الاعتزال للغروب سياسيا ، ومع ذلك ، فإنه لم يكن منقطعاً عن الاتصال برجال السلطة ، فإننا نجد في بقايا شعره ما يشير إلى صلة بابي الصقر اسماعيل بن بلبل وزير المعتمد على الله العباسي الذي استوزر عام ٢٦٥ هـ ، وكانت نهايته عام ٢٧٨ هـ ، حين قبض المعتمد على الله ، عليه وعلى جماعته ونهبت منازلهم (٢٠) .

فلقد تكلم قوم في الشعر عند أبي الصقر من حيث لا يعلمون ، فكتب إليه أبو العباس الناشئ قصيدته التي أولها (٢١) :

أمن الله صنعة الشعر ما ذا

من صنوف الجهال فيها لقينا ؟

ولكن يبدو ان صلته بهذا الوزير لم تكن وطيدة ، وانه لم يكن يصله بما يأمل ، والى هذا اشار الناشئ في بيتين كتبهما إليه (٢٢) :

تبلغ بروح اليأس أو روعة الفنى

أو الصدق لي في الوعد أو طلب العذر

(١٨) انباء الرواة ١٢٨/٢ والشذرات ٢١٤/٢ ووفيات الاعيان ٩١/٢ .

(١٩) تاريخ الطبري ٤٥/١١ وتاريخ اليعقوبي ٥٩٧/٢ .

(٢٠) الكامل في التاريخ ٤٤٤/٧ .

(٢١) الصلة ١١٢/٢ - ١١٤ .

(٢٢) البصائر والذخائر ١١٨/٢ .

فما لي تقى يحيى ولا حلم يوسف
ولا صبر أيوب ولا مدة الخضر

ففي هذين البيتين من البرم وانضيق ما فيهما . ومثل هذه الصلة لا يمكن ان توصف بأنها طيبة . وإذا لم نظفر بخبر وزير أو أمير اتصل به الناشئ غير أبي الصقر ، أدركنا صواب القول انه لم يكن على صلة طيبة برجال الحكم انما كان سببه على الأكثر انحدار شمس المعتزلة نحو الغيب بعد عام ٢٢٧ هـ .

يمكن القول ان حياة الناشئ ببغداد دارت على محاور :

الأول : دعم الفكر الاعتزالي ، سار فيه على نهج المعتزلة مدافعا عن آرائهم شعراً ونثراً . وبقايا كتابه « الاوسط في المقالات » نموذج جيد من كتاباته النثرية العقائدية .

وهو يهاجم شعراً خصوم المعتزلة من مرجئة ومشبهة فيقول :

ما في انبرية اخرى عند فاطرها

ممن يقول باجبار وتشبيه (٢٣)

وهو يهجو داود بن علي إمام أهل الظاهر بقوله (٢٤) :

أقول كما قال الخليل بن احمد

وإن شئت ما بين النظامين في الشعر

عدلت على ما لو علمت ببعضه

فسحت مكان اللوم والعذر من عذر

جهلست ولم تعلم بأنك جاهل

فمن لي بأن تدري بأنك لا تدري

وله رد نثري على داود بن علي لم يصلنا (٢٥)

وهو يفخر بعلم الكلام والجدل الذي شهر به المعتزلة فيقول (٢٦) :

كلام يخوض غمار البحار

ويصعد في شاهقات الجبال

بدائع تطرب السامعين

وينمى سناها نماء الهلال

(٢٣) البدء والتاريخ ١٤١/٥ .

(٢٤) تاريخ بغداد ٢٧٥/٨ .

(٢٥) لسان الميزان ٢٢٤/٢ .

(٢٦) الابانة ص ١٥٥ .

وقال يفتخر بالكلام ورجاله (٢٧) :

ونحن أناس يصرف الناس فضلنا
بالسنن زينت صدور المحافل
تبر وجوه الحق عند جوابنا
إذا اظلت يوماً وجوه المسائل
صمتنا فلم نترك مقالاً لصامت
وقلنا فلم نترك مقالاً لقائل
ويمضي الناشئ في وصف أصحابه من
رجال الكلام مفتخراً ومعتزاً (٢٨) :

فلو شهدت مقاماتي وانديتي
يوم الخصام وماء الموت يطرد
في فنية لم يلاق الناس مذ وجدوا
لهم تبيهاً ولا يكفون إن فقدوا
مجاورو الفضل أفلاك الملا سبل الـ
تقوى محل الهدى صمد النهم الوطد
كانهم في صدور الناس أفئدة
تحس ما اخطئوا فيها وما عمدوا
يبدون للناس ما تخفي ضمائرهم
كانهم وجدوا منها الذي وجدوا
دلوا على باطن الدنيا بظاهرها
وعلم ما غاب منها بالذي شهدوا
مطالع الحق ما من شبهة غسقت
إلا ومنهم لديها كوكب يتقد

ثم هو يمضي الى ما هو أبعد من هذا، فينظم
قصيدة في الكلام « عدتها أربعة آلاف بيت (٢٩) » .

والمحور الثاني : مناهضة عباقرة العالم :

وهو مظهر من مظاهر نبوغه وفطنته ، فقد نقض
كثيراً من علوم معاصريه . نقد علم النحو واحكمه ،
ونظر في علله وهو متكلم ، فتبين له بقوة الكلام
نقض أصوله ، فنقضها وصنف فيها (٣٠) .

والف كتباً ينقض بها كتاب المنطق لأرسطو ،
حتى قال أبو سعيد السيرافي في مجلس ابن الفرات
الوزير لشيخ المناطقة متى بن يونس : وهذا
الناشيء أبو العباس قد نقض عليكم ، وتببع

(٢٧) زهر الآداب ص ٨٥٢ .

(٢٨) زهر الآداب ص ٨٥٢ .

(٢٩) لسان الميزان ٢/ ٢٢٤ .

(٣٠) انباء الرواة ٢/ ١٢٨ .

طريقكم ، وبين خطاكم ، وأبرز ضعفكم ، ولم
تقدروا الى اليوم ان تردوا عليه كلمة واحدة مما
قال ، وما زدتم على قولكم « لم يعرف أغراضنا ،
ولا وقف على مرادنا ، وإنما تكلم على وهم » وهذا
منكم لحاجة ونكول ، ورضى بالمعجز والكلول (٣١) .

وادخل على قواعد العروض شيئاً ناقضة
لها ، ومثله بأمثلة غير أمثلة الخليل (٣٢) . وبلغت
حدة ذهنه أنه كان ينظم في خلاف كل معنى قالت
فيه الشعراء (٣٣) .

لقد كان الناشئ « ذكياً ذكاءً حاداً وصرف
ذكاءه في مناهضة العباقرة من عالمه والعالم
الخارجي (٣٤) » .

المحور الثالث : تمتعه بلذات العيش :

تكشف لنا الصبابة من شعر الناشئ أنه
كان ميلاً لمجالس الأنس ، حفيماً بمجالس الشراب
والقيان والغناء ، وإنه كان غزلاً محبباً الى قلوب
الفواني .

فكثيراً ما كان يقصد باب الحديد ، وهو
« امر موضع بفساد وانزعه ، لما فيه من
البساتين والشجر والنخل والرياحين ، ولتوسطه
البلد وقربه من كل أحد (٣٥) » وكان في العادة عامراً
بأهل البطالة والطرب واللذات ومشحوناً
بالمتنزهين ، فيمضي فيها أجمل أيامه ، وتلك
الأيام التي خلقت في قلبه أجمل الذكريات نراه
يحن ويقول (٣٦) :

ما جليل يوم الندى بجليل

بعمدت والمزار غير بعيد

خبثت عن ضميرها عبرات

صرن عوناً على الفؤاد العميد

يا ليالي اللذات بالله عودي

بين قبروبنا وباب الحديد

بين تلك الربى وقد نسج الوبل

بكف الربيع رنط البرود

(٣١) ارشاد الأريب ٢/ ١١٩ .

(٣٢) انباء الرواة ٢/ ١٢٨ .

(٣٣) تاريخ بغداد ١٠/ ٩٢ .

(٣٤) العصر العباسي الثاني ص ٤٩٢ .

(٣٥) الدبارات ص ١٦ .

(٣٦) الدبارات ص ١٧ - ١٨ .

خده ضد صدغه مثل ما الـ

وعد إذا ما خبرت ضد الوعيد
طلب انطبل طابلات من الزمر
وعاد السرور إذ عاد عودي

كان الناشء كثير القصد للمتزهات ، وفي
واحد منها اجتمع مع عدة إخوان على الشراب ،
ومعهم قينة محسنة ، فاقترح بعض الحضور عليها
هذا الصوت :

« اديرا المدام ولا بد لي »

وكانت منغمة الصوت ، فغنته فأحسننت ،
فما بقي في المجلس أحد إلا اقترحه ، وذهب أكثر
نهارهم فيه . وكانت المغنية تهوى الناشء
ويبواها ، فقال الناشء : قد اسرفتم في هذا ،
ولكني اقول :

وليت قضاء ولم تعدل

سفاهاً وقلت فلم تفعل
هجرت فاشمت بي الحاسدين
واشفقت من عدل العدل
« سن لم أبكر غدا قهوة
تصفق بالبارد السلسل
مداماً إذا جبار بي حكمها
ركبت على السنن الأعدل
إذا ما انتشى الحر من كأسها
دعته إلى انخلق الافضل
ترى آخر القوم قد الحق
ته أيدي نداماه بالاول
ينراج إلى الخير معتادها

فيعطي الجزيل ولم يسأل
« اديرا المدام ولا بد لي
من السكر منها ولا عذلي »
وقد آذنونا بوقت الرحيل

فإن كنت تهويني فارحلي

فلما سمعت الجارية المغنية هذا البيت
وقعت في قلبها النيران ، فقامت ولبست ثيابها
على غفلة وجدتها من مولاتها ، وخرجت معه ،
فاحتبسها الناشء عنده شهراً ثم ردها (٢٧) .

(٢٧) طبقات الشعراء ص ٤١٨ .

وهذا الخبر يعكس ما كان للناشيء في قلوب
بعض القيان من حبه عارم كان يدفعهن إلى
الارتقاء بين احضانه ، وهو يعكس أيضاً إلفه
لمجالس الشراب والفناء ، وقدرته على ارتجال
الشعر ، وتمتعه بلذات العيش .

وذاث يوم اجتمع في دار محمد بن خلف بن
المرزبان : الناشء واحمد بن أبي طاهر ومحمد بن
عروس ، ودعا لهم مغنية ، فجاءت ومعها رقبة
غاية في الجمال ، فلما شربوا أخذ الناشء رقعة
وكتب فيها :

فديتك لو انهم انصفوا
لردوا النواظر عن ناظريك
تردين اعيننا عن سواك
وهل تنظر العين إلا إليك
وهم جملوك رقيباً علينا
فمن ذا يكون رقيباً عليك
الم يقرئوا ويحهم ما يرون
من وحي حنك في وجنتيك

فشغف الحاضرون بالآبيات ، فقال ابن أبي
طاهر : أحسنت والله واجملت ، قد والله حدثك
على هذه الآبيات ، والله لأجلت ، وقام وخرج
من ساعته ، ولم يعد إلى الشرب بقية يومه (٢٨) .
والخبر يحمل في طياته دلالات لا تخفى ،
فالناشء كان غزلاً شغوفاً بالجمال ، وكان ذا
قدرة على الارتجال مع الأجان ، ومثل هذه القدرة
تجعله قبلة في مجالس الشرب ، فما أثار غيرة ابن
أبي الطاهر وحده .

إن أيامه الوضيئة التي نهل منها اللذات
نهلاً تصورها آبياته التي قالها حين سار من
المراق إلى مصر (٢٩) :

قد لهونا بها زماناً وحيناً
ووصلنا الأسحار بالأسحار
واغبتنا على صبح ولهو
وحنين النايات والأوتار

(٢٨) ديوان المعاني ٢٢٨/٢ - ٢٢٩ وانباء الرواة ١٢٩/٢
والمنتظم ٢٨/٦ ووفيات الأعيان ٩٢/٣ وشذرات الذهب
٢١٤/٢ - ٢١٥ وتاريخ بغداد ٩٢/١٠ والأغانى ١٨١/١٨
ومخطوطة الوالي ١٢٩/١٥ .

(٢٩) مروج الذهب ٢٥٢/٢ - ٤٥٤ .

بين ورد ونرجس وخزامي

وبنفج وسوسن وبهار

واقصاح وكل صنف من النور

ر الشهي الجنى ومن جلتار

ظل قلب الناشء يخفق للجمال ويفرد له ،
فخلف لنا باقة رائعة من شعر الغزل وإن شغفه
بالخمرة ومجالسها ترك للشعر العربي قطعا منتقاة
في وصف الخمرة وكؤوسها وآدابها ومجالسها
وقيانها ، من أروعها قوله (٤٠) :

لا عيش إلا بكف جارية

ذات دلال في طرفة مرضى

كان في الكأس حين تمزجه

نجوم رجم تلو وتنخفض

تحمل في كأسها مشبعة

ليس لها قيمة ولا عوض

ولعل واحدة من أبرز المتع التي تعلق بها
الناشيء هي متعة الصيد . فلقد كان الولع بالصيد
في عصره ضربا من الترف الحضاري الذي امتاز
به ذلك العصر ، وهو لون من الترف شاع وانتشر ،
وسار فيه الناس على مذهب خلفائهم .

إن طرديات الناشء التي تشكل القسم
الأكبر من شعره الذي جمعه تمكس صورة من
صور ونوعه وشغفه البالغ بهذه المتعة الحضارية
الجديدة .

وبعد تلك هي المحاور الثلاث التي دارت
حواليها حياة الناشء في عاصمة الخلافة العباسية .

وبعد إقامة طويلة ببغداد أمضى فيها جل
حياته ، رحل شاعرنا إلى مصر (٤١) وليس في المصادر
التي بين أيدينا ما يساعد على التعرف على تاريخ
هذه الرحلة (٤٢) غير أننا يمكن أن نجزم من خبر
رواه الطبراني أنه كان بمصر سنة ٢٨٠ هـ حين
أنشده شيئا من شعره .

ولسنا نعرف سببا لهذه الرحلة ، وما ذكره
المرزباني في الساقط من معجمه ، ونقله عنه

(٤٠) البديع في نقد الشعر ص ٢٢٦ .

(٤١) وفيات الأعيان ٩١/٣ والوالي ١٢٩/١٥ والشذرات
٢١٤/٢ وانباء الرواة ١٢٨/٢ وتاريخ بغداد ٩٢-٩٣ .

(٤٢) تاريخ بغداد ٩٣/١ .

الخطيب البغدادي (٤٣) والسمعاني (٤٤) من أن
الناشيء « أخذ نفسه بالخلاف على أهل المنطق
والشعراء والمروزيين وغيرهم ، ورام أن يحدث
لنفسه أقوالا ينقض بها ما هم عليه ، فسقط ببغداد
فلجأ إلى مصر ، فشكل إليها وأقام بها بقية
عمره » لا يمكن أن يكون سببا لهذه الهجرة التي
فارق بها موطن أحلامه وذكرياته .

فالمرزباني قد انفرد بهذا الخبر الذي نقله
عنه متاخرون جاءوا بعده ، والمرزباني نفسه من
وفيات عام ٣٨٦ هـ فهو ليس من معاصري الناشء
ثم إن الذين وقفوا على كتب الناشء ومنهم
القفطي قد ردوا أقوال المرزباني هذه . قال
صاحب الانباه (٤٥) :

« وإذا وقف انواقف على تصانيفه وانصف
ظهر له أثر الاجتهاد والإمتاع ، حتى إن غير النصف
ينسبه إلى الهوس ، وليس الأمر كذلك ، وإنما
هي قوة وفطنة » .

ومما يميز تحامل المرزباني عليه قوله :
« وشعره كثير وهو مع كثرته قليل الفائدة » (٤٦) .
وكلام المرزباني هذا مناقض لرأي الصفدي ، وهو
من اعلام النقد إذ قال عن شاعرية الناشء : « وهو
معدود في طبقة البحثري وابن الرومي » (٤٧) ومناقض
ايضا لقول ابن كثير عنه : « كان جيّد الدهن ...
وكان شاعرا مطبقا » (٤٨) ومناقض كذلك لقول
التوحيدي فيه : « وإن كلامه ليزيد على كلام قدامة
وغيره ، وله مذهب حلو ، وشعر بديع ، واحتفال
عجيب » (٤٩) . ومناقض لقول ابن خلكان عنه :
« كان من الشعراء المجيدين ، وهو في طبقة ابن
أرومي والبحثري وأنظارهما » (٥٠) .

وإذا لم يكن ما ذكره المرزباني سببا في هذه
الرحلة ، فهل يكون سببا اتهامه بأنه كان ثنويا ،
فسقط من طبقة اصحابه المتكلمين على ما ذكر ابن
النديم (٥١) قلت : إن هذا الاتهام مردود بما قاله

(٤٣) تاريخ بغداد ٩٢/١ .

(٤٤) الأنساب ص ٥٥١ .

(٤٥) الانباه ١٢٨/٢ .

(٤٦) تاريخ بغداد ٩٢/١ .

(٤٧) مخطوطة الوالي بالوفيات ١٢٨/١٥ .

(٤٨) البداية والنهاية ١٠١/١١ .

(٤٩) البصائر والذخائر ١١٧/٢ .

(٥٠) وفيات الأعيان ٩١/٢ .

(٥١) الفهرست ص ٢١٧ .

ابن حجر : « ولا تفتقر بقول ابن النديم ، فإنّ هذا من كبار المسلمين (٥٢) » .

الواقع أنّ المصادر لم تكشف لنا سبب هذه الهجرة . ونلاحظ من خلال النصوص القليلة التي وصلتنا أنّه فارق العراق على مضض ، فهو يقول حين سار من العراق مفارقاً إلى مصر (٥٢) :

يا ديار الاحباب هل من مجيب

عنك يشفي غليل نائي المزار

ما اجابت ولكن الصمت منها

فيه للسائلين طول اعتبار

إن تكن أوحشت فبعد انيس

أو خلت منهم فبعد قرار

حتى يقول :

فرمتنا الايام احسن ما كنا

على حين غفلة واغترار

فافترقنا من بعد طول اجتماع

ونأيننا بعد اقتراب الديار

ولسنا نعرف عن حياته بمصر الشيء الكثير ، فالدكتور محمد كامل حسن ، يورد عنه أموراً لا نعرف سندها العلمي ، فهو يرى : أن الناشئ لم يتصل بأمر من أمراء مصر ، وأنه مارس التعليم فيها (٥٤) .

وهذه الاخبار يجب أن ننظر إليها بحذر ، ذلك أنّ الباحث المذكور لم يكن دقيقاً فيما أورده عن الناشئ في المصدر ذاته .

فقد قال : إن الناشئ قصيدة في نسب الرسول تقع في ألف بيت !! وهذا وهم ، صوابه أنها في سبعة وسبعين بيتاً .

وقوله : إن الناشئ كان بئساً في حياته ، مردود بما ورد في شعر الناشئ من يسر حاله :

« وعبيدي وبرذوني ونضرة حالي »

ثم انتهى إلى القول « وربما اخذ كشاجم شيئاً من اشعار الناشئ مستشهداً بها عندما وضع كتاباً في المصايد والمطارد » ومثل هذا الكلام يدل على قلة بضاعة الكاتب وأنه لم يقف على كتاب

(٥٢) لسان الميزان ٢/٢٢٤ .

(٥٣) مروج الذهب ٢/٤٥٢ - ٤٥٤ .

(٥٤) أدبنا العربي في مصر الولاة ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .

المصايد والمطارد المطبوع . ولسنا نعرف شيئاً ذا بال عن أيامه بمصر ، غير نبأ هجائه للشاعر المصري منصور بن اسماعيل التميمي الفقيه الضريب ، وقد ردّ عليه الأخير ردّاً نبيلاً إذ قال (٥٥) :

إن ذكر السياق - أصلحك الله

ه - وذكر المبيت في اللحد وحدي

حتماني عن الحديث بما لو

ذاع لم تشتغل بمدحي وذمي

فاهجني باطلا فمالك عندي

أبدأ غير ما لفرك عندي

ونحسب أن الغربة التي عاناها الشاعر في أعوامه الأخيرة ، والجحود الذي لاقاه ممن لم يعرفوا قدره ومواهبه الخارقة ، والإحساس الحاد باقتراب النهاية ، قد دفعته مجتمعة إلى اعتزال الناس ، وإيثاره العزلة فقال (٥٦) :

خبرت الأنام فما إن وجد

ت على محنة من يساوي تقراً

فلما تبينت انسي التمسست

من الناس شيئاً بعيداً عسراً

فزعت إلى الانس بالانفرا

د ، فكان التقليل منهم كثيراً

وهكذا عاش الشاعر في أعوامه الأخيرة مؤثراً العزلة بعد تجارب مرّة قاساها .

وفاته :

أجمعت المصادر على أن الناشئ توفي سنة ٢٩٣ هـ بمصر (٥٧) ، وشذّ كحالة ، إذ ذكر أنه توفي سنة ٣٠٣ هـ مخالفاً الإجماع ، ولم يذكر سنده (٥٨) وهذا الوهم كرهه كاتب الهامش في الصحيفة ٢٩٩ من كتاب فضل الاعتزال . وفي هدية العارفين أنه توفي سنة ٢٩٢ هـ (٥٩) وهو خطأ كذلك .

ولم تذكر المصادر علة وفاته ، ولكن الصفدي

(٥٥) معجم الشعراء ص ٢٨٠ .

(٥٦) العزلة ص ٥٧ .

(٥٧) تاريخ بغداد ٩٢/١٠ والانباء ١٢٩/٢ والوفيات ٩٢/٢

والشذرات ٢١٤/٢ وحسن الحاضرة ٥٥٩/١ والمختصر

في اخبار البشر ٦١/٢ والكمال في التاريخ ٥٤٧/٧ والعبر

٩٥/٢ والنجوم الزاهرة ١٥٨/٢ ومروج الذهب ٢/٤٥٢ .

(٥٨) معجم المؤلفين ١١١/٦ .

(٥٩) العمود ٢٤٢ .

انفرد بذكر رواية صعبة التصديق ، تدور حول ظروف وفاته قال : « قيل إن سبب موته كان عجباً ، وهو انه كان في جماعة على شراب . فجري ذكر القرآن وعجيب نظمه ، فقال ابن شرشير : يقولون لو شئت وتكلم بكلام عظيم ، فانكروا عليه ذلك فقال : آتوني بقرطاس ومحبرة ! فاحضر ائيه ذلك . فقام ودخل بيتاً ، فانتظروه ، فلما طال انتظاره ، قاموا ودخلوا إليه ، فإذا القرطاس مبسوطة ، وإذا الناشء فوقه ممتداً ، فحركوه فإذا هو ميت » (١٠) .

وربما كان هذا الذي ذكره الصفدي من تلفيقات خصومه وحساده .

مذهبه :

كان الناشء الأكبر معتزلياً ، ترجم له مصنفو طبقات المعتزلة ، كالهمداني (٩١) وأحمد بن يحيى بن المرتضى (٩٢) .

كما ترجم له ابن النديم ضمن باب (ذكر قوم من المعتزلة) (٩٣) .

وقال ابن كثير عنه « وكان متكلماً معتزلياً » (٩٤) .

وقد وهم الدكتور شوقي ضيف حين ظنه شيعياً ، وقال « وكان شيعياً وربما شيعيته هي التي جعلته يترك بغداد عاصمة الدولة العباسية إلى مصر » (٩٥) ومصدر الوهم هنا هو خلطه بين الناشء الأصغر (علي بن عبدالله بن وصيف) ، وكان شيعياً معروفاً ، وبين صاحبنا وبينهما قرن من الزمن .

تلاميذه ومن روى عنه :

لقد عدَّ ابنُ الفقيه الهمداني الناشء الأكبر من مفاخر بغداد وفضائلها التي يفخر بها العراق على مصر (٩٦) .

ويشير ابن الرومي في قصيدة له يهجو بها

- (٩٠) انظر مخطوطة الوالي بالوفيات ج ١٥ ص ١٢٩ .
(٩١) فرق وطبقات المعتزلة ص ٩٨ وفضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ص ٢٩٩ - ٢٠٠ .
(٩٢) النية والامل ٩٢ .
(٩٣) الفهرست ص ٢١٧ .
(٩٤) البداية والنهاية ١٩٨/٢ .
(٩٥) العصر العباسي الثاني ص ٤٩٢ .
(٩٦) بغداد مدينة السلام ص ٦٩ .

شاعرنا إلى ان اشعار الناشء كانت تدرس في زمنه :

كيف لا يشتهه وســـــــــــــــــ

ـــــــــــــــــ واسي واشسمارك تدرسي (٩٧)

ومثل هذه الإشارات تؤكد لنا حقيقة مهمة ، هي ان صاحبنا كان عملاقاً من عمالقة الفكر في زمنه ، وكان استاذاً له تلامذة يدرسون اشعاره وربما تصانيفه . وإذا كانت المصادر قد شحت فلم يصلنا من اسماء تلامذته ما يروي ظمأ ، فقد ذكر السمعاني علمين منهما هما : ابو القاسم الطبراني ، ومحمد بن خلف المرزبان ، واكد انهما وغيرهما ممن روى عنه (٩٨) .

مصنفاته :

للناشء مصنفات كثيرة ضاع اغلبها ، فمما وصلنا منها :

١ - مسائل الامامة : وهو الكتاب الاول من كتاب فيه اصول النحل التي اختلف فيها اهل الصلاة .

٢ - الكتاب الاوسط في المقالات . وقد وصلتنا مقتطفات منه جمعها الصفي ابو الفضائل ابن الصال النصراني ، وربما كان بقية كتاب المقالات الذي ذكره الهمداني في طبقات المعتزلة .

وهذان الكتابان نشرهما المستشرق الالماني يوسف فان اس في بيروت سنة ١٩٧١ ضمن مطبوعات المعهد الالماني للأبحاث الشرقية في بيروت ، وقد ضمت النشرة النص العربي ، وترجمته الالمانية ، وفهارس متنوعة .

٣ - تفضيل السودان على البيض ، وقد وصلتنا منه مخطوطة (٩٩) .

٤ - مفاخرة بين الذهب والزجاج ، عارضها السيوطي . وقد وصلتنا منه مخطوطة (٩٩)

أما بقية مصنفاته فقد ضاعت ، ووصلت من بعضها نقول ، وكذلك ديوانه ضاع وتناثرت قصائده . وفيما يلي عرض لهذه المصنفات :

- (٩٧) ديوان ابن الرومي الجزء الثالث ص ١١٩٧ .
(٩٨) الانساب للسمعاني ص ٥٥١ .
(٩٩) بروكلمان (الطبعة الثانية) ١٢٨/١ .

١ - ديوان شعره : ذكر ابن النديم أن ديوانه في خمسين ورقة (٧٠) . وهذا يعني أنه يقع في ألفي بيت ، وهو أمر يخالف ما ذكرته المصادر من كثرة أشعاره (٧١) وقد ضاع هذا الديوان فيما ضاع من تراثنا الشعري ، وسعينا أني جمع ما تناثر منه في شتيت المظان والمصادر ، مخطوطة ومطبوعة ، حتى استوى المجموع الذي تقدمه اليوم مشروحاً ومضبوطاً بالشكل .

٢ - قصيدة له في أربعة آلاف بيت على روي واحد وقافية واحدة (٧٢) في الكلام (٧٣) وهذه القصيدة هي التي قال عنها ابن الجراح : إن الناجم ذكرها وذكر أن الشاعر أنشده إياها (٧٤) . وذكر الصفدي وابن خلكان والقفطي أن في القصيدة المذكورة فنونا من العلم (٧٥) . وأوضح المسمودي أن هذه القصيدة نونية منصوبة ، وقد ذكر فيها أهل الآراء والنحل والمذاهب والملل (٧٦) .

٣ - له كتب كثيرة نقض فيها كتب المنطق (٧٧) .

٤ - له رد على داود بن علي إمام المذهب الظاهري ، رده عليه ابنه محمد بن داود (٧٨) الأصفهاني المتوفى سنة ٢٩٦ هـ ، واسم كتابه « الانتصار على محمد بن جرير ، وعبدالله ابن شرسير ، وعيسى بن إبراهيم الضير » (٧٩)

٥ - له كتاب في العروض ذكر فيه أنواعاً مما خرج فيه الخليل بن أحمد الفراهيدي عن تقليد العرب إلى باب التعسف والنظر ونصب الملل عن أوضاع الجدل (٨٠) . وقال

(٧٠) الفهرست ص ١٩٢ وقد حرف اسم الناشئ إلى (القاسمي) !

(٧١) مروج الذهب ٥٢/٢ وتاريخ بغداد ٩٢/١ .

(٧٢) طبقات المعتزلة للهمداني ص ٢٠٠ والانساب ص ٥٥١ والثنية والأمل ص ٩٢ والنجوم الزاهرة ١٥٨/٢ وحسن المحاضرة ٥٥٩/١ وهديّة العارفين (العمود ٤٤٢) .

(٧٣) الفهرست ٢١٧ ولسان الميزان ٢٣٤/٢ .

(٧٤) تاريخ بغداد ٩٢/١ .

(٧٥) الوفيات ٩١/٢ والانباء ١٢٨/٢ ومخطوطة الوافي بالوفيات ١٢٨/١٥ .

(٧٦) مروج الذهب ٥٢/٢ .

(٧٧) فصل الاعتزال وطبقات المعتزلة ص ٢٠٠ وتاريخ بغداد ٩٢/١ والانساب ٥٥١ .

(٧٨) لسان الميزان ٢٣٤/٢ .

(٧٩) مروج الذهب ٢٠٥/٢ .

(٨٠) مروج الذهب ٤٥٢/٢ .

ابن خلكان : إن الناشئ أدخل على قواعد العروض شيئاً ، ومثلها بغير أمثلة الخليل ، وكل ذلك بحذقة وقوة وفطنة (٨١) .

٦ - أرجح أن له كتاباً في النحو ، فقد ذكر مؤرخوه أنه « كان بقوة علم الكلام نقض علل النحاة (٨٢) » وهذا النقض في رأيي قد تم في كتاب صنفه لهذا الغرض .

يعزز رأيي هذا قول القفطي : « علم النحو واحكمه ، ونظر في علله وهو متكلم ، فتبين له بقوة الكلام نقض أصوله ، فنقضها وصنف فيها (٨٣) » .

٧ - له مصنفات واسعة في أنواع من العلوم (٨٤) .

٨ - طردبات على أسلوب أبي نواس (٨٥) .

وقد ظفرنا بطائفة حسنة منها ، أضفناها لأشعاره الأخرى .

٩ - كتاب « تفضيل الشعر » ، وهو أقدم كتاب في النقد الأدبي . وإن النصوص القليلة التي وصلتنا منه دفعت ناقدًا كبيراً ومؤرخاً معروفاً من مؤرخي الأدب العربي إلى القول : بأن النقد الأدبي ولد في حضان الاعتزال على أيدي الجاحظ ، وبشر بن المعتز والناشيء الأكبر (٨٦) وقد رايت خدمة لتراث هذا النابغة أن أجمع هذه النصوص القليلة في هذا الوضع . وإن ارتبها ترتيباً زمنياً بحسب المصادر التي استقيتها منها .

【 ١ 】

قال الناشئ أبو العباس الكبير : أول الشعر إنما يكون بكاءً على ديمّن ، أو تأشفاً على زمن ، أو نزوعاً لفراق ، أو تلوعاً لاشتياق ، أو تطلّعاً لتلاق ، أو إعداراً إلى سفيه ، أو تغمّداً نهفة ، أو تنضلاً من زلة ، أو تحضيضاً على أخذ بثار ، أو تحريضاً على طلب أوتار ، أو تعديداً للمكارم ، أو تعظيماً لشريف مقاوم ، أو عتاباً على طويّة قلب ، أو عتاباً من مقارفة ذنب ، أو تعهداً لمعاهد أحباب ، أو تحسراً على مشاهد إطراب ،

(٨١) وفيات الأعيان ٩١/٢ .

(٨٢) وفيات الأعيان ٩١/٢ وشرحات الذهب ٢١٤/٢ .

(٨٣) الانباء ١٢٨/٢ .

(٨٤) مروج الذهب ٤٥٢/٢ .

(٨٥) هديّة العارفين العمود ٤٤٢ .

(٨٦) تاريخ النقد الأدبي عند العرب من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري : احسان عباس ص ١٦ .

أو ضرباً لامثال سائرة ، أو قرعاً لقوارع غائرة ،
أو نظماً لحكم بالغة ، أو تزهيدا في حقير عاجل ،
أو ترغيباً في جليل آجل ، أو حفظاً لقديم نسب ،
أو تدويناً لبارع أدب (٨٧) .

【 ٢ 】

وقال الناشئ أبو انعباس في نقد الشعر :
الشعر قيد الكلام ، وعقال الأدب ، وسور البلاغة ،
ومحل البراعة ، ومجال الجنان ، ومشرح البيان ،
وذريعة المتوسل ، ووسيلة المتوصل ، وذمام
الغريب ، وحرمة الأديب ، وعصمة الهارب ، وعدة
الراهب (ورحلة الداني ، ودوحة المتمثل ، وروحة
المتحمل) ، وحاكم الأعراب ، وشاهد الصواب (٨٨)

【 ٣ 】

قال الناشئ في كتاب « نقد الشعر » :
ومخاطبات النساء تحلو في الشعر ، وتعذب في
القريض ، لاسيما لغانية قد أطرّ الفتاة شاربها ،
وزوى الإباء حاجبها ، وأشعك الجمال قوامها ،
وأفرد الحسن تمامها ، وأبخل الهوى عينيها ،
وأمرض الزهو جفنيها ، وأرابت الضباب الغاظها ،
وفتر الرنوء الحاظها ، وأرهف الظرف أعطافها ،
والأنت النعمة أطرافها ، ولذّ الراشف مبسمها ،
وأطرّد ماء النعيم بين رياضها وجنائها ، وترقرق
جريال الشباب على سحناتها ، وجبدل للضم
قدها ، ومالت للجاذب جمائرها ، ودالت للقاضب
عذائرها ، وشخصت للوتر ماكمها ، وظمئت
للدبول فصولها ، وسهلت للعيون حجولها ، وطابت
للمتنسم ملاغمها ، وأرخت للمتنعم فواغمها ، فكيف
إذا هي برزت من حجابها ، وسفرت عن تقابها ،
وتهادت بين أترابها ، وقد هزّ الريح أردانها ،
واستمر الراح اكفافها ، بل كيف هي إذا أملت
سائلتها ، واكلفتها ، مقاولها ، وأعرضت عنه
صدوفها ، وتأوهت منه عزوفها ، وقد قطب التيه
جبينها ، واستغضّ الآتف عرينها ، واستخفها
الطرب ، واستهواها العجب ، فافترت مبتسمة
عن شتيت أنيابها ، ومعسول رضابها ، وكيف
مقرّ نفس عاشقها إذا هي لسنته بعتابها ، ولحنته
بسبابها ، وقد لاثت ذوابل أثوابها ، وحسرت

فواضل أسلابها ، وطفقت تعدّ ذنوبه بحناجرها ،
وتأبى معاذيرها بمكاسرها ، وهل تطوع لها أمنية
إذا اعتبته من صدها ، وبذلت له مصون ودها ،
ثم استعفته بزورة ، وسنتت لها عين راقبها ،
وغيلت بها نفس عاقبها ، وقد التفتت إليه ملاء
ليل ، أو وطئت إليه اعقاب قبل ، فقد خزل
الآبن أباطلها ، وبلىّ البهر غلائلها ، وحصدت له
أعاليها وأسافلها ، وأوجل الوجل فرائصها ، وأوجأ
المجل أخامصها ، ثم طفقت تستعقب نفسها
وتستكفها ، حتى إذا أسمحت بها قرينتها ،
واسجحت لها سجيتها ، وسكن إلى الأيناس
قلقتها ، وأسرع إلى الأيناس علقها ناسمته من
حديثها بما هو أقرّ لمينه ، واشهى إلى نفسه من
طول بقائها ، ودوام نعمائها ، ولنا في هذا الباب ما
لم يخرج عن مذهب القوم منه :

فديتك لو أنهم يعقلون
لردوا النواظر عن ناظريك
الم يقرءوا ويحكم ما يرون
من وحي قلبك في مقلتيك
وقد جعلوك رقيباً علينا
فمن ذا يكون رقيباً عليك (٨٩)

【 ٤ 】

وكقول بعض المحدثين : قصر جرير في قوله :
إنّ العيون التي في طرفها مريض
قتلتنا ثم لم يحين قتلنا
فقال : « في طرفها » فأضاف الجمع إلى
الواحد . والطرف هو العين ، فكأنه قال :
إنّ العيون التي في عينها مرض ، وقال :
« قتلنا ثم لم يحين قتلنا » فجاء بما ليس في
انعادات من الإحياء بعد القتل . وقال : أحسن
منه قولي :

لا شيء أعجب في عينيك إنهما
لا يضعفان القوى إلا إذا ضعفا

وكذلك قال في قول النابغة :

وإنك كالليل الذي هو مدركي

وإن خلت أنّ المنتأى عنك واسع

(٨٧) البصائر والذخائر ٢/٢٦٠ - ٢٦١ .

(٨٨) البصائر والذخائر ٢/٢٧٢ وفيه تحريف كثير ولي زهر
الأدب ٦٢١ .

(٨٩) البصائر والذخائر ٢/٦١٩ - ٦٢١ .

إنّ هذا ليس بغاية في التبالغ ، لأنه جاء بما
له قسيم يفعل مثل فعله ، وهو أن النهار يدرك ما
يدرك الليل . وإنما كان يتمّ له ما قصد لو أتى
بشيء لا قسيم له . وذكر أنّ قوله :

كانه الدهر في إدراك غايته

أو المنايا إذا جاءت على عَجَل
أبلغ منه ، لأنه جاء بما لا قسم له . وقال
ومنه قولي :

هم للمعدة كآجال منسومة

إن حاولوا فتوتها آلا ولم يثلوا

وقال : الآجال لا يفوتها شيء ، ولا قسيم
لها ، فهي أبلغ من الليل ، إذ كان النهار قسيمه .

وما هو في هذه العيوب إلا كما حدثنا أبو
علي الحسين بن إبراهيم الأمدى ، قال : حدثنا
أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش ، قال :
!خبرنا محمد بن يزيد الميرد ، قال : تلاحي مسلم
ابن الوليد وأبو نواس ، فقال مسلم : ما أعلم لك
بيتاً يخلو من سقط . فقال أبو نواس : اذكر
شيئاً من ذلك . قال : بل أنشد انت أي بيت
شئت . فأنشده :

ذكر الصبوح بسحرة فارتاحا

وأمله ديك الصباح صباحا

فقال مسلم : قف عند هذا . لمّ أمله ديك
الصباح ؟ ، وهو يشره بالصبوح ، وهو الذي
ارتاح إليه ؟!

قال أبو نواس : فأنشدني انت . فأنشده :

عاصى الشهاب فراح غير مقتند

وأقام بين عزيمة وتجلّد

فقال أبو نواس : ناقضت ، ذكرت أنّه راح ،
والرواح لا يكون إلا بالانتقال من مكان إلى مكان ،
ثم قلت : « وأقام بين عزيمة وتجلّد » ، فجعلته
منتقلاً مقيماً في حال ، وهذا منتقض .

قال أبو العباس : وكلا البيتين صحيح ،
ولكن من طلب عيباً وجدّه ، ومن طلب مخرجاً لم
يفته (٩٠) .

(٩٠) ما يجوز للشاعر في الضرورة للفراغ القرواني - تحقيق
الدكتور المنجي الكبي ص ٢٧ - ٢٩ .

تعليق لمحقق الديوان : هذا النص مقتبس

من كتاب تفضيل الشعر للناسي الأكبر ولم ينتبه
الدكتور الكبي إلى ذلك ، وفاته إن المقصود بعبارة
(بعض المحدثين) الناسي الأكبر بالذات . وادلتنا
على ما نذهب إليه هي :

١ - إن البيت الذي نسبته القائل لنفسه وفضّله
على جرير هو للناسي الأكبر ، أورده
المصادر منسوبة إليه ، كالفهرست ص ٢١٧
والعمدة ج/٢٠١ وديوان المعاني ٢٣٥/١ .

٢ - وبديل ما جاء في العمدة ٢٠١/١ ونصه :
« كالذي فعل الناسي أبو العباس في أشياء
من شعره ذكرها في كتابه الموسوم بتفضيل
الشعر ، فشكرها ، ونوّده بها ، ونبّه عليها :
وفضّلها على أشعار الفحول : مثل جرير
وغیره ، منها قول جرير :

إنّ العيون التي في طرفها مرض

قتلنا ثم لم يحين قتلنا

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به

وهنّ أضعف خلق الله أنسا

وزعم - بعد إقامة ما حسبه برهانا - إن

قوله :

لا شيء أعجب من عينيك إنهما

لا يضعفان القوى إلا إذا ضعفا

خير منه ، واسلم من الاعتراض ، وأكثر اعتراضاً .

٣ - وبديل ثالث هو عبارة (قال أبو العباس) ،
الواردة في آخر النص ، فأبو العباس كنيته
الناسي وليست كنية القزاز .

وهذه أمور تقطع بأن النص بكامله للناسي

الأكبر ، لا لسواه .

[٥]

وقال [الناسي] في هذا الكتاب [وهو كتاب

الشعر] : الشعر ما كان سهل المطالع ، فصل

المقاطع ، فحل المديح ، جزل الافتخار ، سُجّي

النسيب ، فكّه الغزل ، سائر المثل ، سليم

الزلل ، عديم الخل ، رائع الهجاء ، موجب

المعذرة ، منحّب المعتبة ، مطمع المسالك ، فائت

المدارك ، قريب البيان ، بعيد المعاني ، نائبي

الأغوار ، ضاحي القرار ، نقي المستشف ، قد

هريق فيه ماء الفصاحة ، واضاء له نور الزجاجه ،
فانهل في صادي انهم ، واضاء في بهيم الراي .
لتامله ترقرق ، ولستشفه تألق ، يروق المتوسم ،
ويسر المرسم ، قد ابدت صدوره متونه ، وزهت
في وجوهه عيونه ، وانقادت كواوله لهواديه ،
وطابقت الفاظه معانيه ، وخالفت اجناسه مبانیه ،
فاطرده لتصفحه ، وانار لمستوضحه ، واشبهه
الروض في وشي ألوانه ، وتعمم افئانه ، وإشراق
نواره ، وابتهاج انجاده بأغواره ، واشبه الوشي
باتفاق رقومه ، واتساق رسومه ، وتسطير
كفوفه ، وتحجير قوفه ، وحكى العقيد في الثام
فصوله ، وانتظام وصوله ، وازديان ياقوته بدره ،
وفريده بشذره ، فلو اكتنف الإيجاز موارده ،
وصقلت مداوس الدربة مناصله ، وشحذت
مدارس الادب فياصله ، جاء سليماً من المعائب ،
مهذباً من الأدناس ، تنحاشاه الآبئ ، وتحمأماه
الهجن ، مهتدياً إلى الاسماع بهجنه ، والى
العقول حكمته .

وقد قلت في الشعر قولاً جعلته مثلاً لقائله ،
واسلوباً لسالكيه ، وهو :

الشعر ما قوئمت زيج صدره
وشددت بالتهذيب أنر متونه
ورابت بالإطباب شئب صدوعه
وفتحت بالإيجاز غور عيونه
وجمعت بين قريبه وبعبده
ووصلت بين مجته ومعينه
وعقدت منه لكل أمر يقتضي
شبهها به فقرنته بقرينه
فإذا بكيت به الديار واهلها
أجريت للمحزون ماء شئونه
ودكلته بهمومه وغمومه
دهراً فلم ينثر الكرى بجفونه
وإذا مدحت به جواداً ماجداً
وقضيت به بالسكر حق ديبونه
أصفيت به بنفسه ورصينه
ومنحته بخطيره وئمينه
فيكون جزلاً في اتفاق صنوفه
ويكون سهلاً في اتساق فنونه
وإذا أردت كتابة عن ربيبة
بايننت بين ظهوره وبطونه

فجعلت سامعه يشوب شكوكه
بيانه وظنونه يقينيه
وإذا عتبت على آخر في زلة
ادمجت شدته له في لينه
فتركته مستانساً لدمائه
مستيساً لوعوئه وحزونه
وإذا نبذت إلى التي علقته
إن صارمتك بفائنات شئونه
تيمتها بلطيفه ورقيقه
وشففتها بخفيته وكمينه
وإذا اعتذرت إلى آخر في زلة
واشككت بين محيله ومبينه
فيحور ذنبك عند من يعتده
عتباً عليك مطالباً بيمينه
والقول يحسن منه في منشوره
ما ليس يحسن منه في موزونه (٩١)

[٦]

وقال بعضهم - واطنه أبا المباس الناشء -
العلم عند الفلاسفة ثلاث طبقات :
أعلى ، وهو علم ما غاب عن الحواس فأدرك
بالعقل أو القياس .

وأوسط ، وهو علم الآداب النفسية التي
أظهرها العقل من الأشياء الطبيعية ، كالأعداد
والمساحات ، وصناعة التختيم ، وصناعة اللحون .
وأقل ، وهو العلم بالأشياء الجزئية ،
والأشخاص الجسمية .

فوجب - إذا كانت العلوم أفضلها ما لم
تشارك فيه الجسوم - أن يكون أفضل الصناعات
ما لم تشارك فيه الآلات .

وإذا كانت اللحون عند الفلاسفة أعظم أركان
العمل الذي هو أحد قسمي الفلسفة ، وجدنا
الشعر أقدم من لحنه لا محالة ، فكان أعظم من
الذي هو أعظم أركان الفلسفة ، والفلسفة عندهم
علم وعمل . هذا معنى الكلام المنقول عنه مختصراً
وليس نصاً (٩٢) .

(٩١) زهر الآداب ٦٢١ - ٦٢٣ .

(٩٢) المممة ٢٥/١ - ٢٦ .

ثم إن أي مصدر من المصادر القديمة لم يقل إن للناسي قصيدتين عدة كل منهما أربعة آلاف بيت ، أو إن كتاب تفضيل الشعر ضم أربعة آلاف بيت .

تعليق ثان لمحقق الديوان :

يلاحظ في النصوص المتقدمة اختلاف في اسم مصدرها ، فهو عند التوحيدي كتاب « نقد الشعر » وعند الحصري « كتاب في الشعر » وعند ابن رشيق كتاب « تفضيل الشعر » ، ولأن بعض النصوص المستقاة من البصائر والذخائر وزهر الآداب مشتركة ، وهي بأجمعها متماثلة من الداخل ، مما نرجح كونها من كتاب واحد للناسي أما النصوص المستقاة من العمدة و « ما يجوز للشاعر في الضرورة » ، فهي متشابهة ومتماثلة ، مما يقطع بأنها من كتاب واحد للناسي وهنا يثور تساؤل خلاصته : هل إن كتاب « نقد الشعر » هو كتاب « تفضيل الشعر » ، أم هما كتابان مستقلان ؟ في رأينا إنهما كتاب واحد - والله أعلم - .

- ١- وللناسي آراء مذهبية في كتاب « مقالات الاسلاميين » (٩٥) وفي كتاب « الفضل في الملل والأهواء والنحل » (٩٦) جديرة بالملاحظة
- ١١- ومما حفظه الرقيق القيرواني من افوال الناسي في فضل الخمر قوله : « من الناس قوم نقصت حواسهم ، وعزبت آراؤهم ، وفسدت افكارهم ، فجهلوا فضل الشراب ، وما في المنادمة من استعمال المروءة واستكمال الفتوة ، ومن الفائدة في مؤانسة الإخوان ومعاشرة الخلان ، وإثارة الحكم والآداب ، ونفي الهموم والافاضة في غرائب الشعر والخبر ، وعابوا ذلك واتوا ما هو شر منه » (٩٧) .



هذا ما وقفنا عليه من اخبار آثاره ومصنفاته لقد اثارت آراء الناسي الأكبر دويًا ضخماً في حياته ، فلا بدع ان ترى الاشعري - الذي كان

كالذي فعل الناسي أبو العباس في أشياء من شعره ذكرها في كتابه الموسوم بتفضيل الشعر ، فتكرها ، ونوّه بها ، ونبّه عليها ، وفضلها على اشعار الفحول : مثل جرير وغيره ، منها قول جرير :

إن العيون التي في طرفها مرض
قتلنا ثم لم يحين قتلنا
يصرعن ذا الملب حتى لا حراك به
وهن أضعف خلق الله إنسانا
وزعم - بعد إفامة ما حبه برهانا - إن قوله :

لا شيء أعجب من عينيك إنهما
لا يضعفان القوى إلا إذا ضعفا
خير منه ، وأسلم من الاعتراض ، وأكثر اختصاراً (٩٢) .

تعليق لمحقق الديوان : لابد هنا من التنبيه

على وهم وقع فيه بروكلمان عند حديثه عن كتاب « تفضيل الشعر » للناسي ، فقد قال في الذيل ١٨٨/١ (الطبعة الألمانية) ما ترجمته : في كتابه تفضيل الشعر الذي ضم أربعة آلاف بيت شعر على قول الخطيب أورد أبيات لشعراء مشهورين وفي مقابلها أبيات شعرية أفضل من وضعه هو . حتى قال : وقد ألف كذلك دائرة معارف مقفاة في حوالي أربعة آلاف بيت .

أقول : ومصدر الوهم في هذا الكلام ، ان الخطيب البغدادي لم يقل إن كتاب تفضيل الشعر ضم أربعة آلاف بيت ، ونص عبارته (وكان شاعراً) وله قصيدة على روي واحد وقافية واحدة تكون أربعة آلاف بيت ، ذكرها الناجم وذكر انه انشده إياها . وكان يقول في خلاف كل معنى قالت فيه الشعراء (٩٤) .

فالخطيب البغدادي ذكر المطولة فقط ، والتي تقع في أربعة آلاف بيت ، وهي في علم الكلام ، أو في فنون من العلم على ما ذكرنا . ولم يتعرض مطلقاً لكتاب « تفضيل الشعر » ولم يشر إليه ، فيكون وهم بروكلمان مصدره سوء فهمه لعبارة الخطيب .

(٩٥) مقالات الاسلاميين ١٩٧/٢ .

(٩٦) الفصل ١٩٤/٢ .

(٩٧) المختار من قطب السرور ص ٧٥ - ٧٦ .

(٩٢) العمدة ٢٠١/١ - ٢٠٢ .

(٩٤) تاريخ بغداد ٩٢/١٠ .

من أئمة الاعتزال ثم انشق عليهم مؤسساً مذهب
الاشاعرة يؤلف كتاباً في الرد على الناشئ الأكبر
في مذهبه على الأسماء والصفات على ما ذكر ابن
عساكر في كتابه « تبين كذب المفتري فيما تنسب
إلى أبي الحسن الأشعري » (٩٨) .

ولا بدع أيضاً أن يجابه بمعارضة شديدة ،
لاسيما وقد أثار على نفسه العروضيين والنحاة
والمناطقة ، وكثيراً من خصوم الاعتزال ، وعدداً
من أبرز الشعراء والفلاسفة وأصحاب المذاهب .
وربما كانت هذه الخصومات وراء هجرته من
العراق إلى مصر .

صلاته بشعراء عصره : عاصر الناشئ الأكبر
علمين من أعلام الشعر العربي هما : ابن الرومي
(٢٢١ - ٢٨٢ هـ) ، والبحثري (٢٠٦ - ٢٨٤ هـ)
وقد أكد عدد من مؤرخي الأدب العربي ونقاده
كابن خلكان والنصفي وغيرهما أنه كان من
طبقتهم (٩٩) والسؤال : كيف كانت علاقة الناشئ
بهذين الشاعرين الكبيرين ؟

أمّا ابن الرومي فقد كان شيخ الهجائيين في
عصره ، وكان لا يمدح شخصاً إلا عاد وهجاء .
وكان فيما يبدو حاسداً المكانة الفكرية العالية التي
تبوأها الناشئ بجدارة - ، وحدث أن الناشئ
سئل عن ابن الرومي فقال : إنه « موسوس زائل
المقل » ، فأثار ذلك حفيظة ابن الرومي فهجاه
بقوله (١٠٠) :

يُرجف القرد بانسي
زائل العقل موسوس
حاول القرد نمصري
عكس أمر ليس بعكس
أتراه يتنظني
أن عين الشمس تطمس ؟
إن أوسوس فحقيق
ينسعد القرد واتحس

(٩٨) انظر مقالة الدكتور مصطفى جواد المبنية « الشعر
التعليمي عند العرب وفصل الناشئ الأكبر في تأسيسه »
مجلة العلم الجديد عدد ٦ سنة (١٩٣٩) ص ٢٥٢-٢٥٨
وانظر أيضاً هامش ص ٢٩٩ من كتاب فضل الاعتزال
وطبقات المتزلة .

(٩٩) وفيات الأعيان ٩١/٢ ومخطوطة الوالي بالوفيات ١٢٨/١٥
(١٠٠) ديوان ابن الرومي : تحقيق الدكتور حسين نصار
١١٩٦/٢ - ١١٩٧ .

أصبح الناشئ ممثناً
يتقنى وهو أخرس
نافقاً عنسد الناس
تمسوا ، والدهر أتمن
قل له عنمي وإن أصـ
يحت أطري إبلأ واكيس (١٠١)
نه على الدهر وقل ما
شئت وأظلم وتغطرس
لم يتقدس منك شيء
ونك الجسد المقدس
كيف لا يشتد وسـ
واسي ، وأشعارك تدرس !
وضياء الشمس لا يتفـ
بش ، والظلماء تقبس ؟
لم أكن اتقنى شيئاً
وعلى مثلك اتقنى ؟ !
قيل لي : إنك شعر
ت ، فضاق التنفـ
ثم عزيت فؤادي
بعدما حار وأبلس
قلت : إنا لبخير
إن أخونا لم ينقرس
ما اقتنى مثلك دهر الثـ
سوء إلا حين أفلس

والقصيدة تنضح بروح الحمد الذي كان
ياكل قلب ابن الرومي ، وهو يرى المكانة التي
تبوأها الناشئ عند الناس ، حتى خيل إليه أن
خط الناشئ مقدس لما صارت أشعاره تدرس ،
وصار يتيه على الدهر ويظلم ويتغطرس .
وبسبب من ضياع ديوان الناشئ فإننا لا
نعلم ماذا كان رده على ابن الرومي .

وأمّا البحتري (٢٠٦ - ٢٨٤ هـ) فقد كان
هو الآخر من خصوم الناشئ الأكبر ، ولم يحفظ
لنا التاريخ الأدبي سبب هذه الخصومة ، وإن
كنت أرجح أن البحتري كان شاعر المتوكل
العباسي . والمتوكل هو الخليفة الذي قام بنصفية

(١٠١) رواية البيت في الديوان مختله فاصلحناها بإضافة ما
بين قوسين .

نفوذ المعتزلة ، فعزل قضائهم ، وصادر ضياعهم
واملاكهم ، والقي بالكثير منهم في السجون ، وظل
يمعن في مطاردتهم واضطهادهم حتى مكّن خصومهم
من السخرية منهم وهجائهم شعرا . وكان هذا
كله ردة فعل للتشدد والتطرف الذي سار عليه
الخلفاء العباسيون قبل المتوكل وهم واقعون تحت
سيطرة المعتزلة - من اكراه اهل الحديث بالقوة
على القول بخلق القرآن .

وإذ كان البحتري شاعر المتوكل العباسي ،
فلا بدع أن يعمد الناشئ وهو معتزلي إلى هجائه
ناراً من المتوكل بشكل غير مباشر .

إن القصيدة الفريدة التي حفظها لنا أبو
حيان التوحيدي والتي هجا فيها الناشئ
البحتري ، تمثل ضرباً موجعا اليما من الهجاء ،
جمع الفحش إلى جانب رسم الصورة الساخرة ،
قال الناشئ (١٠٢) :

قلت لها لا تكثري
خذي فؤادي أو ذري
حبك ما فارقني
في سفري أو حضري
فليت شعري ما الذي
عندك ؟ قالت لي : حري
قلت : فهاتيه إذا
قالت : نعم السحر
فقم ازل في ليلتي
مفتبطاً بالنظر

إلى آخر الأبيات .

ومثل هذا التعريض من أوجع الهجاء واقتله
وقد فتشت طويلاً في ديوان البحتري بحثاً
عن رده له ، أو كشفاً عن أهجية له في الناشئ فلم
أعثر .

✽

إن الناشئ الأكبر زوج نفسه في خصومه
شاعر آخر بعد هجرته إلى مصر ، وهو الشاعر
منصور بن إسماعيل التميمي المصري الفقيه
(المتوفى سنة ٣٠٦ هـ) (١٠٢) وعلى الرغم من أن

(١٠٢) البصائر والذخائر ٨٢/٣ .

(١٠٣) انظر ترجمته في معجم الأدباء (الإرشاد) ١٨٥/٧-١٨٦
وشذرات الذهب ٢٤٩/٢ وطبقات الشيرازي ١٠٧ ووليات
الايان ٢٨٩/٥ والاصلام ٢٣٥/٨ ونكت الهميان ٢٩٧
وحسن العاصرة ١٦٨/١ وطبقات السيكي ٢١٧/١
والمنتظم ١٥٢/٦ والغرب (قسم مصر) ٢٩٢/١ .

منصوراً هذا لم يكن من اهل مصر ، بل هو من
راس العين في الجزيرة ، وهاجر إلى بغداد في
شبابه ، ومدح « المعتز » ، ثم انتقل إلى مصر
وامضى فيها بقية حياته وبها توفي ؛ إلا أن المذكور
كان فقيهاً بارزاً وله تصانيف في الفقه منها :
« انهداية » و « الواجب » ، و « زاد المسافر » ،
وكثير من شعره في الأمثال والحكم والزهد ، ومثل
هذا الشاعر تكون له مكانة اجتماعية كريمة
وجمهور يفضب لفضبه ، ويعادي خصومه .

ونعتقد أن هجاء الناشئ لمثل هذا الشاعر ،
والرد الهادي الذي رده به منصور على الناشئ ،
قد أساء لمرجعنا .

✽

وبعد فهذا طرف من صلات الناشئ لشعراء
عصره ثم تسعنا النصوص في التوسع فيه .

✽

خلافة : إذا كان شعر الشاعر اصدق صورة
لحياته ، فإن ما بين أيدينا من شعر الناشئ
الأكبر يعكس صورة رجل نبيل جواد شجاع ،
يكره أن يتحلى بغير ما هو فيه ، يرى أن حلية
الفتى فضله وقيمه نبلة ، وأن اقواله لن تزينه
إذا ما خالفها فعله . يأنف عتاب الأصدقاء لأنه
يفري بالعقوق ، ويترك الإنسان بلا اصدقاء .
شديد الصون تشر ، شديد الاعتزاز بالعقل ،
يرى السكوت على الجهال خير جواب لهم ،
وتشير بعض أشعاره إلى إشاره الصدق ، وحفظ
الود ، ومعاداة التفاق .

ملامح الاعتزال في شعر الناشئ الأكبر :

إن المبادئ الأساسية الخمسة التي قام
عليها مذهب الاعتزال هي :

- ١ - التوحيد
- ٢ - العدل
- ٣ - الوعد والوعيد
- ٤ - المنزلة بين المنزلتين
- ٥ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

ولقد أثمر الفكر المعتزلي تراثاً أدبياً وفكرياً
ضخماً ، ولكن الخصومة الشديدة التي كانت بين
السنة والمعتزلة ربما كانت وراء إبادة معظم هذا
التراث وإتلافه ، حتى قال نيرج في مقدمة كتاب
الانتصار لأبي الحسين الخياط : « هو من تركة

المعتزلة ، ولا يخفى على عالم أن هذا الصنف من الكتب العربية قلما انتهى إلى هذا العصر ، وذلك لما نزل بمنازله من الإحراق والتدمير ، وصب على رؤوس أصحابه من التقبيح والتكفير ، والقليل انبأني منه قد بلغنا عن إحدى طرق ثلاث : منه ما تحت عليه الزيدية في اليمن اعتناء بمذهبهم الذي هو أقرب ما يكون إلى مذهب الاعتزال ، ومنه ما ادخره العلماء رغبة في الانتفاع بما فيه من علوم شتى ، مما لا علاقة له بعلم التوحيد ، ومنه ما أغلق عن أيدي مضايقيه خفية أو صدفة .. « (١٠٤)

من هذا المنطلق يمكن أن نفهم أسباب ضياع المصنفات الكثيرة التي أبدعها الناشئ الأكبر ، ومنها ديوان شعره ، ومطولته الشعرية العجيبة في علم الكلام ، وكتابه النقدي الرائد « تفضيل الشعر » .

والسؤال الذي يطرح نفسه هو ما هي خصائص الأدب المعتزلي التي برزت في شعر الناشئ ، أو ما هي ملامح الاعتزال التي انماز بها شعره ؟؟

١ - من هذه الخصائص مناظرة المخالفين لآراء المعتزلة من أصحاب الفرق الأخرى وهجوم وابطال الأفكار الاعتزالية شعرا .

فالمعتزلة شنوا حربا عوانا على الجبرية وعلى المشبهة فقال شاعر منهم يمدح أبا الهذيل العلاف:

أل أمر الإجبار شرّ مأل
وانشئ مدعنا بخزي مذل
بين نابي أبي الهذيل حاسم
بيد الدين مرهف في صقال
قد رأينا وال خليفة يسطو
بيمين من رأيه وشمال
قل لأهل الإجبار شامت وجوه
وقلوب ولدن تحت الضلال
من يقم في دجى من الشك فالت
ور مناسط بغرة الاعتزال

(١٠٤) مقدمة كتاب الانتصار ص ١٠ .

وعلى هذا الطريق سار الناشئ في قوله :
ما في البرية أخزى عند فاطرها
ممن يقول بإجبار وتشبيه
ويمضي الناشئ باسطة الفكرة الاعتزالية في نفي الصفات عن الله تعالى فيقول :
لو كان لله شبه من خليقته
كانت دلالة من خلقه فيه
قد كان مقتضيا من نشو صانعه
ما يقتضي النشوء من آثار ناشيه
لكنه جلّ عن أوهام واصفه
فالحش يعدمه والعقل ييديه

٢ - اشتهر المعتزلة عبر التاريخ ببلاغتهم وفصاحتهم حتى قال شاعرهم صفوان الانصاري يصف تلك البلاغة :

وما كان سحبان يشق غبارهم
ولا الشدق من حثي هلال بن عامر
ولا الناطق النخار والشيخ دغفل
إذا وصلوا إيمانهم بالمخاصر
ولا القالة الأعلون رهط مكحل
إذا نطقوا في الصلح بين العشائر

وعلى هذا الدرب سار الناشئ ، فقال مفتخرا ببلاغته :

كلام يخوض غمار البحار
ويصعد في شاهقات الجبال
بدائع تطرب السامعين
وينمي سناها نماء الهلال
وقال في موضع آخر يفتخر بالكلام وبلاغته :
ونحن أناس يعرف الناس فضلنا
بأسننا زينت صدور المحافل
نبر وجوه الحق عند جوابنا
إذا اظلمت يوما وجوه المسائل
صمتنا فلم نشرك مقالا لصامت
وقلنا فلم نشرك مقالا لقائل

مَشْرِعُ الْفَتْحِ

نَافِعُ بْنُ الْأَسْوَدِ الْمَعْرُوفِ بْنِ بَجِيدٍ

تصنيف

الدكتور نوري حمودي القيسي

كلية الآداب / جامعة بغداد

وترسيخ اصوله في نفوس المستمعين ، وهذا ما كان يدفع ابن شهاب الزهري الى أن يقول : هاتوا من اشعاركم فان الالن بحاجة ، فالشعر كان له وقع في النفس ، واثره في الحس ، وصفاءه في موافقة الحدث ، ولونه في استذكار الاحاديث الى جانب استنارته لكوامن النفس ، واستقطابه لجوامع الاشياء وهو يحمل المشاعر الدافقة ، ويروي الاحداث المسلسلة ، ويوائم بين طبيعة الحروف ، وجرس الالفاظ ، واستيعاء المعاني ، وربما كان ميل مؤرخي السيرة الكبار من الطبقة الاولى والثانية والثالثة الى الشعر وشغلهم به هو السبب في ادخال بعض الشعر في ثنايا السيرة .. والاستشهاد به في توثيق المغازي .

اما المغازي فكانت جانباً آخر من جوانب الحياة وهي تعني موضع الغزو أو الغزو نفسه ثم توسعوا في معناها فاطلقوها على مناقب الفزاة وغزواتهم ثم انتقل معناها الى الحديث عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم حتى جعلت مرادفة للسيرة وقد الفت في المغازي كتب كثيرة واول ما عرف بالتأليف فيها هو ابان بن عثمان وعروة بن الزبير الذي روى اخبار الهجرة الى الحبشة والى المدينة وغزوة بدر وشر حبيب بن سعد التوفي عام ١٢٣ للهجرة ووهب بن منبه وتعتبر هذه المجموعة من اوائل المهتمين بكتابة المغازي ثم اقبلتهم مجموعة اخرى كان لها فضل المتابعة فأكملت ما بدا به اولئك تخليداً للأعمال الجليلة ، وتذكيراً للناس بما قدمه الاوائل في ميدان الجهاد ، ومجال العقيدة ، وبداية الايمان فكان عبدالله بن ابي بكر الانصاري وعاصم بن عمر بن قتادة والزهري من الرجال الذين دونوا المغازي لعلمهم بها وقربهم منها واتصالهم بمدون عنها اوسمخ باخبارها واخذت عن هؤلاء جماعة اخرى كان لها فضل ايصالها فكانت مغازي ابن عتبة اصبح المغازي كما قال ابن حجر ومثل ابن عتبة

في الدعوات الكثيرة التي تقال بشأن التاريخ والادب والسيرة وما يصاحب هذه الدعوات من اجتهاد في اعادة الكتابة أو العودة الى القراءة المتفحصة تكون الكتابة في ضوء هذا النوع من القراءة مجدية ونافعة، وما يتخللها من مناهج تنبهي لتصحيح منهج أو تغليب جانب ، أو اعتماد احداث ، أو غير هذه التوجهات ، اشارات واضحة لحاجة لائمة ، ومحاولات جادة للانفراج من هذه العلوم في الكشف عن الجوانب النافعة ، أو الاستفادة منها لتوثيق رواسخ الاتصال بحلقات التراث الاصيل ، أو الاجتهاد في تحديد معالم ظاهرة من الظواهر ، أو طريقة التعامل مع احداث التاريخ وغيرها من القضايا التي اصبحت ملحة في مرحلتنا ، وموجبة الى التحقق والمصادرة لتكون اصول التوجه لها اطراف ، وابعاد التناول لها اوليات ، وحقائق الاستعانة لها وشائج .. ومثل ما كان التاريخ وجها من وجوه الامة ، رحالة من حالات الاستشهاد ، وصورة من صور البناء الانساني للمجتمع العربي - على الرغم من المناهج التي تناولته في الكتابة ، أو اعتمدته في التناول - فان العلوم التي نشأت في ظل التاريخ أو كتبت في اطار احداثه ، أو اعتبرت جزء من مسن مكوناته ، كانت حالة مكمل ، ووجهاً آخر من وجوه المعرفة التي بواسطتها تستكمل الحلقات ، وقطبا من الاقطاب التي عاشت في حركتها كثير من الاحداث الكبيرة التي تحكم في حركة الامة من جهة وحركة تاريخها من جهة ثانية .

وتاريخ الادب الذي يعد جزء لا يتجزأ من حركة التاريخ قد دخل في معظم الابواب التي اعتمدت النص واشارت اليه ووقفت عليه واستخدمته في تأكيد مسألة أو تحقيق قضية ، أو استطلاع رأي وهذا ما يفسر لنا ان كثيرا من كتاب السيرة والمغازي قد اعتمدوا الشعر في اخبارهم وهم يجدون في روايته متعة ، وفي الاستشهاد به سنداً ، والاعتماد عليه مشاركة في توثيق الخير ،

ممر بن راشد الذي كان له علم واسع بالحديث والسير وأشار إلى مغازيه ابن النديم ولم يصل إلينا كتابه وإنما وصلت إلينا منه مقطعان ذكرها الواقدي وابن سعد والبلاذري والطبري .

ويعد كتاب سيرة ابن إسحاق من الكتب الأولى التي وصلت إلينا مختصرة في سيرة ابن هشام ويمكن اعتماد أخبار المغازي للواقدي لبعده فيها ومعرفته بأخبارها ودقته في روايتها حتى سارت الركبان يكتبه في فنون العلم من المغازي والسير والطبقات وأخبار النبي صلى الله عليه وسلم والاحداث التي كانت في وقته وفي كتاب ابن حبيش (المخطوط) في الغزوات أخبار كثيرة مقتبسة من كتاب الواقدي في الردة ، ويعد ابن سعد صاحب كتاب الطبقات من أشهر مؤرخي السير والمغازي لصدق روايته ودقة تحريره وفصيحته .

إن اهتمام المسلمين بكتب المغازي وانصرافهم إلى روايتها تمثل توجهًا صائبًا نحو جانب عسكري مهم ، يعطي هذا الجانب أهميته ، وبوفر للمجاهدين الذين آمنوا بالجهاد وسيلة لنيل الشهادة ، وتحقيقًا لنشر مبادئ الرسالة ، والمجال المنح للوقوف على الأعمال البطولية الفذة التي أيدها المؤمنون ، والنماذج الحية التي قدموها وهم يوطدون أركان الإسلام ، ويحققون القيم الإنسانية النبيلة التي عاشت في ضمائرهم ، وتجلت في أعمالهم ، وتحققت في تعاملهم ، ويبينون قواعد الدولة التي منحت الإنسان مكانته المرموقة ، ووضعت في الموضع المناسب الذي يؤهله لاداء مهمته الحياتية ، ويرسخون في الجهاد وهو أعلى صورة من صور التضحية أصالة العقيدة الواعية ، وصدق الوفاء وسماحة الخلق الكريم ، ولهذا كانوا يجدون في الاقتداء بها نموذجًا من نماذج السنة ، والالتزام بمبادئها وجها من وجوه الاقتداء الحسن ، والسير على هديها رمزا من رموز التمثيل الخالص .. وقد بقيت مغازي الرسول صلوات الله عليه المنهج الثابت لكل الممارك الحاسمة ، والعبرة التي تعتبر بها كل الجاهل التي خاضت معارك التحرير ، واقتحمت حصون الشرك ، واندفعت لتحرير الإنسان واستعادة الأرض ، وكثيرا ما كان الاستشهاد بالمعارك الأولى والحرص على استبطان الموقعة من المواقف الشجاعة فيها ماثرة من المآثر المشهورة ، ومجالا من مجالات بثث الثقة في النفوس ، وترسيخ قواعد الإيمان في القلوب ، وتأكيد عدالة الحق في الدفاع المستميت ، لأن معارك الإسلام الأولى كانت بداية لحركة الأمة في مجال التاريخ ، وانتصاراتها التي سجلتها وهي في كل موقف تصرب مثالي الجراءة والافتحام والصبر والمجادة تمثل النماذج التي بقيت مضرب المثل ، وموضع الاستشهاد ، والمجال الرحب لكل قضية عادلة يدافع عنها الإنسان بغض النظر من الزمان الحضور أو الظروف المحيطة .

إلى جانب كونها غزوات شارك فيها الرسول الكريم وكان في أغلبها يقود المعارك ، ويتقدم الصفوف ، ويمثل القدوة ، وتشارك فيها الصحابة الأخيار فكانوا صورا من صور الشجاعة ، وامثلة للمبادئ الثابتة في التأكيد على الروح القتالية العالية التي عرفوا بها ففي وقعة أحد خرج الرسول لابسا دونه متقلدا

سيفه وهو يقول إن رأى في البقاء خيرا ما ينبغي لنبي ليس لامته أن يضمها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه . وعندما بلغوا (أحدا) اجتازوا مسالكه وخطوه إلى ظهورهم وكان الرسول يصف أصحابه وقد وزع الرماة منهم على شعب في الجبل ، فكانت بداية المعركة انتصارا كاسحا ، تجلى فيه صدق العقيدة ، ومهارة القيادة ، وصمود الغزائم على الرغم من التفاوت الكبير في العدد والمدد فعندما تكون الفكرة الواضحة هي الدفاع ، والعقيدة الصادقة هي المعزز ، وحب الموت لاستقبال الحياة السعيدة هو الأساس ، نحسم المعارك لصالح المؤمنين ، ويسجل الخلود للرجال الصناديد الذين وهبوا القدرة على الانتصار ، وامتلكوا ناحية التحكم في نتائج المعركة ... كان الرسول الكريم صلوات الله عليه يقف وسط معركة غير متكافئة ولكنه ظل يدافع وكل المقاتلين من المبادئ التي يشر بها وقلوبهم طافحة بالإيمان الذي هون عليهم نعم الحياة ، فاستمأنوا لنيل الشهادة ، وأندفعوا للأخذ بنصيبهم من الدفاع عن رسول الله صلوات الله عليه وهنا كانت أم عمارة الانتصارية وقد استلقت سيفها وبشرت القتال دفاعا عن الرسول صلوات الله عليه وقد انثنت بالجراح ، وترسى أبو دجانة ، وهو رجل عرف بشجاعته وبأسه بنفسه دون رسول الله ، يقع النبل في ظهره وهو منحني عليه حتى كثر فيه النبل ورمى سعد بن أبي وقاص رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول وهو يتحدث عن أبي دجانة كان يناولني السهام وقد تكررت شباتها في جسمه ويقول: أرم فذاك أبي وامي، حتى أنه ليناولني السهم مافيه نصل ويقول : أرم به ... وفي (أحد) جاهد الحمزة عليه السلام جهاد الرجال، فكان سيف الله يقطع بسيفه أجساد المشركين رجال فريش ويتخن جراحهم ، فيولون منه الإدبار ، ويستشهد الحمزة عليه السلام شهيد معركة الكرامة ، وهو يدافع عن الرسالة الحقة ، والإيمان الراسخ ، والعقيدة التي آمن بها فكان استشهاده رمزا من رموز الوفاء للمبدأ ، وصوتا من اصوات الجهاد النبيل لدعوة الرسول عليه الصلاة والسلام فكان من الأبرار الخالدين والشهداء الذين كانوا أحياء عند ربهم يرزقون .

وبقي أدب المغازي شعره ونثره مادة للاستشهاد، ومعدة للتمثيل لانه كان يضم اصوات الرجال عند اشتداد الأزمات ، ويحمل خصائصهم عند احتدام اللقاء ، ويظهر شجاعتهم في حومة المعارك ، إلى جانب تجسده لروح العقيدة الخالصة ، ووفائه للتعبير الإنسانية التي كانت تنساب في ثنايا تلك القصائد أو تمر عبر تلك الأحاديث، ويبقى القها الزاهي وحسها الوجداني، وشمورها الحي نيارا تسرب فيه دقات الوفاء الإنساني وهو يجابه الصعاب ، ويقترب من اللحظات الحاسمة ، ويقف على عتبة الافتراق والتباعد ، ولعل هذه الإحاسيس هي التي جعلت من المغازي صورة تستدلفها الاسماع ، وتلد بفراءتها النفوس ، وتستسيغ فلاوتها على مر العصور . عواكب الاجيال لأنها كانت تقرأ فيها دقائق التاريخ ، وتجلي في متابعتها جزئيات الاحداث ، ونقف من خلال وقائعها على الجانب الإنساني الذي يصعب أن نقف عليه أخبار التاريخ ، ولعل هذه الشاعر هي التي أعطت

هذا اللون التاريخي طرافة الاهتمام الى جانب كل الاعتبارات الدينية والتاريخية بكونها تاريخا لبداية الاسلام ، وموافق حاسمة في مسيرته ، والو انا زاهية من ألوان الجهاد الاصيل لتثبيت أركانه وباعتبارها تسجيلا حيا للملاحظات الصادقة التي كانت تسود الحياة بين الرسول الكريم صلوات الله عليه وبين الصحابة الاخيار الذين بذلوا من اجل بناء الكيان الاسلامي أقصى ما يستطيعون نصحية وإيثارا ، صدقا وعقيدة .. ومن هنا كان الاحتفاظ بدقائق المفازي جزء من التاريخ الكامل والاهتمام بروايتها والحرص على جمعها واستاد اخبارها كانت حالة من حالات التوجه الاول في كتابة التاريخ والبداية المنهجية للطريقة التي وضعت علم التاريخ على طريق التكامل منذ المراحل الاولى لمباشرته ، كما كان اصحاب المفازي والسير من الطلائع الاولى لوضع الاسس الرصينة لتوثيق الاخبار وتحقيق الاسانيد التي شكلت المنهج العلمي الواضح في علم التاريخ عند العرب .

فالإحساس بالامتياز التاريخي والحرص على متابعة الفخر بالانار والصدق في رواية الاحداث والاصرار على اعتبارها مادة حية من مواد التربية التي كان الابناء يتناقلونها والمؤرخون يحرصون على ادائها والخلفاء يستمعون اليها ، كل هذا كان يؤكده وجه هذا الإحساس الذي بقيت اواصره تتوحد في مختلف مناهج البحث التاريخي ، وتشابك في معظم حالات التواصل التي تعد تلك المادة محورا ، وكثيرا ما كانت اساليب الوقوف عليها تناول الاوجه التي كانت تتيح معرفتها بحيث يصبح التاريخ في اعراف المؤرخين وجها من وجوه الاهتمام ببناء الدولة ، بعد ان أصبحت الامة قادرة على الدخول في نطاق التفاعل الموجه للانتفاع من الاخبار وتحليلها وارجاع الامور الى اصولها واسبابها ، وهو استمرار لمنهج البحث العلمي الرائد الذي سارت عليه كتب المفازي وحروب الردة وكتب السيرة والفتوح والايام واتباعها لمنهج الحديث في الرواية ، والالتزام برجال السند في التوثيق بحيث كانت الاخبار تصل الى الرجال الذين حضروا تلك الوقائع او نقلوها عن شاهدها او سامعها او وقف عليها او نقل اخبارها عن شاهد عدل او قرا بعضها في كتاب او غير ذلك مما كان يدخل الخير في باب الحقيقة بعد مروره بقنوات الرواة المعدول الذين لا يرفع الشك اليهم ، وهذا ما جعل كثيرا من الاحداث تبدو للعيان وكأنها قريبة كما انه اعطى هذا العلم وجهه الصحيح في الانتفاع من المصادر التاريخية غير لدى الرواية، مثل الاعتماد على شهود العيان الذين عاشوا الخبر وعرفوا اجزائه وردوا بعض اخباره بالفاظه او سمعوا الشمر من اصحابه ويمكن اعتماد مفازي موسى بن عقبة بن ابي العباس الاسدي المتوفى سنة ١٤١ للهجرة الذي يعد من اوائل الذين صنفوا كتب الفزوات ومفازيه تعد اصح المفازي وبعده محمد بن اسحاق الذي دخل بغداد سنة ١٥٠ للهجرة وقدم نسخة من كتاب السيرة الى الخليفة المنصور قبل هذا التاريخ .

لقد كانت الرغبة ملحة في تثبيت الاحداث الكبيرة التي مرت بها الامة ، لانها كانت تمثل تاريخ الحوادث الكبيرة التي

وقلت فيها عند مفترق الطرق ، وتجردت فيها الحقائق وهي تواجه المهام ، وامتحت فيها العزائم وهي تعيش التحدي الحقيقي ، وقد حرص المؤرخون وهم يمرون بحروب الامة مع الامة الاخرى من فارس وروم وغيرهم وما تبع ذلك من فتوح وتحقق من انجازات واحداث، لانهم وجدوا فيها اكثر من سبب يستدعيهم الى تدوينها بعد ان وجدوا فيها اعمال الصحابة وهم يضمون اللبانات الاولى لتشريعات البلدان المحرة وخاصة ما يتعلق بالتشريع وشؤون الحرب ومعاملة الناس ورعاية حقوقهم وما ترتب على كل حالة من تلك الحالات وهذا ما كان يدفعهم ايضا الى عقد فصول طويلة او كتب مستقلة عن الفتوح وقد احتفل ابن النديم في الفهرست بقائمة كبيرة من هذه الكتب منها كتاب فتوح الشام وفتوح العراق لابن مخنف وكتاب الفتوح لاسماعيل بن عيسى المطار وكتاب الفتوح لابن ابي شيبة وفتوح ارمينية والاهواز لابن عبيدة . وكتاب الفتوح للمدائني الذي فصل فيه فتوح الشام وفتوح العراق واخبار القابسية والمدائن وجولاء ونهاوند وخراسان والري ورجان وطبرستان وكتاب فتوح العراق للواضي وفتوح الشام وكتاب الفتوح الكبير لسيف بن عمير الى جانب كتب المفازي التي تعد البداية الطبيعية لكتب الفتوح وقد طبع اخيرا كتاب الفتوح لابن اعثم الكوفي في ثمان مجلدات بمطبعة دائرة المعارف ببيدر اباد في الهند باعتناء الدكتور محمد عبد المعيد خان بعد ان ظل هذا الكتاب اكثر من الف سنة بعيدا عن الناول يعتمد الباحثون في موضوعاته مخطوطات متناثرة ، ومثله كتاب الفزوات لابن حبيش . وهو ما يزال مخطوطا على الرقم من اهمية اخباره ودقة احداثه ، وانفراده باخبار لم تذكرها كتب التاريخ الاخرى ، وقد وجدت في هذا المخطوط اثني عشرة قطعة جديدة للقعقاع بن عمرو التميمي قالها في تحرير العراق وجر من خلالها عن المواقف البطولية الرائدة التي وقفها الجيش العربي وهو يطارده فلول المنهزمين الفرس وينزل بهم الخسائر الكبيرة ولم نجد هذه القصائد في كتاب اخر غير هذا المخطوط كما عثرنا على خمس قصائد غير معروفة لعاصم بن عمرو التميمي اخ القعقاع الشاعر ، وهو قائد اخر من قواد القادسية الذين ابلوا البلاء الحسن وسجلوا في صفحات التاريخ اروع المفاخر واجل لاعمال وما تزال الاخبار الاخرى والاحداث المهمة التي حققتها جيوش المسلمين على ارض العراق والصفاء الشعر التي قيلت في تلك الاحداث بعيدة عن التناول بسبب تناثرها في المخطوطات التي لم تنشر ، وكتب التاريخ التي لم تجمع .

لقد سجلت كتب الفتوح - ولعل كتاب فتوح البلدان للبلاذري - من اجلها ، اخبار الحرب ومكانة المقاتلين والوفيتهم وهم يسجلون النصر مما كان له ابلغ الاثر في حفظ هذه الاخبار عن طريق الرواية وتسجيل الاسماء ، لان الشمرء كانوا يقفون مع المقاتلين، ويشاركون في المعارك، وبخوضون الايام الصعبة، وقد احتفظت كتب الفتوح باسماء اولئك الشمرء الذين استشهد منهم عدد كبير في البلاد المحرة وكانت قصائدهم التي حفظها المقاتلون سجلا من سجلات مشاركتهم الحقيقة في تلك الحروب

العراق بعد أن بلغه ما عليه الاعاجم من اعداد بعد معركة القادسية ، وما جمعوا من جموع في نهاوند سأل كعب الاخبار عن العراق قبل ان يشخص اليه ليكون على معرفة به وصلة باحواله ، ودراسة بطباع اهله وسكانه .

وذكر السعدي ايضا وهو يتحدث عن معاوية بن ابي سفيان فقال . . كان اذا صلى الفجر جلس للقاص حتى يفرغ من قصصه وبعد ان يعرض لاعماله طيلة النهار يقول : ويستمر الى ثلث الليل في اخبار العرب وايمانها والعجم وملوكها وسياستها لرعيتهما وفي ذلك من اخبار الامم السالفة ثم يدخل فينام ثلث الليل ثم يقوم فيقعد فيحضر الدفاتر فيها سير الملوك واخبارها والحروب والمكائد فيقرأ ذلك عليه غلمان له مرتبون ، وقد وكلوا بحفظها وقراءتها ، فتمر بسمعه كل ليلة جمل من الاخبار والسير والاثار وانواع السياسات ثم يخرج فيصلي الصبح ثم يعود فيفعل ماوصفنا في كل يوم (١) ، ويذكر السعدي في ترجمة السفاح ان ابا بكر الهذلي كان يحدث السفاح باحاديث انوشروان في بعض حروبه بالمشرق مع بعض ملوك الامم السالفة (٢) .

ان اهتمام العرب بهذا الضرب من الادب او التاريخ او العلوم الاخرى التي لها صلة بهذه العلوم كان يعبر عن ايمانها بتقيد العلماء لخواطهم لما في ذلك من فائدة ، وتسجيلهم لاحداث الامم لما يقدمه من تجارب لان معظم العلوم تستخرج من الاخبار وتستنبط منها الحكم وتستفاد الفصاحة ، وعليها تقاس الاحكام ويحتج بها اهل الاخبار لان معارف الناس منها نوءخذ ، وامثال الحكماء فيها توجد ومكارم الاخلاق من قصصها تقتبس ، واداب السياسة تلتبس ، وكل غريبة منها تعرف ، وهي علوم يستمتع بسماعها الناس ويستعذب اخبارها العارفون لما تقدمه من مواعظ وتسجله من عبر . والنفس بطبيعتها لمثل هذه الاخبار مائلة ، ولسماع السر مشتاقة .

* * *

ونافع بن الاسود بن قلبة بن مالك التميمي شاعر اسدي ، عرف بعد مشاركته في اخمداد حركة الردة ، ومصاحبه لخالد بن الوليد باليمامة ، ويبدو انه قد ابلى بلاء حسنا مع المؤمنين الذين امنوا بالاسلام ، وجاهدوا في سبيل الرسالة الاسلامية ، وان مشاركته مع الكلاخ الاولى تعني سبقه في الاسلام ويتجلى ذلك في رثائه لعبد الله بن النضر بن الحلال التميمي الذي استشهد باليمامة مع خالد بن الوليد (٣) ، ويتضح صدق نائرة من خلال الايات الباقية التي احتفظت بها بعض التأليف ، وهو حالة تكشف عن عقيدته وجهاده وايمانه وهو يقاتل المرتدين ، ويدافع عن الدين ، واذا كانت قصائده الاولى جهادا في سبيل الله ، ودفاعا عن الرسالة ، وتأكيدا

بعد ان قدموا اعز ما يملكون ، وكان شعرهم لونا فنيا من الوان الشعر العربي بعد ان تميز بطابع خاص واختار المعاني المناسبة والصور الملائمة والبدايات التي كانت تتفق مع طبيعة الاحداث ، وهي بطبيعتها خالية من التعقيد والتركيب وتتميز فيها لغة السلاح ، وتعالى في ابياتها الفاظ الاعتزاز والفخر ، وتتداخل في احاديثها عزيمة الرجال الذين يحققون النصر وينزلون بالاعداء الهزائم ، ويبدون عتداستداد المعركة ضروبا خارقة من الشجاعة ، واعمالا جلية من البسالة ، كما كانوا يرسمون لنا المواطن الصادقة التي تتابهم وهم يسجلون تلك الانتصارات والحنين الانساني الذي يدفعهم الى تذكر الاهل والاحبة ، وقد دخلوا ارضا تختلف في كثير من مظاهرها عن ارضهم ، وعاشوا ظروفها جديدة لم يالفوها ، ووقفوا على عادات امم لم يسبق لهم ان تعاملوا معها ، كان الشعر الذي احتفظت به كتب الفتوح او الفزوات صورة جديدة من صور الادب الذي يختلف في كثير من مضامينه واشكاله عن الادب الذي عرفناه ، وانه يضيف اليها تجربة جديدة ، وينفيها بحالات شعرية لا تتصل ببناء القصيدة التقليدية ومن هنا فان هذا الضرب من الشعر يعطي الادب العربي سمة بقيت نماذج الادب مفتقرة اليها ، وغافلة عن ادخالها في اطار حقولها وفنونها المعروفة .

لقد تميز اسلوب كتب المغازي والفتوح بقربه من اساليب القصص وتناوله لموضوعات تستسيغها النفس ، وتميل اليها القلوب ، لقربها من نزعة الانسان ، وصلتها بروحه وميوله وتميرها من زوايا نفسية لها اثرها في انتباهه وتحفيزه . لانها تمثل مواطن الراحة ، التي يجد فيها الانسان فسحة لترويح النفس ، وتغيير الجو الرتيب الذي يسيطر عليه ، فكان يجد فيها حزمة تغنيه عن كثير من المتع ، ومجالا يجدد فيه نشاطه ، وميدانا يتعلم منه العبر والمواعظ ، وخاصة عندما تكون النفوس بحاجة الى مثل هذا النشاط ، واما الجانب الثقافي والعرفي فهو صورة اخرى من صور الاسباب التي كانت تحمل المسؤولين على متابعة اخبار الامم وخاصة التي دخلت في حكم الاسلام وارتفعت مبادئه وشرائعه لان معرفة احوال هذه الامم وما يتعلق بانظمتها وشرائعها ، بماداتها وتقاليدها ، بسلوكها وطرق تعاملها تعطي المسؤول صورة للطريقة التي يمكن ان يتعامل بها . او بتخلها منهجا في توجيه القائمين على ادارة شؤونه تلك الممالك ليكون على علم بدقائق احوالها ، وماقبله من امور وماتراه مخالفا وفي هذا التوجه كانت رسالة العرب لهذه الامم رسالة انسانية تراعي فيها احوال تلك الامم لان صلتها بها صلة تعامل انساني ، واطار التعامل معها اطار الدين الخفيف الذي وحد الجميع في ظل الشريعة السمحاء والايمان بالله الواحد الاحد والولاء لتعاليمه التي دعا اليها الرسول الكريم صلوات عليه والتزم بها الصحابة الاخيار والقادة المجاهدون . ويذكر السعدي ان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه حين فتح الله البلاد على المسلمين من العراق والشام ومصر وغيرها كان يكتب الى بعض حكماء تلك المدن يسألهم عن صفتها ومدنها واهويتها ومساكنها وما تؤثره التربة والاهوية في سكانها وعندما اراد ان يشخص الى

(١) السعدي مروج الذهب ٢/٢٩-٣١

(٢) السعدي مروج الذهب ٢/٢٦٥

(٣) ابن حجر . الاصابة : ٦٣٥١

لعدائتها السحابة فان هذا النفس الشعري ظل يمد الشاعر باحاسيس الايمان ، ويلهب في قصائده روح الحماس لمواجهة المواقف الحاسمة ، والتصدي للزعمات الشريرة ، وكانت الثقة بالنفس من خلال الاحتفاء بالمشيرة يمثل حالة نفسية متميزة وجد فيها بنو نعيم حافظا وهم يخوضون معارك جديدة ، ويقفون امام تحديات خطيرة ، وان هذا الاحتفاء كان يوشح حديث الضمير الجماعي الذي اصبح صفة مشروعة ، وقدره فتالية عريضة تنبئ فيه القبيلة الى جانب القبائل الاخرى مهمة الاضطلاع ، لان الاحتفاء بها ، والدعوة باسمها ، والاشادة بمفاخرها هي حالة من الاعتزاز في اطار الحس الكلي لمجموع القبائل ، وهو استمرار لتراث عريق في التحديث من مجد القبيلة الذي ينبثق عنه كل الاعتبارات في دائرة الشمول الجديد ، لواقع الانسان العربي وهو يوسع مجال الرؤية ، ويفتح مجموعة من الحلقات التي كانت تحول دون توحده في اطار اوسب مما كان فيه ، وهذه الحالة اصبحت ميدانا من ميادين التماجد والتفاخر ، فأبو نعيم يعتبر تيمنا عتاد الحرب ، وهم النافسون اليها اذا ركب الفرسان ويتحملون مسؤولية وليتهم في اشتداد الازمات ، ويمنون دارهم من الاعداء عند احتدام الهياج ، واحتزت طنب الخيام ، وهم في فخر الشاعر الشموس التي حملت السمر الثقفة ، والسيوف الشهورة ، اذا جلست لاحت فاتها على ايديهم شهب (٤) ، وهو يستمد من معدنه وحسبه ما يباهي به ، لانه امتداد لهذا المعدن ، وصلة لهذا الفخر ، فهو من قوم لانصيب رماحهم اذا طعنوا الا المقاتل (٥) ، وبدعو للايام الحاسمة معاشر نعيم الذين يلبون دعوة الداعي ، ويجلون قتام اليوم الشديد ، ويسمو بهم الى كسرى ليولي مهزوما (٦) ، وهم اكفاء الملوك ، واهل العز الثابت ، والارومة الاصيلية وهم الدرر من معدن (٧) ، ونعيم في استبسالها وجهادها صورة مشرفة ، وفي خصالها الحميدة حصيلة مانر انسانية تضمن المال للجار ، وتعلم مادام الدهر ، وتعلمو جسيم المجد ، وتبذل الندى للسائلين ، وتمد الابدي الى العلى ، وتنطق المال لفك العناة ، ولتكشف المفارم ، ونقود الخيل القتاك الى العدا ضوامر ، تعاند اعتاك الملى ، لترد اعتداء ، او لتكسب فخرا ، او تسجل محمدا . وكان لها المربع عند المقاسم ، وبهذا شرف الله قومه في الزمان الاول ، وفي الاسلام اصبحت ائمة قادرا الناس الى العز ، وهم نجوم يقتدى بها في الرفة ، ونقدت مع جيوش المتقربين لنال شرف الجهاد ، وعليهم من الماذي زغف مضاعف ، فكانوا طلائع الجهاد الاولى بعد ان وهبوا مجد الحياة ، واستعدوا لمجابهة المشركين ، وهذه هي مساعي الكرام الذين يشدون للنواب ، وستصرخون عند اشتداد الازمات (٨) .

- (٤) تنظر القطعة الاولى والقطعة الحادية عشرة
(٥) تنظر القطعة رقم (١٥)
(٦) تنظر القطعة رقم (١٦)
(٧) تنظر القطعة رقم (١٧)
(٨) تنظر القطعة رقم (١٧)

وشعر الاسود وثيقة لتخليد الوفائع ، وتسجيل لحركة التحرير المتمثلة في الورد على كسرى ، ودخول (المدائن) فورا ، وتجاوزهم لجيوش الفرس على كثرتها ، والتوغل في اعماق ديارهم على الرغم من اعدائهم الهائلة ، تغطي المؤرخ مجالا لتوثيق الاخبار المتوفرة عنده ، وتضيف اليه حالات جديدة لتصبح الاخبار عنها متكاملة (٩) ، فهو يذكر (المدائن) ووصوله الى قصر كسرى بعد ان انهزمت جيوشه وفرت بقاءه (١٠) .

ويخلد مواكب نعيم بين مقرر و اخيه سويد وهم ينفذون الى (الري) و (قوس) استجابة لداعي الواجب ، ورعاية لامر الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فيليبان النداء مع فوافل المجاهدين ، فوارس مجربين ، يشدون ازدهم بالتليب (١١) ولا ينسى قدرته في خضم الفارات والممالك التي كان يشهدا على عيل اسيل ، ويترك خصمه نهما تحجل الطير حوله ، بعد ان يقرعه ضربا بالمضيب الهند (١٢) ويتحدث عن المسلمين الذين ساهموا في اخماد حركة الردة ، وفانطوا في صفوف خالد بن الوليد ، فيشيد ببطولانهم اذا حققوا انتصارا ، ويرثي شهداءهم ، اذا استشهدوا هناك بعد ان يغلفوا الذكر الحسن ، فتظلل اسماءهم مرفوعة في كل محفل ، كما هو الحال بالنسبة الى عبد الله بن النضر بن الطاحل الذي استشهد باليمامة مع خالد بن الوليد . ويذكر قتل (بهرام) (١٣) وهزالهم الخصوم الذين وزعت جثثهم في سواد السفوح بعد ان وجدت فيها مشوي ومحشرا (١٤) ، ويذكر مقتل (يزجرد) في (طاحونة) على (الرزق) بعد ان يلتقي جيشه مع جيوش الفاتحين في (مرو) فتضم اجنحة المسلمين على جانيهم بطعن صادق ، فيولون الادياد (١٥) .

وللري في احاديثه اخبار كثيرة ، فهو يسير مع عروة بن زيد الخيل الطائي من الكوفة بامر من الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رض) بعد فتح (نهاوند) فظهرهم الله على الديلم ، ومن تجمع من اهل الري ، فكانت لهذه الاحداث والمعارك اصدا واضحا في شعره ، بعد ان يجد الحياة في ريفها رضية ، والعيش فيها مقبولا (١٦) ، ويذكر (الفرس) وما لاقوه في (القادسية) وسقوط (رستم) ناوبا (١٧) .

ويقف عند (القادسية) وثقة طويلة وهو يراها بداية لتحول جديد في التاريخ العربي والاسلامي (١٨) ، فيذكر عشية

- (٩) تنظر القطعة رقم (١٢)
(١٠) تنظر القطعة رقم (١٠)
(١١) تنظر القطعة رقم (٣٤٢٤١)
(١٢) تنظر القطعة رقم (٥)
(١٣) تنظر القطعة رقم (٧)
(١٤) تنظر القطعة رقم (٧)
(١٥) تنظر القطعة رقم (٨)
(١٦) تنظر القطعة رقم (١٣١)
(١٧) تنظر القطعة رقم (١٢٤١١) .
(١٨) تنظر القطعة رقم (١٢٤١١)

أيام القادسية ، وكيف تازرت الرماح وهي تخفق على رؤوس
الفرس ويذكر بلاءه يوم (نهاوند) بعد أن ولي (الفيرزان)
إلى الجبل ولكن السيف العربي يدره فيسقط صريحا (١٩)
فيحسك به وعندها تفتح مسالك الدروب أمام قوافل المحررين
لترفع الراية الإسلامية على امتداد الطريق إلى بلاد ما وراء
النهر ، ولتتشر رسالتها وتدمو لمبادئ الإنسانية .

كما يذكر (وای خرد) وما جرى لجيش الفرس فيها ،
بعد أن أصبحت أشلاوهم نهبا للكتاب العواسل (٢٠) ،
و (نهاوند) في شعره ذكر متميز ، ففيها يحبس خيله ثمر
ليال ، ويملا شهابها من رجالهم ، ويسلط الفيرزان بعد أن
تضيق به كل الساحات الفسيحة فلم ينجيه منها انفساح
الغارم (٢١) وتستوفقه أحداث (النهروان) حيث سارت
الجيوش الإسلامية (٢٢) . وما ذاقته قلوب الفرس يوم (المدائن)
من كؤوس العصاب والشبرم ، وكان يجد في كسرى رمزا للهزيمة ،
ووجها من وجوه الشر ، وعلامة من علامات اللل والقهر ، بعد
أن تجرع ومن معه الفسح الهزائم ، وأكثرها عارا (٢٣) .

إن هذه الخارطة الواسعة التي تحرك عليها الشاعر ،
وهذه المواقع التباعدة التي تحدث عنها تمثل الصورة الكبيرة
التي كان يدخل في أطرافها وهو يواكب قوافل التحرير ، ويؤدي
واجباته القتالية بشجاعة ، ويوظف شعره الحربي لخدمة
الحركة الصيرية التي كانت تخوضها الأمة بشجاعة وهي توءم
برسالتها الكريمة ، وتحمل إلى الناس مبادئ الخير والتقدم .
وهي محاولة جديدة لإضافات تاريخية تفتي أخبار الفتوح ،
وتلصق وثائق أساسية في متناول أيدي الباحثين .

وصوت الحرب في هذا اللون الشعري واضح متميز ،
تلو الغالطة ، وتحرك ادواته ، وترخر دلالاته ، (فمتاد الحرب)

و (الفرسان) و (الضرب) و (الهياج) و (الخيل مشطلة)
و (الشعث التي عليها الليوث) و (السمر المثقة) و (الغضب
الذي في قته شطب) و (الفزع) و (الحروب) و (داعي
الصياح) (٢٤) كلها صور والفاظ حربية ، تعطي لقائده لونا
حربيا ، وترين المضامين التي يقف عليها بو شاح الادوات
المقاتلة .

إن الفاظ (شمدنا اوزارنا) (٢٥) و (الطمعن) (٢٦) و
القرن الذي تحجل الطير حوله (٢٧) و (الضرب بالغضب
المهند) و (اخو الهيج) و (سمر الحروب) و (مجهد الحروب)
و (عون الحروب) و (الحروب) و (الرماح) و (أيام قادس)
و (قدس) و (السيوف) و (الرمح الريان) و (ابيض الرقائ)
و (الكتائب) و (الجهاد) و (الولي) و (صم القنا) و
(الملاحم) وغيرها من الفاظ التي كانت تتناثر في شعره وهو
يؤرخ لكل معركة ، ويصور كل بطولة ، ويتحدث عن طبيعة
القتال واستخدام السلاح واشكالة وهيئاته وبركب البارات
التي تصلي على الالفاظ صيغ المجال أو الاستعارة لتكون أوضح
في التعبير ، وأجمل في التناول . وكانت تقاليد البناء الفني
للقصيدة تفرض عليه بعض حالات الالتزام بما هو متعارف عليه
وخاصة عندما يحاول أن يفخر بقومه لأنه كان يستشهد عندما
يريد أن يفخر بقومه بالمرأة ، وهي التي تسأل عن ذلك في العرف
التقليدي المتعارف عليه .

إن محاولة جمع اشعار هذا الشاعر تكشف عن وجه جديد
من وجوه الأفراص التي ظلت بعيدة عن التناول ، وإن شعر هذا
الشاعر الذي كان معظمه مطويا في مخطوطات ماتزال بعيدة عن
التناول ، تمثل رائدا جديدا من رواد الأغناء الشعري الذي
يعطي الحياة الأدبية بعدا جديدا .

(٢٤) تنظر القطعة رقم (٢٤١)

(٢٥) تنظر القطعة رقم (٢)

(٢٦) تنظر القطعة رقم (٢)

(٢٧) تنظر القطعة رقم (٥)

(١٩) تنظر القطعة رقم (١٤)

(٢٠) تنظر القطعة رقم (١٤)

(٢١) تنظر القطعة رقم (١٨)

(٢٢) تنظر القطعة (١٦)

(٢٣) تنظر القطعة رقم (١٦)

قال ابو نجيد :

- ١ - بنو تميم عتاد الحرب قد علموا
 - ٢ - والحاثلون اذا ما أزمة أزمّت
 - ٣ - والفاصلون اذا ما خُطّة جهلت
 - ٤ - والمائمون من الاعداء دارهم
 - ٥ - والواردون على كسرى مدائنّه
 - ٦ - نحوي نهابهم والخيّل مشملة
 - ٧ - شعث عليها ليوث ما يجمعها
 - ٨ - شمس بأيديهم سمر مشقة
 - ٩ - اذا جكوها على الاعداء في فزع
- والناهضون اذا فرسانها ركبوا
فعل العشائر إن همّوا وإن ضربوا
عند الجموع وفيهم تفضل الخطب
عند الهياج اذا ما اهتزت الطنّيب
قراً ومن دونها بحر له لجب
وسط الديار ومنها حوله عصب
عند الصياح بها عجم ولا عرب
وكل عصب له في متن شطّب
لاحت كأن على أيديهم شهب

الابيات في كتاب الغزوات لابن حبيش انورقة ١٨٩ .

كان الخليفة عمر رضي الله عنه قد انفذ الى الري وقوس نعيم بن مقرن وعلى مقدمته سويد بن مقرن وعلى مجنبته عبيدة ابن النحاس وذلك في سنة ١٩ او ١٨ للهجرة فلم يقم له احد وصالهم وكتب لهم كتابا وقال ابو نجيد :

- ١ - فنحن لعمرى غير شك قرارنا
 - ٢ - اذا ما دعا داعي الصباح أجابه
 - ٣ - ويوم يسطام العريضة اذ حوت
 - ٤ - ونقلبها وزراً كأن صدورها
- أحق وأملى بالحروب وأنحب
فوارس منا كل يوم مجرب
شدنا لهم أوزارنا بالتلبش
من الطعن تطلّى بالسني المخضب

(١) الابيات والخبر في فتوح البلدان ٦٢٤/١ ، والبيتان الثالث والرابع فيهما اقواء .

الاصابة ترجمة رقم ٨٨٤٨

نافع بن الاسود بن قطبة بن مالك التميمي ثم الاسيدي بالتشديد من بني اسيد بن عمرو بن نعيم . قال المزياني مخلصم يكنى أبا نجيد يقول لما قتل عبد الله بن المنذر بسن الحلال التميمي باليامة مع خالد بن الوليد فذكر المنيّة وقد

ذكرت منها في ترجمة عبد الله المذكور .. وذكر بيتين من الدالية وقال وانشد المرزباني ثم قال : وقال الدار فظني في المؤلف ..
ابو محمد نافع بن الاسود شهد فتوح العراق وهو القائل .

قومي أسيّدان سألت ومعدن فلقد علمت معادن الأحساب

وانشد له سيف في الفتوح اشعارا كثيرة يفخر فيها بنومه ويذكر مشاعده في فتح الشام والعراق .

- ٤ -

قال ابو محمد نافع بن الاسود التميمي :

- ١ - ألا أبلغنا عنّي علياً تحيةً فقد قبِل الصّماء لما استقلّت
- ٢ - بنى قبة الاسلام بعد انهدامها وقامت عليه قصرة فاستقرّت
- ٣ - كان نبياً جاءنا حين هدّمها بما منّ فيها بعد ما قد أبرّت

الابيات [١-٣] في وقعة صفين / ٤٩٢ وكررت في ٥٣٤ .

- ٥ -

وقال :

- ١ - ألا ربّ نهب قد حوت وغارة شهدت على عبل أسيل المقلّد
- ٢ - وقرن تركت الطير تحجل حوله فقرّعته ضرباً بعضب المهند

البيتان في الاصابة ترجمة رقم ٨٨٤٨ (نافع بن الاسود) .

- ٦ -

قال نافع بن الاسود يرثي عبدالله بن المنذر بن الحلاحل الذي استشهد باليمامة مع خالد بن الوليد :

- ١ - اذهب فلا يُبعدنك الله من رجلٍ موري حروبٍ وللعافين والنادي
- ٢ - ما كان يعدله في الناس من أحدٍ ولا يثوّزيه في ثعبي وارصادٍ
- ٣ - لقد تركت بني عمرو واخوتها يدعون باسمك للمتّاب والراد

الابيات في الاصابة ترجمة عبدالله بن المنذر رقم ٦٣٥١ .

- ٧ -

وقال ايضاً :

- ١ - وبالري ان مالت بنا أم جعفر
- ٢ - إذا حذر الأقوامَ منهن قاذح
- ٣ - أخو الهيج والدرعات ان زفرت به
- ٤ - فيسر عنا الحرب بعد انصباها
- ٥ - قتلنا بني بهرام لما تابعا
- ٦ - وبالسفح موق لا تطير نسورها
- ٧ - ولولا اتقاء القوم بالسلم اقفرت
- ٨ - خلفناهم بالري والري منزل

الابيات في الفزوات الورقة / ٢١٦ .

- ٨ -

وكان مقتل يزدجرد بن شهريار بن كسرى ملك الفرس في طاحونة على الرزيق فقال ابو نجيد نافع بن الاسود التميمي :

- ١ - ونحن قتلنا يزدجرد بيمجة
- ٢ - غداة لقيناهم بمرو تخالهم
- ٣ - قتلناهم في حربة ملحت بهم
- ٤ - ضممنا عليهم جانبيهم بصادق
- ٥ - فوالله لولا الله لا شيء غيره

(١) الرزيق : نهر كبير يسقي اكثر الضياع والرساتيق .

١ - الخبر والابيات في بلدان ياقوت ٧٧٧/٢ .

- ٩ -

كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى عمار بن ياسر وهو عامله على الكوفة بعد شهرين من فتح نهاوند يأمره ان يبعث عروة بن زيد الخيل الطائي الى الري ودستبي في ثمانية الاف فعمل فساد عروة لذلك ، وتجمعت له الديلم واعدوا اهل

الري وقاتلوه فظهره الله عليهم فقتلهم وكان ذلك سنة ٢٠ وفيل سنة ١٩ وقال ابو نجيد وكان مع المسلمين في هذه
الوقائع :

- ١ - دعانا الى جرجان والري دونها سواداً فأرضت من بها من عشائر
- ٢ - رضينا بريف الري والري بلدة لها زينة في عيشها المتواتر
- ٣ - لها نثر في كل آخر ليلة تذكر اعراس الملوك الأكابر

١ - الخبر والابيات في فتوح البلدان ٨٩٥/٢ .

- ١٠ -

- ١ - وأسَلْنَا على المدائن خيلاً بحرها مثل برهين أربضا
- ٢ - واتشلنا خزائن المره كسرى يوم ولّوا وحاص منّا جريضا

البيتان في تاريخ الطبري ١٠/٤ والغزوات الورقة / ١٨٤ .

- ١١ -

وقال ابو نجيد :

- ١ - جزى الله خيراً من قيلم وناصر غداة قديس والدماء ترقرق
- ٢ - تيماً على جهد الحروب وعفّتها وقد جعلت فيها الفراح تبقّق
- ٣ - قضوا وطراً من فارس ثم غادروا افاعيل لا يشفى بها متبعّق
- ٤ - فمن يسمو لا يدرك عفاة جمعنا إذا جعلت عون الحروب تفقّق
- ٥ - فهم تركوا رب القوادس ثاوياً يصيح اليه هامها المتفرّق

الابيات في الغزوات لابن حبيش الورقة / ١٧٥ .

- ١٢ -

وقال ابو نجيد ايضا :

- ١ - لو أن قومي في الحروب أذلة لآلوت بني العنقاء من رأس حالق
- ٢ - عشية كسرى والجنود مقيمة ياب قديس ينتهي بالبوائق
- ٣ - ولكن قومي آذرتني رماحهم عشية هبوا بالرماح الخوافق

- ٤ - ونحن عقرنا بالملوط ركابنا
٥ - ونحن كففنا الفرس أيام قادم
٦ - إذا ناهدونا رقعتههم سيوفنا
- باب قديس عند إحدى الصفائق
بمترك ضنك كلف السراق
الى الماء حتى تتقى بالعلائق

الابيات في الغزوات لابن حبيش / الورقة ١٧٥ .

- ١٣ -

قال ابو نجيد نافع بن الاسود في يوم الري :

- ١ - ألا هل أتاهما أن بالري معشراً
٢ - لهم موطنان عاينوا الهلك فيهما
٣ - وخيل ثعادي لا هواده بينها
٤ - ودهم وشقر تشد البهم بينها
٥ - قتلناهم بالري مثنى وموحداً
٦ - قتلنا سبأ وحش ومن مال ميلة
٧ - جزى الله خيراً معشراً عصبوهم
- شعوا منعماً لما استجاشوا وقبلوا
بأيدي طوال لم يخمن مفصل
وراد وكثمت تمتطي ومحبجل
إذا ناصبت قوماً تولوا وأوصلوا
وصار لنا فيها قراد وماكل
ولم ينج منهم بالسفوح مؤمل
وأعطاهم خير العطاء الذي يلبوا

الابيات في الغزوات لابن حبيش الورقة / ٢١٦ .

- ١٤ -

وقال نافع بن الاسود :

- ١ - لقد علمت فتیان عمرو بأنني
٢ - وإن فات أمر قدموني فرمته
٣ - واني اردء الكيش عن سنن الهوى
٤ - فمن يك خوار اليدين فأنني
٥ - ويوم نهاوند شدوت فلم أحم
٦ - عشية ولتي الفيرزان موائلا
٧ - فأدركه منّا اخو الهيج والندی
- احوط ذماري في الشهور الأطاول
زياد الموادي عند إحدى الزلازل
ويرجع رمحي بعد ريتان ناهل
إذا كشرت عن نابها غير خامل
وقد احسنت فيهم جميع القبائل
الى جبل آب حذر القبواجل
فقنطره عند ازدهام الحوامل

- ٨ - واشلائهم في وأي خرد مقيمة
٩ - ونحن ولينا كل يوم لفارس

الابيات في الغزوات لابن حبيش الورقة / ٢١٢ - ٢١٣ .

- ١٥ -

ولا صدر علي رضي الله عنه من صفين انشا ابو محمد نافع بن الاسود يقول :

- ١ - وكم قد تركنا في دمشق وأرضها
٢ - وعانية صَادَ الرّماحُ حليلها
٣ - تبكى على بَعْلٍ لها راح غاوية
٤ - وإنا اناس" ما تُصيبُ رماحنا

الابيات في وقعة صفين / ٤٩٢ - ٤٩٣ وكررت في ٥٣٣ - ٥٣٤ .

- ١٦ -

وقال ابو نجيد نافع بن الاسود :

- ١ - نحن صبحنا يوم دجلة أهلها
٢ - زروح بالبيض الرقاق رؤسهم
٣ - قتلناهم ما بين دجلة والقرى
٤ - اذقناهم يوم المدائن بأسنا
٥ - سبقناهم لما تولوا الى الردى
٦ - أيتهم علينا السلم ثم رجعتهم
٧ - ويوم يطير القلب من نقراته
٨ - دعونا اليه من تميم معاشرأ
٩ - يَجْلَوْنَ في اليوم الشديد قتامة
١٠ - وانا لنثني الخيل حتى تملنا
١١ - سمونا الى كسرى فولّى مبادراً
١٢ - ألا أيهذا السائلي عن عشيرتي

الابيات في الغزوات لابن حبيش الورقة ١٨٨-١٨٩ .

قال ابو نجيد نافع بن الاسود التميمي :

- ١ - وقال القضاة من مَعَدَّةٍ وغيرها
 - ٢ - هم اهل عَزَّ ثَابِت وأرومة
 - ٣ - وهم يضمنون المال للجار ما ثوى
 - ٤ - شريف الذئري من كل كوما بازل
 - ٥ - وكيف تناهيه الأعاجم بعدما
 - ٦ - وبذل الندى للسائلين إذا اختفوا
 - ٧ - ومدَّهم الأيدي الى الباع والعلی
 - ٨ - واذاً مالهم في النائبات تلادهم
 - ٩ - وقودهم الخيل العتاق الى المِدا
 - ١٠ - مُجَنَّبَةٌ تشكو النور من الوجا
 - ١١ - لتتقض وتراً أو لتحوي مغناً
 - ١٢ - وكائن اصابوا من غنمة قاهر
 - ١٣ - وكان لهذا الحي منهم غنمة
 - ١٤ - كذلك كان الله شَرَفَ قومنا
 - ١٥ - وحين أتى الاسلام كانوا ائمة
 - ١٦ - الى عزة كانت سناء ورفعة
 - ١٧ - إذا الريف لم ينزل عريف بصحنه
 - ١٨ - فجاءت تميم في الكتاب نصرة
 - ١٩ - على كل جرداء السراة ومُلهب
 - ٢٠ - عليهم من الماذي زعف مضاعف
 - ٢١ - فليل لكم مجد الحياة فجاهدوا
 - ٢٢ - وهَبَّوا لأهل الشرك ثم تكبكبوا
 - ٢٣ - فما برحوا يعصونهم بسيوفهم
- تميمك اكفاء الملوك الأعظم
وهم من مَعَدَّةٍ في الذئري والغلاصم
وهم يطعمون الدهر ضربة لازم
مقيم لمن يعصوهم غير حازم
علوا لجسيم المجد أسل المواسم
وحُبَّ المتالي في السنين اللوازم
إذا كَرُمْتَ حيناً اكفك الألائم
تفك العنائة أو لكشف المقارم
ضوامر تردى في فجاج المخارم
يُعاندنَ اعناق المطي الرواسم
كذلك قدماً هم حماة المغانم
حرائق من نخل بقران ناعم
كما احرزوا المرباع عند المقاسم
بها في الزمان الأول المتقادم
وقادوا مَعَدَّةً كلها بالخزائم
لباقهم فيهم وخير مَرِ اغم
واذاً هو تكفكته ملوك الأعاجم
يسرون صفأ كالليوث الضراغم
بعيد مدى التقريب عبل القوائم
له حُبُّك من شكة المتلازم
واتسم حماة الناس عند العظامم
فطاروا عليهم بالسيوف الصوارم
على الهام منهم والأنوف الرواغم

- ٢٤- لذن غدوة حتى تولوا نسوقهم رجال تميم ذحلها غير نائم
٢٥- من الراكبين الخيل شعنا الى الوغى بضم القنا والمرسفات القواصم
٢٦- فتلك مساعي الاكرمين ذوي الندى تبيك لا مسعاة اهل اللائم

الابيات ٢٦-١ في كتاب الغزوات لابن حبيش الورقة ١٧٤ ، ١٧٥ .
والابيات [١ ، ٢ ، ٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٤] مع
اختلاف في بعض الالفاظ في الاصابة ترجمة رقم ٨٨٤٨ نافع بن الاسود .

- ١٨ -

وقال ابو نجيد :

- ١ - ولو أن قومي في الحروب أذلة
٢ - ولكن قومي أحرزتهم سيوفهم
٣ - أينما فلم تخط الظلانة فارساً
٤ - ونحن حبسنا في نهاوند خيلنا
٥ - تجن لهم بثاً وعُضْلَ سَجْلُها
٦ - ملأنا شحاباً في نهاوند منهم
٧ - واركضهن الفيرزان على الصفا
لأخت عليهم فارس في الملاحم
فآبوا وقد عادوا حماة المكارم
ولكن قبلنا السلم ممن يسالم ؟
لشرب ليل ألتجت للأعاجم
غداة نهاوند لأحدى العظام
رجالاً وخيلاً أسلمت في الصرائم
فلم ينجح منها انفساح المخارم

الابيات في الغزوات لابن حبيش الورقة / ٢١٣ ، وفي البيت الثالث اقواء .

- ١٩ -

وقال ابو نجيد نافع بن الاسود

- ١ - وسائل بني الماهات عتاً وعنهم
٢ - دعونا ابانا وادعوا بأيهم
٣ - فيارب جمع قد قللناه قبلهم
٤ - على أننا لم نبق فيهم بقيّة
بلاء كحدّ اللج يقتطع الوتين
فولّوا خرايا في الغبار جيننا
ونهب حوينا قبل ذاك سينا
غداة هووا في وادي خرد كينا

الابيات في الغزوات لابن حبيش الورقة / ٢١٢ .

المُدْخَلُ إِلَى تَقْوِيمِ اللَّسَانِ لِابْنِ هِشَامٍ اللَّخْصَمِيِّ

المتوفى سنة ٥٧٧هـ

تعليق الدكتور

حاتم صالح الضامن

كلية الاداب - جامعة بغداد

القسم الثالث

- ويقولون لبعض بلادِ الأندلسِ : (إِشْبِيلِيَّة) (٤٤٠) ، والصواب : اشْبِيلِيَّة . وكذلك عربتها العربُ ، وكانَ اسمُها قبلَ ذلك : أَشْبَانِيَّة .
- ويقولون لَنَ اسْلَمَ من اليهودِ : (أَسْلَمِيَّة) (٤٤١) ، وبعضُهم يقولُ : (مُسْلَمَانِيَّة) . والصوابُ : اسْلَامِيَّة ، منسوبٌ إلى الإسلامِ .
- ويقولون : سَمِعْتُ (صِيَّاح) القِطْ . والصوابُ أنْ يُقالَ : سَمِعْتُ مَوَاءَه (٤٤٢) ، أو مَعَاءَه ، على ابدالِ الهمزة عينا . ويُقالُ في تصريفِ الفعلِ منه : ماءَ القِطْ يَمْوَأُ (٤٤٣) مَوَاءً ، ومَعَاءً ، على البدلِ .
- ويقولون لكلِّ ما ليس فيه تزيينٌ : (سَاجِدٌ) . والصوابُ : سَازِجٌ بذالٍ مُعْجَمَةٍ وَجِيمٍ / (٥٢ ب) بَعْدَهَا (٤٤٤) .

(٤٤٠) الروض المطار ٥٨ .

(٤٤١) الفاظ مغربية ١٤٣/١ .

(٤٤٢) ب : مَوَاءَةُ القِطْ .

(٤٤٣) في الأصل : يَمْوَأُ . وفي ب : يَمْوَأُ . وما أثبتناه من الباب واللسان (موا) .

(٤٤٤) ينظر : المغرب ٢٦٤ : شفاء القليل ١٤٨ .

ويقولون : (عَيْنَ) فلان " فلاناً ، أي أصابه بالعين . والصواب : عانه فهو عائن " ، والمفعول معين " ، وقالوا : معيون " (٤٤٥) ، وقد تقدم قياس ذلك .
ومثله ذلك : زلقه وزلقه وأزلقه وشقذه وشقذه كل ذلك إذا أصابه بعينه .

ويقولون لبعض بلاد الأندلس : (وشكة) (٤٤٦) . والصواب : وشقة ، بالالف .

ويقولون : (شرققة) والصواب : شرققة (٤٤٧) .

ويقولون : (مرثلة) . والصواب : ما رثلة (٤٤٨) ، بزيادة ألف بعد الميم . وبعضهم يكسر الميم فيقول : ميرثلة .

ويقولون : (تنيس) ، بفتح التاء . والصواب : تنيس ، بكسرها (٤٤٩) . وكذلك يقولون : (برجيس) . والصواب : برجيس ، بكسر الباء ، لأن فعليلاً ، بفتح الفاء ، لا يوجد في كلام العرب ، ولا فيما حمل عليه مما عرّب ، وإنما هو بكسرها (٤٤٩) .

ويقولون : (النوى) ، بكسر النون . والصواب : النوى (٤٥٠) ، بفتحها ، قال الله تعالى : « فالتى الحب والنوى » (٤٥١) ، وقال الشاعر (٤٥٢) :

وليس كل النوى يلقي المساكين

ويقولون لبعض الذباب : (نعره) (٤٥٣) ، بإسكان العين . والصواب : نعره ، بفتحها . قال يعقوب (٤٥٣) : هو ذباب أخضر أزرق يدخل في أنوف الدواب ، فإذا دخل في أنف

(٤٤٥) درة الفواص ٦٠ .

(٤٤٦) الروض المطار ٦١٢ ، وشقة فيه مدينة أخرى غير وشكة .

(٤٤٧) الروض المطار ٣١٧ ، وضبطت فيه بفتح السين والراء .

(٤٤٨) الروض المطار ٥٢١ . وينظر : الفاظ مغربية ٣١٢/٢ .

(٤٤٩) الروض المطار ١٢٧ .

(٤٤٩) درة الفواص ١٠٢ . وبرجيس هو النجم المعروف بالمشترى .

(٤٥٠) اللسان (نوى) .

(٤٥١) الأنعام ٩٥ .

(٤٥٢) حميد الأرقط في الكتاب ٢٥/١ ، ٧٣ وشرح أبيات سبويه ١٧٥/١ وفرحة الأديب

٤٢ - ٤٤ والأمالى النجارية ٢٠٤/٢ . وصدر البيت : فاصبحوا والنوى عالى معرسهم .

(٤٥٣) تصحيح التصحيف ٣٠٨ ، إيراد اللال ٢٢٥ .

(٤٥٣) إصلاح المنطق ٤٢٩ .

الجمارِ سَمًا بِرَأْسِهِ صُعْدًا قِيلَ : حمارٌ "نَعِيرٌ" • وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ الطَّامِحِ بِنَفْسِهِ : فِي رَأْسِ قِلَانٍ ثَعْرَةٌ •

ويقولون : (التَّمَلُّ) ، بفتح الميم • والصواب : التَّمَلُّ ، بإسكانها ، والواحدة : تَمَلَّةٌ ، قالَ اللهُ تعالى : « قَالَتْ تَمَلَّةٌ : يَا أَيُّهَا النَّسْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِينَكُمْ » . (٤٥٤) ويقولون لظَرْفٍ صَغِيرٍ مِنْ زُجَاجٍ يُجْمَلُ فِيهِ الطَّيِّبُ : (قَارُورَةٌ) • وَيُقَالُ فِيهِ أَيْضًا : (قَارُورٌ) ، بِغَيْرِ تَاءٍ تَأْنِيثٍ • وَكُلُّ مَا قَرَّ فِيهِ الشَّرَابُ وَغَيْرُهُ فَهُوَ قَارُورٌ سَوَاءٌ (٤٥٥) كَانَ مَنْ زُجَاجٍ أَوْ غَيْرِهِ • وَقِيلَ : لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ زُجَاجٍ خَاصَّةً (٤٥٦) •

وقال بعض المفسرين في قوله تعالى : « قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ » (٤٥٧) : إِنَّهَا أَوَانِيٌ يُقَرَّرُ فِيهَا الشَّرَابُ • وَقِيلَ (٤٥٨) : إِنَّهَا أَوَانِيٌ مِنْ فِضَّةٍ فِي صَفَاءِ الْقَوَارِيرِ • قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ (٤٥٩) : وَهَذَا أَعْجَبُ التَّفْسِيرِينَ إِلَيَّ •

ويقولون لَدَاءٍ مَعْلُومٍ : (التَّقَرُّزُ) ، بفتح النون والراء وبزاي • والصواب : التَّقَرُّسُ ، بكسر النون والراء ، وسين عوض الزاي • وَقَدْ تَقَرَّسَ الرَّجُلُ : إِذَا أَصَابَهُ ذَلِكَ الدَّاءُ (٤٦٠) •

ويقولون : (نَافِقٌ) الْقَيْصُ (٤٦١) ، وَيَجْمَعُونَهُ عَلَى (نَوَافِقٍ) • والصواب : نَيْفَقٌ ، بِالْيَاءِ وَفَتْحِ الْفَاءِ • وَكَذَلِكَ : نَيْفَقُ السَّرَاوِيلِ ، وَالْجَمْعُ : نِيفَقٌ • ويقولون : (الْحَاكَةُ) فِي جَمْعِ حَائِكٍ • وَقَدْ قِيلَ : وَالْأَكْثَرُ : حَوَاكَةٌ ، كَخَائِنٍ وَخَوْنَةٍ • وَقَدْ قِيلَ : خَانَةٌ ، عَلَى الْأَصْلِ ، لِأَنَّ كُلَّ وَائٍ أَوْ يَاءٍ تَحْرُكَتْ وَانْفَتَحَ مَا قَبْلَهَا انْقَبَتِ الْفَاءُ (٤٦٢) •

ويقولون : (تَنْفَطَّتْ) يَدُهُ • والصواب : تَنَمَّطَّتْ ، إِذَا قَرَحَتْ مِنَ الْعَمَلِ ، وَهُوَ مَاءٌ يُصَيِّئُهَا بَيْنَ الْجِلْدِ وَاللَّحْمِ • وَقَدْ أَشْطَقَهَا الْعَمَلُ وَيَدٌ مَنْفُوطَةٌ وَنَافِطَةٌ (٤٦٣) •

-
- (٤٥٤) النمل ١٨ •
(٤٥٥) ب : وسواء •
(٤٥٦) جمهرة اللغة ٢/٢٨٦ •
(٤٥٧) الإنسان ١٦ •
(٤٥٨) هو الفراء في معاني القرآن ٢/٢١٧ •
(٤٥٩) جمهرة اللغة ٣/٢١٩ •
(٤٦٠) ينظر : تشقيف اللسان ٨٨ ، تصحيح التصحيف ٣١١ : التنبيه على غلط الجاهل والنبيه ٣٦ •
(٤٦١) لحن العوام ١٢٥ •
(٤٦٢) اللسان (خوك) •
(٤٦٣) اللسان (نبط) •

ويقولون : يده (نَقَاطَةٌ) . والصواب : نَقْطَةٌ . والجمع : النَقَطُ .
و (التَّشْفَةُ) (٤٦٤) : حجرٌ يُنْقَى به الوَسَخُ في الحمامات ، يُسَمَّى تَشْفَةً
تُشْفِي الماءَ . وقيل : سُمِّيَ بذلك لانتشافه الوَسَخَ عن مواضعه . والجمع :
التَّشَفُ . وليس له اسمٌ عند العامة ، فلذلك ذكرناه .
وكذلك لا يعرفون اسماً للخيطة الذي يُعْقَدُ في الإصْبَعِ ليتذكَّرُ به الرجلُ
الحاجة . واسمُ ذلك الخيطِ عند العرب : (الرِّئْسَةُ والرَّيْئِمَةُ) (٤٦٥) .
ويقولون لموضع بالحجاز : (ثَعْمَانٌ) ، بضم النون . والصواب : ثَعْمَانٌ ، بفتحها (٤٦٦) .
ويقولون / (١٥٣) للذي يُحْمَلُ عليه الميَّتُ : (التَّمَاشُ) . والصواب :
التَّمَشُّ (٤٦٧) ، قال الشاعر (٤٦٨) :

أحمولٌ على التَّمَشِّ الهَمَامُ

ويقولون للسحاب المتراكم : (نَوَاءٌ) (٤٦٩) . وليس كذلك ، وإنما النَوَاءُ
طلوعُ نجمٍ من نجومِ المنازلِ عند سقوطِ نجمٍ آخر . يقال : نَاءَ يَنْوَأُ نَوَاءً : إذا
نهَضَ متاقلاً .
ويقولون : نَزَل (التَّدَى) ، بكسر النون . والصواب : التَّدَى (٤٧٠) ، بانفتح والتَّدَى :
ما سَقَطَ ليلاً ، والتَّدَى : ما سَقَطَ نهاراً . وقيل : إنَّ التَّدَى ما سَقَطَ بالليل ،
والتَّدَى ما سقط في آخره . ويقال في التَّدَى : التَّدَى (٤٧١) .
ويقولون : (هَبْ أَتَيْتُ فَعَلْتُ) و (هَبْ أَتَيْتُ فَعَلْتُ) . والصواب : الحاقُ
الضمير المتصل به فيقال : هَبْنِي فَعَلْتُ وَهَبَهُ فَعَلْتُ (٤٧٢) ، كما قال الشاعر (٤٧٣) :

-
- (٤٦٤) اللسان (تشف) .
(٤٦٥) مجالس ثعلب ٩٧ . وفي حاشية ب (ق ١٦٣) : انشد ثعلب في كتاب المجالس له :
إذا لم تكن حاجتنا في صدورنا لاخواننا لم يبق عند الرقائم
(٤٦٦) الجبال والامكنة والمياه : ٢١١ ، معجم ما استعجم ١٣١٦ .
(٤٦٧) الفاخر ١٣١ ، الزاهر ٥٩٤/١ .
(٤٦٨) بلا عزو في اللسان (تمش) .
(٤٦٩) تصحيح التصحيف ٣١٣ . وينظر : الانواء ٦ ، الأزمنة والامكنة ١/١٨٠ ، الأزمنة
والانواء ١٣٤ .
(٤٧٠) رسمت في الأصلين : النداء . وينظر : المقصور والمدود ١٢٤ ، المدود والمقصور ٣٩ .
(٤٧١) ينظر : اللسان (سدا ، ندى) .
(٤٧٢) شرح درة القواص ١٥٣ - ١٥٤ ، كشف الطرة ٤٢٧ .
(٤٧٣) لم أقف عليه .

هَبْنِي يَا مُعَذِّبَتِي أَسَاءَتْ وبالهجرانِ قبلكمُ بَدَأَتْ
فأينَ الفضلُ منكِ قَدَّتْكَ نَفْسِي عليَّ إذا أَسَاءَتْ كَمَا أَسَاءَتْ

ومعنى هَبْنِي أي عَذِّبْنِي نِي وَاحِشِبْنِي ؛ فكانَ فيه معنى الأمر من وَهَبَ • كذا حكى
الحريري في (دُرَّةُ الغواصِر) (٤٧٤) له • وَيَرُدُّ عَلَيْهِ (٤٧٥) قَوْلُهُ بَيْتُ أَبِي الْعَلَاءِ الْمَعْرِيِّ (٤٧٦)
وهو :

فَهَبْ أَتَيْ دَعْوَتَكَ لِلتَّصَافِي على غيرِ الْمُعْتَقَةِ الشَّسُولِ

وأبو العلاء وإنْ كَانَ لَا يُحْتَجُّ بِشِعْرِهِ فَإِنَّهُ يُحْتَجُّ بِعِلْمِهِ ، لِأَنَّهُ كَانَ إِمَامًا فِي
اللُّغَةِ نَهَايَةً فِي الثَّقَةِ ، وَقُلَّ أَنْ يَخْفَى عَلَيْهِ هَذَا الْقَدْرُ • وَقَدْ شَرَحَ شِعْرَهُ الْإِسْتَاذُ
أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ الْبَيْدِ ، وَكَانَ مُقَدِّمًا فِي الْأَعْيَانِ مَعْدُودًا مِنْ جُمْلَةِ أَهْلِ هَذَا الشَّانِ ،
وَأَمَّا يَقَعُ لَهُ اعْتِرَاضٌ عَلَى هَذَا الْبَيْتِ بِلِجْوَزِهِ وَقَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ : مَعْنَى هَبْ :
اجْعَلْ ، وَالْمَرْبُ يَقُولُ : وَهَبْنِي اللَّهُ فِدَاءً لَكَ (٤٧٧) ، أَيِ جْعَلْنِي •

ولو (٤٧٨) قَالَ الْحَرِيرِيُّ : إِنَّ اسْتِعْمَالَ (هَبْ) مَعَ الْحَاقِ الضَّمِيرِ الْمُتَّصِلِ بِهِ أَكْثَرُ ،
كَانَ أَصَوْبَ •

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : إِنَّ اسْتِعْمَالَ أَبِي الْعَلَاءِ لِهَبْ بِغَيْرِ ضَمِيرٍ مُتَّصِلٍ إِنَّمَا ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ
الضَّرُورَةِ •

فَالْجَوَابُ أَنَّهُ لَا ضَرُورَةَ هَاهُنَا ، لِأَنَّهُ لَوْ قَالَ :

فَهَبْنِي قَدْ دَعَوْتُكَ لِلتَّصَافِي (٤٧٩)

لَا تَزَنُ الْبَيْتُ وَلَمْ تَكُنْ فِيهِ ضَرُورَةٌ •

وَيَقُولُونَ : شَيْءٌ (مَسْنُوبٌ) (٤٨٠) ، وَالصَّوَابُ : نَبِيلٌ •

وَيَقُولُونَ لَمَّا تَجَعَّلَهُ الْمَرْأَةُ عَلَى رَأْسِهَا تَحْتَ مِقْنَعِهَا ، مِنْ حَرِيرٍ كَانَ أَوْ مِنْ

(٤٧٤) ص ١١١ - ١١٢ •

(٤٧٥) (عليه) ساقطة من ب •

(٤٧٦) شروح سقط الزند ١١٤٥ • وانظر عن أبي العلاء : تعريف القدماء بأبي العلاء •

(٤٧٧) (الله فداءك) ساقطة من ب •

(٤٧٨) (لو) ساقطة من ب •

(٤٧٩) ب : التصافي •

(٤٨٠) تصحيح التصحيف ٢٩٨ •

غيره : (كَنْبُوش) (٤٨١) . والصواب : الصَّقَاعُ ، ويُقال له أيضاً : الغِفَارَةُ والوَاقِيَةُ والوَاقِيَةُ والشَّنْثَقَةُ .

فأما الكَنْبُوش فليس من كلام العرب .

ويقولون للخَرْدَلِ : (الصَّنَابُ) ، بفتح الصاد . والصواب : الصَّنَابُ ، بكسرهما (٤٨٢) ، قال الشاعر (٤٨٣) :

تُكَلِّفُنِي مَعِيشَةَ آلِ زَيْدٍ وَمَنْ لِي بِالْمُرَقَّقِ وَالصَّنَابِ

ويقولون لعودِ الشَّرَاعِ : (صَارٍ) (٤٨٤) . والصَّارِي (٤٨٥) : المَلَاَحُ . وإنما تقول له العرب : الدَّقْلُ ، بفتح القاف ودال غير مُعْجَمَةٍ .

ويقولون : (سَابُورُ) (٤٨٦) المركب ، بالسين . والصواب : صابور ، بالصاد ، لأنه صَبِيرٌ بِهِ ، أي حَبِيرٌ ، ومنه صَبْرَةُ الطعام .

فأما سابور اسم الرجل فبالسين ، ولا يُعْرَفُ له اشتقاق ، لأنه أعجمي (٤٨٧) .

ويقولون للذي يُقَطَّعُ به الخشب : (شَقُورُ) (٤٨٨) . والصواب : صاقور ، بالصاد ، والجمع : الصَّواقِيرُ . وقال أبو عمرو : الصاقورُ الفأسُ العظيمةُ التي لها رأسٌ واحدٌ رقيقٌ يُكْسَرُ بها الحِجَارَةُ ، يُتَّكَلُّ بها : الفأسُ والصاقورُ والمِعْشُولُ والحِدَاةُ والكِرْزَنُ والكِرْزَنُ والكِرْزِينُ . وجاء في الحديث : (فما صدَّقتُ حتى سَمِعْتُ / (٥٣ ب) وَبَقَعَ الكِرَازِينَ) (٤٨٩) . ويُقالُ لَحَدَّهَا : الغُرَابُ ، قال الشاعر (٤٩٠) :

أَكَبَّ عَلَى فَأْسِهِ يَحْدُّ غُرَابَهَا مُذْكَرَةً مِنَ الْمَعَاوِلِ بِاتِرَةٍ

ويُقالُ لِنِصَابِهَا : الفِعالُ ، وقد تقدَّم .

(٤٨١) أيراد اللآل ٢١٩ - ٢٢٠ . وينظر : ألفاظ مغربية ٢٠٩/٢ .

(٤٨٢) ينظر : تثقيف اللسان ٢٠٣ .

(٤٨٣) جرير ، ديوانه ٨١٢ .

(٤٨٤) لحن العوام ٢٢٣ .

(٤٨٥) في الأصلين : الصار .

(٤٨٦) لحن العوام ١٩٣ .

(٤٨٧) العرب ٢٤٢ ، شفاء الغليل ١٤٧ .

(٤٨٨) لحن العوام ٩٧ .

(٤٨٩) الفائق ٢٥٧/٣ : النهاية ١٦٣/٤ وفيهما : (فما صدقت بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى . . .) وهو حديث أم سلمة .

(٤٩٠) لم أقف عليه .

ويقولون : (سَرَدْتُ) من البرْدِ ، بالسين . والصواب : بالصاد ، فأنا صارِدٌ ،
ويومٌ صارِدٌ ، وليلةٌ صارِدَةٌ (٤٩١) .

ويقولون : (المَثْقَبُ) ، بفتح الميم . والصواب : المِثْقَبُ ، بكسرِها (٤٩٢) .
ويقال له أيضاً : السَّرَادُ والمِثْرَدُ (٤٩٣) .

ويقولون : (آخِرَسَ) فلانٌ . والصواب : ضَرَسَ يَضْرَسُ ، بكسرِ
العينِ في الماضي وفتحِها في المستقبل (٤٩٤) .

ويقولون : فلانةٌ (صَدِيقَةٌ) فلانٍ . والصواب : صديقٌ فلانٍ (٤٩٥) ، بغير تاءٍ
تأنيثٍ .

وكذلك يقولون : هي (وَصِيَّةٌ) فلانٍ . والصواب : وَصِيَّةٌ (٤٩٦) ، بغير تاءٍ
تأنيثٍ ، قال الشاعر (٤٩٧) يخاطبُ امرأةً :

فلو أَثَّكَ في يومٍ الرخاءِ سألَتَنِي فراقَكَ لِمَ أَبْغَلْ وَأَنْتَ صَدِيقُ

ويقولون : (الضَّبْعُ والسَّبْعُ) ، بفتح الباءِ . والصواب : الضَّبْعُ والسَّبْعُ ،
بضم الباءِ فيهما . وبنو تميمٍ يقولون : ضَبْعٌ ، فيُسَكِّنُونَ الباءَ . والعربُ توقعُ الضَّبْعَ
على المؤنثِ ، ولهذا يقولون : الضَّبْعُ المرجاءُ ، والمذكَّرُ عندهم : ضِبْعَانِ (٤٩٨) .

ويقولون : النَّفْعُ و (الضَّرُّ) (٤٩٩) ، [بضم الصاد] . والصواب : النَّفْعُ والضَّرُّ ،
بفتحها . قال الله تعالى : « يدعوا لمنْ ضَرَّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ » (٥٠٠) . فإنْ لم تذكرِ
النَّفْعَ ضَمَّتْ الضَّادَ ، قالَ اللهُ تعالى إخباراً عن أيوب : « مَسَّنِي الضَّرُّ وَأَنْتَ
أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ » (٥٠١) ، فَضَمَّ لِمَا لَمْ يَقْتَرِنْ مع النفع .

(٤٩١) اللسان (صرد) .

(٤٩٢) الآلة والأداة ٣٢٧ .

(٤٩٣) الآلة والأداة ٣٥٨ .

(٤٩٤) اللسان (ضرس) .

(٤٩٥) الزاهر ٣١٦/١ .

(٤٩٦) ب : وصي .

(٤٩٧) بلا عزو في الزاهر ٣١٦/١ ومفني الببيب ٢٩ وشرح ابن عقيل ٣٨٤/١ والمساعد على تسهيل
الفوائد ٣٣٠/١ . وينظر : معجم شواهد العربية ٢٤٧ .

(٤٩٨) اللسان (ضبع) .

(٤٩٩) لحن العوام ١٣٧ .

(٥٠٠) الحج ١٣ .

(٥٠١) الأنبياء ٨٣ .

ويقولون : (عَيْنَبٌ) ، بزيادة ياء بعد العين . والصواب : عَيْنَبٌ ، بغير ياء ،
ويقال له أيضاً : عَيْنَاءٌ^(٥٠٢) .

ويقولون للشُعْبَةِ مِنَ الْعَيْنَبِ : (خَنْصُورٌ)^(٥٠٣) . والصواب : شِمْرَانُخٌ .
فإذا أُكِلَ ما على العنقودِ فالباقي عِذْقٌ ، وحكمته حُكْمُ التَّخْلَرِ .

ويقولون : (عَرَّجُونٌ) ، بفتح العين ، والصواب : عَرَّجُونٌ ، بضمها . قال الله تعالى :
« حتى عادَ كالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ »^(٥٠٤) . وهو الإِهَانُ ، والجمع : أَهْنٌ .

ويقولون : (الْمُصْفَرُّ) ، بفتح الفاء . والصواب : الْمُصْفَرُّ ، بضمها^(٥٠٥) .

ويقولون : (الْعَدْوُ) ، بسكون الواو . والصواب : الْعَدْوُ ، بتشديدها .

ويقولون للخطَّيْبِي : (الْغَاسُولُ)^(٥٠٦) . والصواب : الْغِئْلُ وَالْغَسُولُ وَالْفَسُولُ
وَالْغِئْلَةُ ، بكسر الغين .

ويقولون لما سما من البَقْلِ رَخْصاً : (عَشْلُوجٌ) ، بفتح العين . والصواب :
عَشْلُوجٌ ، بضمها^(٥٠٨) . وَيُؤَوِّثُ فَيُقَالُ : عَشْلُوجَةٌ . ويُقالُ فيه أيضاً : عَشْلُجٌ ،
والجمع : عَسَالِجٌ وَعَسَالِيجٌ . ويُقالُ له أيضاً : غُمْلُوجٌ .

ويقولون لقضبانِ الْكَسْرِمْ : (زَرَّجُونٌ) ، بسكون الزاء . والصواب :
زَرَّجُونٌ ، بفتحها . والواحدة : زَرَّجُونَةٌ^(٥٠٩) .

ويقولون لبعضِ شجرِ الشوكِ : (الْعَوَسِجُ) ، بكسر السين . والصواب :
الْعَوَسِجُ ، بفتحها^(٥١٠) .

ويقولون للنواة : (الْعَجَمُ) ، بإسكان الجيم . والصواب : الْعَجَمُ^(٥١١) ، بفتحها ،
قال الشاعر^(٥١٢) :

وَجُذْءَاتُهَا كَلَقِيطِ الْعَجَمِ

(٥٠٢) اللسان (عنب) .

(٥٠٣) الفاظ مغربية ١/١٥٧ .

(٥٠٤) يس ٢٩ .

(٥٠٥) معجم أسماء النباتات ١.٣ .

(٥٠٦) تقيف اللسان ١.٥ .

(٥٠٧) ب : ينحأ من الفعل . وهو تحريف . ورست (سما) في الأصل : سمي .

(٥٠٨) النبات للأصمعي ٢٢ .

(٥٠٩) النبات ١/٢٠٢ .

(٥١٠) النبات للأصمعي ٢٤ .

(٥١١) اللسان (عجم) .

(٥١٢) لم أقف عليه .

ويقولون : (الزُّفَيْرُف) (٥١٣) . وبعضهم يفتح الزاي الثانية . والصواب :
المناب .

ويقولون : (عَكَارُ) (٥١٤) الزَّيْتِ . والصواب : عَكَر . وهو الكِرْيُونُ .
وهو أيضاً الدُرْدِي .

ويقولون : (العَنَقَا) ، بالقَصْرِ . والصواب : العَنَقَاءُ ، بالمد . قال
الشاعر (٥١٥) :

عَرَضْتُ عليها ما أَرَادَتْ من المَنَى لترضى فقالت قُمْ فَجِئْنَا بِكُوْكَبِ
/ (٥١٤) فقلت لها هذا التَّمَتُّبُ كَثُ كَسَنُ يَشْتَمِي لَحْمَ عَنَقَاءٍ مَغْرِبِ

ويقولون : (عَوْش) (٥١٦) الطَّائِرُ (٥١٧) . والصواب : عَش ، بغير واو ، والجمع :
أعشاش .

ويقولون لَطَرَفِ العِمَامَةِ : (عَذَابَة) ، بتشديد الذال . والصواب : عَذَبَة ،
بالتخفيف من غير ألف (٥١٨) .

ويقولون للذي يُجَمَلُ في الثوب : (عَلام) . والصواب : عَلم (٥١٩) ، بغير
ألف .

ويقولون لثَمَنِ القِرَاطِ : (خَرْثُوبَة) (٥٢٠) . وإنما الخَرْثُوبَة شجرة
الْيَنْبُوت ، وجمعها : خَرْثُوب . ويقال لها أيضاً : خَرْثُوبَة وخَرْثُوبَة ، والجمع :
الخَرْثُوبُ والخَرْثُوبُ (٥٢١) .

ويقولون : (عَبَّيْتُ) (٥٢٢) المتاع ، إذا جَمَعْتَ بعضه على بعض . والأكثر :
عَبَّاتٌ ، بالهمز . وعَبَّيْتُ الجيشَ تَعْبِيَةً ، بغير همز . وحكى أبو زيد (٥٢٣) فيه الهمز .

(٥١٣) أراد اللال ٢١٨ . وينظر الفاظ مغربية ٢٨٩/٢ .

(٥١٤) تصحيح التصحيف ٢٣١ .

(٥١٥) بكر بن النطاح ، شعره : ٧ .

(٥١٦) تصحيح التصحيف ٢٢٢ ، وفيه : ويجمعونه على أعواش .

(٥١٧) ب : الطير .

(٥١٨) اللسان (عذب) .

(٥١٩) اللسان (علم) .

(٥٢٠) الفاظ مغربية ١٥٦/١ .

(٥٢١) النبات ١٦٥/١ .

(٥٢٢) ب : عبيت .

(٥٢٣) الهمز ٢٢ .

- ويقولون : (عَجَزْتُ) عن الشيء ، وإن كانَ يستطيعه . والصوابُ : كَسَلْتُ^(٥٢٤) .
- ويقولون : (عَرَقْتُوبُ) الانسانَ ، بفتح العين . والصوابُ : عُرْقُوبُ ،
بضمها^(٥٢٥) .
- ويقولون : عِرْقُ (الباصِلِيقِ) ، بالصاد . والصوابُ : الباسِلِيقِ ، بالسین^(٥٢٦) .
- ويقولون لمَقِيبِ الانسانِ : (كَعْبُ)^(٥٢٧) . والكعبُ هو الناتیء في
مَقْصِلِ القَدَمِ .
- ويقولون : (العُرْشُ) ، باسكان الراء . والصوابُ : العُرْشُ^(٥٢٨) ، بضمها .
- ويقولون : (عَكْرَمَةٌ)^(٥٢٩) ، بفتح العين والراء . والصوابُ : عِكْرَمَةٌ ،
بکسرهما .
- ويقولون في اسم الرجل : (عامرٌ) ، بضم الميم . والصوابُ : عامِرٌ^(٥٣٠) ، بکسرهما .
- ويقولون : (ابنُ عَجْلانٍ) ، بکسر العين . والصوابُ : ابنُ عَجْلانٍ^(٥٣١) ،
بفتحها .
- ويقولون : فلانٌ حَسَنٌ (العبارة) . والصوابُ : حَسَنُ العبارة^(٥٣٢) ، بکسر
العين . تقولُ : عَبَّرْتُ الرؤيا اعبُرُها ، وعَبَّرْتُها اعبُرُها تعبيراً . والاسمُ : العبارةُ .
وكذلك : فلانٌ حَسَنُ العبارةِ ، إذا كانَ حَسَنَ الأداءِ لما يَسْمَعُ ، بکسر العين
أيضاً .
- ويقولون : فلانٌ (غِمْرٌ) للذي لم يجرب الأمورَ ، بکسر الغين . والصوابُ : غَمْرٌ ،
بضمها^(٥٣٣) .

(٥٢٤) لحن العوام ٢٣٤ .
(٥٢٥) خلق الانسان ٣١٩ .
(٥٢٦) الفاظ مغربية ١/١٤٥ .
(٥٢٧) لحن العوام ٢٢١ .
(٥٢٨) اللسان (عرس) .
(٥٢٩) تصحيح التصحيف ٢٣١ .
(٥٣٠) اللسان (عمر) .
(٥٣١) اللسان (عجل) .
(٥٣٢) اللسان (عبر) .
(٥٣٣) ينظر : مثلثات قطرب ٣١ - ٣٢ ، المثلث لابن السید ٦٣٢ - ٦٣٤ ، الدرر المبتثة ١٥٦ .

ويقولون لطائر الماء : (غَبِيَّة) (٥٣٤) . والصواب : ابن ماء (٥٣٥) . وكل طائر من
 طيور الماء فهو عندهم ابن ماء ، قال الشاعر (٥٣٦) :
 وَرَدَّتْ أَثَرًا وَالثَّرِيَّا كَأَنَّهَا عَلَى قِمَّةِ الرَّاسِ ابْنُ مَاءٍ مُحَلَّقٌ
 وانجم : بنات الماء ، قال الشاعر (٥٣٧) :
 مُفَدِّمَةٌ قَزَا كَانَ رِقَابُهَا رِقَابُ بَنَاتِ الْمَاءِ أَقْزَعَهَا الرُّعْدُ
 فأما الغَبِيَّةُ فالدَّفْعَةُ من المطر (٥٣٨) ، قال الشاعر (٥٣٩) :
 إِذَا اسْتَهَلَّتْ عَلَيْهِ غَبِيَّةٌ أَرْجَتْ مَرَايِضَ الْعَيْنِ حَتَّى يَأْرَجَ الْخَشَبُ
 وبعض المتفصّلين من العامة يقول : (الغَابِيَّة) . والصواب ما قدّمنا .
 ويقولون : اجْمَلْهُ في (قَسِر) . والصواب : في فيه . ولا يُضاف ، وفيه الميم ،
 إلا في الضرورة ، قال الراجز (٥٤٠) :

كَالْحُوتِ لَا يَرْوِيهِ شَيْءٌ يَلْتَمُهُ

يُصْبِحُ عَطْشَانًا فِي الْبَحْرِ قَمَهُ

وقل ما تستعمله إلا مضافاً إلا ما جاء شاذّاً ، قال رؤبة (٥٤١) :

خَالَطَ مِنْ سَلَمَى خِيَاثِيمٍ وَقَا

ويقولون : جلست (فَوَقَكَ) ، بضم الفاء . والصواب : فَوَقَكَ ، بفتحها .

ويقولون : (ثَمْنِيَّة) ، في المدد . وبعضهم يكسر الميم . والصواب : ثَمَانِيَّة ،
 بفتح الميم وألف بعدها .

ويقولون : (الْفَهْدُ) . والصواب : الْفَهْدُ ، بإسكان الهاء (٥٤٢) . ومنه قولهم في

المثل : (أَثْوَمُ مِنْ فَهْدٍ) (٥٤٣) . وقد يجوز فتح الهاء على مذهب الكوفيين .

(٥٣٤) اللسان (غبا) .

(٥٣٥) ثمار القلوب ٢٦٣ .

(٥٣٦) ذو الرمة ، ديوانه ٤٩٠ .

(٥٣٧) أبو الهندي ، ديوانه وفيه : اقزمن بالرعد . وفي ب : مقدمة قرا .

(٥٣٨) كتاب المطر ١٠٢ .

(٥٣٩) لم أقف عليه .

(٥٤٠) رؤبة ، ديوانه ١٥٩ ، وفيه : يلقيه .

(٥٤١) هو المعجاج في ديوانه ٢٢٥/٢ وليس رؤبة .

(٥٤٢) اللسان (فهد) .

(٥٤٣) الدرر الفاخرة ٤٠٠ ، جمهرة الأمثال ٢١٨/٢ .

ويقولون : (فَلَجَجَ) الرجلُ إذا أصابه الفالجُ . والصواب : فُلَجَجَ ، على ما لم يُسمَّ فاعِلُهُ (٥٤٤) .

ويقولون : (فَطَمَةُ) . والصواب : فَاطِمَةُ .

فأما زَيْنَبُ فيقال فيها : زَنَابُ . وقد تقدّم الكلام على عائشة .

ويقولون : سَمِعْنَا (فَلَآ) حَسَنًا . والصواب : فَالَاءُ (٥٤٥) / (٥٤ ب) حَسَنًا .

وفي الحديث : (نِعِمَّ الشَّيْءُ الْفَالُ) (٥٤٦) .

ويقولون : فَارَسُ حَسَنُ (الْفَرَسَنَةُ) (٥٤٧) . والصواب : الْفَرُوسَةُ وَالْفَرُوسِيَّةُ .

ويقولون لدواءٍ كالصَّمْنَرِ : (وَشَقَّ) . والصواب : أَشَقَّ ، بالهمز ، وهو دَخِيلٌ في كلام العرب (٥٤٨) .

فإنَّ قالَ قائلٌ : فلعلَّ أَصْلَهُ وَشَقَّ ثُمَّ أَبْدَلَتِ الْوَاوُ هَمْزَةً .

فالجوابُ : أنَّ العربَ لا تُبْدِلُ الْوَاوَ هَمْزَةً فِي أَوَّلِ الْكَلِمَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ مَضْمُومَةً أَوْ مَكْسُورَةً نحو : وَقَّتْ وَأَقَّتْ ، وَوَجَّهَ وَأَجَّهَ ، وَوَشَّاحَ وَاشَّاحَ ، وَوَسَّادَ وَإِسَادَ (٥٤٨) .

فأما الْوَاوُ الْمُفْتُوحَةُ فلم يَسْمَعْ فِيهَا الْبَدَلُ إِلَّا فِي قَوْلِهِمْ : وَحَدَّ وَأَحَدَّ ، وامرأةٌ أَثَاةٌ وَوَنَاةٌ ، وَوَجَّجَمَ وَأَجَّجَمَ (٥٤٩) .

ويقال له أيضاً : الْأَشَجُّ ، وهو أَكْثَرُ اسْتِعْمَالًا . كذا حكى الزَّيْدي في اختصارِهِ لكتابِ المَعِينِ . ووقع في كتابِ المَعِينِ الكبيرِ ، في أَمِّ عَيْقَةَ (٥٥٠) أَمِّ الْإِسْتَاذِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ يُونُسَ الْحِجَارِيِّ (٥٥١) - رحمه الله - التي هي بخطُّ ورَّاقِهِ سَمِيدِ بْنِ

(٥٤٤) اللسان (فَلَجَجَ) .

(٥٤٥) اللسان (فَالَاءُ) .

(٥٤٦) لم أقف عليه بهذا اللفظ . ينظر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي (قال) .

(٥٤٧) لحن العوام ١١٩ .

(٥٤٨) تذكرة أولى الألباب ٤٦/١ .

(٥٤٩) ينظر : شرح المفصل ١١/١٠ .

(٥٤٩) ب : وهي .

(٥٥٠) ينظر : الزاهر ١٤٤/٢ ، شرح المفصل ١٤/١٠ .

(٥٥١) أندلسي ، كان مقدماً في المعرفة بالنحو واللغة ، توفي سنة ٤٦٢ هـ ، وقيل ٤٦٣ هـ .

(الصلة في تاريخ أئمة الأندلس ٤٨٩/٢ ، أنباه الرواة ٢٥٣/٢) .

خَيْرَةٌ : الْأَشَقُّ هُوَ الْأَشَجُّ ، وَهُوَ دَخِيلٌ عَلَى الْمَرْيَةِ . كَذَا وَقَعَ فِي الْأُمِّ الْمَذْكُورَةِ
بِتَشْدِيدِ الشِّينِ فِيهِمَا .

وَيَقُولُونَ لَضَرْبٍ مِنَ الْمَسَامِيرِ : (فِتْلِيَّةٌ)^(٥٥٢) . وَالصَّوَابُ : فِتْرِيَّةٌ ،
بِالرَّاءِ . وَالْفِتْرُ ، بِكسْرِ الْفَاءِ : مَا بَيْنَ الْإِبْهَامِ وَالسَّبَّابَةِ .

وَيَقُولُونَ : بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ (فِرْقٌ)^(٥٥٣) ، بِكسْرِ الْفَاءِ . وَالصَّوَابُ : فَرَقٌ ، بفتحها .

وَيَقُولُونَ : (الْقَطَانِي) ، بِسكون الياء . وَالصَّوَابُ : الْقَطَانِي^(٥٥٤) ، بِتَشْدِيدِهَا . وَإِنْ
شئتَ خَمَفْتٌ . وَالوَاحِدَةُ : قِطْنِيَّةٌ ، بِكسْرِ الْقَافِ . وَالْعَامَّةُ تَفْتَحُهَا .

وَيَقُولُونَ : (الْقَرْمَزُ)^(٥٥٥) ، بفتح الْقَافِ وَالْمِيمِ . وَالصَّوَابُ : الْقَرْمِزُ ، بِكسرها .

وَيَقُولُونَ : (الْقَمَحُ) ، بفتح الْمِيمِ . وَالصَّوَابُ : الْقَمَحُ ، بِاسْكَانِهَا ، وَهُوَ^(٥٥٦)
الْحِنْطَةُ ، وَالْبُرُّ وَالْفُومُ وَالثُّومُ .

وَيَقُولُونَ لَضَرْبٍ مِنَ الطَّيْرِ : (قُوبَعَةٌ) . وَالصَّوَابُ : قُبْعَةٌ^(٥٥٧) ، بِغَيْرِ وَاوٍ ، تُكْنَى
أُمٌّ كَيْسَانٌ .

وَيَقُولُونَ : بِالْدَّاءِ بَئِ (قَوَامٌ)^(٥٥٨) ، بفتح الْقَافِ . وَالصَّوَابُ : قَوَامٌ ، بِضَمِّهَا . وَالْقَوَامُ :
قَسْوَحَةٌ فِي أَرْضِهَا لَا تَكَادُ تَبْعَثُ بِهِ .

وَيَقُولُونَ : (لَدَغَتْهُ)^(٥٥٩) الْعَقْرَبُ . وَالْإِخْتِيَارُ أَنْ يُقَالَ لِكُلِّ مَا يُضْرَبُ بِمُؤَخَّرِهِ
كَالْعَقْرَبِ وَالزُّبُورِ : لَسَعَ . وَلِمَا يَقْبِضُ بِأَسْنَانِهِ كَالْكَلْبِ وَالسَّبَاعِ : نَهَشَ
وَنَهَسَ . وَلِمَا يُضْرَبُ بِهِ كَالْحِيَّةِ : لَدَغَ .

وَيَقُولُونَ : (قَرَبُوشٌ) الشَّرْجُ ، بِاسْكَانِ الرَّاءِ . وَالصَّوَابُ : قَرَبُوشٌ
بفتحها^(٥٦٠) .

(٥٥٢) تصحيح التصحيف ٢٤١ .

(٥٥٣) تصحيح التصحيف ٢٤٣ .

(٥٥٤) وهي الحبوب التي تدخر كالحمص والعدس والدخن والارز . (اللسان : قطن) .

(٥٥٥) تصحيح التصحيف ٢٥٠ .

(٥٥٦) ب : وهي .

(٥٥٧) اللسان (فبع) .

(٥٥٨) لحن العوام ٩٣ .

(٥٥٩) درة النواصي ١٦٢ .

(٥٦٠) تقويم اللسان ١٦٧ . وينظر : ما تلحن فيه العوام ٣٠ .

- ويقولون : (القَمَلُ) ، بفتح الميم . والصواب : القَمَلُ ، بإسكانها .
فأما القَمَلُ ، بتشديد الميم ، فصِغارُ الدِّبَابِ (٥٦١) .
- ويقولون لَضَرْبٍ مِنَ المراكب : (قَرْقُورَةٌ) . والصواب : قَرْقُورٌ ، بضم
القافين مِنْ غيرِ تاءٍ تانيث (٥٦٢) .
- ويقولون : (قَارِبٌ) ، بفتحِ الرَّاءِ . والصواب : قَارِبٌ ، بكسرِها (٥٦٣) .
- ويقولون في جمعِ شَقَّةٍ : (شِقَقٌ) ، بكسرِ الشينِ . والصواب : شَقَقٌ ،
بضمها (٥٦٤) .
- وكلُّ ما جاءَ على (فَعْلَةٌ) فجمعُه على (فَعَلٌ) ، بضمِ الفاءِ ، قياسٌ "مُطَرَّدٌ"
ورُبَّمَا جاءَ على (فِعَالٌ) كِبَرُومَةٍ وِيرَامٍ ، وشَقَّةٌ وشِقَاقٌ .
- ويقولون لرأسِ الدِّقْـقَلِ : (الجَامُورُ) (٥٦٥) . والصواب : القَبِ . بالقافِ
المنفوحةِ والباءِ المشددةِ . فأما الجَامُورُ فهو جَسَارُ التَّخْلِ (٥٦٦) .
- ويقولون لما يخرجُ مِنَ الكَرَشِ : (الفَرَثُ) (٥٦٧) . وهو لا يُسَمَّى فَرَثًا إلاَّ
ما دامَ في الكَرَشِ ، بدليلِ قوله تعالى : « مِنْ بَيْنِ فَرَثٍ وَدَمٍ » (٥٦٨) . فإذا لَفِظَ
منها سُمِّيَ : السَّرَجِينِ . وقد تقدَّمتُ لهذا نظائِرُ .
- ويقولون : (القَقَلُ) ، بفتحِ الفاءِ . والصواب : القَقَلُ ، بإسكانِها . وضمُّ الفاءِ
لغةٌ (٥٦٩) . ويُقالُ له : إِبْرَيمٌ أيضاً .
- ويقولون : رأيتُ (خِتَانَةً) فلانٍ . فيجعلون الخِتَانَةَ / (١٥٥) موضعَ الخَتَنِ .
والصواب : رأيتُ خِتَانَ فلانٍ .
- فأما الخِتَانَةُ فصَنَعَةُ الخَاتِنِ . ويُقالُ : رجلٌ خَتِينٌ ، أي مَخْتُونٌ ،
وامرأةٌ خَتِينٌ (٥٧٠) .

- (٥٦١) اللسان (قمل) .
(٥٦٢) ما تلحن فيه العوام ٣٠ .
(٥٦٣) إيراد اللال ٢٢٨ .
(٥٦٤) اللسان (شقق) .
(٥٦٥) الفاظ مغربية ١٥١/١ . وينظر : تكملة المعاجم العربية ٢٦٦/٢ .
(٥٦٦) جمهرة اللغة ٢٨٨/٣ .
(٥٦٧) اللسان (فرث) .
(٥٦٨) النحل ٦٦ .
(٥٦٩) اللسان (قفل) .
(٥٧٠) اللسان (ختن) .

ويقولون : حَلَفَ خَمِينٌ يَمِيناً (قَسَامَةٌ)^(٥٧١) بالتشديد . والصواب :
قَسَامَةٌ ، بالتخفيف . والقَسَامَةُ : الإِيْمَانُ .

ويقولون : (بَرَجْلُوثَةٌ) لبعض بلاد الروم بالأندلس . والصواب : بَرَجْلُوثَةٌ ،
بالشين المعجمة^(٥٧٢) .

ويقولون : (وادي ياش)^(٥٧٣) . والصواب : وادي آش^(٥٧٤) .

ويقولون لما يُجْعَلُ على الرأس لِيَقِيَهُ حَرُّ الشَّمْسِ : (قَنْزَعٌ) بفتح الزاي .
والصواب : قَنْزَعٌ ، بضمها^(٥٧٥) .

ويقولون لبعض الحُلِيِّ : (قَصَّةٌ)^(٥٧٦) . والقَصَّةُ عند العرب : الخُصْلَةُ من الشعر .
ويقال : ناصية الفرس : قَصَّةٌ أيضاً .

ويقولون : (القِدْرُ) ، بفتح الدال . والصواب : القِدْرُ ، بإسكانها . ويقال لها :
المرجلُ والصَّيْدَانَةُ وأُمٌّ بَيْضَاءُ^(٥٧٧) .

ويقولون لحَقِيرٍ يُحْفَرُ تحت الأرض لَجَرِي المِياهِ والعَذِرَاتِ : (قَنَأٌ) .
والصواب : قَنَاةٌ ، بتاء التانيث ، والجمع : قَنَوَاتٌ .

ويقولون لبيتِ الغَائِطِ : (الخَلَا) ، مقصور . والصواب : الخَلَاءُ ، بالمد^(٥٧٨) .
ويقال له : المِرْحَاضُ والمُتَغَسِّلُ والكَيْفُ والمِرْحَضَةُ . ويقال : لَزْبَلٍ : السَّادُ .

ويقولون للذي يُطَوَّى عليه العَزَلُ : (المِطْوَى) . والصواب : المِطْوَى ، بكسر
الميم^(٥٧٩) .

ويقولون : (قَصَصْتُ) القَلَمَ . والصواب : قَطَطْتُه أَقْطِئُهُ قَطْأً ،
وقَصَصْتُهُ أَقْصِئُهُ قَصْماً . والقَطْطُ : قَطْعُ الشَّيْءِ عَرَضاً ، والقَدْطُ قَطْعُهُ
طَوَالاً^(٥٨٠) .

(٥٧١) لحن العوام ٢٨ .

(٥٧٢) الروض المطار ٨٦ - ٨٧ .

(٥٧٣) الفاظ مغربية ٣٢١/٢ .

(٥٧٤) الروض المطار ٦٠٤ - ٦٠٥ . وفي ب : وادي آش .

(٥٧٥) اللسان (قزع) .

(٥٧٦) الفاظ مغربية ٣٠٥/٢ .

(٥٧٧) المرصع ٩١ .

(٥٧٨) المنقوص والمدود ١٨ ، المدود والمقصود ٣ ، المقصور والمدود ٣٩ .

(٥٧٩) الآلة والأداة ٣٧١ .

(٥٨٠) درة النواص ١٤ .

ويقولون : تقاضَيْتُ (القِطَاعُ) . والصواب : القِطْعُ ، جمعُ قِطْعَةٍ ،
ككِسْرَةٍ وكِيسَرٍ ، وسِدْرَةٍ وسِدْرٍ (٨٥١) .

ويقولون للفِلَكَةِ : (القِيْقَةُ) . والقِيْقَةُ عند العرب : القاعُ المستديرُ من
الأرضِ في صلابَةٍ (٥٨٢) .

ويقولون لظَرْفٍ يُجْعَلُ فيه الماءُ : (قِيطٌ) . وإنما القِيطُ عند العربِ
العَدْلُ . والقِيطُ أيضاً الحِصَّةُ والمِقْدَارُ . تقولُ : هذا قِيطُ فلانٍ أي
حِصَّتُهُ . وتَقْسِطُوا الشَّيْءَ : تَقْسُوهُ (٥٨٣) .

ويقولون (للدَّيْثُوثِ) : (قرءانٌ) . والصوابُ : قرءانٌ (٥٨٤) .

قال كراع (٥٨٥) : وإنما قيل له : قرءانٌ ، لأنَّه قرءانٌ بأهله غيرُهُ .

ويقولون للذي يَنْدَفُ به القِطْنُ : (القَوَّسُ) . وإنما تقولُ له العربُ :
المِنْدَفُ والمِنْدَفَةُ (٥٨٦) . ويثقالُ لنادِفِهِ : النَّدَفُ .

ويقولون : أُوَيْسٌ (القرْنِي) ، بضم القاف . والصوابُ : القرْنِي (٥٨٧) ، بفتحها ،
منسوبٌ إلى [قرْنٍ] ، حيٌّ من العربِ (٥٨٨) .

وتقولُ في النسبِ إلى القِبْطِ : (قِبْطِيٌّ) . وإلى الثوبِ : (قِبْطِيٌّ)
للفرقِ بينهما (٥٨٩) .

ويقولون للمنسوبِ إلى الدَّاءِ العُضالِ : (قَطِيمٌ) . والصوابُ : قَطِيمٌ ، بغيرِ ياءٍ .
يُقالُ : قَطِيمٌ يَقْطِمُ قَطْماً فهو قَطِيمٌ (٥٩٠) ، بغيرِ ياءٍ ، كما يُقالُ : حَذَرٌ يَحْذَرُ حَذْراً
فهو حَذَرٌ .

(٥٨١) تصحيح التصحيف ٢٥٤ .

(٥٨٢) الفاظ مغربية ٣٠٨/٢ .

(٥٨٣) اللسان (قِط) .

(٥٨٤) إيراد اللال ٢٢٨ ، شفاء الغليل ٢١٣ .

(٥٨٥) المنجد في اللغة ٣٠٦ . وكراع النمل هو علي بن الحسن الهنائي ، من علماء اللغة في مصر ،
ت ٣١٠ هـ . (الفهرست ١٣٠ ، انباه الرواة ٢٤٠/٢ ، بنية الوعاة ١٥٨/٢) .

(٥٨٦) الآلة والأداة ٣٩٧ .

(٥٨٧) أويس بن عامر القرني : تابعي ، ت ٣٧ هـ . (مشاهير علماء الأمصار ١٠٠ ، حلية الأولياء
٧٩/٢ ، ميزان الاعتدال ٢٨٧/١) .

(٥٨٨) جمهرة أنساب العرب ٤٠٧ ، الإيناس في علم الأنساب ٢٣٦ ، نهاية الأرب في معرفة أنساب
العرب ٣٩٧ .

(٥٨٩) تثقيف اللسان ١٣٥ .

(٥٩٠) اللسان (قِط) .

كِتَابُ مَطْمَحِ الْأَنْفُسِ وَمَسْرِحِ التَّائِسِ فِي مَلَحِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ تَأْلِيفُ الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ الْأَنْدَلُسِيِّ

القسم الثالث - الجزء الاول -

تحقيق

هَدَى شَوْكَبَهْمَانِي

دار الجاحظ للنشر - بغداد

القسم الثالث من كتاب مطمح الأنفس
ومسرح التائس في ملح أهل الأندلس
وهو يشتمل على محاسن الأعيان^(١)
من الأدباء وبالله المستعان
وعليه التكلان

وهما مما لم يذكر ، في قلائد العقيان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الاديب الشاعر النبيه ابو عمر يوسف بن هارون المعروف بالرمادي(*)

شاعر مثقل ، اخرج له من الصناعة المغلّق ، وومض له برقها المؤتلق ، وسال بها
طبعه كالماء المندفق ، فأجمع على تفضيله المختلف والمتفق ، فتارة يحزن وأخرى يسهل ، وفي

(١) لم ترد في (ق) .

(*) الاديب الشاعر يوسف بن هارون الرمادي يكنى ابو عمر من اهل قرطبة ، كان شاعر اهل الاندلس المشهور والمقدم
على الشعراء ، روى على ابي علي البغدادي كتاب النوادر من تاليفه ، وقد اخذ عنه ابو عمر بن عبد البر قطعة
من شمره ورواها عنه وضمنها بعض تواليقه ، توفي سنة ٤٠٢ هـ ، وهو شاعر مكثر سريع القول ، مشهور عند
العامة والخاصة . [انظر ترجمته في : الجلوّة ٣٦٩ - ٣٧٣ ، الصلة ٦٧٤/٢ ، البقية ٤٧٨ - ٤٨١ ، المعجب ٢٣ -
٢٦ ، المطرب ٢ - ٤ ، المغرب ٣٩٢/١ - ٣٩٤ ، الرابات ٧٨ ، الوفيات ٢٢٥/٧ - ٢٢٩ ، معجم الادباء ٢٠٨/٧ -
٢٠٩ ، الشُّرُوات ١٧٠/٣ - ١٧٢] .

كُتِبَهما بالبديع يعلّـ وينهل ، فأشتهر عند الخاصة والعامة بانطباعه في الفريقين ، وابدأه
 في الطريقتين ، وكان هو وأبو الطيّب (*) متعاصرين ، وعلى الصناعة متغايرين ، وكلاهما
 من كندة ، وما منهما إلا من اقتدح في الاحسان زئدته (٢) ، وما قصر عنه (٣) في إحسان ، ولا
 جاز بينهما فيصل ابان (٤) ، وتصادى بأبي عمر مطلق (٥) العمر حتى أفردته صاحبه وتدرّيته ،
 وهريق شبابه ، واستشّـن تدرّيته ، ففارق تلك الأيام وبهجتها ، وادرّك الفتنة فخاض
 لجنتها ، وأقام قرّقا من هيجانها ، شرّقا بأشجانها ، ولحقته فيها فاقة نهكته ، وبعدت
 عنه الافاقة حتى أهلكته ، وقد اثبت من محاسنه ما يعجبك سرّده ، ولا يُنْكِنك
 نقدّه ، فمن ذلك قوله :

شَطَّتْ نَوَاهِمَ بِشْمَسٍ فِي (٦) هَوَادِجِهِمْ	لَوْ لَا تَلَاؤُهُمَا فِي لَيْلَمٍ عَشُّوا
شَكَّتْ مُحَاسِنُهَا عَيْنِي وَقَدْ عَذِرْتُ (٧)	لَأَنَّهُمَا بِضِيرِ الْقَلْبِ تَجَشُّ (٨)
شَعْرٌ وَوَجْهٌ تَبَارَى (٩) فِي افْتِخَارِهِمَا (١٠)	بِحُسْنِ هَذَا وَذَاكَ الرُّومَ وَالْحَبَشُ
شَكَّتْ فِي سَقَمِي مِنْهَا أَيْ فَرُشِي	مِنْهَا نَكَسْتُ وَالْأَلَا (١١) الطِّيفُ وَالْفَرْشُ

(٢) لم ترد في ج ، ق .

(٣) عنه : لم ترد في ج .

(٤) الجملتان الاخيرتان لم ترد في (ن) ، ق : فضيل اذان .

(٥) ج ، ق : وطلق .

(٦) ج : من .

(٧) ن : غدرت .

(٨) الجمش : الصوت الخفي والمغازلة والملاعبة .

(٩) ج : نباري .

(١٠) ن : اختلافهما .

(١١) ق : تنكف الا .

(*) أبو الطيب : المقصود به الشاعر أو الطبيب التنبيري المتوفى سنة ٢٥٤ هـ .

التخريج

١ - [شطت .. عشوا]

شعر الرمادي ٧٩

البيت الثاني [غدرت]

البيت الثالث [اختلافهما]

وله أيضا (*) :

في أي جارحة أضون ممدّبي
ان قلت في عيني فثمّ مدّامي
لكن جعلت له الماسع مسكنا
وثلاث شيات^(١٢) نزلن بفرقي
طلعت ثلاث في طلوع ثلاثة
فعدلتني عن صوتي فلن ذلكت
ان كنت ودعت التصابي عن قلبي
فقد اغتدي والصبح في توريسه
بأقب لون الآبوس مفضض
مبترق لصفات زبد الخيل
يزهى بتحلية اللجام كما زها
فله الملاحظ من حبيب هاجر
سليت من السعديب والتكيل
أو قلت في قلبي فثمّ غليلي
وحجبت من عدل كل عدولي
فعلت أن نزولهن رحلي
واثر ووجه مراقب وثقل
فقد سمعت بذلة المذول
وبدت برأسي حجة لعدول^(١٣)
تقضي الميؤن له بوجه عليل
في غرة منه وفي تحجيل
والغوي والمزني^(١٤) والخليل
ملك محلي الرأس بالأكليل
للصّب أو متكبّر لذليل

(*) هذه القصيدة لم ترد في (ن) .

(١٢) ج : شيات .

(١٣) ق : لعدولي .

(١٤) ج : والمربي .

التخرّيج

٢ - [في أي .. والتكيل]

شعر الرمادي ١١١ - ١١٧

القصيدة تقع في ثمانية وخمسين بيتا مطلعها :

من حاكم بيني وبين عدولي

البيت الثالث : [من عدل]

البيت الخامس : طلعت ثلاثا في نزول ثلاثة [

البيت السادس : فعدلتني [

البيت السادس عشر : لم يجترم جرما [

البيت التاسع عشر

[متلفتت كتلفت ..

البيت العشرون : عن للعلة اومي بقادمتيه [

البيت الثاني والعشرون

[ولت جماعتها فشد وراءها

البيت الثالث والعشرون : عجلت وادركها [

الشجو شجوي والمويل عويلي

.. في الجول بعد الجول [

[وكأنه]

ومنها (١٥) :

وكأنتما فكل الخُطوبَ لحازِمٍ قبل الجياد بحده المفلولِ
حتى إذا صيدهُنا الوحوشَ فلم ندعُ منهنَّ غيرَ ممالِمٍ ومثلثولِ
قامت قوائمه لنا بطعامنا غصناً وقام العُرفُ بالمنسديلِ
ومنها :

ومكبل لم يحترم حرماً ولا دانت سحائبه بغير كُثولِ
متدرِّع بالوشى إلا أن مدَّ رعه يُحَاك عليه غير طويـلِ
فكان بليقياً عليه إذ دنتُ في الشرح رافعة لفُـنلِ ذئولِ
متقلب كقلب المترع يقيم نحظُّه في الحول بفد الحولِ
حتى إذا ما السَّرب عن لطفه أوْمي بخافيتيه^(١٦) خل سيلي
أرسلت في أثرهن كأنهن عصين لي أمراً وكان رسولي
ولت سرَّاعاً ثم شدَّ وراءها فكانه بطـل وراء رعيـلِ
عجلت فأدركها ردى في أثرها أن الردى قيد^(١٧) لكل عجولِ
فقضى على سبعين ضارٍ خطمه هو عقدة التعبير في التـشـيلِ
ومنها :

حتى إذا حمل السحاب بجيـده لم تحتلـسه فرائصُ المحـثولِ

وله أيضاً يتنزل (١٨) :

أوْمي لتقبيل البساط خُثوعاً فوضعتُ خدي في التراب خُثوعاً

(١٥) ق : منها .

(١٦) ج : أو ما نجا فيقول : والخواقي : ما دون الريشات العشر من مقدم الجناح .

(١٧) ق : قيده .

(١٨) ق : بتنزل .

التخريج

٢ - (أوْمي .. خُثوعاً)

شعر الرمادي ٨١

الآيات وردت برواية المطبع

ما كان مَذْهَبُهُ الْخَنُوعُ^(١٩) لِمَبْدُومٍ :
 قولوا لمن أَخْبَذَ الْفُؤَادَ مَسَلًا
 الْعَبْدُ قَدْ يَنْصِي وَأَحْلِفْ أَنِّي
 مَوْلَايَ يَحْيَى فِي حَيَاةٍ كَأَنَّمِ
 لَا تَنْكُرُوا غَيْثَ الدَّمُوعِ فَكُلْ مَا

وله أيضا^(٢٠) في مثله :

وَرَأَيْتُ فَوْقَ النَّحْرِ^(٢١) دُرْعًا فَقِيمًا مِنْ زَعْفَرَانٍ
 فَرَجَرَتْهُ لُونًا^(٢٢) سِقَامِي بِالنَّوَى وَالزَّجَرِ شَانِي
 يَا مَنْ نَلَأَ عَثَى كَمَا تَنْشَأُ الْعَيُونُ^(٢٣) الْفَرْقِدَانِ
 فَأَرَى^(٢٤) بَعَيْنِي الْقَرْقَدَيْنِ وَلَا أَرَاهُ وَلَا يَنْسَرَانِي
 لَا قَدَّرْتَ لَكَ أَوْبَةً^(٢٥) حَتَّى يَأُوبَ الْقَارِظَانِ
 هَلْ تَنْتَمُّ إِلَّا الْمَوْتَ فَرْدًا لَا تَكُونُ مَنِئِشَانِ

وله أيضا رحمه الله^(٢٦) :

اشْرَبِ الْكَأْسَ يَا نَصِيرُ وَهَاتِ
 أَنْ هَذَا النَّهَارَ مِنْ حَسَنَاتِي^(٢٧)

(١٩) ق : الخضوع .

(٢٠) أيضا : لم ترد في (ن) .

(٢١) ج ، ق : البحر .

(٢٢) ج ، ق : لوني .

(٢٣) ج : ينشأ لميني .

(٢٤) ق : فاراني .

(٢٥) ق : يؤب .

(٢٦) رحمه الله : لم ترد في ن .

(٢٧) ق : حسنات .

التخريج

١ - (رواية .. زعفران]

شعر الرمادي ١٢٩ - ١٢٠
 الابيات وردت برواية الطبع

٥ - [اشرب .. حسناتي]

شعر الرمادي ٥٦ - ٥٧
 البيت الخامس [موات]

بأبي غيرة ترى الشخص فيها في صفاء أصفى من المראה (٢٨).
تسرع (٢٩) الناس نحوها بازدهام (٣٠)

• • • •

انما نحن في مجالس لهم نشرب الراح ثم ات مواتي (٣١)

• • • •

لو مضى الدهر دون راح وقصف لمددنا هذا من السَّيِّئات

وشاعت عنه أشعار في دولة الخلافة (٣٢) وأهلها ، سدد اليهم سائبات نبلها ، وسقاهم
كؤوس نهلها (٣٣) ، أوغرت عليه الشُّدُور ، وفغرت (٣٤) عليه المنايا ولكن لم يساعدها المقدور ،
فسجنه الخليفة دهرا ، واسلكه (٣٥) من النكبة وعرا ، فاستعطفه أثناء ذلك واستلطفه ، واجناه
كل زهر من الاحسان واقتطفه ، فما أصفى اليه ، ولا ألقى (٣٦) موجدته عليه ، وله في السجن
اشعار صرّح فيها بيته ، وأفصح فيها عن جلّ الخطب ، لفقد صبره ونكته ، فمن ذلك قوله :

لك الأمن من شجور (٣٧) يزيد تشوقي ومنها

فوافوا بنا الزهراء في حال خائع الائمة لاستيفائهم في التوثق (٣٨)

(٢٨) ق : المرات .

(٢٩) ن : تنزع ، ق : تنزع .

(٣٠) ق : بانزحام وعليها آثار تصحيح الى ازدهام

(٣١) ج : موات .

(٣٢) ج : الخليفة ، ق : الخلافة .

(٣٣) ج ، ق : سهلها .

(٣٤) ن : ونفرت .

(٣٥) ن : واسكنه .

(٣٦) ج : القى عنه ، ق : القى .

(٣٧) ج ، ق : سجوي .

(٣٨) ج : فوافى بنو الزهراء في حال خلة

تلائم لاستيفائهم في التوثق

ق : فوافوا بنو الزهراء في حال خال

لايمة لاستيفائهم في التوثق

التخريج

٦ - [لك الأمن .. تشوقي]

شعر الرمادي ٩٢ - ٩٢

البيت الثاني : [حال خلة تلائم]

البيت الخامس : [لتغالط .. كبخفي]

البيت السابع : [نبقت دموي]

البيت الثاني عشر : [ولم بأن]

البيت الثالث عشر : [لقد جلت]

وحولي من أهل التأديب مائم^(٣٩)
 فلو أن في عيني الحمام كروها
 ونادي حامي مهنجتي فتغافلت^(٤٠)
 أعيني أن كانت لدمعك^(٤١) فضلة
 فلو ساعدت قالت أمن قلعة^(٤٢) الأسى
 ومنها :

تكلتني أن أعتب الدهر أدهما
 وقالت تظن الدهر يجنع بيننا
 ولكنني فيما زجرت بمقتلي
 فقد كانت الأشعار^(٤٣) في مثل بُعدنا
 أباكبة يوما ولم يات^(٤٤) وقته
 ومذ لم تريني أنت في ثوب ضائع
 وقال أيضا في السجن :

نائلها هلا كفاك ثحولك
 تكلفه هسان شجوة وصبوة^(٤٥)

- (٣٩) ق : مائم .
 (٤٠) ن : لتقلقت .
 (٤١) ج ، ق : لمحتني .
 (٤٢) ن : لدمعي .
 (٤٣) ج : فتدفق .
 (٤٤) ن : عدة .
 (٤٥) ج : تبقت .
 (٤٦) البيت لم يرد في (ن) .
 (٤٧) ج ، ق : الأشعار .
 (٤٨) ق : يان .
 (٤٩) لم ترد المقطوعة في (ن) .

التخريج

- ٧ - (نائلها .. وهوله)
 شعر الرمادي ١.٢ - ١.٤ .
 (بيت الثالث : [هلن يستين]

ولا جؤذر إلا بثوب مشفق
 وإن كان في ثوانه غير مشفق
 فهلا جابت وهو عندي لمحت^(٤٦)
 تبقت صبري ساعة فتدقني^(٤٧)
 تنقت^(٤٨) دموعي أم من البحر تبقي

لجأهله من لي باعتاب محقر^(٤٩)
 فقلت لها : من لي بظن محقق
 زجرت اجتاع الشمل بعد التفرق
 فلما التقت بالطيف قالت سنكتني
 سينفد قبل اليوم دمعك فاروقي
 لعصري لقد حقت بعي مسزق

ونصبت أو دمنعه وهولك^(٥٠)
 قبلت واشيه المنى وعذولك

فان تستين في وجهه هم سجنه
معنى بكتمان الحبيب وحُبُّه

ومنها :

وأقبلن من نحو الحبيب^(٥٠) كأننا
دعوني اشم بالباب برق أحبتي
يعم فلا يالو^(٥١) حصارا^(٥٢) لعله
فلو كان في هذا الحصار^(٥٣) سنيه
لقد راغني سجنني فشط ولو دنا
يمز على الورد النضير^(٥٤) حلوته

وله أيضا :

على كبري تهني السحاب وتذرف
كأن السحاب الواكفات غواسلي
ألا ظعننت ليلى وبان قطينها
وآنت في وجه الصبح لبينها
واقرب عهد رشفة بكت الحشا
وكانت على خوف فولت كأنها

فقد غاب في الاحشاء عنك دخيل
فان يقتل الكتمان فهو قتلته

تحاشد نحوي جفته وتصلوه
قواما فلم يسمح بذلك وكيله
سيودي فيودي بشة واليله^(٥٤)
لائاه طول السبع في اليوم طوكة
من السجن لم يستهل علي دخوكة
ولم يك عند المستهام تزولته

وعن جزعي تبكي الغمام وتهتف
وتلك على فقدي نوائح هتف
ولكنني بساق فلوموا وغنقوا
تحولا كأن الصبح مثلي مدنف
فساد شتاء باردا وهو صيف
من الردف في قيد الخلاخل ترسدف

- (٥٠) ق : الجنيب .
- (٥١) ق : يالوا .
- (٥٢) ج : حصادا .
- (٥٣) اليله : انينه .
- (٥٤) ج : الحصاد .
- (٥٥) ق : التصير .

التخريج

٨ - [على كبري .. وتهتف]

شعر الرمادي ٨٨ - ٨٩

البيت الاول [على كبدي .. ومن جزعي]

وهناك بيتان اخيران لم يردا في المطمح هما

واهدت سلا من بئان كانها

بمعصم كالور بياضا ، نكنه

التماها ووحيا بارق متخطف

بغالية من صيفه ونظرف

وله أيضا (٥٦) :

مقلتي ضَرْجَتِكَ (٥٧) بالتَّوَرِيدِ فدَعِيَ لِي قَلْبِي وَمِنْهَا اسْتَفِيدِي (٥٧)
هذه الْعَيْنُ ذَنْبُهَا مَا ذَكَرْنَا أَيَّ ذَنْبٍ لِقَلْبِي الْمَسْجُودِ
لو تَرَدَّتْ بِحُجَّةِ الْعَيْنِ مَاذَا لَمْ تُعَاقَبْ بِالْذَّمِّ وَالْتَّسْهِيدِ
بلغ الْيَاسِينَ فِي الْقَدْرِ إِنْ قَدَّ لَفَّ مِنْ خَدَّهَا بَوْرَدُ نَضِيدِ
كل شَيْءٍ أَتُوبُ عَنْهُ وَلَا تَوْ بَةَ لِي مِنْ هَوَى الْحِسَانِ الْعِيدِ
مَنْ لَمَّانٍ مِنْهُمْ غَيْرَ طَلِيقٍ وَسَقِيمٍ مِنْهُمْ غَيْرَ مَعُودِ
شَهِدَتْ أَدْمُعِي بَوَجْدِي وَزَوْرَنَ لِسَانِي (٥٧ ب) إِذْ خَانَ مَجْلُودِي (٥٨)
أَيُّهَا اللَّائِسِي عَلَى الْحُبِّ مَهْلًا هَلْ تَلَامُ الْحَمَامُ فِي التَّغْرِيدِ

ونه أيضا :

فَقَدْتُ دُمُوعِي يَوْسُفًا (٥٩) فِي حُسْنِهِ فَعَدَوْتُ يَمْعُقُوبًا بِشِدَّةِ رَجْدِهِ
وَعَسَيْتُ مَسًّا قَدْ لَقِيتُ مِنَ الْبُكَى حَتَّى مَسَّخْتُ عَلَى الْجُثُثِ بَرْدَهُ

• • •

وَسُجِنَ مَعَهُ غُلَامٌ مِنْ أَوْلَادِ الْعَبِيدِ فِيهِ مَجَالٌ ، وَمِنْ نَفْسٍ مَتَأَمِّلَةٍ مِنْ لَوْعَتِهِ أَوْجَالٌ ،
فَكُتِبَ يَخَاطِبُ الْمَوْكَلِ بِيَابِ السِّجْنِ (٦٠) بِقِطْعَةٍ مِنْهَا :

(٥٦) لم ترد المقطوعة في (ن) .

(٥٧) ق : ضَرْجِكَ .

(٥٧) ج ، ق : اسْتَفِيدِي وَالتَّصْوِيبُ عَنْ شِعْرِ الرَّمَادِي .

(٥٧ ب) ق : لِسَانِي وَالتَّصْوِيبُ عَنْ شِعْرِ الرَّمَادِي .

(٥٨) ج : مَجْلُودِي .

(٥٩) ق : وَاحِدًا .

(٦٠) ن : بِالسِّجْنِ .

التخريج

٩ - (مقلتي .. استفيدي)

شعر الرمادي ٦٦ - ٦٧

القعيدة وردت برواية الطبع

١ - (فقدت .. وجدته)

شعر الرمادي ٦٦

البيتان جاءا برواية الطبع

حيثك^(٦١) متن أثلف الحب قلبه
 هلال^(٦٢) وفي غير السماء طلوعه
 تأملت عينه فخامرني الشكر
 ناطقه كما يقول وانما
 أنا عبده وهو المليك كما اسمه
 ويلذع قلبي حرقه دونها الجمر^(٦٣)
 وريم^(٦٤) ولكن ليس مكنته القفر
 ولا شك في أن العيون هي الخسر
 ناطقته عندا ليشر الدر^(٦٥)
 فلي منه شطر^(٦٦) كامل^(٦٧) وله شطر^(٦٨)

الأديب أبو القاسم محمد بن هاني^(*)

علق^(٦٩) خطير ، ورؤوس^(٧٠) أدب مطير ، غاص في طلب الغريب حتى أخرج دونه المكنون ،
 وبهرج بافتتانه فيه كل الفنون ، وله نظم تنسى الثريا أن تتوَّج به وتقلد^(٧١) ؛ ويود^(٧٢)
 لبد^(٧٣) أن يكتب ما اخترع فيه^(٧٤) وولد ، زهت به الاندلس وتاهت^(٧٥) ، وحاسنت يبدائع^(٧٦)
 الأشمس وباهت^(٧٧) ، فحبس^(٧٨) المغرب فيه المشرق ، وغص^(٧٩) به من العراق وشرق ، غير
 نبت^(٨٠) به اكفافها وشمخت^(٨١) عليه آفاقها ، وبرئت منه ، وزويت الخيرات فيها عنه^(٨٢) .
 لأنه سلك مسلك المعري ، وتجرد من التديش وعثري ، وأبدى الغلو ، وتمدى
 الحق المجلو ، فبجته الأنفس ، وازعجته الأندلس ، فخرج على غير اختيار ، وما عرج

(٦١) ن : جليسنك .

(٦٢) ج ، ق : الشطر .

(٦٣) ن : ذكر ، والعلق : النفيس من كل شيء يتعلق به القلب جمع : اعلاق وعلوق .

(٦٤) ن : وتقلد .

(٦٥) ج ، ق : يكتب فيه ما اخترع وولد .

(٦٦) ج ، ق : وزاهت .

(٦٧) ج ، ق : وسحت .

(٦٨) ج : وزوى الخير فيها عنه ، ق : وزوت الخير عنه .

(*) أبو القاسم محمد بن هاني ، الأزدي ، شاعر أندلسي ولد سنة ٢٢٦ هـ وخرج عن الأندلس فشهّر شعره بالفرجة ،
 صاحب جعفر ابن حمدون والي المسيلة ومدحه ثم صاحب المعز أبا تميم معد بن اسماعيل صاحب المغرب قبل
 وصوله مصر ومدحه ، وهو شاعر مكثر ، محسن ، مجيد ، ولقمة اللطاف الملب على شعره ، له ديوان بتحقيق
 زاهد علي ، توفي في بركة سنة ٢٦٢ هـ (انظر ترجمته في : الجدوة ٩٦ ، البقية ١٢٠ - ١٢١ ، الطرب ١٩٢ - ١٩٥ ،
 التكملة ٢٦٨/١ ، الطرب ٩٧/٢ - ٩٩ الرايات ٨٦ - ٨٩ ، الوفيات ٤٢١/٤ - ٤٢٤ ، الشذرات ١/٢ - ٤٤٠) .

التخریج

١١ - [حيثك .. الجمر]

شعر الرمادي ٧١

البيت الثاني [وريم]

البيت الرابع [القول]

البيت الخامس [وله الشطر]

على هذه الديار ، الى أن وصل الزاب واتصل بجعفر ابن (٦٩) الأندلسية* ، مأوى تلك
الجنسية ، فناهيك من سعد ورد عليه فكرع ، ومن باب ولج فيه وما قرع (٧٠) ، فاسترجع عنده
شبابه ، واتجع (٧١) وبنه وربابه ، وتلقاه بتأهيل ورحب ، وسقاه صوب تلك الشحوب ،
فأقرط في مدهحه فيه في الغلو (٧٢) وزاد ، وفرغ عنده تلك المزاد ، ولم يتورع ، ولا ثناه
ذو ورع ، وله (٧٣) بدائع يتحير فيها ويحار ، ويخال لرقتها انها أسحار ، فانه اعتسد
التهذيب والتحرير ، واتبع في اغراضه الفرزدق مع جرير ، وأما تشبيهاته فخرق فيها المعتاد ،
وما شاء منها اقتاد ، وقد أثبت له ما تحين له الاسماع ، ولا تمكن (٧٤) منه الاطماع ،
فمن ذلك قوله :

اليلتنا اذ ارسلت واردا وحفا وبتنا نرى الجوزاء في اذنها شتفا
وبات لنا ساق يقوم على الدجى بشعة صبح لا تقط ولا تطفى
اغن (٧٥) غضيف خفف اللين (٧٦) قده وثقلت الصباه أجفانه الوطففا
ولم يبق ارعاش المدام له يدا ولم يبق اعنات التئني له عطفا

(٦٩) ج ، ق : بن .

(٧٠) ق : فرع .

(٧١) ج ، ق : وابجع .

(٧٢) [فيه] لم ترد في ج ، ق [في الغلو] لم ترد في ج

(٧٣) ج ، ق : فله .

(٧٤) ق : وتمكن .

(٧٥) ج ، ق : اغض .

(٧٦) ج ، ق : البين .

(*) جعفر بن علي بن حمدون الجذامي ابن الاندلسي ، له ولابيه ولاخيه يحيى بن علي رئاسة ونباة في ايام المبيدة ،
وعلي بن حمدون هو الذي بنى المسيلة من بلاد الزاب الاكبر وسكنها ابنه جعفر لعظم شأنه ولابن هاني ، لي جعفر
واخيه يحيى مدائح شهيرة [الحلة ٢٠٥/١] واطلق عليه ابن الاندلسية مجازاة للسجع .

التخريج

١ - [اليلتنا .. شتفا]

ديوان ابن هاني تحقيق د . زاهد علي ٢٨ - ٥٢

البيت الثاني [بشعة نجم]

البيت الخامس [قضاء السكر]

البيت السابع [لنا الظلماء]

البيت الثامن [كبد تدني شفة توحى]

البيت التاسع [اللذين تظاهرا]

البيت الخامس عشر [دوم طائر]

البيت السابع عشر [كان عمود الفجر خالان عسكر]

والقصيدة في الديوان تقع في واحد وسبعين بيتا

نزيف^(٧٧) نضاه^(٧٧) الشكر^(٧٧) الا ارتجاجه^(٧٧)
يقولون حقف^(٧٩) فوقه^(٧٩) خيزرانة^(٧٩)
جعلنا حشايانا^(٨١) ثياب مدامنا^(٨١)
فسن كبد^(٨١) توحى الى كبد هوى^(٨١)
ومنها :

كان^(٨٢) السماكين^(٨٢) الذين^(٨٢) تراهما^(٨٢)
فذا رامج^(٨٤) يهوي^(٨٤) يهوي اليه سناقه^(٨٤)
كان^(٨٤) سهيلا في مطالع^(٨٤) افقيه^(٨٤)
كان^(٨٤) بني نعش ونعشا مطافيل^(٨٤)
كان^(٨٦) سهاها^(٨٦) عاشق^(٨٦) بين عود^(٨٦)
كان^(٨٦) قدامى السمر والتسر^(٨٦) واقع^(٨٦)
كان^(٩٠) اخاه^(٩٠) حين حو^(٩٠) طائر^(٩٠)
كان^(٩٠) ظلام الليل^(٩٠) اذ مال ميلا^(٩٠)
كان^(٩٠) عود الصبح خاقان^(٩٠) معشر^(٩٠)
كان^(٩٠) لواء الشمس غيرة^(٩٠) جعفر^(٩٠)

- (٧٧) ج ، ق : بريق قصاه .
(٧٨) ق : اذ .
(٧٩) ق : خفف . والحقف ما استطال واعوج من الرمل .
(٨٠) ق : الخيزدانة .
(٨١) ج : حشايانا ، ق : حشايانا .
(٨٢) السماكان : كوكبان يقال لاحدهما السماك الراجح ، والآخر السماك الاعزل .
(٨٣) ق : الدين .
(٨٤) ج ، ق : ياوي .
(٨٥) المطفل : ذات الطفل من الانس والوحش ، وجرة : موضع بين مكة والبصرة ، بنات نعش هي سبعة كواكب اربعة منها نعش لانها مربعة يقول : كان بنات نعش مع نعشهن ظباء ذوات اطفال قد دفن ولدهن في مفازة او قد اضعته فحملن نعشه لدننه [هامش الديوان] .
(٨٦) ج ، ق : سناها ، والسها : كوكب خفي يمتحن الناس به ابصارهم .
(٨٧) ق : وآوانة .
(٨٨) ق : سمو .
(٨٩) ن : له .
(٩٠) ج ، ق : طائرا .
(٩١) القرن : الكفو في الشجاعة .
(٩٢) ج ، ق : لطفا .

وله أيضاً :

فَتَقَتْ لَكُمْ رِيحَ الْجِلَادِ بَعْتَبِرِ
وَجَنَيْتُمْ ثَمَرَ الْوَقَائِعِ يَانَعَا
أَبْنِي الْعَوَالِي السَّمْهَرِيَّةِ وَالشَّيْثِ
مَنْ مِنْكُمْ الْمَلِكُ الْمُطَاعُ كَأَنَّهُ (٩٥)
جِيْشَ تَعَدَّ لَهُ اللَّيْثُ وَفَوْقَهَا (٩٦)
وَكَأَنَّمَا سَلَبَ الْقَشَاعِمُ (٩٧) رِيْشَهَا
لَحَقَ الْقَبُولَ مَعَ الدَّبْنُورِ وَسَارَ فِي
فِي فَتِيَّةٍ صَدَا الْحَدِيدِ لِبَاسُهُمْ
وَكَفَّاهُ مِنْ حُبِّ السَّنَاحَةِ أَنَّهُ
وَمِنْهَا (١٠٢) :

نَعْمَاؤُهُ مِنْ رَحْمَةٍ وَلِبَاسُهُ
مِنْ جَنَّةٍ وَعَطَاؤُهُ مِنْ كَوْنِهِ

- (٩٣) ن ، ق : علق .
(٩٤) ج : المشرقية والعزير الأكبر ق : المشرقية والعزير الأكبر .
(٩٥) ج ، ق : فإنه .
(٩٦) تَبَعَ : لقب اعظم ملوك اليمن .
(٩٧) ج : وقوفها .
(٩٨) ق : كالغيل ، والغيل : الوادي فيه ماء ، وموضع الاسد والشجر الكثير الملتف الذي يستتر فيه .
(٩٩) القشاعم : الرخم والمسن من النسور .
(١٠٠) المجاج : الدخان أو الغبار الذي ينحو لونه نحو السواد .
(١٠١) عبقر : موضع تزعم العرب انه موطن للجن ، ثم نسبوا اليه كل شيء تعجبوا من خلقه او جودة صنعه .
(١٠٢) ق : منها ومكتوبة قبل بيت الشعر في سطر واحد معه .

التخریج

٢ - [فتقت .. السفر]

الديوان ٢٢١ - ٢٢٩ : القصيدة تقع في ثمانية وثلاثين بيتاً

البيت الثاني [الحديد الأخضر]

البيت الخامس [تقدمه .. الاسمر]

البيت السابع [نهر القبول من الدبود]

البيت الثامن توزع شطره الاول في بيت وشرطه الثاني في بيت آخر هما :

[في فتية صدا الدروع عبرهم] وخلوقهم علق النجيع الاحمر

انسوا بهجران الاتيس كانهم] في عبقرى البسد جنة عبقرى

البيت التاسع [انها .. منه]

البيت العاشر

[فغماه من رحمة وعراصة] من جنة وبمينه من كونه

وله أيضا من قصيدة في جعفر بن علي بالطوى^(١٠٣) :

ألا أيثها الوادي المقدس بالطوى^(١٠٤) وأهل الندى قلبي اليك مشوق
ويا أيثها^(١٠٥) القصر المنيق قبائه على الزاب لا يسندد^(١٠٦) اليك طريق^(١٠٧)
ويا ملك الزاب الرفيع عماده بقيت لجمع المجدر وهو فريق
فما أنس لا أنس الأمير اذا غدا يروع بحررى ملكه ويروق^(١٠٧)
ولا الجود يجري من صفيحة وجهه اذا كان من ذاك الجين شروق
وهزيمته للمجد حتى كاتما جرت في سجاياه العذاب رقيق
أما وأبي تلك السمائل إنهما دليل " على أن النجار عتيق
فكيف بصبر النفس عنه ، ودونه من الأرض مغبر الفجاج عميق
فكن كيف شاء الناس أو شئت دائما فليس^(١٠٨) لهذا الملك غيرك فوق
ولا تشكر الدنيا على ثيل رتبة فما نلتها الا وأنت حقيق

(١٠٣) بالطوى : لم ترد في ن ، ق ، والطوى : اسم موضع بالشام .

(١٠٤) ن : بالندى ، ق : بالنوى .

(١٠٥) ق : ويايها .

(١٠٦) ج : طروق .

(١٠٧) ن : بحورا فلكه وتروق .

(١٠٨) ق : وليس .

التخريج

٢ - [الا .. مشوق]

(ملحقات) ديوان ابن هاني ، تحقيق د . زاهد علي ٨١٦

قال عنها المحقق في الهامش [هذه الابيات العشرة من « مطمح الانفس » للفتح ابن خالان (ص ٧٢ و ٧٥ مطبوعة فلسطينية) وقد نسبها الى ابن هاني الاندلسي] وقد ذكرها محمد اليصلاوي في حواشي الجامعة التونسية ضمن [قصائد لابن هاني ، لم تنشر] المجلد السادس سنة ١٩٦٩ ص ٨٢ - ٩٠ على ان طبعة ديوان ابن هاني بتحقيق زاهد علي اقتضت عشرة ابيات فقط منقولة من المطمح ، حيث عثر اليصلاوي على الابيات اللاحقة في مخطوطة من الديوان محفوظة بالكتبة الوطنية بتونس تحت رقم (13746) والقصيدة بعد ذلك وقعت في اربعة وثمانين بيتا ضمن مستترك محمد اليصلاوي وعشرة ابيات منقولة من المطمح ضمن ملحقات الديوان .

ملحق الديوان :

البيت الثالث [وهي فريق]

البيت الرابع [اذا بدا]

قصائد لابن هاني ، لم تنشر :

البيت الاول [بالندى]

البيت الثاني [لا يسند عليك]

البيت الرابع [يروع بهراى]

البيت الخامس [في صفيحة وجهه اذا لاح]

البيت التاسع [شئت كانا فليس لسهم الملك]

وله من قصيدة (١٠٩) :

خليلي أين الزاب متي وجعفر
فقبلي نأى عن (١١١) جنة الخلد آدم
لقد سرنني أني أمر يسال
وقد ساءني أني أراه يندد
وقد كان لي منه شفيع مشفع
أتى الناس أفواجا اليك كأنما
فأنت لمن قد مزق الله شمله
وجنات عدن بنت عنها وكوثر
فما راقه من جانب الأرض منظر
فيخبرني عنه بذلك مخبر
بها منك منه عظيم ومشعر
به يمحص الله الذنوب ويفسر
من الزاب بيت أو من الزاب محشر
ومعشره والأهل أهل ومعشر

(١٠٩) ن : أخرى .

(١١٠) ج ، ق : ورد البيت برواية مخالفة هي :

لجنة عدن بنت عنها وكوثر

خليلي ان الزاب متي وجعفر

(١١١) ج ، ق : من .

التخريج

(- خليلي .. وكوثر)

ملحقات ديوان ابن هاني تحقيق د . زاهد علي ٨١٢-٨١٦ والقصيدة تقع في أربعة وسبعين بيتا .

البيت الاول [الزاب عنا وجعفر جنة خلد]

البيت الثاني [في ساحة الأرض]

البيت الثالث [لئن سرنني أني أمر بياحه]

البيت الرابع [لقد ساءني أني أمر ببلدة]

الآيات : الخامس والسادس والسابع لم ترد ضمن آيات القصيدة

آيات لابن هاني المغربي لم تنشر :

وردت القصيدة في حوليات الجامعة التونسية المصداتاسع لسنة ١٩٧٢ ص ٩٩ - ١٠٠ وقد جاءت في تسعة عشر

بيتا ، الآيات الأربعة الأولى من المطمع لم ترد فيها حيث بدأت من البيت الخامس في المطمع الذي لم يرد في ملحقات

الديوان ، وقد نص محقق المستدرك الأستاذ محمد اليملاوي على أن « قد فاتنا أن ننبه أن القصيدة عدد ٦٢

التي نشر منها المرحوم زاهد علي ٧ بيتا ، قد وردتها في نسخة تونس [نسمون بيتا ، وها نحن نشر هذه

الآيات الإضافية التي خلا منها ديوان « تبين المعاني ... »

البيت الخامس [به يمحق الله]

البيت السادس [أرى الناس .. من الزاب بعث أو من]

البيت السابع

ومعشره بالين ، أهل ومعشر]

[لانت لمن قد مزق الدهر شمله]

مُعْجَمُ الْأَفْعَالِ الْمُتَعَدِّيَةِ وَالْإِزْمَةِ

القسم الاول

جمع وتحقيق الدكتور

هاشم طه شلاش

كلية التربية - جامعة بغداد

مقدمة

سمى اللغويون الفعل التام الذي لا ينصب مفعولا بنفسه أو لامفعول له الفعل اللازم أو الفعل الذي لا يتعدى أو الفعل القاصر أو غير الواقع أو غير المجاوز ، وسموا الفعل التام الذي ينصب مفعولا به الفعل المتعدي : لأن أثره يتعدى الفاعل إلى المفعول به ، أو الفعل المجاوز لمجاوزته الفاعل إلى المفعول به ، أو الفعل الواقع : لوقوعه على المفعول به (١) .

وقد بحث النحويون والصرفيون موضوع التعدية واللزوم كثيرا في كتب النحو والصرف ، وقدموا - عن الموضوع - تفصيلات كثيرة تناولت تعريف الفعل المتعدي وتعريف الفعل اللازم ، وبيان أنواع التعدية ، وافاضوا في بيان الافعال التي تتعدى إلى مفعول واحد والافعال التي تتعدى إلى مفعولين والافعال التي تتعدى إلى ثلاثة مفاعيل .

ولم يقف البحث في هذا الموضوع عند المتقدمين من علماء اللغة ، بل تعدى ذلك إلى المحدثين منهم فقد درس المرحوم الدكتور مصطفى جواد (٢) موضوع التعدية واللزوم على أساس

الاصالة والعرض وحاول ان يثبت ان التعدية هي الاصل لأن الحياة بنيت عليها ، وأن اللزوم عارض حتمته طبيعة الحياة المنتقلة من دائرة البداوة إلى دائرة الحضارة التي لا تستغني عن الافعال اللازمة .

وتوسعت الدراسات في هذا الموضوع حتى أصبح الموضوع جزءا من رسالة جامعية (٣) ، تناول فيها صاحبها كل ما يتعلق بهذا الموضوع .

ولا نريد أن نبحت هنا ما بحثه القدماء والمحدثون لأن الموضوع نضج واحترق على حد تعبير النحاة ، وكل ما نريد بيانه هنا تلك الافعال التي تتعدى وتلزم في آن واحد . وقد قسمنا العمل على قسمين :

الاول : تناول بيان الافعال التي تلزم وتتعدي بانفسها بلا حذف ولا زيادة . وقد راينا ابن الانباري (٤) يشير إلى أن الافعال التي من هذا النوع تنيف على ثمانين فعلا ، ولم نجده يذكر تلك الافعال . ووجدنا الامام جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ في كتابه

(٣) قدم الدكتور خليل ابراهيم العلية بحثا في هذا الموضوع ، وهو جزء من رسالة الماجستير التي قدمها للحصول على الدرجة العلمية .

(٤) البيان في اعراب غريب القرآن ٦٠/١

(١) معجم الهوامع ٨١/٢

(٢) فلسفة اللغة والنحو والعرف والرسم ٢١ - ٢٦

المزهر^(٥) يشير الى قسم قليل منها مجرد من الشواهد ومن المعاني احيانا . وقد نقل هذه الافعال من مراجع ثلاثة هي ديوان الادب للغارابي المتوفى سنة ٢٥٠ هـ والصحاح للجوهري المتوفى في حدود ٤٠٠ هـ وادب الكاتب لابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ . وقد نقل من ديوان الادب احد عشر فعلا ومن صحاح الجوهري ستة وعشرين فعلا ومن ادب الكاتب تسعة عشر فعلا ، وهذا يعني انه ذكر ستة وخمسين فعلا من هذا النوع .

ولما كانت المواد المجموعة من الكتب المشار اليها لا تفي بالغرض المطلوب ، اقتضى المقام استقراء هذه الافعال في معجمات اللغة مدعومة بالشواهد ان وجدت . وقد تم استقراء الصحاح للجوهري ومختاره للرازي وأساس البلاغة للزمخشري ولسان العرب لابن منظور والمصباح المنير للفيومي والقاموس المحيط للفيروزآبادي وتاج المروس للزبيدي وغيرها من كتب اللغة ودواوين الشعر . وقد اتضح من الاستقراء ان عدد الافعال المستقراة اكثر بكثير مما اشار اليه ابن الانباري وذكره السيوطي وغيرهما من ائمة اللغة .

وقبل ان ياخذ هذا المعجم طريقه الى النشر بعد ان استغرق العمل فيه اكثر من سنتين نبهنا احد الفضلاء على منظومة^(٦) في الافعال المتعدية اللازمة مع شرح مختصر عليها من تأليف العلامة الشيخ عبدالله البيتوشي الكردي المتوفى سنة ١٢٠٠ هـ . والمنظومة تشتمل على عدد كبير من الافعال التي عدّها النافذ من هذا النوع . ومع ان هذه المنظومة عمل جليل في بابها ما يأتي:

١ - اعتمد المؤلف في عمله على مرجعين اساسيين هما القاموس المحيط لمجد الدين الفيروزآبادي - المتوفى سنة ٨١٧ هـ - الذي عوّل

(٥) ٢٢٦/٢ - ٢٢٨

(٦) المنظومة مخطوطة في مكتبة الاوقاف العامة ببغداد . وفيها ٦٠٢٢/٢ لغة ، وعدد صفحاتها خمس عشرة صفحة ، وفي كل صفحة ستة وعشرون سطرا ، وفي كل سطر اربع عشرة كلمة تقريبا ، وهي جزء من مجموع فيه عدة رسائل . وصفحات المجموع كلها غير مرقمة اذ اعمل الناسخ ذلك اهمالا تاما

عليه في ثلاثمائة وخمسين موضعا ، ودستور اللغة للنطنزي الذي نقل منه ثمانية وخمسين نقلا . وكان ينقل احيانا من صحاح الجوهري الذي نقل منه مرة واحدة ايضا . وهذا العمل اللغوي لا يمكن الاعتماد عليه كليا ما لم يجر استقراء واسع لمعجمات اللغة وكتب اللغة والادب ودواوين الشعر ، مع مقابلة المواد اللغوية المستقراة بعضها على بعض وتحقيقها بما يضمن الصحة والفائدة .

٢ - لا يسير المؤلف في نقله من مرجعيه الاساسيين على نسق واحد ، ففي الوقت الذي ينقل فيه المادة كاملة من القاموس المحيط من غير اكتفاء بالمطلوب ، نراه يكتفي بالاشارة فقط الى الفعل المنقول من دستور اللغة للنطنزي ، ولا يذكر معنى او تركيبا . ففي مادة (حَرَضَ) ينقل من القاموس المحيط قول الفيروزآبادي : « حَرَضْتُ نفسي بمهملتين فمعجمة . في القاموس : الحَرَضُ محرّكة : الفساد في البدن وفي المذهب وفي الفعل ، والرجل الفاسد المريض ، والمضنى مرضا وسقما ، ومنه حتى تكون حَرَضًا . وقد حَرَضَ يحَرَضُ حروضا ، وحَرَضَ نفسه يحَرِضُها افسدها » ، وكان باستطاعته الاكتفاء بالمعنى وبقوله : « حَرَضَ : فسد ، وحَرَضَ نفسه : افسدها » من غير استطراد في ذكر الفعل واوزانه ومصادره . ونرى مثل ذلك في مادة (هصر) ، فهو ينقل كلام صاحب القاموس : « الهصر ، عطف شيء رطب كفصن ونحوه . هصره وبه يهصره فانهمصر واحتصره فاهتصره » وكان يستطيع الاكتفاء بقول صاحب القاموس : « واهتصره فاهتصر » لانه هو المطلوب .

وانظر اختصاره الغريب في نقله من دستور اللغة للنطنزي فهو يقول : « قَصَلَ هو في الدستور » و « تَقَسَّمَ : هو في الدستور » و « تَوَجَّهَ : هو في الدستور » و « اكسد : هو في الدستور » و « استقام : هو في الدستور » ، وهذا هو أسلوبه في غالب ما ينقله من دستور اللغة ولا ندرى لم اكتفى بذلك فقصر في الحديث عن كثير من الافعال .

٣ - لم يستطع المؤلف ان يرتب الافعال ترتيبا هجائيا لانه قيد نفسه بالنظم فأخل بعمله

اخلا لا كبيرا ، وصعب على القارئ معرفة موضع الفعل المقصود ما لم يراجع المنظومة كلها .

٤ - لم يورد الأفعال بصيغة فعلية واحدة . فهو يورد الفعل مضارعا مرة وماضيا مرة أخرى وأمرًا مرة ثالثة كما ورد في المنظومة ، فهو مقيد بالشعر ولا يستطيع الخروج عليه ، فهو يقول في المقدمة : « وبعد فهذه منظومة في أفعال استوى فيها التعدي وال لزوم ، ذكرتها تارة بلفظ المتعدي وأونة بصيغة اللازم وأينة بهيئة الأمر رعاية لسلامة انظم والا فكلها من واد واحد » .

٥ - الأفعال التي يذكرها في المنظومة والشرح لا يمكن أن تعد كلها مما يتعدي ويلزم من الأفعال لأن الممول عليه هنا الأفعال التي تتعدي وتلزم في آن واحد بوزن واحد وبمعنى واحد أيضا . أما إذا اختلف المعنيان فلا يمكن أن يعد ذلك من هذا الباب . وقد ذكر المؤلف شيئا من ذلك ، فانظره يقول مثلا : « اوسد الكلب اغواه بالصيد كآسده واوسد في السير : اغده أي : أسرع » ولا يخفى ما بين المعنيين من بعد . ومثل ذلك أيضا قوله في مادة (مخر) : « مخر الأرض أرسل فيها الماء لتجود ، فمخرت هي : جادت » . ومثل ذلك ما نقله من القاموس : « وجنبه : أبعد ، وجنب فلان : نزل غريبا » . ومما اختلف فيهما الوزن ما نقله من دستور اللغة للنطنزي فقال : « ثم كفرح : انكسر سنه ، وثرمه كضربه » وقد صرح هو نفسه بأن ما نقله هنا ليس من هذا الباب ولا ندري لم ذكر ذلك .

٦ - ان قسما من الأفعال التي يرى أنها تتعدي وتلزم لا أساس لاستخدامها كذلك في المصادر التي بين أيدينا فهو يشير الى لزوم الفعل مثلا ولم نجد الفعل يستعمل كذلك في معجمات اللغة . فقد نقل من دستور اللغة للنطنزي : « وكذا الهب النار » ، وهو يعني أن الفعل (الهب) يتعدي ولا يتعدي ، ولم نجده لازما في الصحاح واللسان والمصباح المنير والتاج (٧) ، والمستعمل فيها

(٧) مادة (لهب)

المتعدي «الهب النار أو قدها» . ونقل عن دستور اللغة : « ثعبته ، أي الماء والدم : فجترته » وهو يعني أن الفعل (ثعب) يستعمل لازما أيضا ولم نجده يستعمل لازما في المصادر التي راجعناها .

٧ - والظاهر أن تصحيفا حدث في قسم من الأفعال التي ذكرها فوق الخطأ في الحكم على استعمالها . فقد نقل من القاموس : « درب به كفرح : ضري كتدرّب ودّرّب ، ودّرّب به وعليه وفيه تدريبا ضراه » ، والظاهر أنه أخطأ في النقل ففي القاموس المطبوع (٨) : « درب كفرح : ضري كتدرّب ودردب ، ودّرّب به .. » فلا لزوم في الفعل . يؤكد ذلك ما هو موجود في اللسان والتاج (٩) ، إذ ورد فيهما : (دردب) لا (درّب) .

ونقل من القاموس : « اجنح مال وأماله » ولم نجد في القاموس المطبوع (١٠) قوله « اجنح : مال » ، وإنما الموجود (جنح) . ونقل من القاموس أيضا : « اقبلت أقبالا ، واقبلتها ، فهو اقبل بين القبيل كأنه ينظر إلى طرف أنفه » . فقوله : (اقبلت أقبالا) تصحيف ظاهر ففي القاموس المطبوع : (واقبلت أقبالا) . وزاد الزبيدي في التاج (١١) : « كاحمرت احمرارا » . فلا شاهد على التعدي وال لزوم في قوله هذا .

٨ - وقد ينقل المؤلف من القاموس المحيط من غير تحقيق للمنقول فقد نقل منه : « دبسه : وراه فدبّس لازم متعد » . جاء في التاج (١٢) : « هكذا في سائر النسخ ولا يخفى أنه لا يكون لازما ومتعديا إلا إذا كان دبسه بالتخفيف وهو قد ضبطه بالتشديد » .

٩ - وقد يكون المؤلف وأهما في وجود المادة التي يتحدث عنها في المصدر الذي يشير إليه . فقد جاء في شرح منظومته نقلا عن القاموس المحيط : « قلّص قميصه : شمّره قلّص هو تقليصا لازم

(٨) مادة (درب) .

(٩) مادة (درب) .

(١٠) (جنح)

(١١) مادة (قبل)

(١٢) مادة (دبس) .

مشمدة « ولم نجد ذلك في القاموس المحيط (١٣) المطبوع . ومثل ذلك قوله في الفعل « اغتص » : « الفضة بالضم الشجا وقد اغتصصته فاغتصص » وأشار الى انه نقل ذلك من القاموس المحيط ولم نجد ذلك في القاموس (١٤) المطبوع .

١٠ - ان هذه المنظومة على ما فيها من استقصاء كبير للافعال التي تتعدى وتلزم فات ناظمها عدد كبير من الافعال التي من هذا النوع وقد استدرکنا عليه منها مائة وواحد وأربعين فعلا هي : ائى وازق والت واوى وبجس وبدر وبر وباء وثرا وانكل وائسر وئمغ واستجد وجلجل وجلا (بمعنى وضع وانكشف) وجهر واجهى وجاء واحتث واحدر وحرف واحفد واحلولى واستحمق وحم واحم واختبا وتخدم وخضع واخصب وخضع واخضع واخفى وخنس وخاس وداث ودحفى وادر وادرک وادرک وتدارک ودفق (بمعنى اسرع) ودمر وادنف (بمعنى دنا) ودنى ودان (بمعنى قهر) واستدان وارجف وارند وترد وربع (بمعنى امتلا) وارفع وارض وزها (بمعنى اضاء) وازدهى وازداد وازق وازكى واسبل واسحق واسقب واسلك وسم وساء وشج وشحن وشخب وشخص وشخم وشرع (بمعانيه المختلفة) واشرف وصبر وصدق وصرم وصف وطحا وطام واعتم واعتزل وتمزل وعطف واعتفر وعفا (بمعنى كثر) وعفى واعتقى وغرب واغرب وفصل وفلت وافاد وافاض وافرع وقرنص وقرقف ونصف واقطر وقط واولوى واقنع واكاب وكد واکرى وكلى واكتلى واكتن والتط والتقى ومتنخ وامد ومرن ومنسى وامن ومل ومار وندى وانزف ونسخ وتنصف ونضح ونسخ ونطف وانتظم وانمظ وانفض ونفض ونفش وانفق واناخ ونور وهب وهجم (بمعنى هدم) وهد واهدر ودثا ووجه روخى ووسع واستوقد واوهم يقن .

ومع كل ذلك كانت هذه المنظومة وشرحها المختصر مصدرا كبيرا يضاف الى المصادر التي

اعتمدنا عليها بعد معارضة موادها على مواد المعجمات وكتب اللغة .

وقد تميز عملنا بما ياتي :

١ - الاختصار والاكتفاء بذكر الفعل ومعناه واستعماله في حالتي اللزوم والتعدي في جمل سيرة استقيناها من مراجعنا .

٢ - الاعتماد على الشاهد في حدود الامكان لتأكيد استعمال الفعل بالصورة المذكورة وقد اعتمدنا كثيرا على القرآن الكريم ودواوين الشعر العربي المتوافرة لدينا ، وقد استشهدنا احيانا لاحد الاستعماليين على أساس ان الاستعمال الآخر معروف مشهور .

٣ - ايراد الافعال والاراء المفيدة لائمة اللغة في تأكيد تعدي الفعل او لزومه بالصورة التي يتوضح فيها المطلوب .

اما القسم الثاني من هذا المعجم فقد تناول الافعال التي تتعدى بانفسها وبحروف الجر أصالة على أساس ان التعدي لغة واللزوم لغة أخرى . وتناول ايضا الافعال التي تتعدى بحروف الجر أصلا وتتعدى بانفسها عرضا ، وهذا ما يسميه النحاة : النصب على نزع الخافض (١٥) . والملاحظ ان افعال القسم الثاني لا تقل كثيرا عن افعال القسم الاول .

وقد رتبنا الافعال في القسمين ترتيبا هجائيا مراعين في ذلك تسهيل عملية استخراجها ومعرفة ما اشارنا في الهوامش الى المراجع التي استقيننا منها تلك الانعال . فان كان هناك نص على تعدي الفعل ولزومه اشارنا الى موضع النص ابتداء ، وان كان هناك تصريح بتعدي الفعل ولزومه في الاستعمال . من غير نص عليه قلنا : (انظر ذلك في - -) واشرنا الى مصدر ذلك .

وقد قمنا بهذا العمل آملين ان نكون قد قدّمنا للفتنا شيئا من حبنا لها وقدّمنا لمحبيها والمهتمين بها بعض خصائصها ، راجين المولى القدير ان يكون هذا العمل نافعا ، وهو الموافق لما فيه الخير

(١٥) ادخلنا في هذا النوع الافعال التي تتعدى الى مفعول واحد وتتعدى الى مفعولين بعد حذف حرف الجر .

(١٣) انظر مادة (قلص) .

(١٤) انظر مادة (لقص) .

القسم الاول

ما يلزم ويتعدى بنفسه من الافعال

- الهمزة -

● **تَابَضَ** : تَابَضَ البعيرُ : تَقَبَّضَ وشَدَّ رجليه ، وتَابَضَ غيره : شَدَّه بِالْإِبَاضِ^(١) .

● **أَتَى** : أَتَى الأمرُ ، وَأَتَيْتُهُ^(٢) .

فمن اللازم قوله تعالى : وَلَا يَفْلَحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى^(٣) .
ومن المتعدى قول الراجز :

وحاجة كنت على صماتهما

أتيتها وحدي من مأتاتهما^(٤)

● **أَجَرَ** : أَجَرَتِ اليدُ : جَبَرَتْ على عَنَمٍ^(٥) ، وَأَجَرَهَا الله : جَبَرَهَا على عَنَمٍ ،
وَأَجَرْتَهَا أَنَا أَيضاً^(٦) .

● **أَخَّرَ** : أَخَّرَ : تَأَخَّرَ ، وَأَخَّرْتُهُ أَنَا^(٧) .

فمن اللازم ما ورد في حديث عمر (رض) من أن النبي (ص) قال له :
« أَخَّرْ عَنِّي يَا عُمَرُ »^(٨) أي تَأَخَّرْ في بعض تفسيراته^(٩) .

● **أَرَسَ** : أَرَسَ : صار أَرِيساً : أي أَكَاراً^(١٠) ، وَأَرَسَكَ : جعله أَرِيساً^(١١) .

● **أَرَاكَ** : أَرَاكَ : رَعَتِ الأراكُ ، وَأَرَاكَ أَنَا : رَعَيْتُهَا الأراكُ^(١٢) .

-
- (١) القاموس المحيط والتاج وانظر الصحاح واللسان . والإباض : جبل يشد به البعير .
 - (٢) المصباح المنير والتاج وانظر الصحاح واللسان .
 - (٣) سورة طه ٦٩ .
 - (٤) الصحاح « أتى » .
 - (٥) العثم : البرء من غير استواء ، أو منشئ كهيئة الورم فيه أود ، والأود : الأعوجاج . انظر الصحاح واللسان والتاج « أجر » .
 - (٦) التاج وانظر الصحاح واللسان .
 - (٧) القاموس المحيط والتاج وانظر اللسان .
 - (٨) اللسان والتاج « آخر » .
 - (٩) اللسان والتاج « آخر » .
 - (١٠) وفي لغة أريسا . والأكار : المستخدم في فلاحه الأرض وزرعها . انظر التاج « أرس » .
 - (١١) انظر القاموس المحيط والتاج .
 - (١٢) انظر القاموس المحيط والتاج .

● **أَزَى** : أَزَيْتَ الْقِدْرَ : أَشْتَدَّ غَلِيَانُهَا ، وَأَزَى فُلَانٌ الْقِدْرَ : أَلْهَبَ النَّارَ تَحْتَهَا لِتَغْلِي (١٣) .

● **أَزْرَقَ** : أَزْرَقْتُهُ : ضَيَّقْتُهُ ، فَأَزْرَقَ هُوَ : أَي ضَبَقَ (١٤) .

● **أَلَبَ** : أَلَبَ الْإِبِلَ : جَمَعَهَا وَسَاقَهَا ، وَأَلَبَتْ هِيَ : اجْتَمَعَتْ وَانْسَاقَتْ (١٥) .

ومن اللازم قول الشاعر :

ألم تعلمي أن الأحاديث في غدرٍ وبَعْدَ غدرٍ يَأْلِبُنَ أَلَبَ الطرائدِ (١٦)

● **أَلَتَ** : أَلَتَهُ مَالَهُ ، وَأَلَتَهُ حَقَّتْهُ : نَقَصَتْهُ ، وَأَلَتَ الشَّيْءُ : نَقَصَ (١٧) .

● **أَلَفَ** : أَلَفُوا : صَارُوا أَلْفًا ، وَأَلَفْتَهُمْ : كَمَلْتَهُمْ أَلْفًا (١٨) .

● **أَلَّ** : أَلَّ الدَّهْنُ وَغَيْرُهُ : خَثِرَ ، وَأَلَّتْهُ أَنَا خَثَرْتُهُ (١٩) .

● **أَوَى** : أَوَى الرَّجُلُ إِلَى مَنْزِلِهِ ، وَأَوَيْتُهُ أَنَا : أَي أَوَيْتُهُ (٢٠) .

فمن اللازم قوله تعالى : « سَأْوِي إِلَى جِبِلٍّ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ » (٢١) .

ومن المتعدي قول النبي (ص) في حديث يعبى الأنصار : « عَلَى أَنْ تَأْوُونِي وَتَنْصُرُونِي » (٢٢) ، وقوله (ص) : « لَا قَطْعَ فِي ثَمَرِهِ حَتَّى يَأْوِيَهُ الْجَرِيرِينَ » (٢٣) أَي يَفِئْتُهُ الْبَيْدَرَ وَيَجْمَعُهُ . وفي حديث آخر : « لَا يَأْوِي الضَّالَّةَ إِلَّا ضَالٌّ » (٢٤) ، ومن ذلك قول أعرابي فصيح من بني ثعلبة كان استرعي إبلاً جرباً : « أَلَا أَيْنَ آوَى هَذِهِ الْإِبِلَ الْمُتَوَكِّسَةَ » (٢٥) .

(١٣) انظر اللسان والتاج .

(١٤) التاج .

(١٥) انظر اللسان والتاج .

(١٦) اللسان والتاج (أ ل ب) .

(١٧) المصباح المنير والتاج .

(١٨) انظر الصحاح واللسان والقاموس المحيط .

(١٩) القاموس المحيط والتاج وانظر اللسان .

(٢٠) اللسان والمصباح المنير والتاج وانظر الصحاح ومختارده .

(٢١) سورة هود ٤٣ .

(٢٢) جاء في اللسان والتاج مادة « أوى » نقلاً عن تهذيب الأزهرى : « يقال أوى » وأوى بمعنى

واحد ، والمقصود منها لازم ومتعمد . والحديث من التاج نقلاً عن الأزهرى ، وأورده في

اللسان « تؤونى » ويظهر أن الروايتين صحيحتان .

(٢٣) اللسان والتاج مادة « أوى » نقلاً عن تهذيب الأزهرى .

- الباء -

- **بَتَّ** : بَتَّه : قطعه ، فَبَتَّه : انقطع (٢٦) .
- **أَبَتَّ** : أَبَتَّه : قطعه ، فَأَبَتَّه : انقطع (٢٧) .
- تقول بتَّ طلاقها أو أبَتَّ ، وطلاق "بات" ومُيِّت (٢٨) .
- **بَجَسَ** : بَجَسَتِ الماءَ : فجرتَه ، وبَجَسَ الماءُ بنفسه : تفجَّرَ (٢٩) .
- **بَخَقَّ** : بَخَقَّتْ عينُه : عارت أشدَّ العوَر ، وبَخَقَّها هو : نُي عوَرها (٣٠) .
- **بَدَرَ** : بَدَرَ إلى الشيء : عَجَلَ ، وبَدَرَه الأمرُ : أعجله (٣١) .
- **بَرَدَ** : بَرَدَ الشيءُ ، وبرَدَه غيره : جعله بارداً (٣٢) .
- **بَرَّ** : بَرَّ حَجَّه : قَبَلَ ، وبرَّ الله حَجَّه : قبله (٣٣) .
- **بَرَطِمَ** : بَرَطِمَ : انتفخ غضباً ، وبرَطِمَه : أغضبه (٣٤) .

ومن اللازم قول الشاعر :

مُبرَطِمٌ برطمة الغضبانِ بشفةٍ ليست على أسنانِ (٣٥)

- **بَضَعَ** : بَضَعَ هو : بَانَ ، وبَضَعْتَه : يَبِّتُه (٣٦) .
- **أَبْقَلَ** : أَبْقَلَ النبتَ : طَلَعَ ، وأبقله الله أَطْلَعَه (٣٧) . وأبقَلَ وجهُ الغلام : خرج شعره ، وأبقله الله أخرجَه (٣٨) .

-
- (٢٦) في المصباح المنير نقلاً عن الأزهري في التهذيب ، وفي التاج نقلاً عن تهذيب الإسماء واللفات للنووي ، وانظر اللسان أيضاً .
- (٢٧) المصادر السابقة .
- (٢٨) المصباح المنير مادة « بتت » نقلاً عن الأزهري في التهذيب .
- (٢٩) الصحاح ومختاره واللسان والتاج .
- (٣٠) انظر اللسان والقاموس والتاج .
- (٣١) انظر اللسان والتاج .
- (٣٢) المصباح المنير وانظر اللسان والتاج .
- (٣٣) انظر اللسان والتاج .
- (٣٤) القاموس والتاج .
- (٣٥) التاج مادة « برطم » .
- (٣٦) التاج وانظر القاموس .
- (٣٧) انظر اللسان .
- (٣٨) انظر اللسان والتاج .

● بَلَّتَ : بَلَّتَ الشَّيْءُ : قَطَعَهُ ، وَبَلَّتَ الشَّيْءُ : انْقَطَعَ (٣٩) .

● ابْلَى : ابْلَى : حَلَفَ ، وَابْلَى الرَّجُلُ : أَحْلَفَهُ (٤٠) .

● بَاءَ : بَاءَ إِلَيْهِ : رَجَعَ ، وَبُؤْتُهُ : أَرْجَعْتُهُ (٤١) .

ومن اللازم قوله تعالى : « وباءوا بغضب من الله » (٤٢) : أي رجعوا .

أما المتعدي فقد جاء في اللسان والتاج (٤٣) : أنه قليل وأنَّ الفعل بُؤْتُهُ — متعدي — منقول عن الكسائي .

● بَانَ : بَانَ الْأَمْرُ : اتَّضَحَ ، وَبَنَتْهُ : أَوْضَحَتْهُ (٤٤) .

واللازم منه معروف مشهور كقولك : بانَت الحقيقة ، أي ظهرت واتَّضحت .

أما المتعدي فهو ما حكاه الفارسي عن أبي زيد :

كَأَنَّ عَيْنِي وَقَدْ بَانُونِي غِرْبَانٌ فَوْقَ جَدُولٍ مَجْنُونٍ (٤٥)

● أَبَانَ : أَبَانَ الْأَمْرُ : ظَهَرَ وَاتَّضَحَ ، وَأَبْنَتْهُ : أَظْهَرْتُهُ وَأَوْضَحْتُهُ (٤٦) .

والمتعدي منه مشهور معروف كقولك : أَبْنَتْ الْأَمْرَ : أَظْهَرْتُهُ .

أما شاهد اللزوم فهو قول عمر بن أبي ربيعة :

لَوْ دَبَّ ذُرٌّ فَوْقَ ضَاخِي جُلْدٍ هَا لِأَبَانَ مِنْ آثَارِهِ مِنْ حَدُورٍ (٤٧)

● بَيَّنَّ : بَيَّنَّ الْأَمْرَ : ظَهَرَ ، وَبَيَّنَّتُهُ : أَظْهَرْتُهُ (٤٨) .

والمتعدي معروف كقولك : بَيَّنَّتْ الْأَمْرَ : أَظْهَرْتُهُ وَأَوْضَحْتُهُ .

وشاهد اللزوم المثل : « قَدْ بَيَّنَّ الصُّبْحُ لَذِي عَيْنٍ » (٤٩) : أي تبيَّن .

(٣٩) انظر القاموس المحيط والتاج .

(٤٠) القاموس المحيط والتاج .

(٤١) انظر اللسان والتاج .

(٤٢) البقرة ٦١ وآل عمران ١١٢ .

(٤٣) مادة « بوا » .

(٤٤) انظر القاموس والتاج .

(٤٥) التاج مادة « بين » .

(٤٦) الصحاح ومختاره واللسان والقاموس والتاج .

(٤٧) الصحاح واللسان والتاج مادة « بين » .

(٤٨) انظر القاموس والتاج .

(٤٩) الصحاح واللسان والتاج مادة « بين » .

● تَبَيَّنَ : نَبَّيْنُ الْأَمْرَ : ظَهَرَ ، وَتَبَيَّنَتْهُ : عَرَفْتُهُ (٥٠) .

وشاهد لزومه قوله تعالى : « قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ » (٥١) . وقوله تعالى :

« مَنْ يَعْدِرْ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ » (٥٢) .

وشاهد التعدية قوله تعالى : « فَلَمَّا خُرَّ تَبَيَّنَتْ الْجِنَّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ

مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُثِينِ » (٥٣) .

● اسْتَبَانَ الْأَمْرَ : وَضَحَ ، وَاسْتَبَتَتْهُ : عَرَفْتُهُ (٥٤) .

وشاهد لزومه قوله تعالى : « وَلِذَلِكَ تَفَصَّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمَجْرِمِينَ » (٥٥) .

وشاهد تعديته قراءة قسم من القراء « وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمَجْرِمِينَ » فنصبوا

(سَبِيلَ) عَلَى أَسَاسِ أَنَّ الْمَعْنَى : وَلِتَسْتَبِينَ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ سَبِيلَ الْمَجْرِمِينَ (٥٦) .

— التَّعَسَّى —

● تَعَسَّى : إِذَا عَثَرَ وَانْكَبَّ لَوَجْهِهِ وَتَعَسَّى اللَّهُ (٥٨) . وفيه لغة أخرى بفتح العين .

جاء في التاج : « إِذَا خَاطَبْتَ بِالْدُّعَاءِ قُلْتَ تَعَسَّتْ كَمَنْعٌ » (٥٩) . وفي مكان

آخر منه : « نَقَلَ الصَّاعِقَانِي عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ : تَعَسَّى اللَّهُ فَهُوَ مَتَعَسٌ » (٦٠) . وجاء في

المصباح المنير (٦١) : « تَعَسَّى مِنْ بَابِ تَفَعَّعَ وَتَعَسَّى اللَّهُ بِالْفَتْحِ وَأَتَمَّعَهُ » وَأَشَارَ

إِلَى أَنَّ الْكَسْرَ لُغَةٌ فِيهِ (٦٢) .

(٥٠) الصحاح ومختاره واللسان والقاموس والتاج .

(٥١) البقرة ٢٥٦ .

(٥٢) البقرة ١٠٩ .

(٥٣) سبأ ١٤ .

(٥٤) الصحاح ومختاره واللسان والقاموس والتاج .

(٥٥) الأنعام ٥٥ .

(٥٦) اللسان والتاج مادة « بين » .

(٥٧) بفتح العين وكسرها .

(٥٨) انظر اللسان والقاموس والتاج .

(٥٩) التاج « تعس » .

(٦٠) التاج « تعس » .

(٦١) مادة « تعس » .

(٦٢) المصدر نفسه .

- الثاء -

- ثأثأ : ثأثأ الابل : أرواها وعطشها وقيل : سقاها حتى يذهب عطشها ولم يثروها .
وثأثأت الابل : عطشت ورويت أو شربت فلم تثرو^(٦٣) . فمن الإرواء قول
الراجز :

إثك لن ثثأئيء النهمالي بثل أن ثدارك السجالا^(٦٤)

- ثبر : ثبر : هلك ، وثبره الله : أهلكه^(٦٥) .
- ثج : ثج الماء : أساله فشج الماء ، أي سال^(٦٦) .
وجاء في مختار الصحاح^(٦٧) : « ثج الماء والدم : سيله وبابه رد ، والثج أيضا
سيلان دماء الهدي ، وهو لازم ، تقول منه : ثج الدم ثجج بالكسر » .
- ثرا : ثرا الله القوم : كثروهم ، وثرا القوم : كثروا^(٦٨) .

- اثمر : جاء في تاج العروس^(٦٩) : « اثمر الرجل كثر ماله . قال الشهاب في شفاء
الغليل : اثمر يكون لازماً وهو المشهور الوارد في الكتاب العزيز ولم يتعرض أكثر
أهل اللغة لغيره .

وورد متعدياً كما في قول الأزهري في تهذيبه : يثمر ثمرأ فيه حموضة . وهكذا
استعمله كثير من الفصحاء كقول ابن المعتز :

وغرس من الأحباب غيب في الثرى فأسفته أجفاني بسبح وقاطر
فأثمر همأ لا يبيد وحرة لقلبي يجنيها بأيدي الخواطر
وقان ابن نباتة السعدي :

وتثمر حاجة الآمال نجحاً إذا ما كان فيها ذا احتيال

(٦٣) اللسان والتاج .

(٦٤) الصحاح واللسان والتاج « ثأثأ » .

(٦٥) المصباح المنير وانظر اللسان والتاج .

(٦٦) مختار الصحاح والمصباح المنير وانظر اللسان والتاج أيضاً .

(٦٧) مادة « ثجج » .

(٦٨) انظر الصحاح واللسان والتاج .

(٦٩) مادة « ثمر » .

وقال محمد بن أشرف وهو من أئمة اللغة :

كأثما الأغصان لما علا فروعها قطر الندى نثرا
ولاحت الشمس عليها ضحى زبرجد قد أثمر الدرا

وقال ابن الرومي :

سيثمر لي ما أثمر الطلع حائط

الى غير ذلك مما لا يحصى . ونقل الزبيدي^(٧٠) عن شيخه ابن الطيب قوله :
« وهكذا استعمله الشيخ عبدالقاهر في دلائل الإعجاز والسكاكي في المفتاح ، ولمن
نم يره كذلك شرّاحه ، قال الشارح : استعمل الاثمار متعدياً بنفسه في مواضع من
هذا الكتاب فلعله ضمّنه معنى الافادة » .

وتعليقنا على ما سبق أن الفعل « أثمر » لم يُعرف متعدياً في النصوص المنقولة
من عصور الاستشهاد اللغوي . لذلك يُعدّ استعماله كذلك توليداً أو تطوراً
مقبولاً ما دام القائلون به من الفصحاء وأئمة اللغة .

● ثَمَغَ : ثَمَغَ فلانٌ البياض بالسواد : خلطهما ، وثَمَغَ البياضُ والسوادُ : اختلطا^(٧١) .

● اَثَوَى : اَثَوَى : أقام ، وأثويتُهُ بالمكان : ألزمتُهُ الثَّوَاءَ فيه^(٧٢) .

ومن اللازم قول الأعشى :

أَثَوَى وَقَصَّرَ لَيْلَهُ لِيُزَوِّدَا فَمَضَتْ وَأَخْلَفَ مِنْ قَتِيلَةٍ مَوْعِدَا^(٧٣)

— الجيسم —

● جَالَ : جَالَ الصوفُ : جمعه ، وجَالَ الصوفُ : إذا أُجْتَمِعَ^(٧٤) .

● جَبَرَّ : جَبَرَّ العظمُ : أصلحته ، وجَبَرَّ العظمُ نفسه^(٧٥) .

(٧٠) التاج مادة « ثمر » .

(٧١) اللسان والتاج .

(٧٢) الصحاح ومختاره واللسان والمصباح المنير والتاج .

(٧٣) اللسان والتاج « ثوي » .

(٧٤) القاموس المحيط والتاج .

(٧٥) الصحاح واللسان والمصباح المنير والتاج .

وقد جسع العجّاج بين المتعدّي واللازم بقوله :

قد جَبَرَ الدَّيْنُ الْإِلَهَ فَجَبَرَ^(٧٦)

ومن اللازم قول كشاجم :

كيفَ لا تجبرَ أعفَاءَ فتى كلَّ عَضْوٍ منه فيه ألفُ قلب^(٧٧)

● اجثالٌ : اجتال الطائرُ : نقشَ ريشه ، واجثالَ الريشُ نفسه : انتفش^(٧٨) .

قال الزبيدي^(٧٩) في هذا الفعل : « إنّه لازم متعدٍ » . ولم أجده غيره من أصحاب المعجمات قال ذلك . والملاحظ على الفعل من حيث اللفظ انه فعل لازم . ويؤكد هذا انه جاء على صيغة « افعلل » وهذه الصيغة لا ترد أفعالها الا لازمة . فلا أدري أهو سهو من الزبيدي أم أنّه قصد التعدية المعنوية في الفعل الأول لأن « اجثال الطائر » بمعنى « نقش ريشه » .

● جَحَرَ الضبُّ : دخل جَحْرَهُ ، وجحر فلان الضبُّ : أدخله فيه^(٨٠) .

● استجدهُ : استجدَّ الأمرُ : حَدَثَ ، واستجدّه غيره : أحدثه^(٨١) .

● جَعَجَعَ البعيرُ : برك واستناخ ، وجَعَجَعَهُ : إذا أفاخه وأبركه^(٨٢) .

ومن اللازم قول رؤبة :

حتى أنخنا عِزّه فجَمَعنا
تملاً من عرض البلاد الأوسما
توسط الأرض وما تكعكعا^(٨٣)

● جَقَلَ الظليمُ : أسرع في مشيه ، وجَقَلَتِ الرياحُ الظليم : حرّكته وطرّدته^(٨٤) .

(٧٦) الصحاح واللسان والتاج « جبر » .

(٧٧) ديوان كشاجم ٦٤ .

(٧٨) التاج .

(٧٩) التاج مادة (جثل) .

(٨٠) انظر القاموس المحيط والتاج .

(٨١) الصباح المنير .

(٨٢) انظر القاموس المحيط والتاج .

(٨٣) التاج « جمع » .

(٨٤) انظر القاموس المحيط والتاج . والظليم الذكر من النعام .

- **اجْتَفَلَ** : أَجْتَفَلَ الظِّلِيمُ : ذهب في الارض وأسرع ، وأَجْفَلَهُ هو (٨٥) .
- **جَلَبَ** : جَلَبَ الشيءَ : ساقه ، وجَلَبَ هو : انساق (٨٦) .
- **جَلَجَلَ** : جَلَجَلَ الشيءَ : تحرَّك فكان لحركته صوتٌ ، وجَلَجَلَهُ غيرهُ بيده : حرَّكه حتى يكون لحركته صوت (٨٧) .
- **جَلَا** : ١ - جَلَا القَوْمُ عن الموضع : تفرَّقوا ، وجَلَاهُم الجَدْبُ : فرَّقَهُم (٨٨) .
قال ابن الاعرابي : جَلَاهُ عن وطنه فجَلَا أي : طرده فذهب (٨٩) .
- ٢ - جَلَا الخبرُ للناس : وُضِّح وانكشف فهو جَلِيٌّ ، وجَلَوْتُهُ : اوضَحْتُهُ (٩٠) .
- **أَجْلَى** : أَجْلَى القَوْمِ عن الموضع : تفرَّقوا ، وَأَجْلَاهُم الجَدْبُ : فرَّقَهُم . وَأَجْلَوْا عن البلدِ ، وَأَجْلَاهُم غيرُهُم (٩١) .
- **أَجَمَّ** : أَجَمَّ الفرسُ : تَرَكَّ قَلَمُ يَرْكَبُ فَعَفَا من تعبهِ وذهب إعياءُهُ ، وَأَجَسَهُ هو : إذا لم يَرْكَبْهُ (٩٢) .
- **جَهَدَ** : جَهَدَ في الأمرِ : طلب حتى بلغ غايةً في الطلب ، وجهَدَ الأمرُ : إذا بَلَغَ منه المشقة (٩٣) .
- **جَهَرَ** : جَهَرَ الكلامُ : عَلَنَ وبدا ، وجَهَرَ فلانٌ الكلامَ : أعلنه (٩٤) .
- **أَجْهَى** : أَجْهَتِ الطريقُ : انكشفت ووضحت ، وَأَجْهَتُهَا أنا : كَشَفْتُهَا . وَأَجْهَى فلانٌ البيتَ : كَشَفَهُ (٩٥) .

(٨٥) انظر اللسان والقاموس المحيط والتاج .

(٨٦) انظر القاموس المحيط والتاج .

(٨٧) انظر اللسان .

(٨٨) الصحاح والمختار واللسان والمصباح المنير والمزهر ٢/٢٧٣ والتاج .

(٨٩) اللسان والتاج (جلو) .

(٩٠) المصباح المنير .

(٩١) الصحاح والمختار واللسان والمصباح المنير والمزهر ٢/٢٧٣ والتاج .

(٩٢) انظر اللسان والقاموس المحيط والتاج .

(٩٣) انظر المصباح المنير .

(٩٤) انظر اللسان .

(٩٥) انظر اللسان والتاج .

فهرس مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدرید

١٩٧٨ - ١٩٥٣

القسم الاول

اعداد

عبد الزهرة هاما غياض

مكتبة المجمع العلمي العراقي - بغداد

يسموني ان اضعه اليوم بين ايدي القراء ، على صفحات مجلة « المورد » الغراء .

جعلت اسماء الكتبة والمؤلفين اساساً يقوم عليه هذا الفهرس . ورتبت تلك الاسماء على السياق الهجائي بالنسبة الى « شهرة » كل كاتب . فمحمد عبدالله عنان جعلته في مادة « عنان » واوردته بهذه الصورة :

عنان (محمد عبدالله) :

وهكذا الامر في بقية الاسماء . وذكرت بعد ذلك ، ما له من بحوث منشورة في هذه المجلة ، مرتبة على السياق الهجائي لعنواناتها ، والحققت بعنوان المقال ، رقم مجلد المجلة ، وسنة صدوره ، والصفحة التي يتبدى بها المقال ، والتي ينتهي فيها وذلك وفقاً لما يقتضيه في الفهرسة الحديث .

وهناك مقالات ونبد كثيرة جاءت في مجموعة هذه المجلة غفلا من اسماء كاتبها ، وانما نشرت على انها من « قلم التحرير » غير معزوة الى كاتب بعينه . فرايت ان اوردها جميعاً في باب مستقل يجده القارئ في آخر « فهرس المؤلفين » ، مرتبة على السياق الهجائي لعنواناتها .

لقد اتبعت المجلة ، ان تورد لجل مقالاتها « ترجمة » عربية او « ملخصاً » لها . فنوهنا بذلك في نهاية كل مادة من مواد هذا الفهرس .

ومن الله التوفيق

تمهيد

لعل « مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدرید » في طليعة الدوريات التي تصدر في ديار الغرب باللغة العربية . فهي مجلة نفيسة ، تعنى بنشر الموضوعات التاريخية والبلدانية والحضارية ، ذات الصلة الوثقى بالتراث العربي العظيم ، ولا سيما ما اتصل منها ببلاد الاندلس واقطار المغرب العربي .

لا ريب في ان هذه المجلة ، من امهات المجلات الحرة بكل ثناء وتقدير ، لما تضمنته مجلداتها من مباحث رصينة ، كتبها جماعة من افذاذ العلماء والباحثين من عرب ومستشرقين . ويتسم معظم تلك الابحاث بالاصالة والدقة العلميتين .

وهي الى هذا كله ، تمتاز بحسن الاخراج وجودة الطباعة ، واتقان التنسيق .

صدر مجلدها الاول في مدينة مدرید باسبانية ، سنة ١٩٥٣ ، وصدر مجلدها الاخير ، او بالاحرى آخر ماوقفنا عليه من مجلداتها ، سنة ١٩٧٨ ورقمه التسلسلي التاسع عشر . فقوام مجموعة هذه المجلة حتى اليوم ، تسعة عشر مجلداً ضخماً ، انطوت على مباحث جليلة ، هي في جملتها مصادر اساسية لا يستغني عنها الباحث في مثل هذه الموضوعات .

لقد رايت الحاجة ملحة الى ان يكون لهذه المجلة الحافلة بالفوائد ، « فهرس هجائي » دقيق ، يعرب موضوعاتها من الباحثين والمتتبعين والدارسين ؛ فصنفت هذا الفهرس الذي

١ - ألونسو (مانويل ألونسو) :

ابن سينا وأثاره الأولى في العالم اللاتيني
ترجمة تاج الدين أبو زيد (١٩٥٢)
ص ٤٠ - ٦١

٢ - ابن الإبرار :

المقتضب من كتاب تحفة القادم ، تحقيق إبراهيم
البياري (١٩٥٧)
ص ٢٧٩ - ٢٨٠

٣ - ابن أبي أصيبعة :

عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، الباب الثالث عشر
في أطباء إفريقية والأندلس ، نقد وتعريف حسين
مؤنس ٧ - ٨ (١٩٥٩ - ١٩٦٠)
ص ٢٩٦ - ٢٩٧

٤ - ابن بهسال :

كتاب الفلاحة ، نشره وترجمه وعلق عليه خوسيه
ماريا مياس ومحمد عزيزان ، نقد وتعريف حسين
مؤنس (١٩٥٧)
ص ٢٨٠

٥ - ابن حزم (الأندلسي) :

■ التريب لحد المنطق والمدخل اليه بالالفاظ
العنية والامثلة الفقهية لابي محمد علي بن حزم،
تحقيق د. احسان عباس ٦ (١٩٥٨)
ص ٢٩٦ - ٢٩٨

■ جمهرة انساب العرب، تحقيق عبدالسلام محمد
هارون ، نقد وتعريف محمود علي مكي ٩ - ١٠
(١٩٦١ - ١٩٦٢)
ص ٢٧٣ - ٢٧٦

■ جوامع السيرة وخمس رسائل اخرى ، تحقيق
د. احسان عباس والدكتور ناصر الدين الأسد
(١٩٥٦)
ص ١٨٢ - ١٨٩

٦ - ابن حيان (القرطبي) :

المقتبس في اخبار بلد الاندلس، تحقيق د. عبدالرحمن
علي الحجي ١٤ (١٩٦٧ - ١٩٦٨)
ص ٢٤٧ - ٢٤٩

٧ - ابن الخطيب (لسان الدين) :

■ اعمال الاعلام ، القسم الثالث الخاص بالمغرب،
حققه ونشره بعنوان المغرب العربي في العصر
الوسطى د. احمد مختار العبادي ومحمد
ابراهيم الكتاني ، نقد وتعريف حسين مؤنس
١١ - ١٢ (١٩٦٣ - ١٩٦٤)
ص ٣٥٩ - ٣٦١

■ تاريخ اسبانيا الاسلامية ، او كتاب اعمال
الاعلام في من بوع قبل الاحتلال من ملوك
الاسلام ، تحقيق ليفي يروفسال (١٩٥٦)
ص ١٩٦ - ٢٠١

٨ - ابن خلدون (عبدالرحمن) :

المقدمة من كتاب العبر في اخبار العجم والمغرب
والبربر ١٤ (١٩٦٧ - ١٩٦٨)
ص ٢٥٨ - ٢٦٠

٩ - ابن خياط (خليفة) :

تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق سهيل زكار ١٤
(١٩٦٧ - ١٩٦٨)
ص ٢٦٠ - ٢٦٢

١٠ - ابن سعيد (علي بن موسى) :

المغرب في حلى المغرب ح ٢ ، تحقيق د. شونو
ضيف (١٩٥٦)
ص ٢٠٢ - ٢٠٤

١١ - ابن شريفة (محمد) :

ابو المطرف احمد بن عميرة المخزومي حياته وأثاره ١٣
(١٩٦٥ - ١٩٦٦)
ص ٢١٦ - ٢٢١

١٢ - ابن صاحب الصلاة (عبدالملك) :

تاريخ المن بالامامة على المستظفين ، تحقيق
عبدالمادي النازي ١١ - ١٢ (١٩٦٣ - ١٩٦٤)
ص ٢٧٢ - ٢٧٤

١٣ - ابن عذاري (المراكشي) :

البيان في المغرب في اختصار ملوك الاندلس
والمغرب ، تحقيق امبروسي موسى مراندة مع مساعدة
محمد بن ثابت ومحمد ابراهيم الكتاني ، نقد
وتعريف محمود علي مكي ٩ - ١٠ (١٩٦١ - ١٩٦٢)
ص ٢٧٦ - ٢٨٠

١٤ - ابن قنفذ (ابو العباس احمد) :

انس الفقير وهر الحقير ، تحقيق محمد الفاسي
وادولف غور ١٤ (١٩٦٧ - ١٩٦٨)
ص ٢٤٩ - ٢٥٠

١٥ - ابو زيد (تاج الدين) :

■ ابن سينا وأثاره الأولى في العالم اللاتيني
انظر : ألونسو مانويل ألونسو .
■ ثلاثة نقود لائنية عربية من مجموعة جياك
دومودجان انظر (جيبو)

١٦ - ابو الغلاء (صاعد بن الحسن) :

التشويق الطبي ، تحقيق اوشيبس ١٤ ١٩٦٧
(١٩٦٨) ص ٢٦٤ - ٢٦٥

١٧ - ابو علي (الكتامي) :

نظم الرحمان ح ٦ ، تحقيق د. محمود علي مكي ،
نقد وتعريف حسين مؤنس ١١ - ١٢ (١٩٦٢ - ١٩٦٤)
ص ٢٦٤ - ٢٦٦

١٨ - أبو عمرو (الداني) :

الحكم في نطق المصحف ، تحقيق د. عزة حسن ،
نقد وتعريف حسين مؤنس ٧ - ٨ (١٩٥٩ - ١٩٦٠)
ص ٢٩٤ - ٢٩٦

١٩ - أنصار (كامون) :

■ الأساليب الفنية المنوعة في الفن الإسلامي
٣ (١٩٥٥)
ص ١٨٢ - ١٨٧
■ بضع موضوعات جمالية إسلامية (١٩٥٤)
ص ٢١١ - ٢١٢

٢٠ - أحسان عباس :

■ أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم
السفر لابي طاهر السلفي (٥٧٦ هـ) ١٤
(١٩٦٧ - ١٩٦٨)
ص ٢٤٣ - ٢٤٤
■ تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر سيادة قرطبة ،
نقد وتعريف حسين مؤنس ٧ - ٨ (١٩٥٩ -
١٩٦٠)
ص ٢٨٠ - ٢٨٣

■ ديوان ابن حمديس ، نقد وتعريف محمود علي
مكي ٩ - ١٠ (١٩٦١ - ١٩٦٢)
ص ٢٨٣ - ٢٨٦

■ ديوان الرصافي البلسني ابي عبيدالله محمد
بن غالب ، نقد وتعريف محمود علي مكسي
٩ - ١٠ (١٩٦١ - ١٩٦٢)
ص ٢٨٣ - ٢٨٦

٢١ - أحمد (مختار عمر) :

ابن منظور اللغوي ، العالم الحائر بين مصر وليبيا
وتونس ١٨ (١٩٧٤ - ١٩٧٥) ص ١٥٥ - ١٦٤

٢٢ - أربري (آرثر . ج) :

القرآن مفرداً ٦ (١٩٥٨) ص ٢٨٩ - ٢٩٠

٢٣ - أرسطو :

سر الاسرار المنسوب الى أرسطو ، الترجمة الأسبانية
التي قام بها يهوذا الحريزي في القرن الثالث عشر .
نشرها لويد كاستن ، نقد وتعريف حسين مؤنس
٥ (١٩٥٧)
ص ٢٨٤

٢٤ - أرييه :

ملابس المسلمين في أسبانيا منذ سقوط غرناطة حتى
إخراج المورسكيين ١٣ (١٩٦٥ - ١٩٦٦)
ص ٢٦٩ - ٢٧١

٢٥ - الأسد (ناصر الدين) :

مصادر الشعر الجاهلي وتبعثها التاريخية ، نقد
وتعريف حسين مؤنس ٧ - ٨ (١٩٥٩ - ١٩٦٠)
ص ٢٦٩ - ٢٧٠

٢٦ - الألففاني (سعيد) :

هل في النحو مذهب أندلسي ٧ - ٨ (١٩٥٩ - ١٩٦٠)
ص ٧٥ - ٨٤

٢٧ - السين (و . ا) :

محاولة لإعادة تحقيق سفارة النزال الى بلاد المغرب
(الفايكنج) ، نقد وتعريف محمود علي مكسي
٩ - ١٠ (١٩٦١ - ١٩٦٢)
ص ٤٢٠ - ٤٢٤

٢٨ - أنسو عبدالطيم :

ابن ماجد الملاح ١٢ (١٩٦٥ - ١٩٦٦)
ص ٢٢٩ - ٢٣٤

٢٩ - الأوسلي (حكمت علي) :

التواعد الأساسية للغة الأسبانية ، نقد وتعريف
حسين مؤنس ١١ - ١٢ (١٩٦٢ - ١٩٦٤)
ص ٢٧٤ - ٢٧٥

٣٠ - أومان (جيوفاني) :

نبذة بيبليوغرافية عن الجغرافي العربي الأندلسي
ومؤلفاته ، نقد وتعريف حسين مؤنس ١١ - ١٢
(١٩٦٢ - ١٩٦٤)
ص ٢٩٢ - ٢٩٤

٣١ - الأهواني (عبدالغني) :

■ أمثال العامة في الأندلس ، نقد وتعريف محمود
علي مكي ٩ - ١٠ (١٩٦١ - ١٩٦٢)
ص ٤١١ - ٤١٣

■ ثلاثة رسائل أندلسية في أدب الحسبة
والمخضب ، تحقيق ليفي يروغنسال ٢ (١٩٥٥)
ص ١٧٠ - ١٧٢

■ الأوجيل في الأندلس ، نقد وتعريف حسين
مؤنس (١٩٥٧)
ص ٢٧٩

■ سيرة الأستاذ جودر ، تحقيق د. محمد كامل
حسين والدكتور محمد عبدالحادي نسيرة
٢ (١٩٥٥)
ص ١٧٢ - ١٧٤

■ صلة الصلة لابن الزبير ، الدليل والتكملة
لابن عبد الملك ٣ (١٩٥٥)
ص ١٦ - ١٧

■ طبقات النحويين واللغويين لابي بكر محمد
بن الحسن الربيعي ، تحقيق محمد أبو الفضل
ابراهيم ٣ (١٩٥٥)
ص ١٦٥ - ١٦٨

■ علي هامش ديوان ابن قزمان ١٧ (١٩٧٢ -
١٩٧٣) ص ١٨٣ - ٢٤٥ ، ١٨ (١٩٧٤ -
١٩٧٥) ص ١٧ - ٧٧ ، ١٩ (١٩٧٦ - ١٩٧٨)
ص ٢١ - ٦٠

■ نظرات في الدراسات الخاصة بالغرب الاسلامي
٢ (١٩٥٤)
ص ٢٠٤ - ٢٠٦

٢٨ - البيلالدي (احمد بن يحيى) :

■ انساب الاشراف للبلاذري ح ١ تحقيق د . محمد
حميد الله ، نقد وتعريف حسين مؤنس ٧ - ٨
(١٩٥٩ - ١٩٦٠)
ص ٢٦٢ - ٢٦٤

٢٩ - بلاشيس (ريجيس . ج) :

■ منتخبات من اثار الجغرافيين في القرون الوسطى ٦
(١٩٥٨) ص ٢٨٥ - ٢٨٦

٤٠ - بلباس (ليو بولندو توديس) :

■ الابنية الاسبانية الاسلامية ، ترجمة مليه
ابراهيم المناني ١ (١٩٥٢)
ص ٩٧ - ١٢٨

■ مظاهر المدن الاسبانية الاسلامية ٢ (١٩٥٤)
ص ٢٠٩ - ٢١١

٤١ - بيدال (رامون منثيث) :

■ اسبانيا حلقة اتصال بين المسيحية والاسلام
ترجمة لطفي مبدالديع ١ (١٩٥٢)
ص ١ - ٢٤

■ اسبانيا وادخال العلوم العربية الى الغرب
٣ (١٩٥٥)
ص ١٨٧ - ١٩١

■ انشودة رولان والمذهب التقليدي الحديث
٦ (١٩٥٨)
ص ٢٠١ - ٢٠٤

٤٢ - بيرلوا (خوان دي) :

■ ترجمة اسبانية للقران الكريم ، نقد وتعريف محمد
ميسى ١٩ (١٩٧٦ - ١٩٧٨)
ص ١٢٤ - ١٤٠

٤٣ - بيرنيس (خوان) :

■ هل هناك اصل عربي اسباني للفن الخرائط البحرية،
ترجمة مختار العبادي ١ (١٩٥٢)
ص ٧١ - ٩٦

٤٤ - بيريس (هنري) :

■ مراجع اللهجات العربية الجزائرية والصحراوية ،
نقد وتعريف حسين مؤنس ٧ - ٨ (١٩٥٩ - ١٩٦٠)
ص ٢٩٠

٥ - التازي (عبدالهادي) :

■ اعراس فاس ، نقد وتعريف حسين مؤنس
٧ - ٨ (١٩٥٩ - ١٩٦٠)
ص ٤٠ - ٤١

■ نظرية جديدة في تاريخ بناء جامعة القرويين
٦ (١٩٥٨)
ص ٢٧٧ - ٢٨١

■ مجلة معهد المخطوطات العربية ٣ (١٩٥٥)
ص ١٧٤ - ١٧٥

■ مقدمتان في علم القران ، تحقيق ادنر جفري ٢
(١٩٥٥) ص ١٦٨ - ١٧٠

٢٢ - باربر (فيفيل) :

■ اثر القوة البحرية على تاريخ اسبانيا الاسلامية
١٤ (١٩٦٧ - ١٩٦٨)
ص ٢١٦ - ٢١٨

■ اخبار الاندلس في المدونات الانجليزية في القرنين
الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين ١٣ (١٩٦٥ -
١٩٦٦)
ص ٢٧٢ - ٢٧٦

٢٣ - بارت (رودي) :

■ الرمز في العقيدة الاسلامية ، نقد وتعريف حسين
مؤنس ٧ - ٨ (١٩٥٩ - ١٩٦٠)
ص ٢٧٦

٢٤ - باروخا (خوليو كارو) :

■ الموريسكيون في اراضي مملكة غرناطة نقد وتعريف
حسين مؤنس ٥ (١٩٥٧)
ص ٢٨٤ - ٢٨٥

٢٥ - بالروين (محمد) :

■ نزعة التجديد عند ابن رشد ١٤ (١٩٦٧ - ١٩٦٨)
ص ٨٧ - ٩٧

٢٦ - بدوي (عبدالرحمن) :

■ ابن سبعين والذكر ٤ (١٩٥٦)
ص ٢٥٤

■ كتاب الاحاطة لابن محمد عبدالحق بن سبعين
المرسي الاندلسي ٦ (١٩٥٨)
ص ١١ - ٢٤

■ رسائل جديدة لابن باجة ١٥ (١٩٧٠)
ص ٥٤ - ٧

■ رسالة النصيحة او (النورية) لابن سبعين
(١٩٥٦)
ص ٤٥ - ١

■ عهد ابن سبعين لتلاميذه ٥ (١٩٥٧)
ص ١٠٣ - ١

■ مؤلفات ابن خلدون ١٣ (١٩٦٥ - ١٩٦٦)
ص ١٨٢ - ١٨٦

■ وحدة الوجود المطلقة عند ابن سبعين ٦
(١٩٥٨)
ص ٢٢٥

٢٧ - بروغنيسال (ليلى) :

■ نص جديد من فتح العرب للمغرب ، ترجمة
حسين مؤنس ٢ (١٩٥٤)
ص ١٩٣ - ٢٢٤

٤٦ - التجاني (أبو محمد عبدالله بن محمد) :

رحلة التجاني ، نقد وتمريف حسين مؤنس (١٩٥٨)
ص ٢٦٤ - ٢٦٥

٤٧ - التطواني (محمد بن تاووت) :

دولة الرسنمين أصحاب لاهوت ه (١٩٥٧)
ص ١٠٥ - ١٢٨

٤٨ - التتازانسي (أبو الوفاء الفخمي) :

■ ابن عباد الرندي ، حياته ومؤلفاته ٦ (١٩٥٨)
ص ٢٢١ - ٢٥٨

■ ابن مطا الله السكندري ، نقد وتمريف
حسين مؤنس ٧ - ٨ (١٩٥٩ - ١٩٦٠)
ص ٤٠١ - ٤٠٢

٤٩ - تنج (داوود س . م) :

الحضارة الإسلامية في الصين ٦ (١٩٥٨)
ص ٢٢٨ - ٢٢٤

٥٠ - تيراس (ميشل) :

أعمال النخبينات الأموية في تشالة ١٤ (١٩٦٧) -
(١٩٦٨)
ص ٢١٨ - ٢١٩

٥١ - جانسين .

كتاب الاشارات الى معرفة الزيارات للهروي ، نقد
وتمريف حسين مؤنس ٢ (١٩٥٤)
ص ٢٧٥

٥٢ - الجبري (محمد أبو راس) :

مؤنس الاحبة في اخبار جبرية ، تحقيق مليه محمد
المرزوقي ، نقد وتمريف حسين مؤنس ٧ - ٨
(١٩٥٩ - ١٩٦٠)
ص ٢٩٨ - ٢٩٩

٥٣ - جمال محمد مهرز :

■ فطمتان من السجاد الملوكي بمتحف غرناطة
الانري ٢ (١٩٥٤)
ص ١٧٤ - ١٩٠

■ مصحف مذهب من العصر الفرناطي بخزانة
كتب الفقيه محمد بن داوود بتطوان ٢
ص ١٤١ - ١٤٧

٥٤ - الجلاي (محمد بن خضر الرومي) :

كتاب النخبة اللطيفة في عمارة المسجد النبوي وسور
المدينة الشريفة ٢ (١٩٥٥)
ص ١٤٩ - ١٥٧

٥٥ - جواشون (م . ا) :

نصه حي بن يقظان مع تعليقات من كتابات ابن
سبنا ٦ (١٩٥٨)
ص ٢٠٤ - ٢٠٥

٥٦ - جودة (عبدالرحمن هلال) :

■ رسالة في الحدود للقاضي ابي الوليد الباجي
(١٩٥٤ : ٢)
ص ١ - ٢٧

■ مقدمة لوسية القاضي ابي الوليد الباجي لولديه
(١٩٥٥) ٢
ص ١٧ - ٤٦

٥٧ - جيو (. ا) :

■ تاريخ الدول الإسلامية في فارس من سنة
١٧٢٢ الى سنة ١٧٩٧ - ٧٥ سنة من
الاضطرابات في ايران ٧ - ٨ (١٩٥٩ - ١٩٦٠)
ص ٥٠٢ - ٥٠٤

■ لالة نقود لابينية عربية من مجموعة جاك
دومودجان ، ترجمة تاج الدين أبو زيد ا
(١٩٥٣)
ص ٦٢ - ٧٠

■ النقود اللاتينية العربية ٢ (١٩٥٥)
ص ١٩٤ - ١٩٦

٥٨ - حسن حسني عبدالوهاب :

■ الاسام المازدي ٤ (١٩٥٦)
ص ١٨٩ - ١٩٦

■ ورقات مكتبة المنار ١٤ (١٩٦٧ - ١٩٦٨)
ص ٢٤٤ - ٢٤٧

٥٩ - حشمية (كمين) :

لويس شيخو وكتابه السحبة والادب السحي
في بلاد العرب قبل الاسلام ١٤ (١٩٦٧ - ١٩٦٨)
ص ٢٠٥ - ٢٢٠

٦٠ - الحكم (توفيق) :

شهرزاد بالامبانية ، نقد وتمريف محمد عيسى ١٩
(١٩٧٦ - ١٩٧٨)
ص ١٥٤ - ١٥٦

٦١ - خايمة (موليت) :

المخطوط اللاتيني العربي حول تقسيم جزيرة
مبورقة (١٩٥٦)
ص ٢١٧ - ٢١٩

٦٢ - خايمة لويس (بروسي) :

ملاحظات حول سكة النقود الإسلامية بالاندلس ٤
(١٩٥٦)
ص ٢٤٢ - ٢٤٦

٦٣ - خشتو (يوسك بيلا) :

الوناتق العربية الحفوظة في كادراية وثقة ه
(١٩٥٧)
ص ٢٠٥ - ٢٠٦

٦٤ - خلاجه (محمد صقر) :

بحث الدراسات اليونانية والرومانية في مصر الحديثة
(١٩٥٥) ٢
ص ١٥٦ - ١٦٤

٦٥ - خلدون نوبهس :

بلاد العرب ٧ - ٨ (١٩٥٩ - ١٩٦٠)
ص ٢٩٧ - ٢٩٨

٦٦ - خيث (خوان بيرنيت) :

■ القاب اسبانية ذات اصل عربي في شرق الاندلس
١١ - ١٢ (١٩٦٣ - ١٩٦٤)
ص ٤٢٢ - ٤٢٥

■ الاندلسيون المسلمون ، نقد وتعريف محمود
علي مكي ٩ - ١٠ (١٩٦١ - ١٩٦٢)
ص ٤١٧ - ٤٢٠

■ الحضارة الاسبانية - العربية في الشرق
والغرب ، نقد وتعريف محمد عيسى ١٦
(١٩٧٦ - ١٩٧٨) ص ١٥٧ - ١٥٩

■ نص جديد هام عن تاريخ الاندلس حتى القرن
الحادي عشر ١٣ (١٩٦٥ - ١٩٦٦)
ص ٢٦٥ - ٢٦٧

٦٧ - دفونتي (البروجالس) :

الترجمة العربية في النثر الاسباني في المصور
الوسطى فيما يتصل بتركيب الجمل والاسلوب
نقد وتعريف حسين مؤنس ٥ (١٩٥٧)
ص ٢٨٧ - ٢٨٨

٦٨ - الدوري (عبدالعزيز) :

■ بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ، نقد
وتعريف حسين مؤنس ٧ - ٨ (١٩٥٩ - ١٩٦٠)
ص ٣٧٣ - ٣٧٥

■ مقدمة في تاريخ صدر الاسلام ، نقد وتعريف
حسين مؤنس ٢ (١٩٥٤)
ص ٢٥٨ - ٢٦٨

٦٩ - رامون (ليل) :

كتاب الرد على اليهود ، نقد وتعريف حسين
مؤنس ٥ (١٩٥٧)
ص ٢٨٣

٧٠ - رودلف (هانز سينجر) :

قائمة باسماء الاماكن والبلدان الواردة في كتب
الملة لابن بشكوال (١٩٧٠)
ص ١٥١ - ١٩٦

٧١ - روثشال (هوانتس) :

مقدمة ابن خلدون ، نقد وتعريف حسين مؤنس ٦
(١٩٥٨)
ص ٢٩٨ - ٣٠٠

٧٢ - رونارت (ستيفن وناندي) :

دائرة معارف موجزة للحضارة العربية ٦ (١٩٥٨)
ص ٢٨٦ - ٢٨٧

٧٣ - رويث (خوسيه باسكت) :

■ تقويم غرناطي من القرن الخامس عشر مجعول
المؤلف ٩ - ١٠ (١٩٦١ - ١٩٦٢)
ص ٤٩٢ - ٤٩٣

■ رواية عربية غربية لقصة السبعة الذين ناموا
في الكهف في انيسوس ٧ - ٨ (١٩٥٩ - ١٩٦٠)
ص ٥٠٠ - ٥٠٢

٧٤ - الريس (عسياد الدين) :

عبدالمالك بن مروان موحد الدولة العربية ١٣
(١٩٦٥ - ١٩٦٦)
ص ٢٠٧ - ٢٠٩

٧٥ - الزاوي (طاهر احمد) :

اعلام ليبيا ، نقد وتعريف محمود علي مكي ٩ - ١٠
(١٩٦١ - ١٩٦٢)
ص ٤٠٣ - ٤٠٤

٧٦ - زبيس (سليمان مصطفى) :

القباب التونسية في تطورها ، نقد وتعريف حسين
مؤنس ٦ (١٩٥٨)
ص ٢٩٥ - ٢٩٦

٧٧ - زكي (عبدالرحمن) :

■ انواع السيوف الاسلامية ومميزاتها عند
المؤلفين العرب (١٩٥٦)
ص ٤٧ - ٥٨

■ تاريخ الدول الاسلامية السودانية بافريقيا
الغربية ، نقد وتعريف محمود علي مكي ٩ - ١٠
(١٩٦١ - ١٩٦٢)
ص ٢٩٤ - ٢٩٧

■ حركة الاصلاح الديني في غرب افريقيا ١٣
(١٩٦٥ - ١٩٦٦) ص ١٢٩ - ١٦١

■ السيف في صدر الاسلام ٢ (١٩٥٤)
ص ١٥٠ - ١٥٨

■ العلم والعلماء في دولة المماليك البحرية المصرية
دراسة المعادن والاحجار الكريمة ١٥ (١٩٧٠)
ص ١١٢ - ١٢٢

■ مراجع في تاريخ العرب العربي ١٢ (١٩٦٧)
(١٩٦٨)
ص ١٦٥ - ١٩٨

■ النقوش الاخرقية والكتابات على السيوف
الاسلامية ٥ (١٩٥٧)
ص ٢٢٧ - ٢٤٠

- ٧٨ - زماعة (عبدالقادر) :
المؤرخ الاديب ، ابو الوليد ابن الاجهر ، ١٨ (١٩٧٤ -
١٩٧٥) ص ١٦٥ - ٢٠١ ، ١٩ (١٩٧٦ - ١٩٧٨)
ص ٨٢ - ١٢٠
- ٧٩ - زيدان (عبدالرحمن) :
المرز والمصولة في معالم نظم الدولة ، نشره عبدالوهاب
بن منصور ، نقد وتعليق محمود علي مكي ١ - ١٠
(١٩٦١ - ١٩٦٢)
ص ٢٩٧ - ٤٠٠
- ٨٠ - سالم (عبدالعزيز) :
■ انشاء على مشكلة تاريخ بناء اسوار انبيلية
في العصر الاسلامي ، ١٨ (١٩٧٤ - ١٩٧٥)
ص ١٢١ - ١٥٢
■ انشاء على مشكلة تاريخ بنيان المسجد الجامع
بقرطبة ١٥ (١٩٧٠) ص ٥٥ - ٩٢
■ بعض المصطلحات للمعمارة الاندلسية المغربية
٥ (١٩٥٧) ص ٢٤١ - ٢٥٢
■ صور من المجتمع الاندلسي في عصر الخلافة الاموية
وعصر دويلات الطوائف من خلال النقوش
المحفورة في علب العاج ١٩ (١٩٧٦ - ١٩٧٨)
ص ٦١ - ٨١
- ٨١ - سانشيث (البورنوث كلاوديو) :
تحقيقات عن كتاب فتح الاندلس ٩ - ١٠ (١٩٦١ -
١٩٦٢)
ص ٤٨٩ - ٤٩١
- ٨٢ - ستيفن (جايوسلاف) :
■ تأملات في المسرح العربي الحديث ٦ (١٩٥٨)
ص ٢٢٥ - ٢٢٩
■ مشاكل النشر العربي الحديث وظواهره ١١-١٢
(١٩٦٢ - ١٩٦٤)
ص ٢٢٠ - ٢٢٢
- ٨٣ - شاكت (يوسف) :
مقدمة للدراسة التريمية الاسلامية ١٢ (١٩٦٥ -
١٩٦٦)
ص ٢٢١ - ٢٢٥
- ٨٤ - شارل (بللا) :
ديوان ابن شهيد الاندلسي ، نقد وتعليق حسين
مؤنس ١١ - ١٢ (١٩٦٣ - ١٩٦٤)
ص ٢٦١ - ٢٦٤
- ٨٥ - شولسر (برنولد) :
جداول نستيفد ومال المقارنة لحساب التواريخ
الهجرية والميلادية مع جداول لتحويل التواريخ
المسيحية الشرقية ، نقد وتعليق حسين مؤنس
٧ - ٨ (١٩٥٩ - ١٩٦٠)
ص ٢٧٨ - ٢٨٠
- ٨٦ - شيبس (اولو) :
■ الآثار الثقافية الشرقية في الحضارة الغربية ،
نقد وتعليق حسين مؤنس ٧ - ٨ (١٩٥٩ -
١٩٦٠)
ص ٢٧٧
- طب الاسنان عند العرب ١٤ (١٩٦٧-١٩٦٨)
ص ١٩٩ - ٢٢٠
- ٨٧ - شتايجر (آرثالد) :
■ التأثيرات والصادر العربية في مؤلفات الفونسو
المشير الحكيم ٢ (١٩٥٥)
ص ١٩٧ - ١٩٩
- الدور الروحي للاسلام في تاريخ اسبانيا في
المصور الوسطى ٦ (١٩٥٨)
ص ٢٢٢ - ٢٢٨
- ٨٨ - شرقي (عبدالرحمن) :
الايدولوجية الالهية ، الابعاد النفسية التربوية ،
نقد وتعليق محمد عيسى ١٩ (١٩٧٦ - ١٩٧٨)
ص ١٥٩ - ١٦٠
- ٨٩ - شكري فيصل :
روح القدس في محاسبة النفس لمحيي الدين بن
عربي ١٤ (١٩٦٧ - ١٩٦٨)
ص ٨ - ٨٦
- ٩٠ - الشيبال (جمال الدين) :
■ الجبرلي ومدرسته ٦ (١٩٥٨)
ص ٢٢٤ - ٢٢٥
- مجموعة الوثائق الفاطمية ، نقد وتعليق حسين
مؤنس ٥ (١٩٥٧)
ص ٢٧٥ - ٢٧٦
- مفرج الكروب في اخبار بني ايوب لابن واسل ،
نقد وتعليق حسين مؤنس ٢ (١٩٥٤)
ص ٢٧٠ - ٢٧٢
- ٩١ - الشيبس (كامل مصطفى) :
الفكر الشيعي والتوزعات الصوفية حتى مطلع القرن
الثاني عشر الهجري ١٤ (١٩٦٧ - ١٩٦٨)
ص ٢٥٦ - ٢٥٨
- ٩٢ - الصابي (ابو الحسين هلا بن الحسن) :
رسوم دار الخلافة ، تحقيق ميخائيل عسود ،
نقد وتعليق حسين مؤنس ١١ - ١٢ (١٩٦٢ -
١٩٦٤)
ص ٢٨٩ - ٢٩٠
- ٩٣ - الصولي (خالد) :
بنو جمهور اصحاب قرطبة ٦ (١٩٥٨)
ص ٢٢٩

- ٩٤ - سيف (شوقي) :
المصر الاسلامي ح ٢ من تاريخ الادب العربي ١٣
(١٩٦٥ - ١٩٦٦)
ص ١٩٠ - ١٩٤
- ٩٥ - الطالبي (محمد) :
الامارة الاغلبية ١٤ (١٩٦٧ - ١٩٦٨)
ص ٢٥٤ - ٢٥٦
- ٩٦ - الطروش (ابو بكر) :
الحوادث والبدع ، نقد وتعريف محمود علي مكسي
٩ - ١٠ (١٩٦١ - ١٩٦٢)
ص ٢٨٩ - ٢٩٣
- ٩٧ - الطنجي (محمد بن تاويت) :
جدوة القتبس الحميدي ، نقد وتعريف محمود
علي مكسي ٢ (١٩٥٤)
ص ٢٧٥ - ٢٨٣
- ٩٨ - طوقان (قلبي حافظ) :
الزعة الملية في التراث العربي ٣ (١٩٥٥)
ص ٧٧ - ٩٦
- ٩٩ - عادل يعقوب :
قرارات من العربية الممارسة ، نقد وتعريف حسين
مؤنس ١١ - ١٢ (١٩٦٣ - ١٩٦٤)
ص ٢٨٠ - ٢٨٣
- ١٠٠ - العبادي (احمد مختار) :
الامجاد في مملكة غرناطة ١٥ (١٩٧٠)
ص ١٢٣ - ١٤٩
- تاريخ الاندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن
السياط نصان جديان ١٣ (١٩٦٥ - ١٩٦٦)
ص ٧ - ١٢٦
- سياسة الفاطميين نحو المغرب والاندلس
٥ (١٩٥٧)
ص ١٩٣ - ٢٢٦
- فترة مضطربة في تاريخ غرناطة ، كما يصفها
شاهد ميان ٧ - ٨ (١٩٥٩ - ١٩٦٠)
ص ٤٣ - ٧٢
- محمد الفتي بالله ملك غرناطة ١١ - ١٢
(١٩٦٣ - ١٩٦٤) ص ٤٢٢ - ٤٤٤ ، ١٣
(١٩٦٥ - ١٩٦٦) ص ٢٦٩ ، ١٤ (١٩٦٧ -
١٩٦٨) ص ٣٢٢ - ٣٢٣
- مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد
المغرب والاندلس ، مجموعة من رسائله ، نقد
وتعريف حسين مؤنس ٥ (١٩٥٧)
ص ٢٧٧ - ٢٧٨
- مقامه العيد لابي عبدالله الازدي ٢ (١٩٥٤)
ص ١٥٩ - ١٧٣
- وصف الاندلس لـ احمد بن علي بن الشباط
الصري التوزري ١٤ (١٩٦٧ - ١٩٦٨)
ص ١٦٢ - ١٦٣
- هل هناك اصل عربي اسباني لـ الخرائط
البحرية انظر (بيرنيط خوان)
- ١.١ - عبدالعزير بن عبدالله :
المربية لغة العلم والحضارة ٥ (١٩٥٧)
ص ٢٥٥ - ٢٦٢
- المرأة المراكشية في الحقل الفكري ٦ (١٩٥٨)
ص ٢٥٩ - ٢٧٦
- ١.٢ - العلوي (احمد بن عمر) :
نصوص من الاندلس من كتاب ترصيع الاخبار وتنويع
الالار ، والبستان في لرائب البلدان والمالك الى
جميع الممالك ، تحقيق د. عبدالعزير الاهواني ١٣
(١٩٦٥ - ١٩٦٦) ص ٢١٠ - ٢١٢
- ١.٢ المسوس (احمد بن حسين) :
النبل المذهب في تاريخ طرابلس الغرب ح ١ نقد
وتعريف حسين مؤنس ٧ - ٨ (١٩٥٩ - ١٩٦٠)
ص ٢٩٩ - ٣٠٠
- ١.٤ عفيف تسرك :
ملكة سرقسطة في القرن الحادي عشر الميلادي ،
نقد وتعريف محمد عيسى ١٦ (١٩٧٦ - ١٩٧٨)
ص ١٤٥ - ١٤٨
- ١.٥ - الطي (صالح احمد) :
التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في
القرن الاول الهجري ، نقد وتعريف حسين مؤنس ٢
(١٩٥٤)
ص ٢٦٨ - ٢٧٠
- ١.٦ - عثمان (محمد عبدالله) :
اربع وثائق دبلوماسية من امراء المغرب الاوسط
الى الامبراطور شارلكان في اوائل القرن السادس
عشر ١٩ (١٩٧٦ - ١٩٧٨)
ص ٥ - ٢٠
- اكتشاف السفر الخامس من القتبس لابن
حيان ١٣ (١٩٦٥ - ١٩٦٦)
ص ١٢٧ - ١٢٧
- ثلاث رسائل دبلوماسية من البلاط المغربي الى
البلاط الاسباني في اوائل القرن السابع عشر
الميلادي ١٨ (١٩٧٤ - ١٩٧٥)
ص ٥ - ١٦
- رواية مصر عن المغرب والاندلس في اواخر
القرن التاسع الهجري ١٥ (١٩٧٠)
ص ٩٥ - ١١١
- مصر المرابطين والموحدين في المغرب والاندلس ،
نقد وتعريف حسين مؤنس ١١ - ١٢ (١٩٦٣ -
١٩٦٤)
ص ٢٧٨ - ٢٨٠

- من تراث الادب الاندلسي الموريسكي ١٦ (١٩٧١)
ص ١١ - ١٦
- وثيقة اندلسية قشتالية من القرن التاسع
الهجري ٢ (١٩٥٤)
ص ٢٨ - ٤٥

١.٧ - العناني (غليسة ابراهيم) :

- الابنية الاسبانية الاسلامية انظر (بلياس
ليوبولدو توريس)
- ثلاثة منسوجات من الطراز الفرناطي (١٩٥٤)
ص ٢١٢

١.٨ - غريبال (محمد شفيق) :

- تكون مصر ١٤ (١٩٦٧ - ١٩٦٨)
ص ٢١٢ - ٢١٤
- سير الاراء والحركات في تاريخ الاسلام ٦
(١٩٥٨) ص ٢٢١ - ٢٢٢

١.٩ - غومس (غرسيه اميليو) :

- كتاب الايام ومكانه في تاريخ النشر العربي ،
ترجمة حسين مؤنس ٢ (١٩٥٤)
ص ٢٤٠ - ٢٥٢
- الخرجات المستعربية ويهود الاندلس ، نقد
ولعريف حسين مؤنس ٥ (١٩٥٧)
ص ٢٨٨
- نصيدة سياسية لابن طفيل لم تنشر ، ترجمة
احمد هيكل ١ (١٩٥٢)
ص ٢٥ - ٢٢
- منتخبات من شعر ابن الزقاق ٤ (١٩٥٦)
ص ٢٠٤ - ٢٠٦
- يوميات نائب في الارياض ومكانه في الادب المصري
المعاصر ، ترجمة محمود علي مكي ٤ (١٩٥٦)
ص ١٥٢ - ١٦٧ و ٢٠٦ - ٢٠٨

١١. - الفاوازي (ابو نصر) :

- نصول المدني ، تحقيق د . م . دغلوب ، نقد ولعريف
حسين مؤنس ٧ - ٨ (١٩٥٩ - ١٩٦٠)
ص ٢٦٤ - ٢٦٦

١١١ - فارسي (نبيه امين) :

- دراسات عربية ، نقد ولعريف حسين مؤنس ٧ - ٨
(١٩٥٩ - ١٩٦٠)
ص ٢٧١ - ٢٧٢

١١٢ - الفاسي (محمد) :

- ابن البناء العددي المركشي ٦ (١٩٥٨)
ص ١ - ٩
- الرحالة الشهير ابو عبدالله محمد العبدوي
٩ - ١٠ (١٩٦١ - ١٩٦٢)
ص ١ - ١٤

١١٢ - فتحي عثمان :

- الحدود الاسلامية البيزنطية بين الاحتكاك العربي
والاتصال الحضاري ١٤ (١٩٦٧ - ١٩٦٨)
ص ٢٥٠ - ٢٥٢

١١٤ - فرانسييسكو :

- مقالات شرقية ، نقد ولعريف حسين مؤنس ٧ - ٨
(١٩٥٩ - ١٩٦٠)
ص ٢٨٦ - ٢٨٨

١١٥ - فردريك :

- فراءات من العربية المعاصرة ، نقد ولعريف حسين
مؤنس ١١ - ١٢ (١٩٦٢ - ١٩٦٤)
ص ٢٨٠ - ٢٨٢

١١٦ - فرناندو (بلدراما هريث) :

- كنائس الحائك او مجموعة اغاني مغربية من القرن
الثاني عشر الهجري ١٢ (١٩٦٥ - ١٩٦٦)
ص ١٩٤ - ١٩٧

١١٧ - فرناندو (دي لاجونغا سانتا ماريا) :

- بيع تجارية في السوق كما ورد في مقامة لابي
البقاء الرندي ١٤ (١٩٦٥ - ١٩٦٦)
ص ٢٧٢ - ٢٧٢
- تحفة المغرب ببلاد المغرب ١٧ (١٩٧٢ - ١٩٧٣)
ص ٥ - ١٨١
- النثر في كتاب العلوي ١٢ (١٩٦٥ - ١٩٦٦)
ص ٢١٢ - ٢١٢

١١٨ - فون جرونباوم (غوستاف) :

- شعراء عباسيون ، نقد ولعريف حسين مؤنس ٧ - ٨
(١٩٥٩ - ١٩٦٠)
ص ٢٨٨ - ٢٨٩

١١٩ - الفهري (محمد البشير) :

- قبيلة بني زروال مظاهر حياتها الثقافية والاجتماعية
والاقتصادية ، نقد ولعريف محمود علي مكي ٩ - ١٠
(١٩٦١ - ١٩٦٢)
ص ٤٠١ - ٤٠٣

١٢٠ - فيس (هانس) :

- ناموس للغة الكتابة العربية المعاصرة ، نقد ولعريف
حسين مؤنس ٧ - ٨ (١٩٥٩ - ١٩٦٠)
ص ٢٦٧ - ٢٦٩

١٢١ - فيشر (سيدني) :

- تاريخ الشرق الاوسط ٦ (١٩٥٨)
ص ٢٨٧ - ٢٨٩

١٢٢ - فيشر (لارول) :

- الشرق الاوسط في ازمة ، عرض تاريخي مدعم
بالوثائق ، نقد ولعريف حسين مؤنس ٧ - ٨
(١٩٥٩ - ١٩٦٠)
ص ٢٨٠ - ٢٨٦

١٢٢ - فييت (جاستون) :

مقدمة للأدب العربي ١٢ (١٩٦٥ - ١٩٦٦)
ص ٢٢٦ - ٢٢٩

١٢٤ - قدورة (يوسف) :

قراءات من العربية المعاصرة ، نقد وتعريف حسين
مؤنس ١١ - ١٢ (١٩٦٢ - ١٩٦٤)
ص ٢٨٠ - ٢٨٢

١٢٥ - كانتارينو (بيثيني) :

بين الرهبان والمسلمين ، الصراع الذي تمخضت
عنه اسبانيا ، نقد وتعريف محمد عيسى ١٩ (١٩٧٦) -
(١٩٧٨)
ص ١٢١ - ١٢٤

١٢٦ - كانتون (سالتشت) :

الرحالة الاسبانيون في الشرق ٤ (١٩٥٦)
ص ٢٢٧ - ٢٤٢

١٢٧ - كانتيرا (فرانيسكو) :

الاقبية المنقرية ، نقد وتعريف حسين مؤنس ٥
(١٩٥٧)
ص ٢٨٦

١٢٨ - كراشكوفسكي (الحناطوس) :

تاريخ الادب الجغرافي العربي القسم الاول ١١ - ١٢
(١٩٦٣ - ١٩٦٤)
ص ٢٦٧ - ٢٦٩

١٢٩ - كرينسكي (فريد) :

الشرق الاوسط في ازمة مرض تاريخي مدعم بالوثائق
نقد وتعريف حسين مؤنس ٧ - ٨
(١٩٥٩ - ١٩٦٠)
ص ٢٨٠ - ٢٨٦

١٣٠ - كلابالو (خوستيل) :

مكتبة الاسكوريال ومخطوطاتها العربية ، نقد وتعريف
محمد عيسى ١٩ (١٩٧٦ - ١٩٧٨)
ص ١٥٢ - ١٥٤

١٣١ - كنون (عبدالله) :

ابو البقاء الرندي وكتابه الواقي في نظم القواني
(١٩٥٨) ٦
ص ٢٠٥ - ٢٢٠

التيسير في منامة التفسير للشيخ بكر بن
ابراهيم الاشبلي ٧ - ٨ (١٩٥٩ - ١٩٦٠)
ص ١ - ٤٢

ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث ١ (١٩٥٢)
ص ٢٢ - ٢٩

مالك بن انس ٥ (١٩٥٧)
ص ٢٦٢ - ٢٧٤

١٢٢ - كونتش (باول) :

الثراء التراث العربي في اللغة الالمانية ١٦ (١٩٧١)
ص ٢٥ - ٤٧

١٢٣ - كج (ه . مالكولم) :

الاصلاح الاسلامي ، النظريات السياسية والقانونية
لمحمد عبده ورشيد رضا ١٢ (١٩٦٥ - ١٩٦٦)
ص ١٩٧ - ٢٠٢

١٢٤ - لاكرا (خوسيه ماريا) :

وثائق لدراسة حركة الاسترداد والاسكان في وادي
ابره ٦ (١٩٥٨)
ص ٢٠٠ - ٢٠١

١٢٥ - لظلي عبدالبديع :

اسبانيا حلقة اتصال بين المسيحية والاسلام
انظر (بيدال رامون منتدث)

التروبا دور غرسية فرنندث ، البيئة الاسلامية
في حياته وشعره ٢ (١٩٥٤)
ص ٨٥ - ٩٢

١٢٦ - لندسي (ا . راو) :

المدارس الامريكية في بلاد الشام في القرن التاسع عشر
نقد وتعريف حسين مؤنس ١١ - ١٢ (١٩٦٣ - ١٩٦٤)
ص ٢٨٥ - ٢٨٨

١٢٧ - لوينا (سيكودي) :

الحملات القشتالية على غرناطة خلال سنة
(١٤٢١) ٤ (١٩٥٦)
ص ٢٤٧ - ٢٥١

الحموديون ملوك مالقة والجزيرة الخضراء ،
(١٩٥٦)
ص ٢١٦ - ٢١٧

غزوات المنصور ١٢ (١٩٦٥ - ١٩٦٦)
ص ٢١٤ - ٢١٥

قصود المتصم بن صمدح ١٢ (١٩٦٥ - ١٩٦٦)
ص ٢١٥ - ٢١٦

ولائق عربية غرناطية تتعلق ببيات ٤ (١٩٥٧)
ص ٢١٥ - ٢١٦

ولائق عربية غرناطية لم تنشر ، نقله الى العربية
ونشره بنوفع م . ع . م . ٤ (١٩٥٦)
ص ١٦٩ - ١٨١

الولائق العربية الغرناطية وفيمنها التاريخية
٧ - ٨ (١٩٥٩ - ١٩٦٠)
ص ٨٥ - ١٠٨

١٢٨ - لومبا (خواكين) :

جمال الطبيعة عند ابن حزم ١٤ (١٩٦٧ - ١٩٦٨)
ص ٢٢٠ - ٢٢٢

١٢٩ - لويس (انطونيو دي بيجا) :

مؤلف باركا مؤسس اسبانيا ٩ - ١٠ (١٩٦١ - ١٩٦٢)
٥٠٥ ص

١٣٠ - ماجيد (عبدالمنعم) :

■ اصل حفلات الفاطميين في مصر ٢ (١٩٥٤)
٢٥٣ - ٢٥٧ ص

■ مقدمة للدراسة التاريخية الاسلامي ، نقد وتعريف
حسين مؤنس ٢ (١٩٥٤)
٢٧٢ - ٢٧٤ ص

١٤١ - مارتينث (نيقولا لوبث) :

اليهود المتصرون في قشتالة والنحقيق في ايسام
ايرابلا الكاثوليكية نقد وتعريف حسين مؤنس ٥
(١٩٥٧)
٢٨٥ - ٢٨٦ ص

١٤٢ - مابسو (دافيد جنزالو) :

العرب اسئلة اليهود في اسبانيا في المصور الوسطى
١١ - ١٢ (١٩٦٣ - ١٩٦٤)
٢٢٧ - ٢٢٩ ص

١٤٣ - محمد داود :

مختصر تاريخ لطوان ، نقد وتعريف حسين مؤنس
٥ (١٩٥٧)
٢٧٦ - ٢٧٧ ص

١٤٤ - محمد عيسى :

■ كتب جديدة صدرت مؤخرا ١٩ (١٩٧٦ - ١٩٧٨)
١٦٠ - ١٦١ ص

■ مجلة اوراق ١٩ (١٩٧٦ - ١٩٧٨)

١٦٢ - ١٦٣ ص

١٤٥ - محمود قاسم :

اصول الرومانتيكية عند محبي الدين بن عربي ١٦
(١٩٧١)
٢١ - ٢٤ ص

١٤٦ - المدني (احمد لوفيق) :

كتاب الجزائر ، نقد وتعريف حسين مؤنس ١١ - ١٢
(١٩٦٣ - ١٩٦٤)
٣٦٦ - ٣٧٢ ص

١٤٧ - المراكشي (ابو عبدالله محمد) :

الدليل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، تحقيق د.
احسان عباس ١٣ (١٩٦٥ - ١٩٦٦)
١٨٧ - ١٩٠ ص

١٤٨ - مصطفى هوفس :

فن التوسيع ، نقد وتعريف محمود علي مكي ٩ - ١٠
(١٩٦١ - ١٩٦٢)
٤١٣ - ٤١٧ ص

١٤٩ - مصطفى ملازي :

■ ابن دحية في المغرب ١ (١٩٥٣)
١٦١ - ١٧٤ ص

■ ديوان ابن خفاجة ، نقد وتعريف محمود علي
مكي ٩ - ١٠ (١٩٦١ - ١٩٦٢)
٢٨٦ - ٢٨٩ ص

١٥٠ - مصطفى الكوش :

وثائق للدراسة تاريخ المغرب - مراسلات مولاي الحسن
الاول (القسم الاول) ، نقد وتعريف محمود علي
مكي ٩ - ١٠ (١٩٦١ - ١٩٦٢)
٤٠٨ - ٤١١ ص

١٥١ - المغربي (علي بن سعيد) :

بسط الارض في الطول والعرض ، تحقيق د. خوان
برتيغ خينيس ٦ (١٩٥٨)
٣٠٥ - ٣٠٧ ص

١٥٢ - الكتاسي (احمد) :

■ خريطة المغرب الاركيولوجية ، نقد وتعريف
محمود علي مكي ٩ - ١٠ (١٩٦١ - ١٩٦٢)
٤٠٧ - ٤٠٨ ص

■ مدينة ليكوس الاثرية ، نقد وتعريف محمود
علي مكي ٩ - ١٠ (١٩٦١ - ١٩٦٢) ص ٤٠٤ -
٤٠٦

■ وثائق للدراسة تاريخ المغرب - مراسلات مولاي
الحسن الاول (القسم الاول) ، نقد وتعريف
محمود علي مكي ٩ - ١٠ (١٩٦١ - ١٩٦٢)
٤٠٨ - ٤١١ ص

١٥٣ - مكي (محمود علي) :

■ احكام السوق ليحيى بن عمر الاندلسي (١٩٥٦)
٥٩ - ١٥١ ص

■ التأثيرات الشرقية في الاندلس ومدى انسرها في
تكوين الثقافة الاندلسية ٩ - ١٠ (١٩٦١ - ١٩٦٢)
٤٩٢ - ٤٩٩ ص

■ التشيع في الاندلس منذ الفتح حتى نهاية الدولة
الاموية ٢ (١٩٥٤)
٩٢ - ١٤٩ ص

■ ثورة عبيدالله بن المهدي في مدريد ٩ - ١٠
(١٩٦١ - ١٩٦٢)
٥٠٢ - ٥٠٣ ص

■ دراسات عن التيارات الثقافية الشرقية في
الاندلس والرها في تكوينه الثقافي ١١ - ١٢
(١٩٦٣ - ١٩٦٤)
٤٢١ - ٤٢٣ ص

■ ممر والمصادر الاولى للتاريخ الاندلسي ١٩٥٧:٥
٢٢٦ - ٢٣٢ ص

- وثائق تاريخية جديدة عن مصر المرابطيين
٧ - ٨ (١٩٥٩ - ١٩٦٠)
ص ١٠٩ - ١٢٨
- وثائق عربية غرناطية لم تنشر انظر (لولينا سيكودي)
- يوميات نائب في الأرياف ومكانه في الأدب المصري
الحاصر انظر (فرسية اميليو لومس)
- ١٥٤ - ملياس (خوسيه ماريا) :
علماء الفلاحة الأندلسيون ٤ (١٩٥٦)
ص ٢٥١ - ٢٥٤
- ١٥٥ - المنجد (صلاح الدين) :
دمشق في نظر الأندلسيين ٦ (١٩٥٨)
ص ٢٥ - ٦١
- ١٥٦ - النوني (محمد) :
ظاهرة تعريبية في المغرب أيام السعديين ١١ - ١٢ (١٩٦٢ - ١٩٦٤)
ص ٢٢٩ - ٢٥٨
- ١٥٧ - مؤنس (حسين) :
أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه
التصاري ولم يعاجر لابن المباس أحمد بن يحيى بن محمد التلمساني الوثريشي ٥ (١٩٥٧)
ص ١٢٩ - ١٩١
- الاشارات الجغرافية في كتابات ابن الخطيب
١١ - ١٢ (١٩٦٢ - ١٩٦٤)
ص ٢٧٧ - ٣٢٨
- الأصول المطبوعة التي تعيها مكتبة المثنى ببغداد
١١ - ١٢ (١٩٦٢ - ١٩٦٤)
ص ٣٧٥ - ٣٧٨
- كتاب الأيام ومكانه في تاريخ النشر العربي انظر
(فرسية اميليو لومس)
- تصنيف العلوم كما يراه ابن حزم ١٣ (١٩٦٥ - ١٩٦٦)
ص ٢٦٣ - ٢٦٥
- تعليق على نص عبيد الله ٢ (١٩٥٤)
ص ٢٢٥ - ٢٢٩
- التقسيم السياسي الإداري للأندلس ٥ (١٩٥٧)
ص ٢١٨ - ٢٢٦
- الجغرافية والجغرافيون في الأندلس ، بمسند
الأديبي ، الجغرافية وتطور التاريخ العالمي
١١ - ١٢ (١٩٦٢ - ١٩٦٤)
ص ١٤٣ - ٢٧٦
- الجغرافية والجغرافيون في الأندلس ، الشريف
الأديبي قمة علم الجغرافية عند المسلمين
١٠ - ١١ (١٩٦١ - ١٩٦٢)
ص ٢٥٧ - ٢٧٢
- الجغرافية والجغرافيون في الأندلس ، معاصرو
الأديبي ١١ - ١٢ (١٩٦٢ - ١٩٦٤)
ص ١٤٢ - ١٤٢
- الجغرافية والجغرافيون في الأندلس ، من البداية
الى الحجازي ٧ - ٨ (١٩٥٩ - ١٩٦٠)
ص ١٩٦ - ٢٥٩
- الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة لابي
الحسن علي بن يوسف الحكيم ٦ (١٩٥٨)
ص ٢٦ - ٢٠٤
- رواية جديدة عن فتح الأندلس ، نقد وتعرف
محمد عيسى ١٩ (١٩٧٦ - ١٩٧٨)
ص ١٤١ - ١٤٤
- رواية جديدة عن فتح المسلمين للأندلس ،
دعوة الى ترديد النظر في الموضوع ١٨ (١٩٧٤ - ١٩٧٥)
ص ٧٦ - ١٢٠
- سبع وثائق جديدة عن دولة المرابطين وابائهم
في الأندلس ٢ (١٩٥٤)
ص ٥٥ - ٨٤
- عبدالرحمن الناصر ودوره في تاريخ اسبانيا ٩ - ١٠
(١٩٦١ - ١٩٦٢)
ص ٤٩٩ - ٥٠١
- هود الى المراجع العربية لتاريخ السيد ٢
(١٩٥٤)
ص ٥٧ - ٢٠٩
- مجلة البحث العلمي ١٤ (١٩٦٧ - ١٩٦٨)
ص ٢٦٨ - ٢٦٩
- مجلة اللسان العربي ١٤ (١٩٦٧ - ١٩٦٨)
ص ٢٦٧ - ٢٦٨
- المرابطون - موجز تاريخي ١٤ (١٩٦٧ - ١٩٦٨)
ص ٢١٤ - ٢١٦
- مستدرک على نص كتاب ضوابط دار السكة
لابن الحسن علي بن يوسف الحكيم ١٤ (١٩٦٧ - ١٩٦٨)
ص ٢٣١ - ٢٤١
- ندوة تعليم اللغة العربية لغرب العرب ، المقودة
في دار معهد الدراسات الإسلامية في مدريد
لسنة (١٩٥٩) ٧ - ٨ (١٩٥٩ - ١٩٦٠)
ص ٢٤٧ - ٤٩٥
- نص جديد عن فتح العرب للمغرب انظر
(بروقتسال لبني)
- نصوص سياسية عن فترة الانتقال من المرابطين
الى الموحدین ٣ (١٩٥٥)
ص ٩٧ - ١٤٠
- وصف جديد لقرطبة الإسلامية ١٣ (١٩٦٥ - ١٩٦٦)
ص ١٦١ - ١٨١

جَوْلُ يُونُسَ شِعَارِ الْأَمِيرِ أَبِي الْعَبَّاسِ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الْمُعْتَزِ بِاللَّهِ خَلِيفَةُ الْعَبَّاسِيِّ

دراسة وتحقيق
الدكتور محمد بدیع شریف
طبع دار المعارف بمصر
١٩٧٧ ، ١٩٧٨

بقلم الدكتور

يُونُسُ أَحْمَدُ السَّامِرِيُّ

جامعة بغداد - كلية الآداب
قسم اللغة العربية

القسم الثاني

٢٧٩ - ص ٣٦٥ بيت (٩) :

[أسألي ياشر كني عني

لا ينبيء سائلا كخير]

جاء الفعل (ينبيء) بتخفيف الباء ، ولا يستقيم الوزن ، والصواب : تشديده مع جزم الفعل .

٢٨٠ - ص ٣٦٥ بيت (١٠) :

[أن فيها احتراقا ومحوا

من بكا عيني وحر زفيري]

كذا جاء الصدر وهو مختل الوزن ولا يستقيم على المديد وهو وزن الأبيات التي فيها هذا البيت إلا بجعل (فيها) (فيهن) .

٢٨١ - ص ٣٦٧ بيت (٧) :

[خذ من حياتي يا شوقي وما ترك الب

سفن المشط فما في الحيا وطر]

كذا جاء البيت وهو مختل الوزن .

٢٨٢ - ص ٣٦٨ بيت (٩) :

[قتلت عيناك نفسا كريمة

فلا تأمني أن مت سطوة ثاير]

كذا جاء الصدر ، وهو مختل الوزن ، ولعل الأصل :

(لقد قتلت) . والجدير بالذكر أن هذا البيت مع

آخر زيادة من السفينة ، وقد سقط منها الوزن .

٢٨٣ ص ٣٦٩ القصيدة (٢٥٦) تتألف من

(٣٣) بيتا وهي زيادة من السفينة .

يقول المحقق في الهامش : (وردت هذه القصيدة العصماء في السفينة وفيها وصف وغزل فائرت وضعها في باب الغزل . ولم أعر عليها في مخطوط آخر . ولقتها واسلوها لا يدعان شكاً في أنها لابن المعتز كما جاءت في رواية المخطوطة) .

يبدو أن المحقق استند إلى شئيين في نسبة هذه القصيدة إلى ابن المعتز : (اللغة والاسلوب) ، إضافة إلى كونها وردت في السفينة .

ويخيل إلينا أن هذه القصيدة ، أو على الأصح ما انطوت عليه من تشبيهات ساذجة وصناعة بدعية متكلفة ، وتكرار في بعض أبياتها ، واستعمالات لا يمكن أن تصدر عن ابن المعتز ما يدفع نسبتها عن ابن المعتز ، وكنا نود أن يحاول المحقق على الأقل أن يبدي بعض التحفظ في قبولها . بله نعتها (بالعصماء) .

وسنجتري ببعض الأبيات التي تدل على ما

اشرنا اليه وسنرقم هذه الابيات بحسب تسلسلها
في القصيدة :

٥ - وفي (التصابي) (اللصبى) (صباية)

وللهوى منا قلوب ونظير

٦ - لا (يخطر) الهم اذا ما (خطرت)

حوادث الدهر بنا مع من (خطر)

٧ - لله ذاك العيش والعمر الذي

(عاصرت) في ايامه (عصر) (العصر)

١٥ - كانما البنفسج الفض حكى

(قرص) محب في الخدود قد ظهر

١٦ - كانما اترجها وصايف

او مدنف (خلف) غرام وفكر

١٨ - كانما السوسان في اختلاطه

(شيب على تلك الثياب قد نثر)

١٩ - كانما ناعورة غنت لنا

(معدد) يبكي على الف هجر

٢٠ - كانما الدولاب في ترجيمه

عصابة تتلو المزامير سحر

٢٢ - كانما صوت قنانيها حكى

مقهقهقه يعجب من شيء نظر

٢٦ - كانما (طاراتنا) اذ تقرت

(اجراس) اجمال تسير في السحر

٢٧ - كانما الزمار في ترجيمه

عصابة في الفجر يتلون الزمر

٢٨ - كانما الشجر حكى بحسنه

ضفادعا تسرح في ضوء القمر

٣٠ - كانما البدر وقد لاح لنا

وجه امرىء من الغلاف قد ظهر

١ - ان ابن المعتز من اصحاب البديع ، ولكن
هل في شعره شيء مما جاء في هذه الابيات
الثلاثة الاولى (٧، ٦، ٥) من التكلف ،
والسذاجة والثقل ؟ .

٢ - هل استعمال (قرص الخدود) من
تعبيرات ابن المعتز ، وشعره في الغزل كثير
فهل بمقدور المحقق ان يأتي (بمثال آخر)
يدل فيه على هذا القرص ؟ اكبر الظن ان
هذا الاستعمال متأخر جدا عن عصر ابن المعتز
والسفيانة من القرن التاسع الهجري ، كما
يقول المحقق .

٣ - المشبه به الاول في البيت (١٦) وهو

، انوصائف ، غير واضح ، فباي شيء يشبه
الاترج الوصائف ؟ في انلون ، او في الشكل ،
او في شيء آخر ؟ .

ثم ما المقصود بالمشبه به الثاني (المدنف
خلف غرام وفكر) ؟ فهل اصل (خلف)
(حلف) بالحاء المهملة ؟ .

٤ - المشبه به في البيت (١٧) (السوسان
في اختلاطه) غير واضح الدلالة ، فباي
شيء مختلط ؟ والمشبه به لايمكن ان يصدر
عن شاعر استبره بهذا اللون من التعبير ؟ فما
وجه الشبه بين السوسان المختلط بالشيب
المنثور على تلك الثياب ؟ فكيف ينثر الشيب ،
وما هي تلك الثياب التي نثر عليها هذا
الشيب ؟

٥ - والمشبه به في البيت (١٩) وهو (المعدد)
هل هو من تعبيرات ابن المعتز واسلوبه ،
ومن ثم فما الذي يشبه به صوت (ناعورة) ؟

٦ - البيتان (٢٧، ٢٠) هل بينهما اختلاف في
اللفظ او المعنى ؟ وهل مثل هذا التكرار
مما يؤلف لدى ابن المعتز ؟ والغريب ان
المحقق لم يشر الى هذا التكرار في الهامش ؟

٧ - والبيت (٢٢) هل فيه مما عرف عن ابن
المعتز من التشبيه الدقيق في مثل هذا
النوع من التشبيه ؟ وهل ينبغي على من
يعجب بشيء ان يقهقه ؟

لقد استعمل ابن المعتز (القهقهة) في شعره
اكثر من مرة ولكنها لم تكن مثل التي جاءت
هنا هزيلة ضعيفة قلقة ، كقوله :

وكان ابريق المدامة بيننا

ظبي على شرف اناف مدلها

لما استحثته السقا حنى لها

فبكى على قدح النديم وقهقهها

(٢٩٨١-٢٩٩)

وقوله :

فيا ساقبي اليوم تودا كامسنا

بابريق راح في الكؤوس مقهقهه

٨ - والبيت (٢٦) اشتمل على لفظة (طاراتنا) ،
وانها اذا تقرت اشبهت (اجراس اجمال
تسير في السحر) . لقد نعت المحقق وهو
على حق ابن المعتز بانه كان يجتبي من
الالفاظ احسنها وافصحها وارقتها ، وقل
ما استعمل اللفظ النازل او العامي الرذيل

المبتذل . ومن الجدير بالذكر ان صاحب شفاء الغليل يشير في ص ١٨١ الى الطار هذا ويشرحه بقوله : (الطار : بمعنى الدف عامية رذلة مبتذلة) . ثم نود ان نسأل المحقق ، هل بإمكانه تزويدنا بنموذج آخر من شعر ابن المعتز ، وهو كثير في ثنابا ديوانه يدل على ان الجمال التي كانت تسير في السحر ذات اجراس ؟

٩ - وهذا التشبيه المجيب في البيت (٢٨) وهو تشبيه الشيز (وهو كما جاء في الالفاظ الفارسية المعربة ١.٥ - ١.٦ خشب اسود تعمل منه القصاع والامشاط وقيل هو الساسم وقيل خشب الجوز وقيل الابنوس) بالضفادع ، والى هنا فوجه الشبه على بعده ونفاره مقبول ، ولكن الشيء الذي لا يمكن ان يتفوه به ابن المعتز او يتورط بقوله هو ان هذه الضفادع (تروح) في ضوء القمر ؟

١٠ - واخيرا البيت الاخير وهو تشبيه القمر بوجه امرئ من (الغلاف) قد ظهر ، فاي غلاف هذا الذي ظهر منه وجه امرئ ؟

اكبر الظن ان هذه القصيدة منحولة على ابن المعتز ، وان بعضهم قد وقف على ارجوزته في ذم الصبوح التي تناولت في جملة ما تناولته وصف بستان وما اشتمل عليه من صنوف الزهور والاشجار ، وقد اكثر فيها الشاعر من التشبيهات الجميلة الرائعة التي لا تجد فيها على كثرتها تشبيها ضعيفا ، او عبارة مهلهلة او كلمة مبتذلة قلقة وبلا مكان الرجوع اليها في (٢-٣ وما بعدها) .

٢٨٤ - ص ٣٦٩ بيت (١٢) :

ا كانما نرجسها نواظر

ترفو وقد ارقها طول السهرا

(ترفو) كذا بالغاء ولعلها بالنون .

٢٨٥ - ص ٣٧١ بيت (١٠) :

[وما تناسيت الا وجدت له

من داخل القلب صورا يصوره]

كذا جاء الصدر وهو مختل الوزن ، ولعل الاصل : (وما تناسيت الا قد وجدت له) .

والجدير بالذكر ان البيت من جملة اربعة ابيات زيادة من السفينة وقد سقط الوزن

٢٨٦ - ص ٢٧٢ المقطوعة (٢٦٣) :

[القلب مشغول بجارية

ملكنت اسيرا غير منتصر

اشكو اليها طول جفوتها

فتقول طرفك عارم النظر

هويتك لم اكتسب لذة

بعار ولم اعد شا والنظر

فلما رايتك خوافة

تشوبين صفو الهوى بالكدر

[.]

١ - جعلت ابيات هذه المقطوعة ذات الرقم (٢٦٣) سبعة ابيات . وقد سقط وزنها على عادة المحقق في الزيادات .

٢ - علق المحقق على هذه المقطوعة بابياتها السبعة بقوله : (وردت في كب) كوينهاجن (ولم اعثر عليها في مخطوط آخر) .

٣ - الصحيح ان هذه المقطوعة مقطوعتان تتألف الاولى منهما من البيتين :

(القلب . . . واشكو . . .) ووزنها من

(الكامل) . وتتألف الثانية من خمسة ابيات

ابتداء من البيت المبدوء بكلمة (هويتك) الخ .

ووزنها من (المتقارب) . وقد مر بنا مثل

هذا التخليط ايضا .

٤ - (خوافة) كذا ولعل الاصل (خوانة) بالنون .

٢٨٧ - ص ٢٧٣ المقطوعة (٢٦٨) والتي اولها :

[وغنت فأغنت عن المطربين

وارتج بالطرب المجلس]

١ - كررت في باب الوصف ص ١٨٨ ولم يفتن الى ذلك المحقق .

٢ - جاءت (وارتيج) بهمزة وصل وتشديد الجيم في الموضعين ، ولا يستقيم مع هذا الضبط ، والصواب : ان الهمزة للقطع وتخفيف الجيم ارتج : هاج ، من ارتج البحر .

٢٨٨ - ص ٢٧٤ بيت (١) :

[ياساهرا ماذا طعم الكرى

من طول احزان ووسواس]

ضبطت (وسواس) بضم الواو ، والصواب : كسرهما .

٢٩٩ - ص ٢٧٤ بيت (٣) :

[لا تلحني قلبي عنك في شغل

وانظر الى ما جنت عيني على راسي]

١ - كذا الصدر وهو مختل الوزن ، والصحيح
(لا تلحني ان قلبي عنك في شغل) . والغريب
ان في الهامش رواية يستقيم بها الوزن وهي
(ان مثلي) لم يلتفت اليها المحقق .

٣٠٠ - ص ٢٧٤ بيت (٧) :

[الا قولوا لمن يمدو

الى ميدان اسناس]

(اسناس) كذا والصواب : (اسناس) بالشين ،
(وهو قائد تركي مشهور خدم المأمون والمعتصم
وكان احد قواده في فتح عمورية ، وكانت له دار
معروفة في سامراء ، توفي سنة ٢٢٠ هـ) انظر :
الطبري الفهراس .

٣٠١ - ص ٢٧٤ بيت (٨) :

[ايا احسن من يرمي

بسهم وجهه برجاس]

ضبطت (برجاس) بكسر الراء ، والصواب :
(ضمها) . وانظر مثل هذا ايضا :
[٥٦/٢ بيت (٣)] .

٣٠٢ - ص ٢٧٤ بيت (٩) :

[ويا باكورة الورد

يارا مشنت الاسي]

١ - كذا جاء العجز ، والصواب : (وبارامشنة
الاسي) .

الرامشنة : كما قال الصولي اس لها راسان
(شفاء الغليل ١٣٤)

٣٠٣ - ص ٢٧٥ بيت (١) :

[ايا ويئي وعولي من مكاسك

[.]

ضبطت (مكاسك) بفتح الميم والصواب : كسرهما ،
وانظر كذلك ص ٤٨٩ بيت (١٣)

٣٠٤ - ص ٢٧٥ بيت (٦) :

[نعم ونعم قد عثرت خذ بيدي

ولا تدعني ولا تقل تعسا]

كذا الصدر وهو مختل الوزن والصواب : (نعم
نعم قد عثرت . . .) والعجيب ان المحقق قد
اغفل رواية يستقيم بها الوزن ذكرها في الهامش

وهي : (اواه ياسيدي فخذ) ، وأصر على رواية
كوبنهاجن .

٣٠٥ - ص ٢٧٦ بيت (١) :

[دع نديما قد نأى وحبس

واسقني واشرب عقارا كالعبس :

كذا جاء الصدر ، وهو مختل الوزن ، والصواب :
(قد تنأى) . والعجيب ان المحقق اختار رواية
كوبنهاجن التي اختل بها الوزن ، واهمل الرواية
الصحيحة وهي :

(تنأى) انني روتها خمس نسخ كما في الهامش
(ص ل م ط د) . والحق اننا لانعرف السبب الذي
دعا المحقق الى هذا الاصرار العجيب في رواية
كوبنهاجن المفلوطة واهمال سواها مما يستقيم بها
الوزن . وهو عمل لا يمكن ان يعتد به في منهج
تحقيق النصوص الذي يهدف الى الافادة من روايات
النسخ الصحيحة .

٣٠٦ - ص ٢٧٦ بيت (٥) :

[اني اذا لم اجد يوما من ارسله

وشاق بي منتهى امري وملتمسي]

وردت (ارسله) بهزة قطع ولا يستقيم معها
الوزن ، والصواب ان تكون لتوصل . والجدير بالذكر
ان عجز البيت الثاني من هذه المقطوعة جاء على
هذا النحو :

(ياليت شعري هل ياتيكم نفس) ، وضبطت
(نفس) بضم السين وهو لا يتسجم مع قافية البيت
الاول ، والصواب (نفسي) .

٣٠٧ - ص ٢٧٦ بيت (٧) :

[يعثر باسمي فان هم فطنوا

ازاد عليها مخافة تعسا]

(ازاد) كذا ولا يستقيم معها الوزن ، والصواب
(زاد) . والجدير بالذكر ان هذا البيت من جملة
ثلاثة ابيات زيادة من كوبنهاجن وقد سقط وزنها .

٣٠٨ - ص ٢٧٨ البيتان (٤ ، ٣) :

[قمر في الظاهر غضب

سان في الباطن راضي

ومتى ينتصف المظلوم

والظلم قاضي]

كذا جاء البيتان وهما مختلا الوزن . وهما من
جملة اربعة ابيات زيادة من السفينة وقد سقط
وزنها .

(الظلم) كذا واعلمها (الظالم) ليستقيم الوزن .

وواضح ان الواو والميم من (المفلوم) في البيت الثاني ينبغي ان يقعا في المعجز .

٣٠٩ - ص ٣٧٩ المقطوعة (٢٨٦) :

[خطوات الهوى اصابته فؤادي

قمرماني للحظسه تعريض

ومريض الجفون من غير سقم

لهف نفسي على الصحيح المريض]

جاءت قافية البيت الاول مضمومة وقافية الثاني مكسورة ، ولم يشر المحقق الى هذا الاقواء .

٣١٠ - ص ٣٨٢ بيت (٧) :

[عليك بذا وذا واقطع وواصل

وفارق كل من كنت معه]

كذا جاء المعجز وهو مختل الوزن ، والغريب ان في الهامش رواية يستقيم بها الوزن وهي (قد كنت معه) لم يتخذها المحقق على العادة .

٣١١ - ص ٣٨٤ هامش (٨) : [ورد بيتان

بعد هذين البيتين عليهما ظاهرة الانتحال فآثرت بقاءهما في المخطوط لتفاهة المعنى] .

الجدير بالذكر ان البيتين اللذين اسقطتهما من الديوان كانا في الغزل بالذكر ، ومعلوم ان في شعر الرجل شيئا من هذا الغزل ، وكان الاجدر بالمحقق ان يسقط هذا الغزل ايضا ، ثم هل يحق لمن يتحنى لعملية التحقيق ان يسقط ما يشاء ويثبت ما يريد ، وهل تفاهة المعنى دليل على الانتحال ، وهل يفترض في الشاعر ان يكون في مستوى واحد من السمو والمتانة والابداع ، اليس في شعر اغلب الشعراء ان لم يكن كلهم شيء من التفاهة والاسفاف في اللفظ والمعنى ؟ فهل يمكن على هذا الاساس ان تسقط اشعارهم هذه ؟ .

ان اهم ما ينبغي على المحقق ان يصنعه نصب عينيه في هذه العملية هو التقيد بالنصوص واثباتها كما هي دون تغيير او تبديل او حذف او زيادة ، ويحضرني في هذا الصدد بعض اقوال من تصدوا لهذا العمل العلمي الدقيق . فقد جاء في مقدمة المصايد والمطارد قول المحقق : (ولم تخل مع هذا الجهد من بعض الهفوات ، او الاغلاط فاضطررنا الى ان تقدمها كما هي دون ان نتصرف فيها او نحرف نصوصها فان هذا ليس من الامانة العلمية في شيء) ص ١٤ .

وجاء في مقدمة كتاب الديارات قول المحقق : (بقي علينا ان نشير الى ان في متن الكتاب ، حكايات

وتعابير والفاظ مدارها في الغالب على الجسور والتفزل بالرهبان والراهبان .

وكنا حين نمر بها ، بين ان نسقطها من الكتاب ، او ان نشبها على ما وردت فيه ، وقد رايانا ان الابقاء عليها ضرورة تحتمها الامانة ، لان المنشور نص قديم لا سبيل الى التصرف به . فان غيرنا النص ابعدهنا عن اصله . وقد رايانا غير واحد من الكتاب والادباء يذهب هذا المذهب في نشر المصنفات القديمة ، منهم الدكتور زكي مبارك . . . ومنهم صديقنا الاديب البحاثة الدكتور صلاح الدين المنجد ، قال في هذا الصدد ، وقد استطلعنا رايه : (اما طي ما ورد في كتاب الديارات من (ادب مكشوف) فاعينك ان تصفي الى من اشار بذلك عليك ، فشان الكتاب يظهر في تلك الصورة الصادقة التي يقدمها لنا عن الحياة الاجتماعية في ايام العباسيين تلك الحياة التي كانت مزيجا من التقى والفجور واللهو والسرور والزهد والنسك والغنى والفقر والبذخ والجوع والفقر ، والتي كان فيها من الحرية والانطلاق في وصف احساس النفس ورغباتها وشهواتها الشيء الكثير ، لقد كانوا كذلك ، ولقد قالوا ذلك الشعر الذي يريد بعضهم طيه ، ولقد عاشوا تلك الحوادث التي وقعت لهم . . .) ص ١٦ .

٣١٢ - ص ٣٨٥ المقطوعة (٣٠٩) التي تتألف

من ستة ابيات والتي منها :

[يا من اقدمه على

كل الانام واصطفي

واراه من وجدي به

كالبدور او كالمكستفي

والمقطوعة (٣١٠) والتي تتألف من ستة ابيات ايضا وقد اشتملت على بيتين منسويين لابن المعتز وغيره وهما :

ميزت بين جماله وفعاله

فاذا الملاحه بالخيانة لاتفى

والله لا كلمته ولو انه

كالشمس او كالبدور او كالمشفي

اقول :

١ - ان الملاحظة او الهامش الذي وضع للمقطوعة الاولى والذي تحدث فيه المحقق عن البيتين المنسويين لابن المعتز وقصتهما كان ينبغي ان يكون للمقطوعة الثانية التي ورد البيتان بنصهما فيها .

٢ - أكبر الظن ان المقطوعتين ليستا من شعر ابن المعتز وانما هي لمتأخرين سمعوا بالبيتين وقصتهما فاحب بعضهم في الاولى ان يشر إشارة خفيفة الى البيتين وحاول آخر ان يضمن البيتين كما في المقطوعة الثانية .

٣ - ان هناك مصادر اقدم من مخطوطة كوينهاجن جاء فيها البيتان او ثلاثة ابيات (في بعض الروايات) ولم تذكر شيئا اخر عنهما . منها الديارات للشابستي وتحفة الامراء للصابي .

٤ - ان المحقق نقل القصة والابيات من معجم الادباء وكان الجدير به ان يجعل المصدر الديارات او تحفة الامراء لانهما اقدم زمنا من معجم الادباء .

٥ - كان على المحقق ان يتحفظ على الافضل في نسبة المقطوعتين الى ابن المعتز ، ولكنه لم يفعل لسبب واحد مهم وخطير جدا وهو الثقة المتناهية في رواية كوينهاجن او السفينة ، وهو امر لا يقره منهج تحقيق النصوص ونشرها كما اشرنا .

٢١٢ - ص ٢٨٧ بيت (٤) :

[وانت صب والدار جامعة

والعيش والرسل تختلف]

كذا جاء العجز مختل الوزن . وقد سقط منه كلمة .

٢١٤ - ص ٢٨٩ البيتان (٢ ، ٣) :

[الموت من شره العيين مذاق

في عينيه مقرب ما ان لها راق

ليست لها نظيرة الا واولها

عهد واخرها غدر بعشاق]

١ - (في عينيه) كذا ولا يستقيم معها الوزن والصواب (في عينه) .

٢ - (لها كذا والمفروض ان تكون (له) لينسجم الضمير مع البيت الاول ، والغريب ان في الهامش رواية (له) لم يفتن اليها المحقق .

٢١٥ - ص ٢٨٩ بيت (٥) :

[لج الفراق قوبح من عشقا]

ضبطت (عشقا) بفتح الشين والصواب : كسرهما .

٢١٦ - ص ٢٩٢ بيت (٤) :

[يا نفس موتى بعدهم

كذا يكون الاشتياق]

كذا جاء العجز وهو مضطرب الوزن والصواب (فكذا يكون ...)

٢١٧ - ص ٢٩٥ بيت (٣) :

[الم تبك من بين الحبيب المفارق

وصوت غراب بالذي خفت وامق]

(وامق) كذا ولا معنى لها والصواب (ناعق) .

٢١٨ - ص ٢٩٥ بيت (٤) :

[الا ان بالقاطول والدير بلدة

لذيذة شم الريح في كل شارق]

رودت (بلدة ولذذ) بالرفع ، والصواب النصب .

٢١٩ - ص ٢٩٥ بيت (٦) :

[وكيف بقا وجه مليح وطرة

بروح ويفدو خلفه الف عاشق]

(بقا) كذا وهو تحريف والصواب (يفي)

٢٢٠ - ص ٢٩٥ بيت (١٢) :

[سقيا ورعيا لمن هويت

ولا سقيا ورعيا لحاسد عشاقه]

كذا كتب البيت والصواب ان (ولا) تقع في الصدر . والبيت بعد ذلك مختل الوزن . وهو من جملة ابيات زيادة من كوينهاجن وسقط وزنها .

٢٢١ - ص ٢٩٦ بيت (٨) :

[وجفون عينيك قد نثرن البكا

فوق المدامع لؤلؤا وعقيقا]

(عينيك) كذا ولا يستقيم معها الوزن ، والصواب (عينك)

٢٢٢ - ص ٤٠١ بيت (٥) :

[ياليت حالي في الحب

ياشر كحالك]

(ياشر) كذا ولا يستقيم معها الوزن ، والصواب (ياشرير)

٢٢٣ - ص ٤٠٦ المقطوعة (٢٦٩) :

[نفسي فداء على انه رشا

بدمي القلوب بهم ريش بالكحل

لما رات وجهه شمس الضحى انفا

تسترت بقناع الغيم من خجل]

كان المفروض ان تعد هذه المقطوعة منجولة ايضا على غرار ما قيل عن امثالها من التغزل بالغلمان . ويبدو ان الذي غفر لها هذا الانتحال هو انها في (السفينة) لافي رواية (الصولي) .

٣٢٤ - ص ٤٠٧ بيت (٤) :

[هو هو لست انتهى

لكم الناس وهولي]

(هو هو) كذا ، ولا ندري ما اعرابها ؟ فهل اصلها
(وهو هو) . والجدير بالذكر ان هذه المقطوعة
زيادة من كوبنهاجن .

٣٢٥ - ص ٤٠٨ بيت (٣) :

[نظر ابن فاطمة الرضي

ماء الفرات بكر بلا]

ضبطت (الرضي) بتشديد الياء وكسرهما فاختل
الوزن ، والصواب تخفيفها . واكبر الظن ان
المقطوعة التي منها هذا البيت ليست من شعر
ابن المعتز ولا اسلوبه ، وهي من زيادات السفينة .

٣٢٦ - ص ٤٠٩ بيت (٤) :

[انا بالحب مقر لكم

هو ما شئتم فافعلوا]

كذا جاء العجز وهو مختل اوزن ، والصواب :
(وهو هو ما شئتم فافعلوا)

٣٢٧ - ص ٤٠٩ بيت (٥) :

[لي جهلي ولكم عقلكم

اشهد انكم اعقل]

كذا جاء العجز وهو مختل الوزن والصواب
(اشهدوا انهم اعقل)

والغريب ان الرواية التي يستقيم بها الوزن جاءت
في الهامش ولم يؤخذ بها .

٣٢٨ - ص ٤١٠ بيت (١١) :

[ايا عجبا شمس النهار بها

تموت الميالي يستقل بها الرجل]

كذا جاء الصدر وهو مختل الوزن ، ولعل الاصل
(ايا عجبا شمس النهار (التي) بها) .

والجدير بالذكر ان المقطوعة من الزيادات التي
لم يشر المحقق الى مصدرها وقد سقط وزنها .

٣٢٩ - ص ٤١١ بيت (٩) :

[وظل يعذله لا كان عاذله

لو يعلمون الذي يلقي لما عذلوا]

(عاذله) : كذا والصواب (عذله) بدليل يعلمون .
والجدير بالذكر ان رواية (عذله) وردت في
الهامش .

٣٣٠ - ص ٤١٢ بيت (٩) :

[ارحميني ياشر بالله في الله

به ان تركت المحب انت فمن له]

كذا جاء البيت والصحيح ان الصدر : (ارحميني
ياشر بالله في الله) ليستقيم الوزن والقافية .

٣٣١ - ص ٤١٣ المقطوعة (٣٩٣) تنلف

من اربعة ابيات اولها :

[لبست صفرة فكم فتنت

من اعين اذ رايتها وعقول]

١ - كذا جاء البيت ، وواضح ان (من) يجب
ان تكون في الصدر

٢ - كرر البيتان الاول والثاني من هذه المقطوعة
في باب الوصف (٢٠٢/٢) على انهما قطعة
قائمة بذاتها ، ولم يظن المحقق الى هذا
التكرار .

٣ - جاء عجز البيت في باب الوصف بدون (اذ)
فاختل الوزن .

٣٣٢ - ص ٤١٣ بيت (٩) :

[ومليح مقرطق

احور المين اكحل]

وردت (مليح ومقرطق) بالجر ، و (احور) بالرفع
والصواب انه بالجر ايضا .

٣٣٣ - ص ٤١٥ بيت (٦) :

[يا صاحبي عرج على الرسم

بالاحمدي سقيت من رسم]

جاءت (الاحمدي) بدون تشديد الياء وجبرها
ولا يستقيم الوزن الا بهما .

٣٣٤ - ص ٤١٦ بيت (٦) :

[والله ما للعيش بمدكم

ومجالس اللذات من طعم]

ضبطت (بمدكم) بضم الكاف ولا يستقيم الوزن
الا بضم الميم ايضا .

٣٣٥ - ص ٤١٦ بيت (٧) :

[ما تامر ين بهائم قلق

منع الشفا فليج في السقم]

(الشفا) كذا بالقصر ولا يستقيم معها الوزن
والصواب (الشفاء) . والغريب ان المحقق اشار
في الهامش الى (الشفا) بالقصر ايضا ، مما يدل
على انه لم يظن الى اختلال الوزن .

كذا جاء الصدر وهو مختل الوزن والصواب :
(يعود لي كما كان) .

٣٤٣ - ص ٤٢٨ بيت (١) :

[ليس للعبد بدفان شئ
ست فأكرمه سيدي أو أعنه]
جاءت همزة (فأكرمه) وصلًا ، والصحيح أنها
للقطع .

٣٤٤ - ص ٤٢٠ بيت (٢) :

[وطول عتاب في التلاقي يريني ..]
وردت (طول) بالجر والصواب : الرفع .

٣٤٥ - ص ٤٣١ بيت (٩) :

[قل ليعقوب فديناك بنا
ما نرى غيرك شيئًا حسنًا]
وردت (يعقوب) بتووين الجر ، والاسم ممنوع
من الصرف .

٣٤٦ - ص ٤٣٢ المقطوعة (٥٦) ، والتسبي
أولها :

[أما وقد بانوا ولم تب
نفي فما أحسنت في الحزن]
جاءت قافيتها ساكنة ، والصحيح : أنها مكسورة
لكي يستقيم الوزن ، وجاءت (أحسنت) بسكون
التاء والصحيح : كرها .

٣٤٧ - ص ٤٣٢ بيت (٣) :

[ياربوع واستبدلت بعدهم
وسكنت بعدهم إلى سكن]
ضبطت (بعدهم في الموضعين بسكون الميم ،
ولا يستقيم الوزن إلا بضمها .
وضبطت (سكنت) بسكون التاء ، والصواب
فتحها .

٣٤٨ - ص ٤٣٣ بيت (٧) :

[تطالبني بدين
ليس للعشاق دين]
كذا جاء الصدر وهو مختل الوزن ، والبيت مع
آخر زيادة من كوينهاجن وسقط وزنهما .

٣٤٩ - ص ٤٤٠ بيت (٤) :

[عودي اليه عودي اليه
فمنذ اطرفت لم تريه]
كذا الصدر وهو مختل الوزن والصحيح : (عودي
اليه عودي)

٣٣٦ - ص ٤١٦ بيت (٨) :

[أبجد حكم ما فعلت به
أم ذاك هزل منك في الحكم]
ضبطت (بجد) بتووين الجر فاغل الوزن والصواب
أضافتها إلى حكم .

٣٣٧ - ص ٤١٦ بيت (٩) :

[ياشر عذبتني زمنا
فلان حبك في من أتم]
كذا جاء الصدر وهو مختل الوزن ، والصواب :
(ياشر قد عذبتني زمنا) .
وجاءت (في) في العجز بلا تشديد للياء ولا فتحها
ولا يستقيم الوزن إلا بهما .

٣٣٨ - ص ٤٢٠ بيت (٨) :

[تميت ونحيي فني وصلها
حياتي في هجرها ماتمي]
كذا العجز وهو مختل الوزن والصواب (حياتي
وفي هجرها ماتمي) . والمقطوعة التي فيها هذا
البيت زيادة من كوينهاجن وقد سقط وزنهما .

٣٣٩ - ص ٤٢١ بيت (١١) :

[هانيك دار شر لا يغيرها
كر الخطوب وطول العهد والقدم]
(شر) كذا ولا يستقيم بها الوزن والصواب
(شرير) .

٣٤٠ - ص ٤٢٣ المقطوعة (٤٢٦) :

[نام عن ليلي ولم أنم
نهب كف الوجد والسقم
في سبيل العاشقين هوى
لم أنل منه سوى التهم]
يقول المحقق في هامش (١) عن هذين البيتين :
(وردا في السفينة ولم أعثر عليهما في مخطوط
آخر) . والعجب العجيب أنهما من قصيدة
في باب الشراب (٢٠٦/٢) .

٣٤١ - ص ٤٢٤ بيت (٦) :

[ياشر جودي بالهوى أو ضنى ...]
ضبطت (ضنى) بضم الضاد والصواب : كرها .

٣٤٢ - ص ٤٢٦ بيت (٨) :

[يعود كما كان
ليل المحب ليلان]

مطبوعات تراثية

بقلم

صادق هامل

دار الجاحظ للنشر - بغداد

- ١ -

كتاب العين

من مطبوعات وزارة الثقافة والاعلام لسنة ١٩٨٠-١٩٨١ [سلسلة المعاجم والفهارس - ٤٣] صدرت الاجزاء الاربعة الاولى من كتاب العين لابي عبدالرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (١٠٠-١٧٥ هـ) بتحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور ابراهيم السامرائي .

والمعروف ان الخليل صنف اول معجم في العربية ، اعتمد فيه على طريقة التقلب ، واستطاع بذلك معرفة المستعمل والمهمل من العربية فاخذ المستعمل وترك المهمل وقد سمي كتابه بالعين لانه ابتدا بصوت العين واتبع نظاما خاصا ابتدعه (وهو غير النظام الابجدي والالفباء الهجائي) فالاصوات اللغوية عند الخليل هي :

ع ح هـ خ ع ، ق ك ، ج ش ض ، ص س ز ، ط د ت ، ظ ث ذ ، ر د ن ، ف ب م ، و ا ي الهمزة .

وهو بطريقته هذه يضع البداية الاولى لعلم الاصوات في العربية وعلى وجه الخصوص مقدمة العين ، فهي على ايجازها ، تعد اول مادة في علم الاصوات دلت على اصالة الخليل وريادته في هذا العلم .

وطريقته في ترتيب الكتاب انه كان يفتح فاه بالالف ثم يظهر الحرف نحو : ا ب ، ا ع ، ا غ ، فاستدل ان العين ادخل الحروف في الحلق فجعلها اول الكتاب ثم ما قرب منها الرفع فالارفع حتى اتى على آخرها وهو الميم .

ويبين الخليل ان كلام العرب مبني على اربعة اصناف : الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي ثم يعرض لكل واحد من هذه الاصناف ويمثل له .

فمقدمة العين مادة غزيرة في علم الاصوات وعلم وظائف الاصوات لذلك فهي تعد من اهم الوثائق في علم اللغة التاريخي لتقدمها ولان الخليل مبتدع ومؤسس لم يأخذ علمه عن معاصر او سابق له .

بعد مقدمة المحققين عن منزلة كتاب العين في تاريخ علم اللغة تأتي الموضوعات التالية : منزلة العين في المعجمات العربية ، طريقة الكشف عن الكلمات في العين ، وصف نسخ كتاب العين حيث اعتمد المحققان على ثلاث مخطوطات : الاولى نسخة السيد حسن الصدر وهي مصورة ومكتوبة بخط نسخي واضح تاريخها ١٠٥٤ هـ ، وتقع في ٤٢٢ لوحة وقد اعتبرت النسخة الام .

الثانية نسخة طهران وتقع في ٢٥٠ ورقة تاريخها سنة ١٠٨٧ هـ مكتوبة بخط نسخي جميل . الثالثة نسخة مكتبة المتحف وهي مكتوبة بخط

الخراج وصناعة الكتابة

ضمن سلسلة كتب التراث (١١٠) من مطبوعات وزارة الثقافة والاعلام لسنة ١٩٨١ صدر كتاب (الخراج وصناعة الكتابة لقدامة بن جعفر) شرح وتعليق الدكتور محمد حسين الزبيدي .

كانت المقدمة عن المؤلف : قدامة بن جعفر (اصله ، حياته ، مؤلفاته) ثم كتاب الخراج : اهميته ، وصف المخطوط : فللكتاب نسخة مخطوطة بمكتبة كوبرلي بالاستانة ، مكتوبة بخط نسخي من القرن التاسع عشر ، وخطها جميل وواضح وغير منقوط .

واستنسخ شارل شيفر المجلد الباقي من كتاب قدامة ، وهذه النسخة موجودة بدار الكتب الوطنية بباريس برقم ٥٩٠٧ ويحمل المخطوط نفسه عنوان كتاب صنعة الكتابة لابي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي المتوفي (سنة ٣٣٧ هـ) .

وله نسخة مصورة (عن نسخة باريس) في المكتبة المركزية بجامعة بغداد في ٢٥٤ ورقة .

وقد قام (دي غويه) باختيار نبد منها وطبعها في نهاية كتاب (المسالك والممالك) لابن خرداذبة في ابريل عام ١٨٨٩ م وهو القسم المتعلق بديوان البريد والسكك والطرق والنواحي . الى الشرق والمغرب .

وصورت المنزلة السابعة المتعلقة بالضرائب في لندن سنة ١٩٦٥ م دون تحقيق ، على نسخة كوبرلي مع مقدمة باللغة الانكليزية وصدرت في كتاب يحمل عنوان (الضرائب في الاسلام) ولهذا المخطوط ثلاث نسخ مصورة في مصر :

الاولى صورت عن الاصل المحفوظ في باريس والثانية عن نسخة الاصل في كوبرلي بالاستانة والثالثة عن النسخة الثانية لدار الكتب المصرية وموجودة في معهد مخطوطات جامعة الدول العربية برقم (١٠٧٦) تاريخ وهناك نسختان اخريان مصورتان عن نسخة باريس في مكتبة دار الكتب المصرية . صور عنها معهد المخطوطات في جامعة

فارسي واضح ، النسخة المقتناة مصورة وتقع في ٤٠٠ لوحة ، مقسومة نصفين متعادلين تقريبا ، الاول في ثلاث مئة لوحة والثاني في ١٩٨ لوحة .

واضاء المحققان ايضا منهجهما في التحقيق ووضعا بعض الصور لصفحات نسخ المخطوطة . وقد جاءت المقدمة في ٤٤ صفحة ويأتي بعد ذلك النص ويستغرق ٣٢٢ صفحة في جزئه الاول حيث يتضمن مقدمة الكتاب [والمضاعف (باب العين مع الحاء والهاء والخاء والفين) وباب الثاني الصحيح وباب الثلاثي الصحيح] .

ثم يأتي ثبت المواد اللغوية في الجزء الاول .

ويقع الجزء الثاني في ٣٥٠ صفحة : وفيه باب العين والطاء وما يأتي معها وباب العين والذال ، والعين والهاء ، والعين والفاء ، والعين واللام والعين والنون والعين والفاء والعين والباء . ثم باب الثلاثي المعتل وفيه : العين والهاء والعين والخاء والعين والقاف والعين والكاف والعين والجيم وباب العين والشين والعين والصاد والعين والصاد والعين والسين والعين والزاي والعين والطاء وما يأتي مع كل باب من الحروف المستعملة معه . ثم فهرس المواد اللغوية للجزء الثاني .

ويقع الجزء الثالث في ١٤٤ صفحة ، ويبدأ بحرف الحاء وما يأتي معه من الحروف والثلاثي الصحيح من حرف الحاء والثلاثي المعتل واللفيف من الحاء ، وابواب الرباعي والخماسي من الحاء ثم حرف الهاء باب الثاني وباب الثلاثي الصحيح منه . وذكر حرف الهاء باب الثاني وباب الثلاثي الصحيح منه . وذكر حرف الهاء مع كل حرف ورد له استعمال في كلام العرب ، ثم ثبت المواد اللغوية للجزء الثالث .

ويقع الجزء الرابع في ٤٧٣ صفحة ، يبدأ بباب الهاء والسين والذال معهما ، وينتهي بباب الفين والهاء ، ثم ثبت المواد اللغوية للجزء الرابع . هذا وهناك اجزاء اخرى من كتاب العين هي قيد الطبع والتحقيق .

الدول العربية نسخة واحدة . ويبين المحقق بعد ذلك مميزات المخطوط ويأتي نص الكتاب ويشتمل على عجائب الأرض والبحار ، وفتح البلاد ومعرفة خراجها وترتيب الكاتب وما يحتاج إليه من الرياسة وهو مرتب على المنازل .

يبدأ الكتاب بالمنزلة الخامسة تقع في احد عشر باباً وهي في ذكر : ديوان الجيش والنققات وبيت المال والرسائل والتوقيع والدار والخاتم والفض وفي ذكر النقود ، والعيار والاوزان وديوان دار الضرب وديوان المظالم وفي كتابة الشرطة والاحداث وفي ديوان البريد والسكك والطرق الى نواحي المشرق والمغرب .

والمنزلة السادسة من كتاب الخراج تقع في سبعة ابواب وهي : (في ان اكثر امر الأرض في الهيئة والقدرة والمساحة والوضع والعمار ، في قسمة المعمورة من الأرض ووضع البحار من الأرض المعمورة ومسافتها والجزائر منها ، وفي الجبال التي في المعمورة منها وعددها واقرار المشهورة منها ، والانهار والعيون والبطائح التي في المعمورة واعدادها واقرار المشهور منها ، وفي مملكة الاسلام واعمالها وارتفاعها وذكر ثغور الاسلام والامم والاجبال المطيعة بها .

والمنزلة السابعة من كتاب الخراج وتقع في تسعة عشر باباً وهي : (في مجموع وجوه المال والفيء وهو ارض العنوة وفي ارض الصلح وارض العشر وفي احياء الارض واحتجارها والقطائع والصفايا والمقاسمة والوضائع ، وفي جزية رؤوس الاموال وصدقات الابل والبقر والغنم ، وفي اخماس الغنائم وفي المعادن والركاز والمال المدفون وفيما يخرج من البحر ، وفيما يؤخذ من التجار اذا مروا على العاشر واللقطة والضالة ، وفي موارث من لا وارث له وفي الشرب والحريم وفي اخراج مال الصدقة وفتوح النواحي والامصار .

والمنزلة الثامنة من كتاب الخراج تقع في اثني عشر باباً وهي : (في صدر هذه المنزلة والسبب الذي احتاج له الناس الى التفدي وفي السبب الذي احتاج له الناس الى اللباس والكسوة وفي السبب الذي احتاج له الناس الى التناسل من اجله والسبب الذي احتاج له الناس الى المدن والاجتماع فيها وفي

حاجة الناس الى الذهب والفضة والتعامل بهما وما يجري مجراهما وفي السبب الداعي الى اقامة ملك وامام للناس يجمعهم وفي ان النظر في علم السياسة واجب على الملوك والائمة ، واخلاق الملك وما يجب ان يكون عليه منها في ذات نفسه ، وفي الخلال التي ينبغي ان تكون مع خدام الملك والقرباء منهم وفي اسباب بين الملك والناس اذا تحفظ منها زادت محاسنه وانصرفت المعاييب عنه وتمكنت نه سياسته ، وفي استيزار الوزراء وما يحتاج اليه الملوك منهم وما يلزم الملوك لهم .

وينتهي الكتاب بثبت المراجع وفهارس متنوعة للامكنة والبقاع واللايات القرآنية ولاسماء الرجال وللقبائل والاقوام والفرق ، وللاوزان والمساحة والمقاييس والنقود والموظفين والعمال وللدواوين المالية والادارية والمصطلحات المالية والادارية ولاصطلاحات عامة وللمصطلحات الجغرافية والتقويمية وفهرست الكتاب . ويقع الكتاب في ٦٢٣ صفحة . المقدمة ١٦ صفحة والنص ٦٦٩ صفحة ، والفهارس في ١٣٧ صفحة .

- ٣ -

كتاب التعليقات والنوادر

ضمن سلسلة كتب التراث (١٩٨٠ ، ١٩٨١) صدر الجزءان الاول والثاني من كتاب التعليقات والنوادر لابي علي هارون ابن زكريا الهجري ، دراسة وتحقيق الدكتور حمود عبدالامير الحمادي افتتح الكتاب بمقدمة عن كتب التراث وتحقيقها ، وموضوعات كتاب التعليقات .

يتألف القسم الاول من دراسة المؤلف وكتابه ويتكون من الموضوعات التالية :

١ - ابو علي الهجري : اسمه ، ولقبه ، وكنيته ، مولده ، وفاته ، حياته شيوخته ، تلاميذه ، مؤلفاته (التعليقات والنوادر ، منخل الاراجيز او منتخب الاراجيز ، والعقيق) تاريخ تأليف كتاب التعليقات والنوادر ، منهج الهجري العام لكتاب

(التعليقات والنوادر) مادته العلمية ، أهمية الكتاب بين كتب النوادر الأخرى .

المخطوطات التي وصلت إلينا ، فهناك مخطوطتان استطاع المحقق الحصول عليها وهي : مخطوطة دار الكتب المصرية ، وهي من الخزانة السيدية الأجلية الأفضلية الجيوشية السيفية الناصرية ، وقد نقلت إلى الخزانة الفائزية ، وهي خزانة الفائز بنصرالله بن القاسم عيسى وعليها توقيعات وتمليكات شتى وفيها اضطراب في الصفحات ومنسوخة بخط الثلث وبعض الصفحات لا يمكن قراءتها لاحتراق الورق واختلاط الحروف ، كما ضاع عدد من صفحات الكتاب الأولى ومنها العنوان واسم المؤلف واسناد الكتاب وروايته ، وتاريخ هذه النسخة يعود إلى القرن الرابع الهجري أو الخامس .

وللمخطوطة نسخة ثانية في دار الكتب المصرية ، مكتوبة بخط نسخي منتظم وهي نسخة ثانية عن نسخة دار الكتب الأولى . وتعد أحسن من الأولى وتسد النقص الحاصل فيها ، يعود تاريخها إلى ما بعد القرن العاشر ويذكر الاستاذ الشيخ حمد الجاسر أن للكتاب نسخة أخرى أو ربما قطعة أخرى في مكتبة الجمعية الآسيوية في (كلكتة) بالهند . لم يستطع المحقق الحصول عليها رغم بذله الجهد الشديد لذلك .

ثم يأتي : منهج التحقيق ، والخاتمة . تستغرق المقدمة ٢٨ صفحة .

أما النص فقد استغرق في الجزء الأول ٢٨٩ صفحة يتضمن أشعار وأراجيز وروايات على طريقة الأمالي . بتدوين جميع ماسمعه الهجري من اللغويين والأعراب دون تصنيف أو ترتيب وتأتي أهمية الكتاب من تسجيل المستدركات الكثيرة على الكتب المأثورة عن اليزيدي والأنصاري ، واحتوائه مادة مهمة من أسماء الجبال والامكنة والمياه في جزيرة العرب إضافة إلى جملة ماورد في معجم ما استعجم للبكري ومعجم البلدان لياقوت ، فالكتاب يزودنا بمادة نادرة لا نجدها عند غيره من كبار المؤلفين ،

كما أنه لا يتعرض إلا إلى ماندر من الشعر الجاهلي والإسلامي .

فالمؤلف بعد أن يأتي بالقطعة من القصيدة يشرح مافيها من غريب أو نادر أو يقتصر على الاختيار ، ويروي الكثير من أخبار العرب وأنسابهم وما يخص الموضع والطرق والجبال والحيوان كالإبل والخيل والأنواء . . فنحصل من ذلك على دراسة واسعة في نوادر اللغة وغريبها وصنوف الأدب العربي قصيد ورجز وأخباره وأنسابه ومواضعه وما يتعلق بالجزيرة العربية في مختلف جوانبها مع الاستشهاد بالآيات والأمثال العربية .

أما الجزء الثاني فقد وقع النص في ٢٩١ صفحة وأضاف إليه المحقق الفهارس الفنية للآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأعلام والقوافي والمصادر والمراجع (المخطوطة والرسائل الجامعية والمطبوعة والمجلات والمؤلفات الأجنبية) وتقع في ١٠٠ صفحة .

- ٤ -

العباب الزاخر واللباب الفاخر

ضمن سلسلة المعاجم والفهارس (٤١) صدر كتاب العباب الزاخر واللباب الفاخر للحسن بن محمد بن الحسن الصفاني تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين (٥٧٧-٦٥٠ هـ)

وهذا الجزء يشمل (حرف الفاء) من فصل الهمزة إلى فصل الياء . وقد حققه الشيخ على نسخة فريدة مكتوبة بخط المؤلف ، والتزم بنشر الحروف المكتوبة بخط الصفاني نفسه أو مقروءة عليه بشهادته وأقراره على الرغم من عدم تسلسلها على النمو المألوف تجنباً من الوقوع في السهو والغلط والتصحيح والتحريف التي تصيب الناسخين ، وتجر الخطأ إلى من يأتي بعدهم من النقلة والمطالعين والمحققين .

والنسخة المحققة موجودة في الخزانة الملكية برباط المغرب برقم (٢٨٣٥) ، وتحوي إضافات المؤلف في حواشي الصفحات وقد أكمل المحقق

النواقص التي اصبحت بها النسخة الاصلية نتيجة الارضة بنسخة تركية محفوظة بمكتبة ايا صوفيا رقمها (٧٠٤) كتبت سنة ١١٢٠ هـ .

وينتصر النص عدة صور للمخطوطة . واستغرقت المقدمة احدى عشرة صفحة ، ويبدأ النص بفصل الهمز كلمة (ائف) وينتهي بكلمة يسف من فصل الياء ، فالكتاب مرتب على مخارج الحروف .

والمحقق هنا رصع معجمه بفهارس رائعة ومفيدة يشكر عليها تضمنت الايات القرآنية والاحاديث والاقوال الماثورة والامثال والاعلام وقوافي الشعر والرجز واللغات والمواد اللغوية ومطالب الكتاب وهو في عمله هذا يواصل سابقة الاستاذين كوركيس عواد وعبد الحميد العلوجي حين فهرسا المعجم المساعد للاب ماري انستاس الكرملي وازافا فائدة كبيرة الى فائدة المعجم .

واستغرق النص ٦٥٥ صفحة والفهارس ١٠٧ صفحة .

- ٥ -

المثلث

من سلسلة كتب التراث (١١١) اصدرت وزارة الثقافة والاعلام كتاب المثلث لابن السيد البطليوسي (٤٤٤هـ - ٥٢١هـ) .

يقع الكتاب في قسمين بعد المقدمة الاولى للدراسة والثاني لنص الكتاب المحقق والكتاب له اهمية كبيرة في تاريخ المعجم العربي لمكانته بين كتب (المثلث) فقد حدد البطليوسي مصطلح المثلث في اللغة ولعله كان اول من اضاف الى المثلث المختلف المعاني المثلث المتفق في معناه ، فقد استطاع حل مشكلة حرف الياء بايراده افعالا مضارعة بصيغة الغيبة تخضع لمصطلح المثلث ليتم عدد حروف المعجم . وقد افاض ابن السيد البطليوسي في شرح مادته اللغوية اكثر من سابقه ولاحقه بعبارة سهلة مستشهداً على ما يورده من المعاني بالشعر والنثر المعروف لدى علماء اللغة .

يشمل القسم الاول خمسة فصول

الاول : سيرة ابن السيد

اسمه ونسبه ، ولادته ، أسرته ، نشأة ابن السيد وحياته ، المرحلة الاولى والمرحلة الثانية من رحلته ، وفاته ، ثقافته وشيوخه ، تلاميذه

الفصل الثاني : آثاره ، مكانتها الفكرية

آثاره :

(ا) آثاره المطبوعة :

- ١ - الاسم والمسمى
- ٢ - الاقتضاب في شرح ادب الكتاب
- ٣ - الانتصار ممن عدل عن الاستبصار
- ٤ - الانصاف في التنبيه على الاسباب التي اوجبت الاختلاف بين المسلمين في آدابهم .
- ٥ - الحدائق في المطالب العالية الفلسفية المويضة .
- ٦ - الحل في اصلاح الخلل من كتاب الجمل
- ٧ - رسالة كتب بها الى قبر النبي وبعث معها بشعر الى مكة .
- ٨ - شرح سقط الزند .
- ٩ - شرح المختار من لزوميات ابي العلاء .
- ١٠ - الفرق بين الاحرف الخمسة
- ١١ - المثلث
- ١٢ - المسائل والاجوبة .

(ب) آثاره المخطوطة :

- ١ - ارجوزة في المساجلة باسم الرجل وابنه وبلده وقبيلته .
- ٢ - حكاية
- ٣ - شرح ابيات الجمل
- ٤ - شرح الخمس المقالات الفلسفية
- ٥ - طرر على الكامل للمبرد
- ٦ - المسائل .

(ج) آثاره المفقودة :-

- ١ - أبيات المعاني
- ٢ - اثبات النبوات
- ٣ - الانساب
- ٤ - التذكرة الادبية
- ٥ - جزء فيه علل الحديث
- ٦ - الدوائر
- ٧ - رسالة كتب بها الى عبدالله بن محمد بن خلصة .
- ٨ - شرح أبيات المعاني
- ٩ - شرح اصلاح المنطق
- ١٠ - شرح الجمل في النحو
- ١١ - شرح ديوان المتنبي
- ١٢ - شرح فصيح ثعلب
- ١٣ - فهرسة ابن السيد
- ١٤ - قصيدة في رثاء ديك
- ١٥ - القراءات
- ١٦ - المقتبس في شرح موطا مالك بن انس

الفصل الثالث : التأليف في المثلث

المثلث لغة واصطلاحاً (والمقصود به اسلوب يتمثل في ايراد ثلاث حركات لثلاث كلمات تتشابه في الاصل والوزن وترتيب الحروف وتختلف في حركة فائها او عينها سواء اكانت هذه الكلمات بحركاتها الثلاث متفقة المعنى ام مختلفة) .

ثم درس : التأليف في المثلث ، مع المخطوطات الكثيرة في المثلث واماكن وجودها .

الفصل الرابع : دراسة في كتاب المثلث لابن السيد

دراسة في كتاب المثلث (نقده كتاب قطرب ، دوافع التأليف منهج التأليف ، طريقة العرض (١ - ابواب المثلث المتفق المعاني ، ب - ابواب المثلث المختلف المعاني) ، ملاحظات حول الكتاب

الفصل الخامس : مصادر الكتاب

القسم الاول : اعتماده على جهود سابقيه من علماء العربية :

(ا) مؤلفات اورد اسماءها في كتابه ، (ب) مؤلفات ذكر اصحابها ولم يشر اليها ، (ج) نقول عن علماء العربية ، (د) نقوله عن الاعراب والقراء والمحدثين والخباريين [.

القسم الثاني : شواهد الكتاب : (ا) القرآن الكريم ، (ب) الحديث الشريف ، (ج) المأثور من اقوال الصحابة ، (د) الاقوال والامثال والاسجاع ، (هـ) الشعر [.

ثم اعد المحقق احصائية باسماء الشعراء الذين استشهد ابن السيد بشعرهم ، الجاهليين والمخضرمين والاسلاميين ، والعباسيين) .

الفصل السادس : كتاب المثلث لابن السيد بين كتب المثلثات الاخرى :

اولاً : كتاب المثلث لقطرب (ت ٢٠٦ هـ)
ثانياً : كتاب (المثلث) للقزاز (ت ١٢٤ هـ)
ثالثاً : كتاب (المثلث) لابن السيد (ت ٥٢١ هـ)
رابعاً : كتاب (الاعلام بمثلث الكلام) لابن مالك (ت ٦٧٢ هـ)

خامساً : كتاب (نيل الارب في مثلثات العرب) للشيخ حسن قويدر (ت ١٢٦٢ هـ)

سادساً : كتاب (نفحة الاكمام في مثلث الكلام) للشيخ عبدالهادي نجا اليبيري (ت ١٣٠٥ هـ) .

ويستعرض مع كل كتاب الابواب التي تألف منها ذلك الكتاب وبعد ذلك يورد مادة وردت في كتب المثلث السابقة لبيان الفرق بين شرح البطليوسي وشروح الآخرين وهي مادة [العبر والعبر والعبر] .

ثم يدرس اثر الكتاب فيما وصل اليها من مؤلفات وهي :

١ - بغية الآمال في معرفة مستقبلات الافعال لابن جعفر البلي .

٢ - اتفاق المباني واقتراق المعاني لابن بنين (ت ٦١٤ هـ) .

٣ - الاعلام بمثلث الكلام لابن مالك (ت ٦٧٢ هـ)

٤ - خزانة الادب للبغدادي (ت ١٠٩٣ هـ)

٥ - تاج الموسى للزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ)

٦ - نيل الارب في مثلثات العرب للشيخ حسن قويدر (ت ١٢٦٢ هـ) .

ثم يعد ملحقاً للدراسة الاحصائية الصوتية لجذور المثلث المختلف المعاني .

(ا) العمل الاحصائي ، (ب) الدراسة الصوتية في قسمين ومن ثلاث مجموعات ويتوصل في الاولى الى النتائج التالية :

(ا) الاصوات التي وردت في اوائل جذور المثلث .

(ب) الاصوات التي وردت في ثواني الجذور

(ج) الاصوات التي وردت في ثوالت الجذور

اما المجموعة الثانية فتقسم الى (الاصوات الانفجارية او الشديدة والاصوات الاحتكاكية او الرخوة) والاصوات المتوسطة ويضع لكل نوع جدولا ايضا في توزيع الاصوات .

ثم يعد جداول اخرى الاولى لكلمات المثلث المختلف المعنى رتبه على حروف المعجم ، والثاني : جداول الجذور رتبه على حروف المعجم ايضا ، ثم اعد جداول مختلفة لتوزيع الجذور بحسب مواضع النطق والاورتار الصوتية وحالة مرور الهواء عند مواضع النطق .

اما القسم الثاني (منهج التحقيق فقد شمل وصف النسخ وتحقيق الكتاب ، حيث اعتمد في تحقيقه على :

١ - نسخة ايران وهي نسخة مكتبة ملي برقم ١/٢٢٨ ضمن مجموع وهي نسخة جيدة بقلم نسخ مقاسها ١٧٥ x ٢٥ سم وهي ناقصة الاول .

٢ - نسخة حلب وعدد اوراقها ١٢٨ ، وهي نسخة مكتوبة بقلم نسخ جيد الشكل، ولعلها نقلت من نسخة منقولة عن نسخة فاس لتشابه النسختين .

٣ - نسخة الخزانة الملكية بالرباط (الزيدانية)

رقمها ١٢٢٩ وعدد اوراقها ١١٢ ورقة مقاسها ١٦x٢٠ سم وهي منسوخة بقلم مغربي حديث سقطت منها صفحة العنوان .

٤ - نسخة دار الكتب رقمها ٢٢٧ لغة تيمور وهي مكتوبة بقلم مغربي تصعب قراءته عدد اوراقها (١١١) ورقة يعود تاريخها لسنة ١٣٢٠ هـ وهي نسخة كاملة اطلع عليها يوسف البان سركيس وهي ايضا من فروع نسخة فاس .

٥ - النسخة الشنقيطية ، وهي نسخة بمكتبة شنقيط بدار الكتب برقم ٣ مجاميع ش ومكتوبة بقلم مغربي حديث جيد الشكل بها حزم في الاول بمقدار ورقتين ونقص في الاخر بمقدار الثلث عدد اوراقها ٥٩ ورقة .

٦ - نسخة مكتبة عاطف افندي رقمها ٢٧٥٤ وهي نسخة بخط نفيس جدا جيد الشكل كتبت ابواب الكتاب ومواده اللغوية بماء الذهب عدد اوراقها ٢٣٦ وعلى بعض صفحاتها طرة وقف ولعلها منقولة من احدي فروع نسخة بيل .

٧ - نسخة خزانة جامعة القرويين بفاس رقمها ٥٣٨/٤ . وهي ضمن مجموع من كتابين لابن السيد ، وخطها اندلسي جميل جيد الشكل سهل القراءة كتبت ابواب الكتاب ومواده اللغوية بخط منميز عدد اوراقها ١٣٣ ورقة ناقصة من الاول بمقدار صفحة واحدة وهي نسخة موثقة مقابلة على اصل صحيح منقول عن نسخة المؤلف تاريخها سنة ٦٣٦ هـ .

٨ - نسخة خزانة لاله لي رقمها ٣٦١٦ نسخت بقلم نسخ عتيق بلا اعجام كتب قبل عام ٨٤١ هـ وعدد اوراقها ٧٩ ورقة فيها كتاب المثلث في ٧٦ ورقة والاوراق الباقية فيها قصيدة في المقصور والمدود . وهذه النسخة تهذيب لكتاب المثلث لترتيب ناسخ الحروف وفق الترتيب المشرقي دون التزام بترتيب المؤلف مع اسقاط اغلب الشواهد الشعرية .

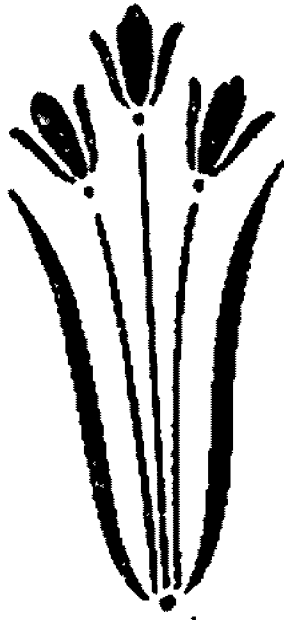
٩ - نسخة خزانة جامعة بيل رقمها ٥٦٨ خطها مغربي جيد الشكل جميل الخط سهل القراءة

عدد اوراقها ١٤٥ ورقة مع نقص في اولها
وسقوط سبعة اوراق منها وهي اقدم نسخة
عثر عليها المحقق تاريخها سنة ٥٩٤ هـ .

وقد اعتمد المحقق على نسختي فاس وبيل
اصلين للتحقيق تكمل احدهما الاخرى ،
وباقى النسخ فروعاً لهما .

ثم بين المحقق تحقيقه مادة الكتاب، ثم خاتمة
الدراسة وقد وضع عدة صور للمخطوطات
التي اعتمدها في التحقيق . هذا وقد
استغرقت الدراسة ٢٩٣ صفحة .

اما نص الكتاب فقد جاء في ٢٢٠ صفحة ، يبدأ
بعد مقدمة المؤلف بحرف الهمزة (باب المثلث
المتفق المعاني ، باب المثلث المختلف المعاني) ثم
حرف الباء (باب المثلث المتفق المعاني و باب
المثلث المختلف المعاني) وحرف التاء (باب
المثلث المتفق المعاني و باب المثلث المختلف
المعاني) وحرف الشاء (باب المثلث المتفق المعاني
والمختلف المعاني) وحرف الجيم (باب المثلث
المتفق المعاني والمختلف المعاني) وحرف الحاء
(باب المثلث المتفق المعاني والمختلف المعاني)
وحرف الخاء (باب المثلث المتفق المعاني والمختلف
المعاني) ثم فهرس موضوعات الكتاب .



المحتوى

الابحاث والدراسات

- ٢٤ - ٣ القدس في شعر القرن السادس للهجرة د . ناظم رشيد
رحلة تايلر الى العراق (سنة ١٧٨٩ - ١٧٩٠) ترجمة وتعليق الاب
الدكتور بطرس حداد
٤١ - ٢٥ الجاحظ والفصاحة د . احمد مطلوب
٦٠ - ٤٢ الوزير ابو علي محمد بن علي بن مقله د . نافع توفيق العبود
٧٢ - ٦١

النصوص المحققة

- ٨٨ - ٧٣ كتاب الالفات لابن خالويه - القسم الاول - تحقيق د . علي حسين البواب
١٠٤ - ٨٩ ديوان الناشيء الاكبر - القسم الاول - . . . تحقيق وتقديم هلال ناجي
من شعراء الفتوح ، نافع بن الاسود المعروف بابن نجيد . . . تحقيق
١١٨-١٠٥ د . نوري حمودي القيسي
المدخل الى تقويم اللسان لابن هشام اللخمي - القسم الثالث - تحقيق
١٣٤-١١٩ د . حاتم صالح الضامن
كتاب مطمح الانفس ومسرح التانس في ملح اهل الاندلس تأليف الفتح بن خاقان
١٤٩-١٣٥ الاندلسي - القسم الثالث - الجزء الاول - تحقيق : هدى شوكت بهنام

الفهارس والبيبليوغرافيات

- معجم الافعال المتعدية اللازمة - القسم الاول - جمع وتحقيق د . هاشم طه
١٦٢-١٥٠ شلاش
فهرس مجلة معهد الدراسات الاسلامية بمدرسد - القسم الاول - اعداد
١٧٤-١٦٣ عبدالزهره هامل غياض

العرض والنقد والتعريف

- حول ديوان اشعار الامير ابي العباس عبدالله بن المعتز بالله . . . الخليفة
١٨٢-١٧٥ العباسي . . . القسم الثاني . . . د . يونس احمد السامرائي
١٩٠-١٨٣ مطبوعات تراثية صادق هامل

WWW.ATTAWHEEL.COM

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد

(١٠٠) لسنة ١٩٨٢

أسفل المطبعة

دار الحرية للطباعة - بغداد

١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م